

مجلة العلوم العربية والإنسانية

شوال ١٤٣٧هـ - يوليو ٢٠١٦

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. عبدالعزيز بن راشد السندي

الأعضاء

أ.د. إبراهيم بن عبدالرحمن المطوع

أ.د. حمديني عبدالقادر العوضي

أ.د. محمود محمد أحمد صادق

د. يوسف بن إبراهيم الرجيعي

سكرتير المجلة

صالح بن عبدالعزيز العليقي

الهيئة الاستشارية

أ.د. إبراهيم بن مبارك الجوير

أ.د. سعد حمدان الغامدي

أ.د. عبدالله بن حمد الحميدان

أ.د. عبدالله بن يوسف الشبل

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم

أ.د. فخر الدين قباوة

(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) اجتماع

(جامعة أم القرى) نحو وصرف

(جامعة الملك سعود) علم لغة تطبيقي

(مدير جامعة الإمام محمد بن سعود سابقاً) تاريخ

(جامعة الكويت) جغرافيا

(جامعة حلب) اللغويات

المحتويات

صفحة

القسم العربي

توجيهات المفسرين النحويّة في كتاب سيبويه

د. عليّ محمود أحمد محمد خير ١٠٢٧

الكثرة والشيوع في شواهد النحو العربي بين منهج النظر ومنهج التطبيق "دراسة نقدية"

د. طارق محمود محمد محمود ١٠٦٧

أثر اختلاف القراءات القرآنية في إثراء الدلالة "دراسة تطبيقية لنماذج من سورتي الفاتحة والبقرة باستخدام نظرية التحليل التكويني"

د. خالد محمد صابر ١١٢١

"الحنين في الشعر الشنقيطي" ابن أحمد دام نموذجاً

الشيخ أحمد المُنَى ١١٥٣

وسائل الملك عبدالعزيز في تحقيق السلام الاجتماعي في نجد ١٣١٩ -
١٣٥١هـ/ ١٩٠٢ - ١٩٣٢م

د. محمد بن عبدالرحمن الشيحة ١٢٠٣

تغير التركيب المحصولي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من عام
٢٠١٢/٢٠٠٠ دراسة جغرافية تحليلية

د. بدرية عبد الله الرشيد ١٢٧٣

الخصائص الجيومورفولوجية لحوض وادي العقيق بمنطقة المدينة المنورة

د. محمد فضيل بوروبة ١٣٣١

دراسة الجمعيات الأهلية كأحد مصادر رأس المال الاجتماعي للمجتمع

د. خليل عبد المقصود عبد الحميد، و سمر سعيد معوض صوفي ١٣٩٣

القسم الإنجليزي

تحليل نصوص دينية سبقت ترجمتها من اللغة العربية إلى اللغة الانجليزية من منظور
نظرية (ملخص عربي)

د. صالح عبد الله عبد الرحمن القفاري ٥٧

توجيهات المفسرين النحويّة في كتاب سيبويه

د. عليّ محمود أحمد محمد خير

أستاذ النحو والصرف المشارك، كاتبة اللغة العربيّة، جامعة القصيم

ملخص البحث. يتناول هذا البحث "توجيهات المفسرين النحويّة في كتاب سيبويه"، ومن المعهود أنّ كُتب المفسرين هي التي انتفعت بآراء التّحويين، إلّا أنّ العكس نادرٌ، ويكون ذلك لافتاً للنظر إذا كان في كُتب المتقدّمين كسيبويه. فسيبويه قد استفاد من الآراء النحويّة للمفسرين في مواضع من كتابه صرّح في أربعةٍ منها بلفظ المفسرين، وبعد التأمل والاستقصاء وجدتُ المواضع التي لم يسوّها أكثر بكثيرٍ من تلك التي سماها ولكنّي اختصرتها في أربعةٍ آخرٍ ليكون المجموع ثمانية حتى لا يخرج الموضوع عن حدّه.

تناولت هذه المسائل عرضاً وتحليلاً ومناقشةً، ثمّ أُرْجِعُ الآراء إلى أصولها والقائلين بها قبلَ عصر سيبويه - غالباً - وفي عصره، فمنها ما يرجع إلى ابن عباس رضي الله عنهما أو إلى أحد تلاميذه من التابعين كمجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) أو غيرهم كالحسن البصريّ (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دُعامة السّدوسيّ (ت ١١٧هـ) وزيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ) وسفيان الثوريّ (ت ١٦١هـ). وفي ذلك دلالة على أنّ سيبويه لم يكن مُتنبّئاً عن حركة التفسير في عصره، فكما استفاد من شيوخه في النحو - ومنهم من ضَرَبَ بِسَهْمٍ في التفسير والقراءات - أفاد كذلك من غيرهم من المفسرين.

فَرَّقَ سيبويه بين رأي شيوخه كالخليل وبين رأي المفسرين، فهو يذكر قول الخليل بجانب قولهم لِيُبَيِّنَ أنّ قوله بِخلاف قولهم. فعند المفسرين "ويُكَانَ" بمعنى: أَلَمْ تَرَ، وعند الخليل تتألف من "وي" و "كَانَ"، إلى غيره. في كلِّ المواضع التي نقل فيها سيبويه رأي المفسرين واختاره، كان يُعزِّز به رأياً يراه ويرجّحه على غيره، كترجيّجه عدم الصرف في الاسم المؤنث الثلاثي الساكن الوسط يدعمه بقراءة مَنْ قَرَأَ: "اهبطوا مصر" من غير تنوين، وقول المفسرين أنّها مصر بَعِيْنِهَا. وأخذه بقول المفسرين في الحروف المقطعة أنّها أسماء السُّور، وأنّ "جَزَمَ" بمعنى "حَقَّ"، و"هَلَّ" بمعنى "قُدَّ"، إلى غير ذلك ممّا بَسَطَهُ البحثُ.

توطئة

عنوان هذا البحث " توجيهات المفسرين النحويّة في كتاب سيبويه "، فهو يتناول استفادة سيبويه من آراء المفسرين النحويّة فيمن سبقه منهم أو المعاصرين له. ولا يتناول جهود سيبويه في التفسير عامّة فهذا واسع في كتابه وقد استشهد سيبويه بعدد كبير من القراءات المتواترة والشاذة بلغ عدد الشواهد القرآنيّة في كتابه حوالي أربع مئة، أدار الحديث حولها محللاً ومناقشاً ممّا يُعدُّ ثروة كبيرة في التفسير اللغويّ هي في نظري من بواكير المحاولات في التفسير التي مهدت لمن أتى بعده من أصحاب التفسير في قلبه الفنيّ الواضح عند ابن جرير وغيره. ولم يكن كتاب سيبويه كتاب تفسير ولا ككتب النحويّين في معاني القرآن التي تناولت القرآن كلّهُ بالتفسير اللغويّ، ولكنّه كتاب نحويّ استخدم فيه سيبويه مقدرته على التفسير في تحليل الآيات فكوّن هذا ثروة يمكن أن تُصنّف في " جهود سيبويه في التفسير " وقد كتب الدكتور أحمد محمد الخراط بحثاً بهذا العنوان في مجلة البحوث والدراسات القرآنيّة.

فهذا البحث لا يعنى بذلك كلّهُ، وإنّما بجانب من جوانب المرحلة السابقة لهذه المرحلة التي كوّنّت عقل سيبويه التفسيريّ، ومن هذا انطلق هذا البحث لينظر في استفادة سيبويه من المفسرين قبله وفي عصره في الآراء النحويّة، وإلى أيّ مدى كانت هذه الاستفادة؟ وما الدليل عليها من كتابه؟ ولم أقف على باحث تناول هذه المرحلة عدا ما أشار إليه الدكتور إبراهيم رفيدة في كتابه " النحو وكتب التفسير " ذاكراً المواضع التي نصّ فيها سيبويه على لفظ المفسرين متناولها باختصار شديد.

لم يكن سيبويه مُنبأً عن حركة التفسير في عصره فكان موصولاً بهذه الحركة التي ضربت جذورها إلى عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن بعده أصحابه رؤوس التفسير في الأمصار فكان على رأس مدرسة مكّة ابن عبّاس رضي الله عنهما ومن

أعلامها مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ) وعكرمة بن عبد الله (ت ١٠٥هـ) وعلى رأس مدرسة الكوفة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومن أعلامها مسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ) وقتادة بن دعامة السدوسيّ (ت ١١٧هـ) والحسن البصريّ (ت ١١٠هـ) وعلى رأس مدرسة المدينة أبيّ بن كعب رضي الله عنه ، ومن أعلامها أبو العالية رفيع بن مهران الرياحيّ (ت ٩٣هـ) ومحمد بن كعب القرظيّ (ت ١١٧هـ) وزيد بن أسلم العدويّ (ت ١٣٦هـ). وسترى فيما نسبه سيبويه إلى المفسرين يرجع إلى بعض هؤلاء.

تتلمذ سيبويه على عدد من أئمة النحو واللغة ممّن ضرب بسهم في التفسير الذي لا ينفكّ عن التحليل النحويّ على تفاوت بينهم ، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) ، وأخذ كذلك عن عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) وقارئ البصرة أبو عمرو بن العلاء البصريّ (ت ١٤٥هـ) وهارون بن موسى النحويّ (ت ١٧٠هـ) وأبو الخطاب عبد الحميد الأخفش الأكبر (ت ١٧٧هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) ويعقوب بن إسحاق الحضرميّ (ت ٢٠٥هـ) وأبو زيد سعيد ابن أوس الطائيّ (ت ٢٠٥هـ) وكان قد أخذ من قبل عن الفقيه المحدث النحويّ حماد بن سلمة بن دينار البصريّ (ت ١٦٧هـ). ويذكر سيبويه قول المفسرين مُستقلّاً - فيما نصّ عليه - بجانب قول شيوخه كالخليل ويُفرّق بين قول المفسرين وقول الخليل ليبين أنه بخلاف قولهم. ومن ينظر إلى أربعة المواضع التي صرّح فيها بلفظ المفسرين يحسب أخذ سيبويه عن المفسرين قليلاً ولكنّي بعد التتبع الدقيق وقفت على عدد وافر من المواضع أخذ سيبويه فيها عن المفسرين ، ولولا خشية خروج الموضوع عن حدّه لبسط القول فيها جميعاً ولكنّي حصرتها في أربعة ضممتها إلى تلك ليكون المجموع ثمانية. تناولت في كلّ مسألة من هذه المسائل قول سيبويه بالتحليل عرضاً للمسألة وشرحاً لها وبياناً للأصل الذي اعتمد

عليه سيبويه من المفسرين السابقين وفي عصره ومناقشة بعض النحويين والمفسرين اللاحقين لهذه الآراء.

وعلى ذلك جاء هذا البحث في فصلين تسبقهما هذه المقدمة وتقفوهما خاتمة فيها ملخص البحث ونتائجه ثم الخلاصة.

أما الفصل الأول فجعلت عنوانه: المواضع التي صرح فيها سيبويه بلفظ المفسرين، ويشمل أربع مسائل جعلت لكل مسألة عنواناً وهي كالاتي: مصر ومنعها من الصرف. ويكأن معناها وإعرابها. حذف اللام من "أن" وإعرابها. معنى "جرم" وإعرابها.

والفصل الثاني وعنوانه: المسائل التي لم يصرح فيها سيبويه بلفظ المفسرين ويشمل أربع مسائل هي: الحروف المقطعة. و"ما" الزائدة. و"هل" بمعنى "قد". والجمع بين الفاعل ونائبه.

الفصل الأول: المواضع التي صرح فيها سيبويه بلفظ المفسرين

١ - مصر ومنعها من الصرف

في قوله تعالى: (اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآ سَأَلْتُمْ)^(١)، ذكر سيبويه قول المفسرين فقال: "وبلغنا عن بعض المفسرين أن قوله: اهبطوا مصر، إنما أراد مصر بعينها"^(٢)، وكما هو معلوم يجوز في الاسم المؤنث الصرف وعدم الصرف إذا كان ثلاثياً ساكن الوسط غير أعجمي ولا منقول^(٣). والوجه الذي ذكره سيبويه بغير تنوين منسوب إلى ابن مسعود

(١) من الآية ٦١ سورة البقرة.

(٢) سيبويه، الكتاب ٢٤٢/٣

(٣) ينظر: الفراء، معاني القرآن ٤٢، ٤٣/١ وابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣٣١/٣ والأشموني،

شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١٥٤/٣

وأبيّ وقرأ به الحسن البصريّ والأعمش وأبان بن تغلب^(٤)، ولا خلاف في هذه القراءة بأنّ المقصود هي مصر بعينها، أمّا اختلاف المفسرين فقد وقع في "مصرّاً" بالتنوين على قول من يرى أنّ المراد ليس مصر بعينها وإنّما مصرّ من الأمصار، وهذا هو الراجح الذي تؤيّده قراءة الجمهور، وذكر الطبري ما يؤيد ذلك من سياق الآيات، فقد جعل الله أرض الشام لبني إسرائيل مساكن بعد أن أخرجهم من مصر وابتلاهم بالتيه أربعين سنة ثمّ أسكن ذريتهم بعد ذلك أرض الشام، وذلك في قوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)^(٥)، إلى غيرها من الآيات التي تؤيد ذلك، وذكر الطبري في ذلك خمسة أحاديث بأسانيدھا لتأييد هذه القراءة^(٦). والرأي الثاني على قراءة التنوين _ مصرّاً _ أنّ المراد البلدة التي تُعرف بهذا الاسم وهي مصر فرعون التي خرجوا عنها ولكنّ التنوين اتّباعاً لخطّ المصحف كقراءة من قرأ: (قَوَارِيرًا. قَوَارِيرًا مِنْ فَضَّةٍ)^(٧) منوّنة، قال الفراء: "فإن شئت جعلت الألف في "مصرّاً" ألفاً يوقف عليها فإذا وصلت لم تنوّن فيها كما كتبوا سلاسل وقواريرا"^(٨) وذكر الطبري حديثين يؤيدان هذا الوجه^(٩). ووجه من قال ذلك من المفسرين أنّ الله ذكر أنّه ورّثهم تلك الأرض ولا يكونوا يرثونها ثمّ لا ينتفعون بها وذلك في قوله تعالى: (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي

(٤) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن ٨٦/١ ومكي، الهداية إلى بلوغ النهاية ٢٨٨/١ والزحشرّي، الكشف

١٤٥/١ وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٥٤/١ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن

٤٢٩/١ وأبو حيّان، البحر المحيط ٣٧٨/١ والألوسي، روح المعاني ٢٧٦/١

(٥) من الآية ٢١ سورة المائدة.

(٦) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ١٣٣/٢

(٧) من الآية ١٥ والآية ١٦ سورة الإنسان.

(٨) الفراء، معاني القرآن ٤٣/١ وينظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ١٣٣/٢

(٩) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ١٣٤/٢

إِسْرَائِيل^(١٠) ويقول ذلك قراءة أبيّ: (اهبطوا فإنّ لكم ما سألتكم واسكنوا مصر)^(١١)، وهذا الوجه من التفسير يعزّزه الوجه الذي ذكره سيبويه عن المفسّرين، وقد اختار الفراء هذا الوجه مُعللاً لذلك بقوله: "لأنّها في قراءة عبد الله: "اهبطوا مصر" بغير ألف وفي قراءة أبيّ ..."^(١٢)، وأغلب المفسّرين على خلاف ذلك؛ والمقصود الذي تؤيده القراءة المشهورة أنّه عنى مصرّاً من الأمصار لا مصر بعينها، قال ابن كثير بعد أن ذكر كلام الطبري: "وهذا الذي قاله ابن جرير فيه نظر والحق أنّ المراد مصرّاً من الأمصار... والمعنى على ذلك لأنّ موسى عليه السلام يقول لهم: هذا الذي سألتكم ليس بأمر عزيز بل هو كثير في أيّ بلد دخلتموه وجدتموه فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه ولهذا قال: أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ"^(١٣) والحق أنّ الطبري لم يرجّح أحد القولين على الآخر بعد أن اختار قراءة الجمهور، والصواب عنده أن يقال: "إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوهم من نبات الأرض - على ما بينه الله جل وعز في كتابه - وهم في الأرض تائهون، فاستجاب الله لموسى دعاءه، وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قراراً من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك، إذ كان الذي سألوهم لا تنبته إلّا القرى والأمصار، وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه. وجائز أن يكون ذلك القرار "مصر"، وجائز أن يكون "الشام"^(١٤). وقال ابن عاشور: "فالمعنى اهبطوا مصرّاً من الأمصار يعني وفيه إعراض عن طلبهم... والأمر لمجرّد التوبيخ إذ لا

(١٠) الآيات ٥٧، ٥٨، ٥٩ سورة الشعراء.

(١١) الفراء، معاني القرآن ١/٤٣

(١٢) المصدر السابق ١/٤٣

(١٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٢٨٢

(١٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ٢/١٣٦

يمكنهم الرجوع إلى مصر^(١٥)، وقد استطرد الرّازي في تفسيره في توجيه القولين وبسط القول في رأي كل فريق من المفسرين^(١٦).

وسيبيويه يقوّي بهذا الوجه الذي نقله عن المفسرين ما يرجّحه في الاسم المؤنث الساكن الوسط من عدم الصرف.

٢- وَيَكُنَّ مَعْنَاهَا وَإِعْرَابُهَا

اختلف المفسرون في " وَيَكُنَّ " اختلافاً واسعاً وقد جاءت في قوله تعالى: (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيُكَانُّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)^(١٧)، ونقل سيبويه فيها رأي الخليل وقول المفسرين قال: " وسألت الخليل رحمه الله تعالى عن قوله: " وَيُكَانُّهُ لَا يُفْلِحُ " وعن قوله تعالى جدّه: " وَيُكَانُّ اللَّهُ " فزعم أنه وي مفصولة من كَأَنَّ، والمعنى وقع على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أو نُبِّهوا فقليل لهم: أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا، والله تعالى أعلم. وأما المفسرون فقالوا: ألم تر أنّ الله. وقال القرشي، وهو زيد بن عمرو بن نُفيل:

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَانِي قَلَّ مَالِي وَقَدْ جِئْتُمَانِي بُنْكَرٍ
وَيِ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحِبُّ بَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضُرٍّ^(١٨)

(١٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٥٢٤/١

(١٦) الرّازي، التفسير الكبير ٥٣٢/٣، ٥٣٣، ٥٣٤

(١٧) الآية ٨٢ سورة القصص.

(١٨) سيبويه، الكتاب ١٥٤/٢، ١٥٥. والبيت من الخفيف وينسب بجانب زيد بن عمرو إلى نبيه بن الحجاج.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب ٤١٨/١٥ و البغداديّ، خزانة الأدب ٤٠٤/٦ والزجاجيّ، الأمالي

٢٣٢/١ و ابن قتيبة، عيون الأخبار ٣٤٨/١ و ابن السراج، الأصول في النحو ٢٥٢/١ و ابن هشام،

مغني اللبيب ٤٨٣/١ و السيرافي، شرح أبيات سيبويه ٣٠/٢ ابن جني، الخصائص ١٧١/٣

فهي عند الخليل تتألف من ويّ و كأنّ، وعند المفسّرين بخلاف قول الخليل بمعنى: ألم تر.

وهذا القول الذي ذكره سيبويه عن المفسّرين منسوبٌ إلى قتادة، فقد رواه الطبريّ عنه بعدّة أسانيد، قال الطبريّ: (فأمّا قتادة فإنّه رُوي عنه في ذلك قولان: أحدهما ... قال: ألم تر أنّه ... والقول الآخر ... أولاً

يعلم أنّه)^(١٩)، وقال الأخفش في التفسير الأول: "والمفسّرون يفسرونها ألم تر أنّ الله"^(٢٠)، ورُوي هذا عن "ابن عباس معناه: ألم تر)^(٢١)، وكلا التفسيرين فيه معنى التقرير"^(٢٢). وقد اختلف النحويون والمفسرون في مراد الخليل قال ابن جنّي: "قول الله تعالى: وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ"، ذهب الخليل وسيبويه فيه إلى أنّه في الخبر وهو معنى أعجب، ثمّ قال مبتدئاً: كأنّه لا يفلح الكافرون"^(٢٣)، وكذلك ابن هشام في شرحه لكلمة "واها" مستشهداً بقوله تعالى: وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ، قال: "أي أعجب بعدم فلاح الكافرين"^(٢٤)، واعترض البغداديّ على ابن جنّي قائلاً: "أمّا قوله إنّ وي عندهما اسم أعجب فقد تقدم عند النحّاس والأعلم ما يردّه"^(٢٥)، كما اعترض على ابن هشام في جعله "ويّ" و "واهاً" بمعنى واحد، قال: "جعل ابن هشام في المغني وي و واهاً لغتين في وا بمعنى أعجب، وهذا باطل فإنّ كلّ واحدة من هذه الثلاثة كلمة

(١٩) الطبريّ، جامع البيان في تأويل القرآن ٦٣٤/١٩

(٢٠) الأخفش، معاني القرآن ٤٧٢/٢

(٢١) الجوزيّ، زاد المسير في علم التفسير ٩٤/٣

(٢٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/٣

(٢٣) ابن جنّي، الخصائص ١٧١/٢

(٢٤) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٨٠/٤ وينظر: ابن هشام، مغني اللبيب ٢٣٤/١، و

٢٥٤، و ٤٠٩ والسيرافي، شرح أبيات سيبويه ٣٠/٢

(٢٥) البغداديّ، خزنة الأدب ٤٠٧/٦

مستقلة في نفسها أصلاً^(٢٦). وذهب بعض المفسرين إلى أنّ "وي" عند الخليل وسيبويه معناها أعجب، قال أبو حيان: "و وي" عند الخليل وسيبويه اسم فعل مثل صه و مه ومعناها أعجب، قال الخليل: وذلك أنّ القوم ندموا فقالوا متندمين على ما سلف منهم: وي، وكلّ من ندم فأظهر ندامته قال: وي. و"كأن" هي كاف التشبيه الداخلة على أنّ وكتبّت متصلة بكاف التشبيه لكثرة الاستعمال، وأنشد سيبويه:

وي كأنّ من يَكُنْ له نشبٌ يُحِ بَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عِشَ ضُرٌّ^(٢٧)

وقال الزمخشري: "وي مفصولة عن كأنّ وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم، ومعناه: أنّ القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنّهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، وتندموا ثم قالوا: ويكأنّه لا يفلح الكافرون، أي ما أشبه الحال بأنّ الكافرين لا ينالون الفلاح، وهو مذهب الخليل وسيبويه^(٢٨). ويرى الزجاج أنّ ما رواه سيبويه عن الخليل مشاكل لما رواه عن المفسرين، فهما بمعنى قال: "أنّ القوم تنبهوا فقالوا: وي، متندمين على ما سلف منهم، وكل من تندم أو ندم فإظهار تندمه وندامته أن يقول "وي" كما تعاتب الرجل على ما سلف منه فتقول: وي، كأنك قصدت مكروهي، حقيقة الوقف عليها وي، وهو أجود في الكلام، ومعناه التنبيه والتندم... فهذا تفسير الخليل، وهو مشاكل لما جاء في التفسير، لأنّ قول المفسرين هو تنبيه^(٢٩).

وأشار الطبري إلى تفسير سيبويه الذي نقله عن المفسرين وعزاه إلى قتادة قال: "وتأوّل هذا التأويل الذي ذكرناه عن قتادة في ذلك أيضاً بعض أهل المعرفة بكلام

(٢٦) المصدر السابق ٤٠٩/٦

(٢٧) أبو حيان، البحر المحيط ٣٢٩/٨

(٢٨) الزمخشري، الكشاف ٤٣٤/٣

(٢٩) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١٥٧/٤

العرب من أهل البصرة - يعني سيبويه - واستشهد بصحّة تأويله كذلك بقول الشاعر:

وَيَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحِبُّ بَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشْ عَيْشَ ضُرٍّ^(٣٠)

ثمّ اختار هذا القول: " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة القول الذي ذكرنا عن قتادة، من أنّ معناه: ألم تر، ألم تعلم، للشاهد الذي ذكرنا فيه من قول الشاعر، والرواية عن العرب، وأنّ "ويكأنّ" في خطّ المصحف حرف واحد^(٣١).

وعلى تفرُّق النحويين والمفسّرين في معنى " ويكأنّ " وإعرابها؛ فقد أحسن ابن عاشور حين فسّر الآية على تلك المعاني كلّها^(٣٢) قال: " ومعنى الآية على الأقوال كلّها أنّ الذين كانوا يتمتّون منزلة قارون ندموا على تمّنيهم لما رأوا سوء عاقبته وامتلكهم العجب من تلك القصّة ومن خفيّ تصرفات الله تعالى في خلقه وعلموا وجوب الرضى بما قدر للناس من الرزق فخاطب بعضهم بعضاً بذلك وأعلنوه^(٣٣) " ٣- حذف اللام من " أنّ " وإعرابها

(٣٠) الطبريّ، جامع البيان في تأويل القرآن ٦٣٤/١٩

(٣١) المصدر السابق ٦٣٦/١٩

(٣٢) دُكر في معنى " وَيَكُنْ " حوالي خمسة أقوال لمجموعة من العلماء منهم الكسائي وأبو عمرو بن العلاء والفراء والأخفش وقطرب والليث وثعلب والجوهري وغيرهم. ينظر: الأخفش، معاني القرآن ٤٧٢/٢ و الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١٥٧/٤ و ابن عطية، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٠١/٤، ٣٠٢ و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٣ و أبو حيّان، البحر المحيط ٣٢٩/٨ و السمين الحلبي، الدرّ المصون ٦٩٧/٨، ٦٩٨، ٦٩٩ و الأشموني، شرح الأشموني لألفيّة ابن مالك ٩٤/٣ و ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٨٨، ١٨٧/٢٠، الأزهرّي، شرح التصريح على التوضيح ٢٨٣/٢ و ابن عثيمين، مختصر مغني اللبيب ١٢٧/١

(٣٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٨٨/٢٠

تحدث سيبويه عن ذلك في باب من أبواب أن^(٣٤)، قال: "وسألت الخليل عن قوله جل ذكره: "وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون"^(٣٥)، فقال: إنما هو على حذف اللام، كأنه قال: ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون. وقال: ونظيرها: "لإيلاف قريش"^(٣٦) لأنه إنما هو: لذلك فليعبدوا... إلى أن يقول: "وقال أيضاً: "وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً"^(٣٧) بمنزلة: "وإن هذه أمتكم أمة واحدة"، والمعنى: ولأن هذه أمتكم فاتقون، ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً. وأما المفسرون فقالوا: على أوجي، كما كان "وأنت لما قام عبد الله يدعوه"^(٣٨) على أوجي. ولو قرئت: وإن المساجد لله كان حسناً"^(٣٩). فذكر سيبويه قول الخليل في "أن" وأنها في موضع نصب^(٤٠) على تقدير اللام فيكون المعنى "فلا تدعوا مع الله أحداً في المساجد لأنها لله خاصة ولعبادته"^(٤١). ثم ذكر قول المفسرين في قوله تعالى: "وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً" وأن بالفتح معطوف على "أوجي" في أول السورة: "قل أوجي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرأنا عجباً"^(٤٢) في موضع رفع نائب فاعل أوجي "أنه استمع"، فيكون و "أن المساجد" في الموحى

(٣٤) سيبويه، الكتاب ١٢٦/٣

(٣٥) الآية ٢٣ سورة المؤمنون.

(٣٦) الآية ١ سورة قريش.

(٣٧) الآية ١٨ سورة الجن.

(٣٨) الآية ١٩ سورة الجن.

(٣٩) سيبويه، الكتاب ١٢٧/٣

(٤٠) ينظر: الفراء، معاني القرآن ١٩١/٣، ١٩٢ والزجاج، معاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/٥

(٤١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٣٠٠/١٠

(٤٢) الآية ١ سورة الجن.

أيضاً^(٤٣)، أي أُوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ وأنّ المساجد لله، ويدخل في ذلك قوله: "وأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ". ثمّ ذكر سيبويه وجهاً ثالثاً - بعد قول الخليل وقول المفسّرين - وهو أن يكون في موضع جرّ وذلك بقوله: "ولو قرئت وإنّ المساجد لله، كان حسناً"^(٤٤)، وساق لذلك أمثلة وشواهد^(٤٥). وقد رجّح بعض المفسّرين - منهم الطبريّ - قول سيبويه الذي نسبته للمفسّرين، قال الطبريّ: "وأحبّ ذلك إليّ أن أقرأ به بالفتح فيما كان وحياً..."^(٤٦) ويبيّن أنّ ذلك أفصح في العربيّة وأبين مع أنّه لم يستبعد الوجه الأخرى.

وروى الفراء رواية عن ابن عبّاس تومئ بنسبة القول الذي نسبته سيبويه إلى المفسّرين إلى ابن عبّاس، قال: "وحدثني حَبّان عن الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال: أُوحي إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم - بعد اقتصاص أمر الجنّ: " وأنّ المساجد لله فلا تدعوا"^(٤٧)، هذا إن صحّت هذه الرواية إلى ابن عبّاس. وعلى أيّة حال فسيبويه نسب القول إلى المفسّرين ويبيّن أنّ كلامهم بخلاف كلام الخليل.

(٤٣) ينظر أبو حيّان، البحر المحيط ٣٠٠/١٠ و السّمين الحلبيّ، الدر المنصون ٤٨٥/١٠

(٤٤) اتّفق الفراء على فتح الهمزة في " وأنّ المساجد ". ابن مجاهد، السبعة ٦٥٦/١ و ابن القاصح، سراج القارئ المبتدئ وتذكّار المقرئ المنتهي ٣٧٥/١ و ابن الجزريّ، شرح طيبة النّشر ٣٢١/١ والطبريّ، جامع البيان في تأويل القرآن ٦٥١/٢٣، ٦٥٢. وقرأ بكسر الهمزة ابن هرمز وطلحة، ينظر أبو حيّان، البحر المحيط ٣٠٠/١٠

(٤٥) ينظر: سيبويه، الكتاب ١٢٧/٣، ١٢٨

(٤٦) الطبريّ، جامع البيان في تأويل القرآن ٦٥٣/٢٣

(٤٧) الفراء، معاني القرآن ١٩١/٣. ولم أعثر لهذه الرواية على أصل في كتب الحديث والتّخريج وشروحها فيما وقفت عليه.

حَبّان هو حبان بن عليّ العنزيّ الكوفيّ روى عن الأعمش وغيره وروى له ابن ماجة في السنن وذكره ابن حَبّان في الثّقات، كان صالحاً ديناً صدوقاً ومن فقهاء الكوفة توفي سنة ١٧١هـ، ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب

٤- معنى " جَرَمَ " وإعرابها

يرى سيبويه أنّ " جرم " في قوله تعالى: (لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ)^(٤٨) فعل بمعنى " حقّ " وما بعدها في موضع رفع على الفاعليّة، قال: " وأما قوله عز وجل: " لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ " فإنّ جرم عملت فيها لأنّها فعل، ومعناها: لقد حقّ أنّ لهم النار، ولقد استحقّ أنّ لهم النار، وقول المفسّرين معناها: حقّاً أنّ لهم النار، يدلّك أنّها بمنزلة هذا الفعل إذا مثّلت، فجرم بعد عملت في أنّ عملها في قول الفزاريّ:

ولقد طعنت أبا عُيَيْنَةَ طُعْنَةً جَرَمَتْ فزارةً بعدها أن يَغْضُبُوا^(٤٩)

أي: أحقت فزارة^(٥٠)، فيكون المعنى حقّ وثبت كون النار لهم^(٥١). ويُفهم من كلام سيبويه أنّ " لا " مع " "

جرم " بمنزلة الكلمة الواحدة كأنّها مركبة^(٥٢)، ثمّ أيّد قوله بقول المفسّرين: أنّها بمعنى حقّاً، وهذا القول منسوب إلى مقاتل وغيره من السابقين لسيبويه، قال مقاتل: " لا جرم قسماً، حقّاً أنّ لهم النار وأنّهم مفرطون "^(٥٣). ونقل هذا القول عن المفسّرين

والكلبيّ هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث أبو النضر، رواية عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، توفي بالكوفة سنة ١٤٦هـ. ينظر: الطبريّ، المنتخب من ذيل المذيل ١٣٧/١ والغزّي، ديوان الإسلام

٣٢/٤ و الزركلي، الأعلام ٣٢/١

(٤٨) من الآية ٦٢ سورة النحل.

(٤٩) البيت من الطويل، وينسب إلى أبي أسماء بن الضريبة. الجواليقي، شرح أدب الكاتب ١٢٠/١ والمبرد، المقتضب ٣٥٢/٢ و ابن فارس، الصاحي في فقه اللغة ١٠٧/١، ١٠٨ و ابن دريد، جمهرة اللغة

٤٦٥/١ و ابن منظور، لسان العرب ٩٢/١٢

(٥٠) سيبويه، الكتاب ١٣٨/٣

(٥١) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون ٣٠٣/٦

(٥٢) ينظر: أبو حيّان، البحر المحيط ١٣٧/٦ و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٩

(٥٣) مقاتل، تفسير مقاتل ٤٧٥/٢ وينظر صفحة ٢٧٨ و ٤٨٩

الفراء كذلك قال: " وكذلك فسرها المفسرون بمعنى الحق" ^(٥٤)، والفراء يرى أنها بمعنى لا بدّ ولا محالة فكثير استعمالها حتى صارت بمنزلة حقاً، ويرى أنّ من معانيها: كسبت ^(٥٥)، وفسرها المبرد بتفسير سيبويه ويرى أنها بمنزلة: لا يجرمنكم في قوله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ) ^(٥٦)، قال: " أي لا يحقنكم" ^(٥٧) ثم ذكر شاهد سيبويه.

وفزارة في البيت منصوبة عند سيبويه على أنها مفعول به وجعل الفعل " أحقت " متعدياً، ويروى فزارة بالرفع والمعنى اكتسبت فزارة الغضب، وأنكره بعضهم ^(٥٨) كالبيدادي الذي ردّ على قول الرضي وقد أعرب " فزارة" فاعلاً و" أن يغضبوا" بدل اشتغال منه وحمل كلام سيبويه على ذلك ^(٥٩).

واختلف النحويون في " جرم" اختلافاً واسعاً وذهبوا في معناها وإعرابها إلى خمسة أوجه ^(٦٠)، من أظهرها – بجانب قول سيبويه – أن تكون بمعنى محالة أو بدّ ولا نافية للجنس وجرم اسمها مبنيّ معها على الفتح وهي واسمها في محلّ رفع بالابتداء وما بعدهما خبر لا النافية، أو يكون ما بعدها معمولاً لحرف جرّ محذوف والتقدير لا جرم من أنّ الأمر كذا. هذا وقد نقل توجيه سيبويه كثير من النحويين والمفسرين ^(٦١).

(٥٤) الفراء، معاني القرآن ٨/٢

(٥٥) المصدر السابق ٨/٢، ٩

(٥٦) من الآية ٢ والآية ٨ سورة المائدة.

(٥٧) المبرد، المقتضب ٣٥٢/٢

(٥٨) ينظر: الجوهري، الصحاح ١٨٨٦/٥ وابن منظور، لسان العرب ٢٨٦/١٠ " مادة جرم".

(٥٩) البيدادي، خزنة الأدب ٢٨٣/١٠

(٦٠) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون ٣٠٣/٦، ٣٠٤ وابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٩/١٢ والمبرد،

المقتضب ٣٥١/٢، ٣٥٢

(٦١) ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن ٣٥٨/١ والمبرد، المقتضب ٣٥١/٢، ٣٥٢ والفراء، معاني القرآن ٨/٢، ٩

وأبو حيّان، البحر المحيط ١٣٧/٦ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٩

الفصل الثاني: المواضع التي لم يصرح فيها سيبويه بلفظ المفسرين

١ - الحروف المقطعة

يرى سيبويه في الحروف المقطعة في بداية السور أنها أسماء السور، وذلك في باب عقده بعنوان "هذه أسماء السور"، قال: "هذا باب أسماء السور تقول: هذه هودٌ كما ترى، إذا أردت أن تحذف سورة من قولك: هذه سورة هود، ... وإن جعلت هوداً اسم السورة لم تصرفها، لأنها تصير بمنزلة امرأة سميتها بعمرو..... وأما حم فلا ينصرف، جعلته اسماً لسورة أو أضفته إليه، لأنهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجمي، نحو: هابيل وقابيل. وقال الشاعر: وهو الكميت:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمَ آيَةً تَأْوَلُهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبٌ

..... وكذلك: طاسين، وياسين. واعلم أنه لا يجيء في كلامهم على بناء: حاميم وياسين، وإن أردت في هذا الحكاية تركته وقفاً على حاله. وقد قرأ بعضهم: "ياسين والقرآن"، و"قاف والقرآن". فمن قال هذا فكأنه جعله اسماً أعجمياً، ثم قال: أذكر ياسين. وأما صاد فلا تحتاج إلى أن تجعله اسماً أعجمياً، لأن هذا البناء والوزن من كلامهم، ولكنه يجوز أن يكون اسماً للسورة فلا تصرفه. ويجوز أيضاً أن يكون ياسين وصاد اسمين غير متمكنين، فيلزمان الفتح، كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة الحركات، نحو: كيف، وأين، وحيث، وأمس. وأما طسم فإن جعلته اسماً لم يكن بد من أن تحرك النون، وتصير ميماً كأنك وصلت إلى طاسين، فجعلتها اسماً واحداً بمنزلة دارب جرد وبعل بك. وإن شئت حكيت وتركت السواكن على حالها

"(٦٢)"

وقبل أن نأتي إلى تحقيق ما ذهب إليه سيبويه ومن قال به من المفسرين نوجز ما قاله سيبويه في عبارته، فأعراب الحروف يترتب على ما ذهب إليه من هذا القول وما فصله في كلامه. فما تألف من حرفين من الحروف المقطعة مثل حم و يس، فهو معرب ممنوع من الصرف جرياً على نظائره مثل قابيل وهابيل، مُضافاً إلى سورة أو غير مضاف كما جاء غير مصروف في قول الشاعر:

وجدنا لكم في آل حاميم آية

ومنه من الصرف على العلميّة والتأنيث، ويجوز فيه البناء موقوفاً على حاله، وكذلك ما تألف من حرف واحد مثل قاف و صاد، غير أنّه لا يشبه الأسماء الأعجميّة فيجوز فيه البناء والإعراب، فإن أُعرب جاز صرفه وعدم صرفه فهو كالأسماء المؤنثة الثلاثيّة كهند. وما تألف منها من ثلاثة أحرف مثل طسم فحكمه حكم المركّب كعلبك ودارجرد في منعه من الصرف لأنّه مركب من جزأين طس ميم، وإنّ جُعِلَ اسماً واحداً طسم فليس فيه إلّا البناء مثل كهيعص والمر. هذا مجمل ما ذهب إليه سيبويه.

أمّا قوله بأنّ الحروف أسماء السّور - وهي القضية موضع التحقيق - فقد تبين أنّ سيبويه مسبوق بهذا الرأي من المفسرين، فرؤي هذا التفسير عن مجاهد وقتادة والحسن البصريّ وسفيان الثّوريّ وزيد بن أسلم وغيرهم. جاء في تفسير ابن وهب: "حدثني ابن زيد عن أبيه في قول الله: الر والم تلك، وأشباه ذلك قال: أسماء السّور" (٦٣)، وفي تفسير البغويّ: "وقال مجاهد وابن زيد هي أسماء السّور، ويانه أنّ القائل إذا قال: قرأت المص عرف السامع أنّه قرأ السورة التي افتتحت بالمص" (٦٤)، وفي تفسير يحيى ابن سلام قال: "وكان الحسن يقول: لا أدري ما تفسيره غير أنّ قوماً من

(٦٣) ابن وهب، تفسير القرآن ١٦٢/٢

(٦٤) البغويّ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٥٩/١ وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٥٧/١

أصحاب النبيّ عليه السلام كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتيحها^(٦٥)، وروى الطبري كذلك حديثاً قال: "حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أنبأنا عبد الله بن وهب قال سألت عبد الرحمن^(٦٦) بن زيد بن أسلم عن قول الله: (الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ) و(الْم تَنْزِيلُ) و(الْم تِلْكَ) فقال: قال أبي إنّما هي أسماء السور^(٦٧). وعزّز ابن كثير هذا الرأي بالحديث الذي جاء في الصحيحين: "عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل أتى على الإنسان^(٦٨) ولشهرة هذا القول وكثرة الرواية فيه قال الزمخشري: "وعليه إطباق الأكثر أنّها أسماء السور^(٦٩)". وقال الطبري يشرح تسمية السور بهذه الحروف: "كما تعرف سائر الأشياء بأسمائها التي هي أمارات تعرف بها في فهم السامع من القائل يقول: قرأت اليوم: المص و ن أي السور التي قرأها من سور القرآن^(٧٠)، ولا يضرّ تسمية أكثر من سورة بالاسم الواحد مثل الم فهو مشترك يعين بمسمّاه كما قال الطبري " فلما شارك المسمّى به فيه غيره من سور القرآن احتاج المخبر عن سورة منها أن يضمّ إلى المسمّى به

(٦٥) يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام ٢١٣/١ - ٤٩٥/٢ وينظر: ابن زميني، تفسير القرآن العزيز ١٢٠/١ - ١١١/٢ ومكي، الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢٠/١ والماوردي، النكت والعيون ٦٣/١ وأبو حيّان، البحر المحيط ٥٨/١

(٦٦) عبد الرحمن هو ابن زيد بن أسلم القرشي العدويّ المدني المتوفى سنة ١٨٢هـ روى عن أبيه المتوفى سنة ١٣٦هـ وعن ابن المنكدر وعبد الرزاق ووكيع وآخرين وروى عنه كثيرون منهم سفيان بن عيينة، وروى له الترمذي وابن ماجه . المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١١٤/١٧، ١١٥، ١١٦، ١١٧ و ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٧٧/٦، ١٧٨. وضعف علماء الحديث بعض أحاديثه، ينظر: أبو حاتم، الجرح والتعديل ٢٣٣/٥ والألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٥٨/٥

(٦٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ١٠٦/١

(٦٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٥٧/١

(٦٩) الزمخشري، الكشاف ٢١/١

(٧٠) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ٢١١/١، ٢١٢

من ذلك ما يفرّق به السامع بين الخبر عنها وعن غيرها ... فيقول: الم ذلك الكتاب،
الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم...^(٧١)

وأفاض المفسّرون في شرح هذا المعنى بما لا يسع المقام لذكره^(٧٢)، ويكفي من ذلك أنّ سيبويه أخذ بهذا القول.

٢- "ما" الزائدة

قال سيبويه بزيادة ما في مواضع منها قوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ)^(٧٣)، وقوله: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ)^(٧٤)، والحديث عن الزيادة في كتاب سيبويه واسع تناوله في أكثر من موضع خارج القرآن وقصرت الحديث عن الحرف "ما" لتعلقه بالقرآن وفيه غناء عن غيره من الحروف لبيان القول بالزيادة ولأنّه في هذا الحرف خاصّة مسبوق بقول المفسّرين كقتادة وغيره كما سأبيّن. قال سيبويه _ بعد أن ذكر الآيتين السابق ذكرهما: "وهي لغوٌ في أنّها لم تحدث إذ جاءت شيئاً لم يكن قبل أن تحيء من العمل وهي توكيد للكلام"^(٧٥)، ويقول في موضع آخر عن قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ) متحدثاً عن زيادة "لا" قائلاً لها بـ "ما" في الآية: "وذلك لأنّها لغو بمنزلة ما في قوله عزّ وجلّ: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ، فما بعده كشيء ليس قبله

(٧١) المصدر السابق.

(٧٢) ينظر: الطبريّ، جامع البيان في تأويل القرآن ٢١١/١، ٢١٢ و البغويّ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٥٩/١ و الزمخشريّ، الكشاف ٢٦/١، ٢٧ و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٥٧/١ و ابن عاشور،

التحرير والتنوير ٢١٥/١، ٢١٦ و رضا، تفسير المنار ١٠٣/١، ١٠٤

(٧٣) من الآية ١٥٥ سورة النساء والآية ١٣ سورة المائدة.

(٧٤) من الآية ١٥٩ سورة آل عمران.

(٧٥) سيبويه، الكتاب ٢٢١/٤ وينظر كذلك: ١٨١/١

لا ، ألا تراها تدخل على المجرور فلا تغيّره عن حاله ؟ تقول : مررت برجل لا قائم ولا قاعد ^(٧٦) .

والقول بزيادة "ما" في هذه المواضع قال به قتادة نقل ذلك عنه الطبري قال : " حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، يقول : فبرحمة من الله لنت لهم ^(٧٧) ، وفي تفسير قوله تعالى : فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ، جاء في شرح القسطلاني لصحيح البخاري : " قال قتادة وغيره أي بنقضهم ، ف"ما" صلة نحو فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ، وهو القول المشهور ^(٧٨) . ويفسر القرطبي معنى الزيادة عند سيبويه قائلاً : " وليست بزيادة على الإطلاق وإنما أطلق عليها سيبويه معنى الزيادة من حيث زال عملها ^(٧٩) ، وسيبويه بهذا قد وضع حداً لزيادة الحرف في القرآن وأزال اللبس والخرج في إطلاق الزائد في القرآن بين كونه زائداً زال عمله وأدائه لفائدة ومعنى وُضع له ، حيث أثار هذا القول بالزيادة نقاشاً طويلاً عند النحويين والمفسرين والبلاغيين. جاء في تفسير الرازي : " قال الأصمّ ما في قوله : مَثَلًا ^(٨٠) ، صلة زائدة كقوله : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ . وقال أبو مسلم : معاذ الله أن يكون في القرآن زيادة ولغو والأصحّ قول أبي مسلم لأنّ الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى وبياناً وكونه لغواً ينافي ذلك ^(٨١) ، وفي الدر المصون نقل السمين عن أبي بكر الزبيدي

(٧٦) المصدر السابق ٧٦/٣ وينظر : ١٣٨/٢ ، ٢٨٦

(٧٧) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ٣٤١/٧

(٧٨) القسطلاني ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠٠/٧

(٧٩) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/٤

(٨٠) من قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) من الآية ٢٦ سورة البقرة.

(٨١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣٦٣/٢

أنّه: " لا يجوز أن يقال في القرآن هذا زائد أصلاً" ^(٨٢)، وعلّق السمين على هذا بقوله: " وهذا فيه نظر لأنّ الفائلين بكون هذا زائداً لا يعنون أنّه يجوز سقوطه ولا أنّه مهمّل لا معنى له بل يقولون زائد للتوكيد" ^(٨٣).

وهذا ما سار عليه جلّ النحويين والمفسرين فتكلّم الطبري في هذا كلاماً طويلاً مؤمّفاً بين القول بالزيادة وإفادة المعنى ختمه بقوله: " لأنّ زيادة ما لا يفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائز إضافته إلى الله جلّ ثناؤه" ^(٨٤). وهكذا تكررت عبارات: ما زائدة للتوكيد، وصلة مؤكدة، وأفاد التأكيد، وزائدة للتأكيد، وغيرها من العبارات التي توفّق بين الأمرين ^(٨٥). وللزحشريّ وقفات حسان مع كلّ حرف زائد فلم يكتف بهذا العموم كونه للتوكيد وإنّما يربط الحرف بسياقه ويذكر له معنى يتّصل بالآية وبموضعه الذي جاء فيه، ففي قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) قال: " ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أنّ لينه ما كان إلّا برحمة من الله" ^(٨٦)، ونحو ذلك من الإشارات الدقيقة. وأفاض البلاغيّون في معاني هذه الحروف ونجّزى بقول الخفاجي في سرّ الفصاحة: " فأما زيادة ما في قوله تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ. وقوله

(٨٢) السمين، الدر المصون ٤٦٢/٢

(٨٣) المصدر السابق.

(٨٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ٢٣١/٢ وينظر: ٣٤٠/٧، ٣٤١ و ٣٦٣/٩ و البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦٢/١ و أبو عبيدة، مجاز القرآن ١٥٧/١

(٨٥) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١٣٠/١ والواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١٠٨/١، ١٦٧/٢ و الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني ٩٤٨/٣ و أبو حيّان، البحر المحيط ٤٠٧/٣ و السمين، الدر المصون ٤٦١/٢

(٨٦) الزحشري، الكشف ٤٣١/١ وينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦٢/١ و الرازي، التفسير الكبير ٣٦٣/٢

تعالى: فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ. فَإِنَّ لَهَا تَأْثِيرًا فِي حَسَنِ النِّظْمِ وَتَمَكُّنًا لِلْكَلامِ فِي النَفْسِ وَبَعْدًا بِهِ عَنِ الْأَلْفَاظِ الْمُبْتَدَلَةِ، فعلى هذا لا يكون حشواً لا يفيد^(٨٧).

والاسم بعد "ما" في قوله تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ. مجرور بالباء ونظيره في ذلك ما جاء بعد "مِنْ" و"عَنْ"، بخلاف الكاف و"رَبِّ" فالاسم بعدهما مكفوف عن العمل مع "ما" وهو الرَّاجِحُ عند النحويين، وجوز بعضهم أن تكون "ما" نكرة بمعنى شيء و"رحمة" بدل منها أو نعت لها وجوزوا أن تكون استفهامية وهو ضعيف^(٨٨).

وفي خاتمة هذا المبحث تبين أنّ سيبويه لم يخرج من كلام المفسرين السابقين كقتادة وغيره في الربط بين القول بالزيادة وإفادة المعنى وبنى على كلامه من جاء بعده.

٣- "هل" بمعنى "قد"

ورد عن ابن عباس أنّ "هل" بمعنى "قد" في قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)^(٨٩)، قال أبو حيان: "وقال ابن عباس وقتادة هي هنا بمعنى قد"^(٩٠)، وجاء في تفسير مقاتل: "هل أتى على الإنسان يعني قد أتى على الإنسان"^(٩١)، وفي معاني الزجاج كذلك: "ومعنى هل أتى قد أتى على الإنسان"^(٩٢)، وتناقل هذا المعنى كثير من النحويين والمعرّبين

(٨٧) الخفاجي، سرّ الفصاحة ١٥٦/١ و ينظر: الجرجاني، أسرار البلاغة ١٥٦/١ و ابن الأثير، المثل السائر ٧٥/٢

(٨٨) ينظر: النحاس، إعراب القرآن ١٨٧/١ والعكبري، التبيان في إعراب القرآن ٣٠٥/١ و مكّي، مشكل إعراب القرآن ١٧٨ و الفراء، معاني القرآن ٢٤٤/١ و السمين، الدر المنصون ٤٦٠/٣، ٤٦١

(٨٩) الآية ١ سورة الإنسان.

(٩٠) أبو حيان، البحر المحيط ٣٥٨/١٠

(٩١) مقاتل، تفسير مقاتل ٥٢١/٤

(٩٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ٢٥٧/٥ و ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ٨٧/٢٤

للقرآن^(٩٣). واختلف كثير من النحويين والمفسرين في المعنى المراد من "هل" في الآية أهو الاستفهام المحض أم التحقيق المحض - أي تكون بمعنى قد ليس غير - أم الاستفهام الذي يفيد التقرير، كما اختلفوا في المراد من قول سيويه وفي النقل عنه، وقد صرح سيويه بأنها بمعنى "قد" قال: "بمنزلة قد ولكنهم تركوا الألف استغناء إذ كان هذا الكلام لا يقع إلّا في الاستفهام"^(٩٤). والمفهوم من كلام سيويه سيويه أنها بمعنى "قد" ولكن حذفت همزة الاستفهام للاستغناء عنها، والتقدير: أهل أتى، كما جاء في قول الشاعر:

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكّم^(٩٥)

فجاء التصريح بالهمزة في البيت "أهل" ولكنها مقدّرة في الآية، وهكذا فهم الزمخشريّ مراد سيويه ونقل عبارته في المفصل^(٩٦) وقال في الكشف: "هل بمعنى قد في الاستفهام خاصّة والأصل: أهل بدليل قوله:

أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكّم، فالمعنى أقد أتى، على التقرير والتقريب جميعاً"^(٩٧)، أمّا التقرير فهو المفهوم من الاستفهام وأمّا التقريب فهو المفهوم من "قد"

(٩٣) ينظر: المبرد، المقتضب ٤٣/١ و ٢٨٩/٣ و الزجاجي، حروف المعاني والصفات ٢/١ و ابن جني، الخصائص ٤٦٤/٢ و اللمع ٢٣٠/١ و العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب ١٣٠/٢ و ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣١٨/١

(٩٤) سيويه، الكتاب ١٨٩/٣

(٩٥) البيت من البسيط، للشاعر زيد الخيل بن مهلهل، شاعر وخطيب من الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وسمّاه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير. له ديوان شعر مطبوع. المبرد، المقتضب ٤٤/١ و ابن جني، الخصائص ٤٦٥/٢ و الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب ٤٧١/١ و ابن هشام، مغني اللبيب ٢٦١/١١ و البغدادي، خزانة الأدب ٢٦١/١١

(٩٦) ينظر: الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب ٤٣٧/١

(٩٧) الزمخشري، الكشف ٦٦٥/٤

التي وقع موقعها "هل". وقوله في الاستفهام خاصّة أي لا تكون بمعنى "قد" إلّا ومعها استفهام لفظاً كالبيت أو تقديراً كما في الآية. ولا مسوّغ لاستغراب ابن هشام من كلام الزمخشريّ بقوله: "وبالغ الزمخشريّ فزعم أنّها أبداً بمعنى قد وأنّ الاستفهام إنّما هو مستفاد من همزة مقدرة معها ونقله في المفصل عن سيبويه" ^(٩٨)، وذلك لأنّ ابن هشام يرى أنّ "هل" لا تأتي بمعنى "قد"، قال: "وقد عكس قوم كلام الزمخشريّ فزعموا أنّ هل لا تأتي بمعنى قد أصلاً وهذا هو الصواب عندي" ^(٩٩). وقد نقل ابن هشام عبارة أخرى لسيبويه تعزّز ما يقوله، يقول عن سيبويه: "فإنّه قال في باب عدة ما يكون عليه الكلم ما نصّه: وهل وهي للاستفهام، ولم يزد على ذلك" ^(١٠٠)، ولم ينقل ابن هشام عبارة سيبويه الصريحة في ذلك بوجود استفهام مقدّر كما جاءت سابقاً ولم يشرح فكرته التي مضمونها استبعاد معنى "قد"، وهذا يفهم منه أنّ الاستفهام يكون محضاً في الآية وهو ما ذكره ابن جنّيّ بوضوح وعلل له ووضحه، قال: "قالوا: معناه: قد أتى عليه ذلك. وقد يمكن عندي أن تكون مبقاة في هذا الموضع على بابها من الاستفهام، فكأنه قال -والله أعلم- : هل أتى على الإنسان هذا؟ فلا بُدّ في جوابه من "نعم" ملفوظاً بها أو مقدرة، أي: فكما أنّ ذلك كذلك فينبغي للإنسان أن يحتقر نفسه،... وهذا كقولك لمن تريد الاحتجاج عليه: بالله هل سألتني فأعطيتك أم هل زرتني فأكرمتك؟ أي: فكما أنّ ذلك كذلك فيجب أن تعرف حقّي عليك وإحساني إليك. ويؤكد هذا عندك قوله تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) ^(١٠١)، أفلا تراه -عز اسمه- كيف عدد عليه أياديهِ وألطفه له" ^(١٠٢). وخالف

(٩٨) ابن هشام، مغني اللبيب ٤٦٠/١

(٩٩) المصدر السابق ٤٦١/١

(١٠٠) المصدر السابق ٤٦٠/١

(١٠١) الآية ٢ سورة الإنسان.

هذا كثير من النحويين والمفسرين، قال الرازي: "والدليل على أنّها هنا ليست بمعنى الاستفهام وجهان، الأول: ما روي عن الصديق رضي الله عنه لما سمع هذه الآية قال: يا ليتها تمت فلا تُبتلى^(١٠٣)، ولو كان ذلك استفهاماً لما قال: ليتها تمت، لأنّ الاستفهام أنّما يجاب بلا أو بنعم فإذا كان المراد هو الخبر فحينئذ يحسن ذلك الجواب. الثاني: أنّ الاستفهام على الله تعالى محال فلا بدّ من حمله على الخبر"^(١٠٤). وهذا هو الراجح الذي نصره أكثر النحويين والمفسرين في الآية وفي تفسير كلام سيويه، على أنّ كلام ابن جنّي كذلك يتضمّن تقريراً مضمناً في الاستفهام يُدخله في هذا الفهم ويُخرجه من الاستفهام المحض.

ونُسب إلى الكسائيّ والفراء والمبرد القول بأنّ "هل" بمعنى "قد" مجردة عن الاستفهام، وفي كلام المبرد تصريح بذلك قال: "وهل تخرج من حد المسألة فتصير بمنزلة قد نحو قوله عز وجل: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً"^(١٠٥). هذا وتفسير سيويه موافق للظاهر من تفسير ابن عباس كما يفهم من كلامه، قال ابن هشام — بعد أن ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما —: "ولعله إنّما أراد الاستفهام في الآية للتقرير وليس باستفهام حقيقيّ وقد صرح بذلك جماعة من المفسرين"^(١٠٦). مع العلم أنّ سيويه لم يذكر الآية إلّا أنّ تفسيره ينطبق عليها تماماً.

(١٠٢) ابن جنّي، الخصائص ٢/٤٦٤

(١٠٣) ورد عند ابن المبارك، في الزهد والرقائق ١/٧٩ وفيه أنّ الذي قاله عمر رضي الله عنه. وعند ابن أبي شيبة، الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار ١٠٧/٧ والصيغة: ألا ليت ذلك تم. وعند السيوطي، في الدر المنثور ٨/٣٦٦ وفيه أنّ الذي قاله ابن مسعود رضي الله عنه.

(١٠٤) الرازي، التفسير الكبير ٣٠/٧٣٩

(١٠٥) المبرد، المقتضب ٣/٢٨٩

(١٠٦) ابن هشام، مغني اللبيب ١/٤٦١

٤- الجمع بين الفاعل ونائبه

يُنَى الفعل لما لم يسمَّ فاعله ثمَّ يظلُّ الفاعل مرفوعاً بفعل محذوف، مثل: أُكِلَ الخبزُ زيدٌ، فالخبز نائب فاعل و زيد فاعل مرفوع لفعل محذوف والتقدير "أكله زيد". على هذا أورد سيبويه قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ)^(١٠٧)، في قراءة من قرأ: "زَيْنَ" بالبناء للمجهول والمصدر "قَتَلَ" نائب فاعل مضافاً إلى "أولادهم" و "شُرَكَاءُهُمْ" بالرفع فاعلاً لفعل محذوف والتقدير "زَيْنَهُ شُرَكَاءُهُمْ"، وهذه القراءة غير مشهورة^(١٠٨)، قال سيبويه في باب ما يحذف منه الفعل لكثرة في الكلام: "ومثل: لِيُبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخُصُومَةٍ"^(١٠٩)، وكذلك زَيْنَ لكثير من

(١٠٧) من الآية ١٣٧ سورة الأنعام. هذه قراءة الجمهور بالفعل "زَيْنَ" وفاعله: "شُرَكَاءُهُمْ" والمصدر "قَتَلَ" مفعول به. وقرأ ابن عامر: "زَيْنَ" بالبناء لما لم يسمَّ فاعله والمصدر "قَتَلَ" بالرفع نائب فاعل إضافته إلى "شُرَكَائِهِمْ" والفصل بينهما بالمفعول به "أولادهم". ينظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات ٢٧٣/١ و ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ٢٦٣/٢

(١٠٨) تُنسب هذه القراءة إلى أبي عبد الرحمن السلميّ وأبي عبد الملك صاحب ابن عامر، وقرأ بها الحسن البصري. ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ١٣٩/١٢ ابن عطية، المحرر الوجيز ٣٤٩/٢ (١٠٩) هذا شطر بيت من الطويل وشرطه الثاني: ومختبط مما تطيح الطوائح. والضارح: الخاضع المستكين. والمختبط: السائل بلا وسيلة قرابة ولا معرفة. وتطيح: تهلك. الطوائح: المصائب. ينظر: ابن منظور، اللسان ٥٣٩/٢ الزمخشري، أساس البلاغة ٦١٦/١.

والبيت ذكره سيبويه في أكثر من موضع في كتابه ونسبه إلى الحارث بن هنيك، ونسبه أبو عبيدة إلى نمشل بن حري يرثي أخاه، ونُسِب كذلك إلى ضرار بن نمشل يرثي أخاه يزيد، ونُسِب إلى الحارث بن ضرار النهشليّ، وجاء في جلّ التفاسير بلا نسبه غير أنّ الطبري نسبته إلى نمشل بن حري وجاء كذلك بلا نسبة عند ابن جني وابن هشام وابن مالك والسيوطي الأشموني والصبّان. ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن ٣٤٨/١ والبغداديّ، خزنة الأدب ٣٠٩/١ و ابن جنيّ، المحسب ٢٣٠/١ و ابن هشام، مغني اللبيب ٨٠٧/١ و السيوطي، همع الموامع ٥٧٩/١ و ابن مالك، شرح الكافية ٥٩٣/٢ و الأشموني، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣٩٣/١ و الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني ٦٩/٢ و البصريّ، الحماسة البصريّة ٢٦٩/١ و العباسي، معاهد التنصيص ٣٠/١ و الموصليّ، الانتخاب لكشف الأبيات المشككة في الإعراب ٣٠/١

المشركين قتل أولادهم شركاؤهم، رفع الشركاء على مثل ما رفع عليه ضارع^(١١٠)، وقال في موضع آخر: "كأنه قال: ليبيكه ضارع"^(١١١). وأورد السيرافي شاهد سيبويه قائلاً: "الشاهد فيه أنه رفع "ضارع" كأنه قال بعد قولك: ليبيك يزيد: ليبيكه ضارع"^(١١٢). واختار جلّ النحويين هذا التخريج في الآية، قال ابن جنّي: "فهذا هو الوجه المختار في رفع الشركاء وشاهده في المعنى قراءة الكافة: (وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ)، ألا ترى أن الشركاء هم المزيّنون لا محالة؟"^(١١٣)

ونقل الطبري عن ابن عباس هذا التخريج في آية أخرى هي قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)^(١١٤)، على أن يكون "عالمٌ" فاعلاً لفعل محذوف والتقدير: "ينفخه عالمُ الغيب"^(١١٥). قال الطبري: "وذكر ابن عباس أنه كان يقول في قوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ، يعني أنّ عالم الغيب والشهادة هو الذي ينفخ في الصور" ونقل هذا بسند متصل إلى ابن عباس إلى أن قال: "فكان ابن عباس تأوّل في ذلك أن قوله: "عالم الغيب والشهادة"، اسم الفاعل الذي لم يسمّ في قوله: "يوم ينفخ في الصور"، وأن معنى الكلام: يوم ينفخ الله في الصور، عالم الغيب والشهادة. كما تقول العرب: "أكل"

(١١٠) سيبويه، الكتاب ٢٩٠/١

(١١١) المصدر السابق ٢٨٨/١

(١١٢) السيرافي، شرح أبيات سيبويه ٧٧/١

(١١٣) ابن جنّي، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢٣٠/١

(١١٤) الآية ٧٣ سورة الأنعام.

(١١٥) ويجوز في "عالمٌ" أن يكون نعتاً لاسم الموصول "الذي" أو خبراً لمبتدأ محذوف، ويجوز فيه الجزء^{١١٥} على أنه بدل من الهاء في "لَهُ" أو من "رَبِّ العالمين" وقرأ بالجرّ الحسن البصري والأعمش. ينظر: السمين، الدرر

المصون ٦٥٦/٤ و النحاس، إعراب القرآن ١٦٥/٤ و العكبري، التبيان في إعراب القرآن ٥٠٩/١

طعامك، عبدُ الله"، فتظهر اسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يُسمَّ آكله ^(١١٦)،
إلا أن الطبري اختار أن يكون "عالمٌ" نعتاً لاسم الموصول الذي.

وإسناد النَّفخ إلى الله تعالى أوَّل على أنه يكون بأمر الله، لأنَّه قد ثبت في
الأحاديث الصحيحة أنَّ الذي ينفخ هو إسرَافيل عليه السلام ^(١١٧)، قال القرطبي: "لأنَّه إذا كان النفخ فيه بأمر الله عزَّ وجلَّ كان منسوباً إلى الله تعالى" ^(١١٨).

وإذا كانت القراءة في آية الأنعام: (زَيْنٌ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ
شُرَكَاءَهُمْ...) قراءة ليست مشهورة وفي الآية الأخرى: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمٌ...) ضبُّطها واحد ويحتملها الإعراب، فهناك قراءتان متواترتان في آيتين أخريين على هذا
التخريج، الأولى قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) ^(١١٩)، يقرأ الفعل "يسبِّح" بكسر الباء وفتحها ^(١٢٠)، فعلى قراءة
الفتح يكون الفعل مبنياً لما لم يسمَّ فاعله والاسم "رجال" مرفوع بفعل محذوف
والتقدير: يسبِّحه رجال. والثانية قوله تعالى: (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ^(١٢١)، يقرأ الفعل "يوحى" بكسر الحاء وفتحها ^(١٢٢)، فعلى
قراءة الفتح يكون اسم الجلالة "الله" مرفوع بفعل محذوف، والتقدير: يوحيه الله.

(١١٦) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ١١/٤٦٣، ٤٦٤

(١١٧) ينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/١٤٥ و الترمذي، سنن الترمذي ٥/٢٢٦ و الطبري،

جامع البيان في تأويل القرآن ١١/٤٦٣

(١١٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٧/٢١

(١١٩) من الآية ٣٦ و ٣٧ سورة النور.

(١٢٠) القراءة بكسر الباء قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمره والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ بفتح الباء

ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر. ابن مجاهد، السبعة في القراءات ١/٤٥٦

(١٢١) الآية ٣ سورة الشورى.

(١٢٢) قرأ ابن كثير وحده بفتح الحاء وقرأ الباكون بكسرها. ابن مجاهد، السبعة في القراءات ١/٥٨٠

الخاتمة

تمّ بحمد الله بحث "توجيهات المفسرين النحويّة في كتاب سيبويه"، وفيما يأتي أبرز ما جاء فيه من معالم ونتائج:

١ - ملخص ما ورد في المسائل الثماني التي عرضها البحث:

(أ) أورد سيبويه قول المفسرين في "مصر" بغير تنوين وأتى به ليقوّي به القول بأنها مصر بعينها وليست أيّ مصر من الأمصار من غير تحديد، وأخذ بهذا الرأي جماعة منهم الفراء ونقله الطبريّ وغيره، وقال بهذا بعض المفسرين حتى على قراءة التنوين في قوله تعالى: (اهْبُطُوا مِصْرًا).

(ب) قول المفسرين في "ويكأنّ" أنّها بمعنى: ألم تر، وهو بخلاف قول الخليل فيها، واختلف المفسرون والنحويون في تفسيرها وفي مراد لخليل وسيبويه، فاعترض البغداديّ على ابن جنّي وغيره في قولهم أنّها عند الخليل وسيبويه بمعنى "أعجب" ويرى الزجاج أنّ ما رواه سيبويه عن الخليل مشاكل لما رواه عن المفسرين وفيه معنى التندّم والتنبيه.

(ج) في قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)، "أَنَّ" في قول المفسرين الذي نقله سيبويه معطوف على نائب فاعل "أَوْحِي" في أوّل السورة في قوله تعالى: (قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ). ويجوز عند سيبويه أن يكون في موضع جرّ. ورجّح الطبريّ وغيره قول سيبويه الذي نقله عن المفسرين.

(د) يرى سيبويه في "جَرَمَ" في قوله تعالى: (لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ) أنّها فعل بمعنى "حقّ" وذكر قول المفسرين فيها بهذا المعنى وأخذ بهذا كثير من المفسرين والنحويين.

ه) يرى سيبويه في الحروف المقطعة في بداية السور أنها أسماء السور وهو مسبوق بهذا القول من المفسرين السابقين له مع أنه لم ينصّ على ذلك، وفي تفسير الحروف المقطعة أقوال كثيرة ولكن ما نقله سيبويه عليه إطباق الأكثر.

و) قال سيبويه بزيادة " ما " في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) وقوله: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ) وقيد الزيادة بالتوكيد وسار على ذلك جلّ النحويين والمفسرين.

ز) صرح سيبويه بأنّ " هل " تأتي بمعنى " قد " وتُحذف منها همزة استفهام مقدرة ويُصرّح بهذه الهمزة أحياناً، وكونها بمعنى قد منسوب إلى المفسرين قبل سيبويه. واختلف المفسرون في معنى " هل " في قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) بين الاستفهام المحض كما يرى ابن هشام وابن جنيّ، والتحقيق المحض - بمعنى قد - كما نُقل عن الكسائيّ والمبردّ والفراء والاستفهام الذي يفيد التقرير كما جاء عن الزمخشريّ وهذا ما نقله عن سيبويه وهو الأقرب لما صرح به سيبويه.

ح) بناء الفعل لما لم يُسم فاعله والتصريح بالفاعل مرفوعاً بفعل محذوف أورد له سيبويه قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُهُمْ) في قراءة من قرأ " زَيْن " لما لم يُسم فاعله والمصدر " قَتَلَ " نائب فاعل مضافاً إلى " أَوْلَادِهِمْ " و " شُرَكَاءُهُمْ " فاعل لفعل محذوف والتقدير " زَيْنُهُ شُرَكَاءُهُمْ "، واستشهد لذلك ببيت من الشعر، واختار كثير من النحويين والمفسرين هذا التخريج. وأوردت على هذا التخريج ثلاث آيات أخر هي قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ) في قراءة ابن عامر وعاصم من رواية أبي بكر. وقوله: (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في قراءة ابن كثير. وقوله: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمٌ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) على رفع كلٍّ من " رجال " واسم الجلالة " الله " و " عالم " فاعلاً لفعل محذوف، والأخير تأويل ابن عباس كما نقله الطبري.

٢ - قول المفسرين الذي يذكره سيبويه غير قول الخليل، فهو يذكره بجانب قول الخليل، فقول المفسرين في " وَيَكُنَّ " أنّها بمعنى " ألم ترَ " وعند الخليل تتألف من " وي " و " كَأَنَّ " . وفي قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) " أَنْ " في موضع نصب عند الخليل، وعند المفسرين معطوف على نائب فاعل " أَوْحِيَ " في أول السورة في قوله: (قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا).

٣ - كل ما نقله سيبويه عن المفسرين - ما صرح به أو لم يصرح به مما استخرجته - أرجعته إلى مَنْ قال به من المفسرين. وجملة ما جاء في المسائل الثماني يرجع إلى ابن عباس رضي الله عنهما أو مجاهد بن جبر (تـ ١٠٤هـ) أو الحسن البصري (تـ ١١٠هـ) أو قتادة ابن دعامة السدوسي (تـ ١١٧هـ) أو زيد بن أسلم (تـ ١٣٦هـ) أو سفيان الثوري (تـ ١٦١هـ).

٤ - ما نقله سيبويه عن المفسرين هو الوجه الذي يختاره أو يرجحه على غيره أحياناً، كاختياره بأنّ الحروف المقطعة أسماء السور وجعل ذلك عنواناً لباب، وكاختياره أنّ " هل " بمعنى " قد "، و " جَرَمَ " بمعنى " حق ".

٥ - يقوِّي سيبويه بقول المفسرين رأياً يراه في مسألة كإيراده قول المفسرين في " مصر " أنّها " مصر " بعينها وليست أيّ مصر من الأمصار في قراءة مَنْ قرأ: (اهْبِطُوا مِصْرَ) بغير تنوين ذلك ليقوِّي به ما يراه من عدم الصرف في الاسم المؤنث الثلاثي الساكن الوسط.

وبالله التوفيقــــــــــــــــق بدءاً وختماً

المراجع

- [١] ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، *المثل السائر*. تحقيق أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.
- [٢] ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد. *شرح طيبة النشر في القراءات*. تعليق الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ثانية ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- [٣] ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل. *الأصول في النحو*. تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.
- [٤] ابن القاصح، أبو القاسم عليّ بن عثمان. *سراج القارئ المنتهي وتذكار المقرئ المنتهي*، شرح لاميّة الشاطبي. مراجعة عليّ الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ثانية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- [٥] ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله ابن المبارك. *الزهد والرقائق*. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلميّة، بيروت، بدون تاريخ.
- [٦] ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن عليّ العسقلاني. *تهذيب التهذيب*. مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط أولى ١٣٢٦هـ.
- [٧] فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- [٨] ابن جني، أبو الفتح عثمان. *الخصائص*. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط رابعة بدون تاريخ.
- [٩] *اللمع في العربيّة*. تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافيّة، بيروت، بدون تاريخ.

- [١٠] المحتسب في تعيين شواذ القراءات والإيضاح عنها. نشر وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- [١١] ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن. *جمهرة اللغة*. تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط أولى ١٩٨٧م.
- [١٢] ابن زميني، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى. *تفسير القرآن العزيز*. تحقيق حسين عكاشة ومحمد مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط أولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- [١٣] ابن خالويه، الحسين بن أحمد. *الحجة في القراءات السبع*. تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط رابعة ١٤٠١هـ.
- [١٤] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. *التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- [١٥] ابن عثيمين، محمد بن صالح. *مختصر مغني اللبيب*. مكتبة الرشد، ط أولى ١٤٢٧هـ.
- [١٦] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق غالب بن عبد الرحمن. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٤٢٢هـ.
- [١٧] ابن فارس، أحمد بن فارس. *الصاحبي في فقه اللغة العربية*. نشر محمد علي ييوضون، ط أولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- [١٨] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. *عيون الأخبار*. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
- [١٩] غريب القرآن. دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- [٢٠] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق سامي بن محمد بن سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- [٢١] ابن مالك، محمد بن عبد الله. شرح الكافية الشافية. تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط أولى، بدون تاريخ.
- [٢٢] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ.
- [٢٣] ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
- [٢٤] مغني اللبيب. تحقيق د.مازن المبارك ومحمد عليّ عبد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- [٢٥] ابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب. تفسير القرآن. دار الغرب الإسلامي، ط أولى ٢٠٠٣م.
- [٢٦] أبو حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس. الجرح والتعديل. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط أولى ١٢٧١هـ/١٩٥٢م.
- [٢٧] أبو حيّان، يوسف بن عليّ الأندلسي. البحر المحيط في التفسير. تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- [٢٨] أبو شيبه، أبو بكر بن أبي شيبه عبد الله بن محمد. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط أولى ١٤٠٩هـ.

- [٢٩] أبو عبيدة، معمر بن المثنى. مجاز القرآن. تحقيق محمود فؤاد سزكين، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- [٣٠] الأخفش، سعيد بن مسعدة. معاني القرآن. تحقيق د. هدى محمود قراعة، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- [٣١] الأزهرى، خالد بن عبد الله. شرح التصريح على التوضيح. دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- [٣٢] الأشموني، عليّ بن محمد بن عيسى. شرح الأشموني لألفيّة ابن مالك. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- [٣٣] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. تفسير الراغب الأصفهاني. تحقيق د. عادل بن عليّ الشدي، دار الوطن، الرياض، ط أولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- [٣٤] الألباني، محمد بن ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط أولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- [٣٥] البصري، عليّ أبي الفرج بن الحسن صدر الدين. الحماسة البصريّة. تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.
- [٣٦] البغدادي، عبد القادر بن عمر. خزانة الأدب. تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط رابعة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- [٣٧] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط أولى ١٤٢٠هـ.
- [٣٨] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الرحمن بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط أولى ١٤١٨هـ.

- [٣٩] الجواليقيّ، أبو منصور موهوب بن أحمد. شرح أدب الكاتب. تقديم مصطفى صادق الرافعيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، بدون تاريخ.
- [٤٠] الجوزيّ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. زاد المسير في علم التفسير. تحقيق عبد الرازق المهديّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- [٤١] الجوهريّ، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- [٤٢] الخفاجيّ، أبو محمد عبد الله بن محمد. سرّ الفصاحة. دار الكتب العلميّة، ط أولى ١٩٨٢م.
- [٤٣] الرازيّ، أبو عبد الله محمد بن عمر. التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- [٤٤] الزجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري. معاني القرآن وإعرابه. تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط أولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- [٤٥] الزجّاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغداديّ. الأملّي. تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- [٤٦] حروف المعاني والصفات. تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
- [٤٧] الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد. الأعلام. دار العلم للملايين، ط الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.
- [٤٨] الزمخشريّ، محمود بن عمر. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

- [٤٩] السمين الحلبيّ، شهاب الدين أحمد بن يوسف. الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.
- [٥٠] السيرافيّ، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله. شرح أبيات سيويه. تحقيق محمد عليّ الريح هاشم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- [٥١] السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. الدرّ المنثور في التفسير بالماثور. دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- [٥٢] همع الهوامع شرح جمع الجوامع. تحقيق عبد الحميد هنداوي، نشر المكتبة التوفيقية، مصر، بدون تاريخ.
- [٥٣] الصبّان، محمد بن عليّ. حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفيّة ابن مالك. دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- [٥٤] الصنعانيّ، أبو بكر عبد الرازق بن همام بن نافع. تفسير عبد الرازق. تحقيق د.محمود محمد عبده، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط أولى ١٤١٩هـ.
- [٥٥] الطبريّ، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط أولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- [٥٦] المنتخب من ذيل المذيل. نشر مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- [٥٧] العباسيّ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

- [٥٨] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين. *التبيان في علوم القرآن*. تحقيق عليّ محمد البجاوي، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون تاريخ.
- [٥٩] *اللباب في علل البناء والإعراب*. تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط أولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- [٦٠] العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين. *عمدة القارئ شرح صحيح البخاري*. دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.
- [٦١] الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن. *ديوان الإسلام*. نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- [٦٢] الفراء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد عليّ النجار وعبد الفتاح شلبي، ط أولى بدون تاريخ.
- [٦٣] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، ط ثانية ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- [٦٤] القسطلاني، أحمد بن محمد أبي بكر. *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*. المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط سابعة ١٣٢٣هـ.
- [٦٥] الماوردي، أبو الحسن عليّ بن محمد بن حبيب. *النكت والعيون*. تحقيق السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- [٦٦] المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين. *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*. تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط أولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

[٦٧] الموصليّ، عليّ بن عدلان بن حماد الربعيّ. الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة في الإعراب. تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[٦٨] النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل. إعراب القرآن. تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط أولى ١٤٢١هـ.

[٦٩] الواحديّ، أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمد. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط أولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

[٧٠] رضا، محمد رشيد بن عليّ. تفسير المنار. الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

[٧١] مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير. تفسير مقاتل بن سليمان. تحقيق عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط أولى ١٤٢٣هـ.

[٧٢] مكّيّ، أبو محمد مكّي بن أبي طالب حموش. الهداية إلى بلوغ النهاية. كليّة الشريعة والدراسات الإسلاميّة، جامعة الشارقة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[٧٣] مشكل إعراب القرآن. تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ثانية ١٤٠٥هـ.

[٧٤] يحيى، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة. تفسير يحيى بن سلام. دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط أولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

Grammatical Guidelines of Interpreters in Sibawayh's Book

Dr. Ali mahmoud Ahmed Mohamed Kheir

Associate Professor of Syntax and Morphology, Arabic language College ,Qassim University

Abstract. This study deals with some grammatical guidelines of interpreters in Sibawayh's book. It is common to see interpreters benefiting from the views of the grammarians while the opposite is rarely attested. Such practice is remarkable particularly in the books of the earlier scholars like Sibawayh. Sibawayh benefited from these grammatical views of interpreters in some sections in his book and he mentioned the word (interpreters) in four of these sections. After a considerable meditation and survey, the researcher found out that the unnamed sections are more than the named ones but the researcher just summarized all into other four sections to make a total of eight.

The researcher presented, analyzed and discussed these issues and traced back the related ideas to their sources and supporters usually during and before Sibawayh's era. Some of these ideas could be traced back to Ibn Abbass (May Allah be pleased with him) or to one of his students like Mojahid Bn Jabr , Hassan Al-Busri, Qatada Ben Daama Al-Sadossi, Jayd Ben Assalam And Sufyan Al-Thori. This indicates that Sibawayh did not isolate himself from interpretation movement at that time. As he benefited from hiteachers of grammar, he also benefited from interpreters.

Sibawayh distinguished between the views of his teachers, like Al-Khalil, and the views of interpreters. Thus, he would cite Al-Khalil's views together with the interpreters' in order to show that his own views are different from theirs. For instance, according to the interpreters the word (ويكأن) means (ويكأن) while Al-Khaleel considers the same word as a combination of (كأن) and (وي) and so forth.

In all sections where Sibawayh cited the ideas of interpreters, he aimed to support his own favored ideas. For example, he favored the non-declination of trilateral feminine nouns of the type CVCCV supporting this with a way of recitation of Quranic verse (اهبطوا مصر) without nunation (تنوين). Moreover, he adopted the views of interpreters concerning the (Letters) at the openings of some (Quranic Chapters السور) as names for such (chapters). The third example, is that the word (جزم) means (حق) and (هل) means (قد) and so on.

الكثرة والشيوع في شواهد النحو العربي بين منهج النظر ومنهج التطبيق دراسة نقدية

د. طارق محمود محمد محمود

أستاذ مساعد . قسم اللغة العربية

جامعة حائل . المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. فموضوع هذا البحث دراسة ضابط الكثرة والشيوع في العرف النحوي تنظيرا وتطبيقا، وما ترتب عليه من قواعد حاكمة على استعمال أهل اللغة ونطقهم جد مهم في ميدان الدرس النحوي، إذ يتعلق موضوع هذا البحث بمسألة أصولية لها أثرها العميق في صنيع النحاة وما بني على هذا الصنيع من أصول، وما ترتب عليه من قواعد ملزمة تتمثل في إجازة استعمال ما أو منعه.

يدور هذا البحث حول الشاهد النحوي وما تأصل حوله من ضوابط وحدود جامعة مانعة تحكم على الشاهد المستخدم في تقييد ما استدلالا أو احتجاجا، وهو ما يمثل في قناعة الباحث منهجا نظريا مكتملا في الحكم على ما يصح الاحتجاج به أو لا يصح، فما وافق هذه الضوابط والحدود الجامعة فهو الشاهد المقبول المحتج به، وما خالف هذه الضوابط والحدود فهو شاهد مهدر مردود ما أتى به من استعمال.

أما منهجية التطبيق فهي طريقة النحاة في تنزيل هذه الضوابط والقواعد الجامعة على الشواهد المستخدمة في الاحتجاج للقواعد التي يستنبطونها من كلام العرب.

والمشكلة التي يحاول الباحث دراستها في هذه الأوراق فتتمثل في الإجابة على سؤال طالما ألح على خاطري في أثناء معاشتي الدائمة لكتب قواعد النحو وأصوله، هذا السؤال هو: هل أجرى النحاة هذه الضوابط والأصول على الشواهد التي احتجوا بها في كتبهم، أو أنهم اعتنوا بالتنظير دون عناية كافية بتطبيق ذلك ؟

هذا التساؤل دفع الباحث إلى دراسة هذه الضوابط في كتب أصول النحو دراسة متأنية فاحصة بقراءة جامعة لكل ما وقع بين يدي من كتابات في هذه الضوابط والحدود، ثم استخلاص ما نص عليه الأصوليون منها، ثم تنزيل هذه الأصول على الشواهد المحتج بها في كتب الأصول للخروج بنتيجة وحكم على صنيع النحاة وما ألزموا به الناطقين والدارسين للعربي.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد

فموضوع هذا البحث دراسة ضابط الكثرة والشيوع في العرف النحوي تنظيراً وتطبيقاً ، وما ترتب عليه من قواعد حاكمة على استعمال أهل اللغة ونطقهم جد مهم في ميدان الدرس النحوي ، إذ يتعلق موضوع هذا البحث بمسألة أصولية لها أثرها العميق في صنيع النحاة وما بني على هذا الصنيع من أصول ، وما ترتب عليه من قواعد ملزمة تتمثل في إجازة استعمال ما أو منعه.

يدور هذا البحث حول الشاهد النحوي وما تأصل حوله من ضوابط وحدود جامعة مانعة تحكم على الشاهد المستخدم في تقعيد ما استدلالاً أو احتجاجاً ، وهو ما يمثل في قناعة الباحث منهجاً نظرياً مكتملاً في الحكم على ما يصح الاحتجاج به أو لا يصح ، فما وافق هذه الضوابط والحدود الجامعة فهو الشاهد المقبول المحتج به ، وما خالف هذه الضوابط والحدود فهو شاهد مهدر مردودٌ ما أتى به من استعمال.

أما منهجية التطبيق فهي طريقة النحاة في تنزيل هذه الضوابط والقواعد الجامعة على الشواهد المستخدمة في الاحتجاج للقواعد التي يستنبطونها من كلام العرب.

والمشكلة التي يحاول الباحث دراستها في هذه الأوراق فتتمثل في الإجابة عن سؤال طالما ألح على خاطري في أثناء معاشتي الدائمة لكتب قواعد النحو وأصوله ، هذا السؤال هو : هل أجرى النحاة هذه الضوابط والأصول على الشواهد التي احتجوا بها في كتبهم ، أو أنهم اعتنوا بالتنظير دون عناية كافية بتطبيق ذلك ؟

إن القراءة الفاحصة والمعايشة الطويلة لكتب القواعد أوحث للباحث وأشعرته أن خلافاً أصاب منهجية النحاة في تطبيق هذا المنهج ، وأن دقة التنظير لم يوازها دقة في التطبيق ، هذا الشعور دفع الباحث إلى دراسة هذه الضوابط في كتب أصول النحو

دراسة متأنية فاحصة بقراءة جامعة لكل ما وقع بين يدي من كتابات في هذه الضوابط والحدود، ثم استخلاص ما نص عليه الأصوليون منها، ثم تنزيل هذه الأصول على الشواهد المحتج بها في كتب الأصول للخروج بنتيجة وحكم على صنيع النحاة وما ألزموا به الناطقين والدارسين للعربية. وسوف يقتضي هذا المنهج في دراسة صنيع النحاة تقسيمه إلى ما يأتي :

المقدمة : وفيها حديث في الموضوع وفكرته ومنهج دراسته.

ثم مبحثين :

المبحث الأول : ضابط الكثرة والشيوع تنظيرا.

وفيه مطلبان :

الأول : الشاهد الشعري ومكانته من قضية الاحتجاج والاستدلال.

الثانية : ضابط الكثرة والشيوع منهج التنظير.

المبحث الثاني : من مظاهر الخلل في تطبيق الضابط. وفيه مطلبان :

الأول : قواعد بنيت دون شواهد مسموعة.

وتناولت فيه نماذج عدة لقواعد اشتهرت في الدرس النحوي بُنيت على أمثلة صناعية دون شواهد مسموعة عن العرب ، مما يعني أنها لم تبين على الكثرة الشائعة المسموعة.

المبحث الثاني : قواعد بنيت على شواهد لا يتمثل فيها ضابط الكثرة والشيوع.

وقد اشتمل المبحث على ثلاثة أنماط وقعت فيها هذه المخالفة ، وهذه الأنماط

هي :

الأول : قواعد بنيت على شواهد لا تحقق الضابط.

الثاني : قواعد بنيت على شواهد حكم عليها بالصنعة.

الثالث: : قواعد تحققت فيها الكثرة والشيوع وردها النحويون.

الخاتمة: تحوي نتيجة البحث.

المصادر والمراجع

منهج البحث

ستقوم منهجية هذه الدراسة تبعاً لما يأتي :

١ - أستعين في هذه الدراسة بالمنهج النقدي التحليلي ، لتحليل مبدأ الكثرة والشيوع في النحو العربي تنظيراً وتطبيقاً ومن ثم دراسة منهجية النحاة في تنزيله على قواعد العربية دراسة نقدية ، والخروج بنتائج تنفي أو تثبت خلل المنهجية التي سار عليها النحاة في تطبيق مبدأ الكثرة والشيوع.

٢ - قمت بدراسة مبدأ الكثرة والشيوع في شواهد النحو العربي وما ترتب عليه من قواعد حاكمة مستعينا بأقوال النحاة ومواقفهم من بعض النصوص ثم مخالفة ذلك عند التعقيد ، وقد دلت على ذلك بالعديد من القضايا النحوية ليتضح من دراستها صواب أو خلل منهج النحاة في التعامل مع هذا المبدأ.

٣ - اعتمدت في الدراسة النحوية النقدية على ذكر الآراء والأدلة ووجوه الاستدلال بها ، وما يرد عليها من اعتراض ، وبيان الرأي الراجح من وجهة نظر الباحث.

٤ - سأعرض قضايا هذا البحث بحيدة تامة ناسباً الأقوال والآراء لأصحابها ، ذاكراً الكتاب وصاحبه وجزء والصفحة ، وذلك في أول موضع يرد فيه.

وأخيراً أسألُ الله في عملي هذا الإخلاص ، وله القبول وأن يكون خطوة جادة في طريق البحث المثمر يفيد منه من يطالعه من طلبة العلم على قدر إخلاص القصد ونبل الهدف.

أهداف الدراسة

- ١ - دراسة مبدأ الكثرة والشيوع دراسة جديدة تتسم بالتحليل والنقد لتكشف الفجوة بين تنظير النحويين وتطبيقات ذلك التنظير مما يمهّد الطريق للنظر لقواعد العربية نظرة جديدة.
- ٢ - لفت الأنظار إلى طريقة النحويين في الاحتجاج بشواهد غير صالحة على ما قرروا في أصول النحو ، ومن ثم إعادة النظر في التاريخ النحوي خاصة ما أشيع عن رحلات النحاة للبادية لجمع الشواهد التي عقدوا عليها الدراسة.
- ٣ - الإفادة من نتيجة البحث في إعادة النظر فيما اعترض به النحاة بعضهم على بعض في أثناء عرضهم لقضايا الخلاف ونقض الأدلة المستشهد بها على القضية محل الدراسة خاصة اعتراضات البصريين على ما صورها صاحب الإنصاف.

المبحث الأول: الكثرة والشيوع تنظيراً

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الشاهد الشعري ومكانته في قضية الاحتجاج والاستدلال

أولى نحاة العربية الشاهد الشعري عناية بالغة تدل على ما له من أهمية بالغة عندهم ، فاجتهدوا في مبدأ عملهم بوضع الضوابط والقيود التي تصون الاحتجاج به فلا يدخل فيه ما ليس منه ، ولقد بلغت عناية النحاة بالشاهد الشعري ما رسخ في الأذهان أن إطلاق لفظ الشاهد ليس له مدلول سوى الشعري منه ، حتى عرف بعضهم

الاحتجاج بأنه: "إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة أو تركيب بدليل نقلي صح سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة" ^(١) ولا يخفى أن التعريف يدل دلالة واضحة على هذا الذي رسخ في الأذهان إذ إنه تناسى في تعريفه بقية مصادر الاحتجاج، بل تغاضى عن أهم هذه المصادر (القرآن والحديث) الذين زعموا أن النحو صنع من أجل الحفاظ عليهما من اللحن والخطأ، وقد صرح غير واحد من علماء العربية بهذا الشعور الذي ينتاب كثيرا من الدارسين حال دراستهم لقضية الاحتجاج، فالدكتور محمد عيد يجزم بأن عملية الاحتجاج: "اعتماد كامل على الشعر العربي القديم في الاستقراء وتقرير الأصول" ^(٢). ويؤكد ذلك قائلا: "إن الظاهرة الواضحة في كتب النحو العربي هي الاعتماد على الشعر، إذ يكاد يكون هو العنصر الغالب في دراسات النحاة المتقدمين والمتأخرين من مصادر الاستشهاد" ^(٣) بل وينص الدكتور محمد عيد صراحة على أن لفظة الشاهد لا يقصد بها في عرف الدارسين سوى الشاهد الشعري، فيذكر: "جاءت كل كتب الشواهد التي بين أيدينا محشوة بالشعر وشرحه والتعليق عليه حتى أصبحت لفظة الشواهد ذات معنى عرفي يقصد به الشعر" ^(٤). وفي تعليق على أنماط الشواهد التي احتج بها النحاة (القرآن والحديث والشعر) يقول جميل علوش: "كان هذا من الناحية النظرية فقط أما في الواقع فلم يكن الاعتماد على هذه الأنماط الكلامية

(١) من تاريخ النحوص ١٧. سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت. لبنان

(٢) الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص ١٠٣. محمد عيد، عالم الكتب

(٣) الاستشهاد والاحتجاج باللغة (ص ١٠٥).

(٤) المرجع السابق (ص ١٢٤)

متساويا فقد استبعد الحديث النبوي تقريبا واستخدم النص القرآني على نطاق محدود وبقى الشعر العربي هو المصدر الأول والرئيس للشواهد^(٥)

ويزيد الدكتور حماسة هذا الأمر وضوحا فيقول: "ولكن كتب النحو والقديمة منها خاصة تفجؤنا باعتمادها على الشعر في الكثرة الكثيرة من الأحكام اعتمادا يكاد يكون كامل^(٦)" بل يذهب إلى أن كل ما وضعه النحاة من ضوابط وقواعد تخص الشواهد لم يكن مقصودا بها في الحقيقة سوى الشواهد الشعرية، فيقول: "والذي يشعر به كلامهم عن الاحتجاج وتقسيم الطبقات والتفريق بين القبائل وغير ذلك، أنهم لا يعنون إلا الشعر نفسه"^(٧). وهو تفسير أقرب ما يكون للواقع المحسوس من عمل النحاة وأوفق للمعقول والمنقول من كتبهم، بل وينفي الدكتور حماسة من تأريخ الاحتجاج والاستشهاد ومن قاموسهما أيضا ما يعرف بالشواهد النثرية فيقول: "ولنصرف النظر هنا عن الأمثلة المصنوعة في كتاب سيبويه وغيره فهي ليست ما نعينه من النثر... ولكن النثر المقصود هنا، هو ما تكلمت به العرب فعلا غير الشعر من خطب ومحادثات وغيرهما مما تقتضيه شؤون الحياة وفقا لمنهج نحاتنا القدماء في عدم التفريق بين هذه المستويات"^(٨)، ثم يجلي هذه المسألة — مسألة الشواهد النثرية في كتاب سيبويه —، فيقول: "والملاحظ على هذه العبارات وأضرابها، أنها عبارات معظمها غامض، لأنه مقطوع من سياقه، ولم يبين لنا النحاة مستواها، لأنهم أهملوا التصريح بقائلها اعتمادا على أنها نماذج لتراكيب معينة، وغاية ما يعنون به هو ومن كلام العرب، ومن

(٥) ابن الأنباري وجهوده في النحو (ص ٢٦٧)، جميل علوش، رسالة دكتوراه. رسالة قدمت لجامعة القديس يوسف

بيروت ١٩٧٧ (٦) حماسة، محمد لغة الشعر ٢٠ دار الشروق ١٩٩٦ ص ٢٠

(٦) المصدر السابق ص ٣٤

(٧) المصدر السابق ص ٢٠

(٨) السابق ص ٣٣ و ٣٤

قول العرب ، ومن ذلك قول العرب... إلى آخر هذه العبارات الغامضة غير المحددة ، فضلا عن أنهم لم يكتثروا من هذه العبارات كثرة تشعر أنهم يعتمدون عليها في التقعيد " (٩)

فليس غريبا القول بأن الشاهد الشعري حظي بعناية بالغة فاقت ما سواه من مصادر الاحتجاج النحوي الأخرى ، هذه العناية التي أوحى بأنه لا مدلول لكلمة الشاهد سوى الشعري منه ، فأضحى حجة النحوي في إثبات صحة القاعدة النحوية وتقريرها أو تجويز ما جاء مخالفا للقياس أو الرد على المخالف ، أو تنفيذ رأيه وإظهار ضعف مذهبه النحوي أو عدم جوازه.

أقول : هذه المنزلة التي حظي بها الشاهد جعلت النحاة يقعدون له القواعد ويؤصلون له الأصول بما يكفل له النقاء والسلامة والصحة كفالة تمنح الثقة فيه ، وفيما ينتج عنه من قواعد حاكمة على استعمال المتكلمين من أبناء العربية.

ويستطيع المتأمل فيما وضعه النحاة من ضوابط وقواعد خاصة بالشاهد الشعري أن يجمع تلك الضوابط في ضابطين : أولهما : الكثرة والشيوع ، وثانيهما : صحة الرواية ، وسوف يكون هذا البحث خالصا للحديث عن ضابط الكثرة والشيوع ومدى حرص النحاة عليه تنظيرا ، ثم نرصد الخلل والقصور الذي وقع فيه النحاة في الميدان العملي وأثر ذلك في القواعد التي نتجت نتيجة هذا الخلل ، وأثره في القواعد التي ردت نتيجة ذلك التنظيم.

(١) طبقات اللغويين والنحويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ص ٣٤) تحقيق: أبو الفضل إبراهيم القاهرة

المطلب الثاني: الكثرة والشيوع منهج التنظير

فالذي ينعم النظر في كتب أصول النحو يدرك تمام الإدراك أن النحاة في تنظيرهم للمنهج الذي اتبعوه في التقعيد اعتدوا كثيرا بمبدأ الكثرة والشيوع في إقرار القواعد أو رفضها أو تضعيفها، وذلك بوسمها بالقلة أو الندرة أو الشذوذ أو الرداءة إلى آخر هذه المصطلحات الأصولية التي أطلقت على كل ما لم يكثر من لغة العرب على ما صورّه لنا النحاة في أصولهم

وقد تواتر اشتراط هذا الضابط فيما يحتج به من الشواهد، فيروي الزبيدي في طبقاته عن ابن نوفل قال: "سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميت به عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهو حجة؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات^(١٠)"، ويروي القفطي أن عيسى بن عمر بنى كتابه الجامع (على الأكثر وبوبه وهذبه وسمى ما شذ عن الأكثر لغات^(١١)).

أما أبو البركات الأنباري في تعريفه للنقل أي الشواهد العربية المحتج بها فيجعل هذه الكثرة شرطا لصحة وصف الشاهد بكونه كلاما عربيا، فيقول: "اعلم أن النقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة^(١٢)"، وفي بيانه لمفهوم الكثرة، يوضح أن الكثرة المعمول بها عندهم ما بلغ حد التواتر، يقول: "وقسموا المادة اللغوية إلى قسمين: متواتر وأحاد وجعلوا شرط التواتر أن يبلغ عدد النقلة حدا لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب... وحد الكثرة

(١٠) إنباء الرواة عن أنباء النحاة، علي بن يوسف القفطي ((375 دار الكتب - مصر

((١١) الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة ص ٤٥، كمال الدين ابن الأنباري: قدم لها وعني بتحقيقها سعيد

الأفغاني، مطابع الجامعة السورية ١٩٥٧

(١٢) المصدر السابق ص ٣٤ و ٣٥

المقبول عند ثلاثمائة وثلاثة عشر^(١٣) وقال: "وذهب قوم إلى أن شرطه أن يبلغوا سبعين، وذهب آخرون إلى أن شرطه أن يبلغوا أربعين، وذهب آخرون إلى أن شرطه أن يبلغوا خمسة. والصحيح عندي أنه الأول"^(١٤)

والسيوطي يتحدث عن المسموع فيجعله نوعين مطردا وشاذا، ويصف المطرد بأنه: "ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطردا، وما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذا.^(١٥)" ثم يقسم الاطراد والشذوذ أقساما وذكر من ذلك ما أسماه الغاية المطلوبة، فقال: "ثم الاطراد والشذوذ على أربعة أضرب وجعل منه: "مطردي في القياس والاستعمال معا وهو الغاية المطلوبة.^(١٦)" وهو نفسه تعبير ابن جني في باب الاطراد والشذوذ، إذ قال عقب ذكر المطرد سماعا وقياسا: "وهذا هو الغاية المطلوبة والمثابة المنوبة^(١٧)" ثم قسم السيوطي هذا المسموع تقسيما آخر بين فيه المقبول وغير المقبول مما يرد من كلام العرب، فيقول: "اعلم أنهم يستعملون غالبا وكثيرا ونادرا وقليلًا ومطرديا فالمطردي لا يتخلف، والغالبا أكثر الأشياء، ولكنه يتخلف، والكثير دونه، والقليل دونه، والنادر أقل من القليل.^(١٨)" هذه القناعة التي تؤكد على الكثرة والشيوع بل والاطراد لم تتوقف عند قدامى النحاة من أمثال ابن جني وأبو البركات الأنباري والسيوطي بل شاعت هذه القناعة عند

(١٣) لمع الأدلة ص ٨٤

(١٤) الاقتراح في علم أصول النحو (ص ١٠٩)، جلال الدين السيوطي قرأه وعلق عليه الدكتور محمود سليمان

ياقوت ١٤٢٦ - ٢٠٠٦، دار المعرفة الجامعية

(١٥) المصدر السابق (ص ١١٠).

(١٦) الخصائص، أبو الفتح ابن جني تحقيق محمد علي النجار القاهرة ١٩٥٢

(١٧) انظر الاقتراح (ص ١١٤).

(١٨) أصول التفكير النحوي (ص ٦٧)، علي أبو المكارم، بيروت ١٩٧٣.

المحدثين شيوعاً مطرداً منبهين أن النحاة بنوا صنيعهم على الكثرة الكثيرة من كلام العرب، فيقول الدكتور علي أبو المكارم: "واعتدوا بمبدأ الشيوع في استخراج الظاهرة النحوية من المادة النحوية^(١٩)" ويقول جميل علوش: "الاعتماد على السماع الكثير دون دون القليل والنادر^(٢٠)" وتقول فاطمة محمد طاهر: "ومنهج البصريين في ذلك أقوم، أنهم يبنون قواعدهم على الأكثر والأشيع^(٢١)"

ويقول الدكتور أحمد مختار عمر: "اعتد البصريون بالمنطق والعقل فقد أطلقوا لعقلهم العنان ولجؤوا أحياناً إلى النظر المجرد، مما أدى بهم إلى عدم قبول الشواهد العربية إلا إذا كانت متواترة، وتواترها يعني كثرة دورانها على الألسنة، فإذا وصلت هذه الشواهد إلى تلك الدرجة من التواتر صح الأخذ بها واستنباط القواعد منها^(٢٢)" ويؤكد الدكتور شوقي ضيف ذات المعنى متحدثاً عن الخليل: "وكان يبنّي القياس على الكثير المطرد من كلام العرب^(٢٣)" والكلام على بناء القواعد على الكثير الشائع لا يكاد يتخلف عن مؤلف نحوي في قديم النحو وحديثه^(٢٤)، ولقد أطبق المشتغلون بعلم القواعد قاطبة على أن هذا المبدأ الأصولي معيار للقبول والرفض بل معيار القياس والرد وهو ما اعتمدت عليه كتب الخلاف^(٢٥)

(١٩) ابن الأنباري وجهوده في النحو جميل علوش (ص ٢٥٣).

(٢٠) أسس الترجيح في كتب الخلاف ص ١٢٣، فاطمة محمد طاهر، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه جامعة أم القرى

(٢١) البحث اللغوي عند العرب (ص ١٨)، د. أحمد مختار عمر الطبعة السادسة

(٢٢) المدارس النحوية ص ٥٣، د. شوقي ضيف دار المعارف

(٢٣) الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه وأثره في تاريخ النحو (ص ٣٧٧)، أمان الدين حتحات: دار الرفاعي للنشر ودار القلم العربي وحسن، عباس: اللغة والنحو بين القديم والحديث ص ٤٠ دار المعارف ١٩٦٦

(٢٤) أسس الترجيح في كتب الخلاف (ص ١٢٣).

(٢٥) الإنصاف (١/ ٢١٤).

يعلق أبو البركات الأنباري على احتجاج الكوفيين بقول الشاعر: ولكنني من حبها لعميد بقوله: "وهو شاذ لقلته وشذوذه ولهذا لا يكاد يعرف له نظير في كلام العرب وأشعارهم، ولو كان قياسا مطردا لكان ينبغي أن يكثر في كلامهم وأشعارهم"^(٢٦) وعند غير أبو البركات الأنباري نجد شيوع هذا المصطلح ونقيضه في كلام جمهرة النحويين، فنجد: "نقيس على الأكثر"^(٢٧)، "ويحفظ ولا يقاس عليه"^(٢٨) و"شاذ لا يقاس عليه"^(٢٩)، و"نادر قابل للتأويل فلا تبنى عليه قاعدة"^(٣٠) ويعلق ابن عقيل على اتصال نون الوقاية بليت قائلا: "والكثير في لسان العرب ثبوتها"^(٣١) وفي استعمال اسم الإشارة "أولى" قال: "ولكن الأكثر استعمالها في العاقل"^(٣٢)، وفي باب أفعال المقاربة: "واقتران خبر عسى بأن كثير... وأما كاد... فيكون الكثير في خبرها أن يتجرد من أن... وأما أوشك فالكثير اقتران خبرها بأن"^(٣٣) وعلى النقيض نراهم يردون ما خالف ضابط الكثرة بوصفه بالشذوذ أو القلة أو الضعف أو

(٢٦) الكتاب (٣ / ٤٠٤).

(٢٧) المرجع السابق (٤ / ٨).

(٢٨) الخصائص (٣ / ١٤١).

(٢٩) قطر الندى وبل الصدى. ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ٢٦٣ مطبعة السعادة ط ١١ (١٣٨٣هـ)

(٣٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١ / ٥٥) ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد دار الطلائع.

(٣١) المرجع السابق (١ / ٦٦).

(٣٢) المصدر السابق (١ ص ١٥١، و ١٥٢).

(٣٣) المرجع السابق (١ / ٤٤).

غيره، من مثل قولهم في الضمير المتصل: "ولا يقع بعد إلا في الاختيار... وقد جاء شاذاً في الشعر^(٣٤)"، وفي نون الوقاية: "وقد جاء حذفها مع ليس شذوذاً^(٣٥)"

كثر إذن الحديث عن هذا الضابط، واتفقت عباراتهم عليه تعليقا على الحكم النحوي أو على دليله من كلام العرب، وبَيَّنَّ مما سردت أن ضابط الكثرة والشيوع جُعِلَ أساسا لإجازة ما يُجَازَ ورد ما يُردُّ، وأن المستقر في عرف المشتغلين بعلم القواعد أن هذا الضابط أجراه النحاة على كل ما قعدوا من قواعد واستنبطوا من أحكام، وأن قواعد العربية التي ندرسها اليوم وندرسها للأجيال العاشقة للغتها بنيت على هذا الضابط، حتى بدا للباحث اختبار هذا الضابط بين غزارة التنظير وتشدده وواقع القواعد في مطولات النحو.

ولقد انتابني شعور منذ أجل بعيد أن هذا الضابط لم يحظ تطبيقه بما حظي به تنظيره، وقد كانت المعاشة الطويلة لكتب القواعد بحثا وتدرسا تعمق في نفسي هذا الشعور وأخذت أسجل على هوامش مصادر النحو كثيرا من الملاحظات التي تتعلق بهذا الضابط ومدى التزام النحاة به في حال التقعيد، غير أنني أرجأته كثيرا خوفا من مخافتين:

أولاهما: الخوف من الزلل في الحكم، إذ الغاية الكبرى التي يدور حولها البحث هي محاولة إثبات تصور وتحقيق ظن يقضي بتخلي نحاة العربية عن ضابط الكثرة والشيوع - أحيانا - في إقرار ما يجاز ومنع ما يمنع من القواعد، أو أنهم بنوا كثيرا من قواعدهم بعيدا عن هذا الضابط مما يقدح بالضرورة في منهجية استنباط ما استنبطوه من قواعد وأحكام.

(٣٤) المرجع السابق (١ / ٥٣)

(٣٥) الحيوان (٤ / ٤٨٢).

ثانية المخافتين : وهي تتحقق حال إثبات التصور وتحقيق الظن من القدح في نحة العربية ومنهجهم في استنباط القواعد، مما يثير جدلا وعراكا خاصة مع تبجيل المشتغلين بعلم القواعد لأهل السبق أو كما قال الجاحظ : "ولكن للناس تأسُّ وعاداتٌ، وتقليدٌ للآباء، والكبراء، ويعملون على الهوى، وعلى ما يسبقُ إلى القلوب، ويستثقلون التحصيلَ، ويُهملون النظرَ حتى يصيروا في حالٍ متى عاودوه، وأرادوه، نظروا بأبصار كليله، وأذهان مدخولة^(٣٦)"

وقد ذلل لي العقبين أستاذي الدكتور أحمد عبد العظيم، أما الأولى وهي المتعلقة ببناء القواعد على تصورات ذهنية بعيدا عن النص فضلا عن كون ورود منطوق النص المحتج به كثيرا أو قليلا، فقد أشار سعادته لذلك إشارة واضحة وأعقبه بنموذج من حديث النحاة ثم عقب تعقيبا واضحا بينا يشير إلى هذه الظاهرة تعقيبا يردُّ ما ملئت به عقولنا من مقولات النحاة حول الكثرة والكثير الشائع والشيوع وغيره: ففي حديثه عما قُعد له بعيدا عن نصوص اللغة - التي هي الأصل في إجازة التقعيد أو منعه -، مما قرره النحاة من أن ما نقل من المبنيات إلى العلمية وجب له الإعراب والتنوين، قال: "فإذا سميت بكلمات مثل أنت أعربت... وصرفت... فإذا ناديتها عاملتها معاملة العرب أصالة..." ثم علق وختم تعليقه بقوله: "ثم أين النصوص التي أسست عليها تلك القاعدة، وما مدى شيوعها إن وجدت - بين نصوص عصر الاحتجاج ؟^(٣٧)" وفي موضع آخر يتحدث عن القواعد المؤسسة على غير النصوص فيقول: "ما العلاقة بين العلمية والإعراب حتى تؤدي التسمية بالمبني إلى جعله تحقق أسباب البناء فيه... وإذا كان ثمة علاقة بين العلمية المنقولة من المبنيات وبين الإعراب

(٣٦) القاعدة النحوية، دراسة نقدية د. أحمد عبد العظيم (ص ٤٣)، ١٩٩٠ دار الثقافة للنشر والتوزيع

(٣٧) المرجع السابق (ص ٤٤).

فلم لم تعامل المركبات الآتية معاملة المعربات...فإن أجيب بورودها معربة سألنا أين نصوص ذلك في اللغة^(٣٨) ، فالبناء على الكثرة والشيوع ليس موجودا ، بل إن البناء على النص في حد ذاته معدوم فيما نقل أستاذنا ، وسوف أحاول فيما يلي إثبات ذلك والتدليل عليه.

أما العقبة الثانية : وهي قداسة السابقين وتقدير جهدهم ، والإنكار على كل من يجرؤ على نقدهم أو بيان ما وقعوا فيه من سهو وإن كان بينا لا غموض فيه ولا لبس في كشفه وبيانه ، فقد كتب أستاذي الدكتور أحمد عبد العظيم فقرة كاملة جليلة القدر في ضرورة التفرقة بين حجم الجهد المبذول واتباع نتائجه ، يقول : " وجوهر كلامي هنا هو أن كون الدارسات النحوية القديمة مصيبة أو مخطئة... أمر لا يصلح حجة له أو عليه حجم الجهد الذي بذله السابقون ولا موقف الإكبار الذي يحمله الدارس لما كان عليه ذلك السلف من جلد... أي أن العلاقة بين الجهد من ناحية وبين قبول ما أسفر عنه هذا الجهد أو طرحه من ناحية أخرى علاقة منفكة... فقد يكون الجهد ضخما والعائد مضطربا ، وقد يكون الجهد قليلا والعائد منضبطا ، ومن ثم يجب أن نعرض لقضايا السلف في البحث النحوي خاصة واللغوي بصفة عامة ونحن متحرون في موافقنا من حجم تبعثهم ، وطول دأبهم ، وقدرتهم على تشقيق الحجة ، ومهارتهم في صناعة الجدل. (٣٩) ..فالإكبار للنحو لا للنحاة ، والغيرة على العربية لا على كتبها أو نحاتها أو ما سطوروا فيها من استنباطات اقتربت أو ابتعدت عن المنهج السديد الحري بالاتباع والافتداء بما جاء به من نتائج.

٣٨ المرجع السابق ص ١٤

٣٩ المرجع السابق نفسه

وسوف أحاول في فقرات هذا البحث أن أدلل على الدعوى التي حاولت أن أنظر لها فيما مضى من الصفحات ، تلك التي تتلخص فيما أزعمه من أن ضابط الكثرة والشيوع الذي نُظِرَ له النحويون شرطاً لإجازة أو وجوبٍ لم يكن له في ميدان التطبيق تلك المنزلة التي صورها النحاة في ميدان التنظير زاعمين أن بناء قواعد النحو جميعاً قد بنيت عليه ، بل يكاد يكون حال تتبعه وهما ليس له ظل في كثير مما سَطُرَ في دواوين القواعد ومطولاتها.

المبحث الثاني: من مظاهر الخلل في تطبيق الضابط

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: قواعد بنيت دون شواهد

أول ما يقدح في ضابط الكثرة والشيوع الذي ملأ خبره كتب النحو خاصة كتب الاحتجاج منها هو ما أُطْلِقَ عليه بناء القواعد دون أن يكون لها حظ من ذلك الضابط وليس لها نصيب أصلاً من الشواهد المسموعة من كلام العرب ، بل أقام النحاة هذه القواعد معتمدين على أمثلة مصنوعة ليس لها ظل من عصر مما يعرف بالاحتجاج.

وسوف أضع بين يدي القارئ عدداً من القضايا التي أقام النحاة قواعداً على غير الشواهد التي أوجبوا لها أن تكون عربية خالصة ، وأن تكون كثيرة شائعة ، هذه القضايا نماذج فقط لتثبت صدق ما أدعي من أن هذا الضابط - الكثرة والشيوع - لم يطبقه النحاة تطبيقاً دقيقاً في ميدان التقعيد النحوي ، وإن كان بعضهم أجراه على المخالفين دليلاً على رد ما يريد رده من القواعد. أقول : إن هذه النماذج أدله للبينة فقط ، وإلا فما بني من القواعد على غير شواهد يتحقق فيه الضابط كثيرة كثيرة تسمح بدراستها في بحث مستقل تام. ومن هذه النماذج ما يأتي :

١ - في باب الضمائر قعد النحاة قاعدة مفادها: أنه إذا تأتى أن يجئ بالضمير متصلا فلا يصح الإتيان به منفصلا، واستثنوا من هذا: كون عامل الضمير عاملا في ضمير آخر أعرف منه مقدم عليه، وليس مرفوعا، وعليه فجوزوا في الضمير الثاني الاتصال والانفصال، ثم فرقوا بين كون العامل فعلا غير ناسخ أو اسما، فذهبوا إلى ترجيح الفصل مع كون العامل اسما، قال ابن هشام: "فإن كان اسما فالفصل أرجح، نحو: عجبت من حبي إياي" (٤٠)

فابن هشام وغيره يرجح الحكم بالفصل دون شاهد من كلام العرب، بل اعتماد على مثال مصنوع غير مسموع عن العرب، ليس له حظ ظاهر من ضابط الكثرة والشيوع، الغريب أن النحاة الذين رجحوا الفصل دون شاهد عقبوا على الحكم المرجوح بشاهد شعري في قوله:

لَيْسَ كَانَ حُبُّكَ لِي كَاذِبًا لَقَدْ كَانَ حُبُّكَ حَقًّا يَقِينًا. (٤١)

والحق أنه لا شاهد في الحالتين - فضلا عن كثرة أو شيوع - يبنى عليه حكم فيهما، فالحالة الأولى لا شاهد لها والحالة الثانية شاهدها مطعون في صحة الاحتجاج به بجهالة قائله.

(٤٠) انظر المسألة بأمثلتها:، أوضح المسالك ابن هشام الأنصاري ج ١ ص ١٨٩، و التذليل والتكميل في شرح التسهيل أبو حيان (ج ٢ / ٢٨) تحقيق د. حسن هنداي، دار القلم. دمشق الطبعة (الأولى) ١٤١٩ هـ، ١٩٨٩ م، وجمع الهوامع، جلال الدين، السيوطي. ارتشاف الضرب (٢ / ٩٣٩)، وشفاء العليل (١ / ١٩١) - (١٩٢)، وشرح الكافية الشافية، ابن مالك، محمد بن عبد الله. (١ / ٢٣٠).

(٤١) وهذا البيت لا يفرق كثيرا عن الشاهد المصنوع الذي رجحوا به الحكم، لأنه شاهد ساقط ومردود بجهالة قائله، قال الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد: "وهذا بيت من كلمة اختارها أبو تمام... ولم ينسبها، ولا نسبها أحد شراحه إلى قائل معين... ولو جاء به الشاعر منفصلا لقال "لقد كان حبي إياك" والانفصال في هذه الحالة. وهي أن يكون العامل اسما كحب في هذا الشاهد أرجح " انظر هامش أوضح المسالك (١ / ٨٩ و ١٩٠)

٢ - في ذات الباب، يذهب النحاة إلى وجوب انفصال الضمير إذا رفع بمصدر مضاف إلى المنصوب معنى، غير أنهم لا يحتجون لهذه القاعدة بمسموع يشهد لما أوجبوا نطقه على أهل العربية، بل مستندهم على هذا الوجوب مثال مصنوع لا ينتمي يوما لعصر الاحتجاج فضلا عن أن يكثر في كلامهم أو يقل، قال أبو حيان بعد أن ذكر الحكم السالف، نحو "عجبت من ضرب زيد أنت" وزيد عجبت من ضربك هو...^(٤٢)، بل يذهب السيوطي في ذات الباب إلى منع توكيد ضمير الرفع المتصل مستترا أو بارزا إلا بفصل ما، لكنه لا يدل على ذلك بالاستخدام العربي لذلك بل بمصنوع الأمثلة، فيقول: "نحو: قم أنت نفسك، وقمت أنت نفسك، وقاما هما نفسيهما^(٤٣)"

٣ - أوجب النحاة^(٤٤) إبراز الضمير إذا جرى الخبر على غير من هو له سواء في ذلك أترتب عليه إلباس أم لم يترتب، وجعلوا هذا الوجوب مبنيا على أمثلة مصنوعة لا تمت للنص العربي المحتج به بصلة، فمثال ما ألبس قولهم: زيد عمرو ضاربه هو، أو غلام زيد ضاربه هو، وجعلوا لما لا يلبس قولهم: زيد هند ضاربها هو، أو غلام هند ضاربها هي. وغير هذين المثالين لم تذكر لنا كتب النحو مسموعا واحدا فصيحاً فضلا على أن يكون كثيرا يظهر لنا استعمال العرب الخُلص لهذا الضمير سواء ألبس أم لم يلبس.

(٤٢) انظر ارتشاف الضرب (٩٣٩/٢) الكتاب (٢ / ٣٥٩)، شرح التصريح (١٠٥/١).

(٤٣) انظر مع الهوامع (٥ / ١٩٧).

(٤٤) انظر: أوضح المسالك (١٧٦/ ١) وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١٧٦/١)، وانظر كذلك:

التذيل والتكميل (٤ / ١٥) وشرح التسهيل (١ / ٣٠٧) وارتشاف الضرب (٢ / ٩٣٢) والمساعد (١ /

١٠٣) وشرح التصريح (١ / ١٠٥).

العجيب في شأن النحويين أنهم عارضوا رأي الكوفيين الذين ذهبوا إلى أن الوجوب لا يكون إلا حال الإلباس محتجين يقول القائل :

قومي ذُرَا المَجْدِ بَأُتُوها وَقَدْ عَلِمْتَ بِكُنْهِ ذَلِكَ عَدْتَانُ وَقَحْطَانُ^(٤٥)

وهذا الشاهد الذي احتج به الكوفيون لا يوصف بكثرة بل لا يوصف بصحة لجهالة قائله، ورغم ذلك فابن عقيل يصحح المذهب الكوفي، ويصف هذا الوارد المتسم بالجهالة بقوله: "وقد ورد السماع بمذهبهم^(٤٦)". وقد رد البصريون ذلك بالشذوذ، وكأن أمثلتهم تخطت ذلك أو تباعدت عنه، بل إن ابن عقيل يقر في شرحه بما يثبت أن هذه القواعد أجزت بعيدا عن الشواهد المسموعة فضلا على الكثرة المزعومة، يقول: "فإذا خيف اللبس وجب الإبراز كالمثال الثاني" فالمثال الثاني حجته في الإجازة بله الوجوب، والذي ينبغي أن يسأل أين شواهدهم بل أين كثرتها؟

٤ - وفي الباب ذاته يذكر النحاة مواضع حذف الخبر وجوبا، فجعلوا منها: "أن يكون المبتدأ إما مصدرا عاملا في اسم مفسر لضمير ذي حال لا يصح كونه خبرا عن المبتدأ المذكور، نحو: ضربني زيدا قائما، أو أكثر شربي السوق ملتوتا، أو إلى مؤول بالمصدر المذكور، نحو أخطب ما يكون الأمير قائما^(٤٧)"

وواضح أن الحالات التي أوجب فيها النحاة حذف الخبر لم يكن لها شاهد من كلام العرب يدل عليها فضلا أن يتصف بقلة أو كثرة.

(٤٥) الشاهد مجهول: أوضح المسالك (١/ ١٩٦) وتلخيص الشواهد (١٨٦)، والدرر اللوامع (١/ ١٨٤).

(٤٦) ابن عقيل (١/ ٩٨)

(٤٧) انظر المسألة بأمثلتها في: شرح التسهيل (١/ ٢٧٨)، والتنزيل والتكميل (٣/ ٢٨٨) وجمع الهوامع (١/ ٤٥)

و(٤٦)، وأوضح المسالك (١/ ٢٠٤ و ٢٠٥)، وارتشاف الضرب (٣/ ص ١٠٩٤ و ١٠٩٥) وشفاء

العليل (١/ ٢٧٦)، وشرح الكافية الشافية (١/ ٣٥٥).

٥ - في باب إن وأخواتها يتحدث النحاة عن مواضع يجب فيها كسر همزة إن وفتحها، ومواضع يجوز فيها الأمران معا، ففي بعض المواضع اعتمد النحاة في إقرارها وتقعيدها على شواهد مصنوعة لا تمت للكثرة والشيوع بصلة، ومن ذلك حديثهم عن وجوب الكسر في الحالات الآتية: (٤٨)

أ) بعد حيث، مدللين على ذلك بقولهم نحو: جلست حيث إن زيدا جالس.

ب) بعد إذ، مدللين على ذلك بقولهم: نحو وجئتكَ إذ إن زيدا أمير.

ج) وقوعها صفة، جاعلين دليلها قولهم نحو: مررت برجل إنه فاضل.

وفيما يجوز فيه (فتح الهمزة وكسرها) يذكرون حالات من حالاتها دون تدليل من كلام العرب، ومن ذلك الحالات الآتية: (٤٩)

أ) أن تقع خبرا عن قول ومخبرا عنها بقول والقائل واحد، نحو: قولي إني (أني) أحمد الله.

ب) أن تقع بعد حتى، وجعلوا شاهده نحو قولهم: مرض زيد حتى أنهم (إنهم) لا يرجونه.

ج) أن تقع بعد أما، وجعلوا دليله نحو قولهم: أما أنك (إنك) فاضل. ولا شواهد عربية لذلك كله فضلا عن الكثرة والشيوع.

٦ - في باب أفعال المقاربة والرجاء والشروع قعد النحاة على غير سماع قاعدة مفادها: أن حرى مثل عسى في الدلالة على رجاء حدوث الفعل، غير أنهم أوجبوا

(٤٨) انظر: أوضح المسالك (١/ ٢٩٩ و ٣٠٠)، التذليل والتكميل (٥/ ٧٤)، وجمع الهوامع (١/ ١٦٦) و ارتشاف الضرب (١٢٥٦/ ٣)، والجنى الداني (ص ٤٠٧).

(٤٩) انظر: الهمع (١/ ١٦٦)، والتذليل والتكميل (٥/ ٧٨)، والكتاب (٣/ ١٤٣)، و ارتشاف الضرب (١٢٥٨) والمساعد (١/ ٣١٨) والجنى الداني (ص ٤١٣) وشفاء العليل (١/ ٣٦١)، وشرح الكافية

فيها اقتران خبرها بأن، نحو: حرى زيد أن... قال ابن عقيل: "ولم يجرد خبرها من أن لا في الشعر ولا في غيره" (٥٠)

غير أنه لم يذكر ولا ذكر غيره شاهدا مسموعا كثيرا أو قليلا يثبت ذلك، بل إن أبا حيان ذكر ما ينفي فعلية (حرى) بالأساس وطالب المخالفين بسماع يثبت دعواهم، قال: "... فذكروا أنهم قالوا في حرى الاسم إن معناه عسى، يعني أنها للرجاء كما أن معنى عسى للرجاء، فهؤلاء فسروا حرى المنون الاسم بعسى التي هي فعل، فيحتاج في إثبات كون حرى فعلا ماضيا بمعنى عسى إلى نقل يفصح عن ذلك" (٥١)

وكلام أبي حيان يثبت يقينا أن النحاة لم يستندوا إلى سماع في تعييدهم لوجوب اقتران خبر حرى بأن، فضلا على أن يكون هذا السماع موصوفا بضابط الكثرة. وهذا الكلام نفسه يسري على حديثهم عن الفعل اخلولق، وجعلوا منه قولهم: "اخلولقت السماء أن تمطر" (٥٢)

٧ - في باب بل لا النافية للجنس، ذكر النحاة في صفة اسم لا المبني صورا منها: بناؤه على الفتح لتركبها معه قبل مجيء لا تركيب خمسة عشر، ونصبه مراعاة محل النكرة، ورفع مراعاة محلها مع لا، وجعلوا دليلا قولهم: لا رجل ظريف فيها "بضبط ظريف بالوجه الثلاثة" ومنه "ألا ماء ماءً باردا عندنا" ولم يذكروا للوجه الثلاثة ولا لواحد منها ما تتيقن به صحة نسبته للعرب فضلا عن كثرته على ألسنتهم (٥٣)

(٥٠) ابن عقيل (١ / ١٥٣).

(٥١) التذييل والتكميل (٤ / ٣٣٠ و ٣٣١).

(٥٢) المرجع السابق نفسه

(٥٣) نظر المسألة في: أوضح المسالك (٢ / ٣٢) وارتشاف الضرب (٣ / ١٣٢١) وشفاء العليل (١ / ٣٨٦) وشرح التسهيل (٢ / ٩٦) وشرح الكافية (٢ / ١٧٥) والتذييل والتكميل (٥ / ٢٩٧ و ٢٩٨).

٨ - في باب ما ينوب عن الفاعل ذكر النحاة مسألة (إقامة المفعول الأول مقام الفاعل في باب ظن وأعلم)، فذكر ابن عقيل: "وذهب قوم - منهم المصنف - إلى أنه لا يتعين إقامة الأول لا في باب ظن ولا باب (أعلم) لكن يشترط ألا يحصل لبس، فنقول: ظنَّ زيدا قائم، وأعلم زيدا فرسك مسرجٌ... أما إقامة الثالث في باب أعلم فنقل ابن الربيع وابن المصنف الاتفاق على منعه، وليس كما زعما فقد نقل غيرهما الخلاف في ذلك، فنقول: أعلم زيدا فرسك مسرجٌ"، وهي إجازة مبنية في البابين على مصنوع الأمثلة، هكذا دون نقل واحد ثبت نسبة هذه القواعد لكلام العرب^(٥٤)

٩ - في باب الاشتغال ذكر النحاة وجوب نصب الاسم في عدة صور، ليس لصورة منها شاهد من كلام العرب، ومنها: وقوع الاسم بعد أداة تختص بالفعل كأدوات التحضيض نحو: هلا زيدا رأيته، والاستفهام نحو: هل زيدا رأيته؟ ومتى عمرا لقيته؟ وأدوات الشرط، نحو: حيثما زيدا لقيته فأكرمه... ثم ذكروا في ذات الباب حالات يترجح فيها النصب معتمدين في إجازتهم على أمثلة مصنوعة لا تمثل كثرة ولا ما دون كثرة، فذكروا أن ترجيح النصب يكون في حال إذا ما سبق الاسم فعل طلبى وهو الأمر والدعاء ولو بصيغة الخبر، نحو زيدا اضربه، واللهم عبدك ارحمه، وزيدا غفر الله له، ومنه أن يكون الفعل مقرونا بالام أو لا الطلبتين، نحو: عمرا ليضربه بكر. وخالدا لا تهنه، ومنه: زيدا لا يعذبه الله.^(٥٥)

والسؤال: أين في كتب النحاة ما يؤيد ذلك من كلام العرب وشواهدهم.

(٥٤) انظر المسألة في: التذليل والتكميل (٦/ ٢٤٨) والجمع (٢/ ٢٦٣)، وارتشاف الضرب (ص ١٢٩٣) وشرح الجمل (١/ ٥٣٨)، وشرح الأشموني (٢/ ٦٩)، والمساعد (١/ ٤٠٠)، وشرح التصريح (١/ ٢٩٢) وشرح ابن عقيل (٢/ ٦٨).

(٥٥) انظر: أوضح المسالك (٢/ ١٤٣)، وارتشاف الضرب (٢١٦٧)، والتذليل والتكميل (٦/ ٣٠٨)، وجمع الهوامع (٥/ ١٥٣).

١٠ - أجاز المبرد والسيوطي وأبو حيان التنازع في فعلي التعجب، نحو: ما أحسن وأجمل زيدا ! قال السيوطي: "وقيل يجوز في التعجب مطلقا... وعليه المبرد ورجحه الرضي" ^(٥٦)، قال أبو حيان: "ومنع بعض النحويين تنازع فعلي التعجب، والصحيح عندي جوازه، لكن بشرط إعمال الثاني كقولك: ما أحسن وأعقل زيدا، تنصب زيدا بأعقل" ^(٥٧)، ولم يأتوا بشاهد واحد لهذا التقعيد.

١١ - ذكر النحاة في باب الحال أصلا، ثم ذكروا ما يستثنى منه، أما الأصل: فهو مجيء الحال مشتقة، ثم ذكروا: "ويكثر مجيئها جامدة في صور منها: أن تكون دالة على سعر، نحو: بعه مدا بدرهم، أو على تشبيه نحو: كر زيدا أسدا، أو دلالة على ترتيب، نحو: ادخلوا رجلا رجلا، أو دلالة على الفرع، نحو: هذا حديدك خاتما، أو دلالة على النوع، نحو: هذا مالك ذهابا، أو دلالة على تفصيل، نحو: أحمد طفلا أجل من علي كهلا، أو دلالة على تقسيم، نحو أقسم المال عليهم أثلاثا أو أخماسا. وهي كلها أمثلة مصنوعة لا تنتمي لعرب ولا لعصر موسوم بالاحتجاج، ولا صلة لها بقلّة ولا كثرة." ^(٥٨)

١٢ - صاغ النحاة في باب التفضيل قاعدة مفادها: "إذا فضل شيء على نفسه أو غيره في حال أخرى، فإنه يعمل في حالين: أحدهما متقدمة عليه، والأخرى متأخرة عنه، ولم يحتجوا لهذا التقعيد بما يؤيده ويقره بشيء من كلام العرب، بل صاغوا له مثالا من مصنوعاتهم هو قولهم: زيد قائما أحسن منه قاعدا، وزيدا مفردا

(٥٦) مع الهوامع (٥ / ١٤٥)

(٥٧) شرح التسهيل (٢ / ١٧٧).

(٥٨) انظر: شرح التسهيل (٢ / ٣٢٤)، والجمع (٣ / ٨٢٧) والارتشاف (ص ١٥٥٨) وابن عقيل (٢ / ١١٠).

أنفع من عمرو ومعانا، قال ابن عقيل: "فقائما ومفردا منصوبان بأحسن وأنفع وهما حالان، وكذا قاعدا ومعانا، وهذا مذهب الجمهور" (٥٩)

١٣ - في باب البدل يعدد النحاة صورته الأربعة، وفي الرابع يقول ابن هشام: "وقول الناظم: خذ نبلا مدى. يحتمل الثلاثة، وذلك باختلاف التقادير، وذلك لأن النبل اسم جامع للسهم، والمدى جمع مدية، وهي السكين، فإن كان المتكلم إنما أراد الأمر بأخذ المدى ثم سبقه لسانه إلى النبل فبدل غلط وإن كان المتكلم أراد الأمر بأخذ النبل ثم تبين له فساد تلك الإرادة، وأن الصواب الأمر بأخذ المدى فبدل نسيان، وإن كان أراد الأول ثم أضرب عنه إلى الأمر بأخذ المدى، وجعل الأول في حكم المتروك فبدل إضراب وبداء^(٦٠)"، وهو كلام لا سند له من كلام العرب ولغتهم، حتى نقل السيوطي عن المبرد في هذا النوع قوله: "بدل الغلط لا يكون مثله في كلام الله، ولا في شعر، ولا في كلام مستقيم" (٦١)

ومما تقدم يتبين بما لا يدع مجالا لشك أن الضابط الذي أشاع النحاة أن الشواهد والقواعد والأحكام بنيت عليه لم يكن له ظل فضلا عن وجود فيما دلت به من نماذج بنى فيها النحاة قواعد مشهورة على أمثلة مصنوعة لا على شواهد موسومة بكثرة أو قلة، وهو ما يجافي تنظيرهم وتأصيلهم للقواعد والشواهد معا، وهو أيضا ما يبطل حججهم على مخالفيتهم بدعوى القلة والندرة والشذوذ وإلا فكيف يعترض على المحتج بكلام العرب، ويبني هو نفسه قواعد ليس لها صلة بكلامهم إطلاقا.

(٥٩) ابن عقيل (٢ / ١٢٢) وشرح التسهيل (٣ / ٥٥).

(٦٠) أوضح المسالك (٣ / ٣٥٨).

(٦١) المرجع نفسه

المطلب الثاني: قواعد بنيت على شواهد لا يتحقق فيها الضابط

وفيه ثلاثة أنماط :

النمط الأول: قواعد بنيت على شواهد تخالف ضوابط الاستشهاد

في المبحث السابق ظهر جليا ما وصفته بتقعيد قواعد لا يتحقق فيها الشاهد النحوي فضلا عن الكثرة أو القلة التي يتحدث عنها النحاة ، وذكرت أن هذا التقعيد بهذه الطريقة قادح في هذا الضابط الذي جعل النحاة قواعد النحو مبنية عليه .

وفي هذا المبحث أضع بين يدي القارئ مطعنا آخر يقدر في ما أسماه النحاة "الكثرة والشيوع" إذ أوضح أن النحاة بنوا قواعد عدة على شواهد نحوية لا يتحقق فيها يقينا هذا الضابط ، إذ إن هذه القواعد بنيت على شواهد تخالف ضوابط الاستشهاد التي أجهد فيها النحاة أنفسهم وأجهدوا بها مخالفينهم من المشتغلين بعلم القواعد.

أقول : لو أن ضابط الكثرة والشيوع حاضر في عمل النحاة جمعا للغة وتصنيفا لها وتقعيدا لقواعدها ، فما الداعي الذي يجعل النحاة يبنون قواعد عدة على أدلة لا تصلح أصلا للاستشهاد ؟ بل وكثيرا ما يردون بها على مخالفينهم من النحاة. وإذا كان ذلك كذلك فلماذا إذن ملئت كتب الخلاف النحوي برد المسموع بدعوى قلته أو ندرته أو شذوذه أو جهالة قائله أو غيره من الأسباب والدعاوى ؟ إن الناظر في كتب القواعد المتأمل في صياغتها المنصف في تحليلها ، المعتدل في الحكم عليها يدرك بلا كبير مشقة ذلك الخلل الواضح والفجوة العميقة بين اشتراط النحاة الكثرة والشيوع لكل تقعيد ومجافاتهم هذا الشرط في تقعيدهم الفعلي للقواعد ، فنراهم يبنون قواعد من قواعدهم على غير شواهد . كما سبق - أو على شواهد لا يتحقق فيها ذلك الضابط ، على ما سيظهر في النماذج الآتية :

أولاً: في باب الأسماء الستة يميز النحاة النقص في الأب والأخ والحكم محتجين بقوله:

بَابِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الْكَرَمِ وَمَنْ يُشَابِهَ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ^(٦٢)

قال الشيخ محمد محيي الدين: "من النحاة من نسب البيت إلى رؤبة بن العجاج وذكر أنه يمدح عدي بن حاتم الطائي، ولا يوجد في ديوان أراجيز رؤبة، وإن ذكره ناشروه في زيادته^(٦٣)" وبمعزل عن نسبة البيت إلى رؤبة أو غيره، فإن البيت فرد في بابه لم يأت النحاة له بنظير استدل به على جواز النقص في أب وأخ وحكم، ثم إن كان شاهد (أبه) مطعون في نسبته وكثرته فإن (أخ وحكم) لا شاهد لهما أصلاً من كلام العرب.

ثانياً: يرجح النحاة فصل الضمير إذا كان الفعل ناسخاً نحو خلتني، قال ابن هشام: "وإن كان العامل فعلاً ناسخاً نحو خلتني فالأرجح عند الجمهور الفصل"^(٦٤). واحتجوا لذلك بقوله:

أَخِي حَسْبُكَ إِيَّاهُ وَقَدْ مُلِئْتُ أَرْجَاءُ صَدْرِكَ بِالْأَضْغَانِ وَالْإِخْنِ

قال المحقق: "ولم أعثر لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق"^(٦٥) وعلق ابن الناظم على اختيار ترجيح الانفصال بأنه: "ليس بمرضي، لأن الاتصال جاء في الكتاب العزيز.. والانفصال لا يكاد يعثر عليه إلا في

(٦٢) انظر البيت في: الدرر اللوامع (١/ ٣١)، وشرح التصريح (١/ ٦٤)، والمقاصد النحوية (١/ ١٢٩)،

وشرح ابن الناظم (ص ٢٠)، وأوضح المسالك (١/ ٤٦)، وتلخيص الشواهد (ص ٥١) والخزانة

(٤/ ١٠٥)، وشرح الأشموني (١: ٢٩)، وشرح شواهد المغني (٢: ٥٨٥)، وشرح المفصل (١/ ٥٣).

(٦٣) أوضح المسالك (١/ ٤٦).

(٦٤) أوضح المسالك (١/ ٩١).

(٦٥) انظر: أوضح المسالك (١/ ٩٩)، وشرح الأشموني (١/ ٥٣)، وشرح التصريح (١/ ١٠٧)، والمقاصد

النحوية (١/ ٢٨٦).

الشعر^(٦٦) ، ثم ذكروا أن الفصل يرجح إن اختلف لفظ الضميرين ، غير أنهم أجازوا الوصل أيضا محتجين له بيئتين مجروحين لا يعتد بهما على ما قضى به تأصيلهم ، الأول قوله :

وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَعْمَةٍ لِضَعْمَاهَا يَقْرَعُ الْعَظْمَ نَابُهَا

والثاني قوله :

لَوْجَهَكَ فِي الْإِحْسَانِ بَسْطٌ وَبَهْجَةٌ أَنَا لَهُمَا قَفُوْ أَكْرَمُ وَالِدِ^(٦٧)

أما البيت فمطعون فيه بعدم تحديد قائله ، إذ تعدد قائله يدل على صناعته ، قال محقق ابن الناظم : " البيت لمغلس بن لقيط في تلخيص الشواهد ص ٩٤ ، وخزانة الأدب ٥ : ٣٠١ و ٣٠٣ و ٣٠٥ ، وشرح شواهد الإيضاح ص ٥٧ والمقاصد النحوية ١ : ٣٣٣ ، وللقيط بن مرة الأسدي في الحماسة البصرية ٩٩ : ١ ومعجم الشعراء ص ٣٩٠ وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ص ٣٨١ والكتاب ٢ : ٣٦٥ .^(٦٨) " وأما البيت الثاني ، فمطعون فيه بجهالة قائله مطلقا .

ثالثاً : اشترط النحاة في عمل الوصف المجرد من الألف واللام أن يعتمد على استفهام أو نفي ، وقد احتجوا للنفي بشواهد لا ينقضي منها العجب ، إذ هي مما لا يصح الاحتجاج به ، وتنفي بوضوح ما يزعمه النحاة من بناء القواعد على الكثرة والشيوع ، إذ لو كان مثل هذه القاعدة شائعة فما الداعي للاحتجاج بشواهد مجهولة أو غير موثقة مع قلة بادية ، ومن ذلك قوله :

(٦٦) شرح ابن الناظم (ص ٤٢) .

(٦٧) انظر شرح ابن الناظم (ص ٤٢) .

(٦٨) انظر الشاهد في أوضح المسالك (١ / ١٧٠) ، وتلخيص الشواهد (ص ١٨١) والدرر اللوامع (١ / ١٨٢)

وشرح الأشموني (١ / ٨٩) وشرح التصريح (١ / ١٥٧) .

خَلِيلِيَّ مَا وَافٍ بِعَهْدِي أَنْتُمَا إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أَقَاطِعُ^(٦٩)

قال المحقق: " ولم أفق لهذا الشاهد على نسبة لقائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق تتصل به ^(٧٠) " ومثله في الجهالة قوله :

غَيْرُ لَاهٍ عِدَاكَ ، فَاطَرَ اللَّهِــــــــــــــــو ، وَلَا تَعْتَرِ بِعَارِضٍ سَلَمٌ^(٧١)

ومثله ،

فَمَا بَاسِطٌ خَيْرًا ، وَلَا دَافِعٌ أَدَى عَنِ النَّاسِ إِلَّا أَنْتُمْ آلَ دَارِمٍ^(٧٢)

هذا فضلا عن بيت لأبي نواس لا يحتج به أيضا هو قوله :

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقُضِي بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ^(٧٣)

وهذه الشواهد مما لا يجوز النحاة الاحتجاج بها لمخالفتها ما سطره في أصولهم من ضوابط وسمات ما يصح الاحتجاج به نحويا.

رابعاً: أوجب النحاة تقديم الخبر إذا عاد عليه ضمير من المبتدأ ، ومثلوا لذلك بقولهم : في الدار صاحبها ، وعلى التمرة مثلها زيدا ، واحتجوا للقاعدة المجازة بما لا يدل على كثرة أو شيوع لتفرده في كتبهم ، ولمخالفته ما اشترطه في الشاهد ، وهو قوله :

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا^(٧٤)

(٦٩) أوضح المسالك (١ / ١٧٠) المكتبة العصرية

(٧٠) انظر الشاهد في: شرح ابن عقيل (١ / ٩٠) .

(٧١) انظر الشاهد في: نفسه هامش (ص ٩١)

(٧٢) انظر الشاهد في: نفسه (ص ٩٠)

(٧٣) انظر: في شواهد العيني (١ / ٥٣٧)، وشرح التصريح (١ / ١٧٦) وشرح الأشموني (١ / ٢١٣).

(٧٤) ابن عقيل (٢ / ١١٣)

قال الشيخ محمد محيي الدين: "هذا البيت قد نسبته قوم منهم أبو عبيدة البكري في شرحه على الأمالي ص ٤٠ لنصيب بن رباح الأكبر، ونسبه آخرون منهم ابن نباتة المصري إلى مجنون ليلي^(٧٥)"

خامساً: جوز النحلة تقدم خبر دام على اسمها خلافا لابن معط، قال ابن عقيل: "وذكر ابن معط أن خبر دام لا يتقدم على اسمها فلا تقول: لا أصحابك مادام قائما زيد، والصواب جوازه^(٧٦)" واحتجوا لهذا الجواز الذي رفضه ابن معط بشاهد وحيد مطعون فيه، هو قوله:

لَا طَيْبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ مُنْعَصَةٌ لَدَائِهِ بِادِّكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ^(٧٧)

قال الشيخ محمد محيي الدين: "البيت من الشواهد التي لم يعين قائلها أحد ممن اطلعنا على كلامه"

واحتج له الشيخ المحقق ببيت آخر مجهول، هو قوله^(٧٨):

مَا دَامَ حَافِظُ سِرِّي مَنْ وَثِقْتُ بِهِ فَهُوَ الَّذِي لَسْتُ عَنْهُ رَاغِبًا أَبَدًا^(٧٩)

ومما يتعلق بالباب ذاته إجازة سبق شبه النفي لزال التي من أخوات كان محتجين له بشاهد لا يحقق كثرة أو شيوعا، هو قوله:

صَاحَ شَمْرٌ وَلَا تَزَلْ ذَاكِرَ الْمَوْتِ فَنَسْيَانُهُ ضَلَالٌ مُبِينٌ^(٨٠)

(٧٥) ابن عقيل (١/ ١٢٧)

(٧٦) انظره في: شواهد العيني (٢/ ٢٠)، و شرح التصريح (٢/ ٣٠)، و هجع الهوامع (٢/ ٤٨)، والدرر اللوامع (٢/ ٥٧).

(٧٧) ابن عقيل (١/ ١٢٧).

(٧٨) المرجع السابق

(٧٩) المرجع السابق

(٨٠) أوضح المسالك (٢/ ٢٥٥).

فالبيت مجهول فرد بنيت عليه قاعدة اُشتهرت في الدرس النحوي.

سادساً: قال ابن هشام: "وأما لا فإعمالها عمل ليس قليل، والغالب أن يكون خبرها محذوفاً حتى قيل بلزوم ذلك والصحيح جواز ذكره^(٨١)"، ثم احتج لذلك بشاهد لا يمثل كثرة أو شيوعاً، هو قوله:

تَعَزَّ فَلَا شَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ بَاقِيًا وَلَا وَرَرْ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاقِيًا^(٨٢)

قال الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد: "وهذا البيت من الشواهد التي لم يذكروا لها قائلاً معينا^(٨٣)"

سابعاً: في مسألة كسر همزة إن وفتحها يذكر النحاة جواز ذلك إذا ما وقعت إن جواب قسم وليس في خبرها اللام نحو: حلفت أن زيدا قائم بالفتح والكسر، واحتجوا له بقوله:

لِتَقْعُدَنَّ مَقْعَدَ الْقَصِيِّ مِنِّي ذِي الْقَادُورَةِ الْمُقْلِيٍّ
أَوْ تَحْلِفِي بِرَبِّكَ الْعَلِيِّ أَنِّي أَبُو ذِيكَ الصَّبِيِّ^(٨٤).

قال الشيخ محمد محيي الدين: "البيتان ينسبان إلى رؤية بن العجاج، وقال ابن بري: "وهما لأعرابي قدم من سفر فوجد امرأته وضعت ولداً فأنكره^(٨٥)"، والبيت ليس له قرين ومختلف في نسبته، ومن ثم مطعون في حجته.

(٨١) أوضح المسالك (٢/ ٢٥٥)

(٨٢) انظره في: الخزانة (٥٣٠)، والمغني (٢٤٠)، وشدور الذهب (١٩٦)، وشواهد العيني (٢/ ١٠٢)، وشرح التصريح (١/ ١٩٩) وجمع الهوامع (١/ ١٢٥) والدرر اللوامع (١/ ٩٧).

(٨٣) ابن عقيل (١/ ١٤٥) الطلائع

(٨٤) انظر البيتين في: شواهد العيني (٢/ ٢٣٢)، وشرح التصريح (١/ ٢١٩)، وشرح الأشموني (١/ ٢٧٦)

(٨٥) ابن عقيل (١/ ١٦٥)

وفي الباب ذاته يذكر النحاة جواز إعمال ليت وإهمالها إذا اتصلت بها ما الكافة، وبينون تلك القاعدة على شاهد وحيد لا نظير له، وهو قول النابغة:

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامَ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَطَّ^(٨٦)

ولا أدري كيف أجاز النحاة هذا الحكم بذلك البيت اليتيم الذي لا نظير له.

ثامناً: ذهب النحاة إلى جواز الفتح والنصب والرفع في المعطوف على اسم لا النافية للجنس دون إعادة الجار محتجين لذلك بشاهد ساقط بجهالة قائله، هو قوله:

فَلَا أَبَ وَأَبْنًا مِثْلُ مَرْوَانَ وَأَبْنِهِ إِذْ هُوَ بِالْمَجْدِ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا^(٨٧)

قال الشيخ محمد محيي الدين تعليقا على البيت: "ولم يعينوا القائل، والبيت من شواهد سيبويه، ولم ينسبه أحد من شراحه"، وفي موضع آخر قال: "قول رجل من بني عبد مناه بن كنانة يمدح مروان بن الحكم وابنه^(٨٨)" وأما كان الأمر فالبيت فرد مجهول لا نظير له.

تاسعاً: في باب لا النافية للجنس: أجاز النحاة دخول همزة الاستفهام على لا النافية للجنس مع بقاء عملها في أحوال ثلاثة بناء على شواهد مفردة مجهولة، - لا تصلح على شرائطهم للاحتجاج -، وعبارتهم في ذلك: "إذا قصد بالاستفهام التوبيخ أو الاستفهام عن النفي، فالحكم كما ذكر من أنه يبقى عملها وجميع ما تقدم ذكره من أحكام العطف والصفة وجواز الإلغاء^(٨٩)" وجعلوا دليلاً على ذلك قوله:

(٨٦) البيت في سيبويه (١ / ٢٧٢)، والخصائص (٢ / ٤٦٠)، والإنصاف (٤٧٩)، وشرح المفصل (٨ / ٥٤)

والخزانة (٤ / ٦٧) وشواهد العيني (٢ / ٢٥٤) وشرح التصريح (١ / ٢٢٥).

(٨٧) انظر في: تلخيص الشواهد (ص ٤١٣)، وخزانة الأدب (٤ / ٦٧) وشرح التصريح (١ / ٢٤٣) وشرح شواهد

الإيضاح (ص ٢٠٧)، والدرر اللوامع (٢ / ٤٧٤)، وأمالى ابن الحاجب (١ / ٤١٩).

(٨٨) ابن عقيل (٢ / ٩).

(٨٩) ابن عقيل (٢ / ١٠) طبعة دار الطلائع

أَلَا ارْعَوَاءَ لِمَن وَلَّتْ شَيْبَتُهُ وَأَذْنَتْ بِمَشْيِبِ بَعْدَهُ هَرَمٌ^(٩٠)

قال الشيخ محمد محيي الدين معلقاً على البيت: "هذا البيت لم ينسبه أحد من
استشهد به إلى قائل^(٩١)"

واستشهدوا للاستفهام عن النفي بقوله:

أَلَا اصْطَبَارَ لِسَلَمَى أَمْ لَهَا جَلْدٌ إِذَا أُلَاقِيَ الَّذِي لَاقَاهُ أَمْثَالِي^(٩٢)

قال الشيخ محمد محيي الدين: "والبيت نسب لمجنون بني عامر قيس بن الملوح"
وقد عد الدكتور محمد عيد كل ما نسب لمجنون بني عامر في قسم الشواهد الموضوعة،
قال: "ومن الشعراء الذين شك في وجودهم مجنون بني عامر، فقد جاء عن الأصمعي
قوله: رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا باسم مجنون بني عامر وابن القرية فإنهما
وضعهما الرواة، وجاء عن ابن الأعرابي أنه ذكر جماعة من بني عامر أنهم سئلوا عن
المجنون فلم يعرفوه، وذكروا أن هذا الشعر كله مؤلف عليه^(٩٣)"

ومن احتجاجهم للاستفهام الدال على التمني قوله:

أَلَا عُمَرُ وَلَّى مُسْتَطَاعٌ رُجُوعُهُ فَيَرَأُبُ مَا أَثَّاتَ يَدُ الْغَفَلَاتِ^(٩٤)

فهذه ثلاث قواعد أجزت بثلاثة شواهد كل شاهد منها مفرد لا يمثل الكثرة ولا
نظيره ولا قائل له معروف.

(٩٠) انظر: شواهد العيني (٣٦٠ / ٢) وشرح التصريح (٢٥٤/١) وجمع الهوامع (١٤٧ / ١) اللوامع (١ / ١٢٨)
شرح الأشموني (٢ / ١٤٠).

(٩١) ابن عقيل (٢ / ١٠).

(٩٢) انظر المغني (١٥، ٦٩)، وشرح شواهد (١٥، ٧٧) وشرح شواهد العيني (٢ / ٣٥٨) وجمع الهوامع (١ / ١٤٧)
والدرر اللوامع (١ / ١٢٨).

(٩٣) الاستشهاد والاحتجاج باللغة (ص ١٧٠)، الناشر عالم الكتب الطبعة (٣)

(٩٤) انظر جمع الهوامع ١: ٢٠٢ والدرر اللوامع (١ / ١٧١)، وابن عقيل (٢ / ١٠) وأوضح المسالك (٢ / ١).

عاشراً: في باب ظن احتج النحاة لأفعال جعلوها من أخواتها بقول مجهول فرد

لم يجعلوا له نظيراً، ومن ذلك شاهد الفعل درى، وهو قوله:

دُرِيتَ الْوَفِيِّ الْعَهْدِ يَا عُرُو فَاعْتَبِطُ فَإِنَّ اغْتِبَاطًا بِالْوَفَاءِ حَمِيدٌ^(٩٥)

قال الشيخ محمد محيي الدين: "وهذا الشاهد لم ينسبوه لقائل معين^(٩٦)"، ومن

ذلك الفعل حجا، فقد احتجوا بقوله:

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ حَتَّى أَلَمْتُ بِنَا يَوْمًا مُلِمَّاتٍ^(٩٧)

قال الشيخ محمد محيي الدين: "وهذا البيت نسبته ابن هشام إلى تميم بن مقبل،

ونسبه صاحب المحكم إلى أبي شنبل الأعرابي^(٩٨)". أقول: البيت لا يحتج به لتعدد

قائله، كما أنه لا يعد حجة لتفرده وعدم النظير، فلا يمثل لغة العرب المشترك لها

الكثرة والشيوع، وقد نقل العيني أنه لم ينقل أحد من النحاة أن حجا يحجو ينصب

مفعولين غير ابن مالك^(٩٩)

الحادي عشر: الجر بخلا وعدا. ذكر ابن عقيل الجر بخلا وعدا فقال: "ولم يحفظ

سيبويه الجر بهما، وإنما حكاها الأَخفش، فمن الجر بخلا قوله:

(٩٥) انظره في: الدرر اللوامع (١ / ١٣٢)، وشرح الأشموني (٢ / ٢٣)، و شذور الذهب (٣٦٠)، وشواهد

العيني (٢ / ٣٧٣)، وشرح التصريح (١ / ٢٤٧) وجمع الموامع (١ / ١٤٩)، وأوضح المسالك (٢ / ٣٥).

(٩٦) ابن عقيل (٢ / ١٤)

(٩٧) انظره في شذور الذهب (٣٥٧)، وشواهد العيني (٢ / ٣٧٦) وشرح التصريح (١ / ٢٤٧)، والدرر اللوامع

(١ / ١٣٠)

(٩٨) أوضح المسالك (٢ / ٣٣).

(٩٩) شواهد العيني (٢ / ٣٧٦)

خَلَا اللَّهُ لَا أَرْجُو سِوَاكَ، وَإِنَّمَا أَعُدُّ عِيَالِي شُعْبَةً مِنْ عِيَالِكَ^(١٠٠)

قال الشيخ محمد محيي الدين: "البيت من الشواهد التي لم يعينوا قائلها، ولم أقف له على سابق ولا لاحق^(١٠١)"، واحتجوا للجبر بعدا بقوله:

تَرَكْنَا فِي الْحَضِيضِ بَنَاتٍ عُوجٍ عَوَاكِفَ قَدْ خَضَعْنَ إِلَى النُّسُورِ
أَبَحْنَا حَيْهَمُ قَتْلًا وَأَسْرًا عَدَا الشَّمْطَاءِ وَالطُّفْلِ الصَّغِيرِ^(١٠٢)

قال الشيخ محمد محيي الدين: "والبيتان من الشواهد التي لم نقف على نسبتها لقائل معين^(١٠٣)"، فخلا وعدا جرتا اسمين في شاهدين مجهولين لا نظير لهما، والجر بهما من قواعد النحو المدرسة الراسخة في بابها ولا كثرة ولا شيوع.

الثاني عشر: في باب إعمال المصدر احتج النحاة للمصدر العامل عمل فعله معرفاً بأل بيت فرد لا يمثل الكثرة المشروطة في قول مالك بن زغبة:

لَقَدْ عَلِمْتُ أُولَى الْمُغْيِرَةِ أَنِّي كَرَرْتُ فَلَمْ أَنْكِلْ عَنِ الضَّرْبِ مَسْمَعًا^(١٠٤)

فالشاهد وحيد في باب، إذ إنه ليس له نظير موثق في كتب النحاة، فقد أتبعه النحاة بشاهدين مجهولين لا يصح الاحتجاج بهما.

(١٠٠) انظر الشاهد في خزانة الأدب (٣ / ٣١٤)، شرح شواهد العيني (٣ / ١٣٧)، شرح التصريح (١ / ٣٦٣)، همع الهوامع (١ / ٢٢٦، ٢٣٢)، والدرر اللوامع (١ / ١٩٣ و ١٩٧)، وشرح الأشموني (٢ / ١٦٣)، وحاشية ياسين (١ / ٣٥٥).

(١٠١) ابن عقيل (٢ / ١٠٤)

(١٠٢) شواهد العيني (٣ / ١٢٣)، وشرح التصريح (١ / ٣٦٣)، وهمع الهوامع (١ / ٢٣٢)، والدرر اللوامع (١ / ١٩٧) وشرح الأشموني (٢ / ١٦٣)

(١٠٣) شرح ابن عقيل (٢ / ١٧٥) دار التراث ١٤٠٠ \ ١٩٨٠

(١٠٤) البيت في سيبويه (١ / ٩٩) والمقتضب (١ / ١٤) وشرح المفصل (٦ / ٩)، والخزانة (٣ / ٤٣٩).

النمط الثاني: بناء قواعد على شواهد مصنوعة

مما يخالف الضوابط بل يخرج عليها كلية، وينسف دعوى بناء ما يجب ويجوز في قواعد النحو على ضابط الكثرة والشيوع بناء النحاة عددا من القواعد على شواهد مصنوعة، حكم بصنعتها ثقات بدليل لا يقبل الشك أو الطعن، ومن ذلك:

(أ) أقام سيبويه قاعدة مفادها: جواز مجيء اسم إن نكرة وخبرها نكرة مثله، محتجا بما نسبته إلى امرئ القيس من قوله:

وَإِنَّ شِفَاءَ عَبْرَةٍ مِهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ^(١٠٥)

والشاهد على هذه الرواية في نصب (شفاء) اسما لـ (إن) مع أنها نكرة. وهذه الرواية مما لم يثبتها إلا سيبويه، وقد علق البغدادي على الرواية قائلا: "والرواية المشهورة في البيت" وإن شفائي "بالإضافة على ياء المتكلم، وهذا هو المشهور المعروف، والبيت من أول معلقة امرئ القيس، ولم يذكر شراحها تلك الرواية، إلا أن الخطيب التبريزي قال: روى سيبويه هذا البيت وإن شفاءً عبْرَةً، واحتج بأن النكرة يخبر بها عن نكرة".^(١٠٦) وقد علق الدكتور عبد العال سالم مكرم على البيت متهما سيبويه بوضعه قائلا: "واضح من هذا النص أن سيبويه وحده هو الذي ذكر الرواية، وواضح أيضا أن هذه الرواية صنعها سيبويه وغير الرواية المشهورة من أجل هذه القضية".^(١٠٧)..

ب) في قضية تعليق أفعال القلوب عن العمل بلام القسم، استدل سيبويه ببيت من معلقة ليبد جاء على النحو الآتي:

(١٠٥) انظر سيبويه (١ / ٢٨٤)

(١٠٦) الحزانة (١ / ٦١) تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للنشر

(١٠٧) شواهد سيبويه من المعلقات عبد العال سالم مكرم (ص ٧٣) مؤسسة الرسالة الطبعة (١) ١٤٠٧

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا^(١٠٨)

والإمام عبد القاهر البغدادي يذكر بعد عرض البيت: " والبيت نسبه سيبويه في كتابه للبيد، والموجود في ديوانه إنما هو المصراع الثاني وصدرة (صادفن منها غرة فأصبتها) " وذكر أنه طالع ديوان لبيد وبحث عن هذا الشطر في موضع آخر من الديوان غير المعلقة فلم يجده، ثم قال ولا يوجد للبيد في ديوانه شعر على هذا الروي غير المعلقة^(١٠٩) " قال الدكتور عبد العال سالم مكرم معلقا على ذات البيت بعد نقله كلام البغدادي: " وهذه القضية التي أثارها البيت المنسوب للبيد قضية فيها نظر... فلو تحرى في النقل، ودقق في الرواية وجرّد كتابه من هذا البيت اللقيط لأراح النحاة من هذه المعارك.^(١١٠) ..

ج) قضية إضممار اسم أن المخففة.

احتج سيبويه والنحويون لذلك بقوله:

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ^(١١١)

وقد ذكر الدكتور عبد العال سالم مكرم هذا البيت مثبتا صنعته قائلا: " ورجعت إلى كتاب خزانة الأدب... فرأيت الرجل بصيرا بهذا الشاهد لأنه أثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الشطر الثاني منه مصنوع، صنعه النحويون من أجل إثبات هذه القاعدة... وبهذا الاستشهاد تسقط قضية سيبويه التي ذكرها مبينا أن المخففة يليها

(١٠٨) انظر سيبويه ١: ٤٥٦

(١٠٩) الخزانة (٤ / ١٤ و ١٥)

(١١٠) شواهد سيبويه (ص ٧٧)

(١١١) انظر سيبويه (١ / ٢٨٢).

الاسم مرفوعا بعد حذف الضمير، وبعد هذا النقد البناء يسقط الاستدلال به مع أنه فرض نفسه على كتب النحويين^(١١٢)

(د) في قضية إعمال فعل عمل فعله، احتج النحاة بقول اللاحقي:

حَذَرَ أُمُورًا لَا تَضِيرُ وَأَمِنَ مَا لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ^(١١٣)

قال السيوطي: "قال أبو العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري في شرح شواهد الجمل: أخبر غير واحد من أصحابنا عن أبي محمد بن السيد البطليوسي، عن أخيه أبي عبد الله الحجازي عن أبي عمرو الطلمتكي عن أبي بكر الأدفوي، عن أبي جعفر النحاس، عن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرد، قال: سمعت اللاحقي يقول: سألتني سيبويه هل تحفظ للعرب شاهدا على إعمال فعل؟ فوضعت له هذا البيت^(١١٤) "قال المبرد: "وهذا بيت موضوع محدث^(١١٥)" قال السيرافي: "هذا بيت لا يصح عن العرب^(١١٦)"

هـ) وما احتج به ووسم بالصنعة قوله:

هم القائلونَ الخيرَ والآمرونَه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما

ولم يرتفقْ والنَّاسُ محتضرونه جميعا وأيدي المُعْتَفِينَ رَوَاهُ^(١١٧)

شاهد البيتين اتصال الضمير بنون جمع المذكر السالم، والأصل حذف هذه النون بعد اتصال الضمير.

(١١٢) شواهد سيبويه (ص ٨٢)

(١١٣) المزهري (١ / ١٨٠)، وشرح أبيات سيبويه، لابن السيرافي (١ / ٢٧٠)، وخزانة الأدب (٣ / ٤٥٧).

١١٤ انظر المزهري (١ / ١٨٠).

١١٥ المقتضب (٢ / ١٧٠)

١١٦ كتاب سيبويه (١ / ٩٦)

١١٧ الكامل للمبرد (١ / ٣٦٤)

قال المبرد: " وهذا لا يجوز في الكلام ، لأنه إذا نون الاسم لم يتصل به الضمير ، لأن المضمير لا يقوم بنفسه ، فإنما يقع معاقبا للتونين ، نقول هذا ضارب زيدا غدا... وقد روى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المفتشين يجيز مثل هذا الضرورة ^(١٨) "

النمط الثالث: منع قواعد تحقق فيها الكثرة والشيوع

وهو أمر مثير في تلك القضية التي أتحدث فيها (الكثرة والشيوع) ، ذلك الضابط الذي وضعه النحاة ، جاعلين وجوده شرطا للإجازة ، ومنعه سببا للمنع وعدم الجواز ، وعلى الرغم من كثرة دوران هذا الضابط على ألسنتهم وكثرة استنادهم عليهم في رد إجازات المخالفين وجدنا في القضايا المتقدمة ما يناقض ذلك الشرط ، ووجدنا النحاة يجمعون على بناء قواعد مجازة ومدرسة ومشهورة لا يتحقق فيها هذا الضابط ، سواء في ذلك بنائهم القواعد على أمثلة مصنوعة لا تمت للشواهد بصلة ، أو بنائهم القواعد على شواهد لا يتحقق فيها ضابط الكثرة والشيوع لمخالفتها أصولهم وضوابطهم وشرائطهم في الشاهد الذي يكون حجة في بناء قواعدهم ، أو ببناء قواعد وسمت بالصنعة والوضع .

والذي أريد أن أتحدث عنه هنا شيء من العجب يشخص تناقض المنهج النحوي في تعامله مع النصوص وما ينتج عنها من إجازة ومنع ، إذ إن النحاة الذين بنوا قواعدهم على تلك الشواهد السابقة التي لا تحقق كثرة ولا شيوعا ردوا قواعد كثيرة تحقق فيها الكثرة والشيوع بمقاييسهم لا لشيء إلا لأنها خالفت ما توصلوا إليه بل ما تمذهبوا به من الآراء ، وسوف أدلل على ذلك بثلاث قضايا - غير عامد للحصر - توضح ما أردت توضيحه في شأن النحاة .

(أ) العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض :

ذهب جمهور البصريين إلى أن العطف على الضمير المسبوق بحرف جر لا يجوز إلا بإعادة حرف الجر مع المعطوف كقولنا: زيد مررت به وبعمرو، فإن قلنا "مررت بزيد وعمرو" كان الأسلوب عند الجمهور مما لا تصح ولا يجوز، وعليه جاءت قراءة سورة النساء: "فاتقوا الله الذي تسألون به والأرحام"^(١١٩) بجر الأرحام في قراءة الإمام حمزة الزيات.

فأنكر هذه القراءة وحرّم القراءة بها المبرد، حيث قال: "لو صليت خلف إمام يقرأ بالكسر لحملت نعلي ومضيت"^(١٢٠) وضعّفها الزمخشري بقوله: "والجر على عطف الظاهر على المضمّر ليس بسديد، لأن الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد، فكانا في قولك: مررت به وزيد، وهذا غلامه وزيد، شديدي الاتصال، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة، فلم يجز. ووجب تكرار العامل، كقولك: مررت به وبزيد"^(١٢١) وخطأها الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، قال: "فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطراب شعر. وخطأ أيضا في أمر الدين العظيم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحلفوا، بأبائكم) فكيف يكون تتسألون به وبالرحم على ذا"^(١٢٢)

وقد بنى المانعون رأيهم على نظر عقلي مفاده ما صرح به ابن مالك قال: "وللموجبين إعادة الجار والمجرور حجتان: إحداهما: أن ضمير الجار شبيه التنوين ومعاقب له، فلا يعطف عليه كما لا يعطف على التنوين

(١١٩) الحجة في القراءات العشر لابن خالويه (ص ٩٢).

(١٢٠) الكشف لجار الله الزمخشري (١ / ٤٩٣).

(١٢١) معاني القرآن وإعرابه ج ٢ ص ٦.

١٢٢ شرح التسهيل (٣ / ٣٧٥)

والثانية: أن حق المعطوف و المعطوف عليه أن يصلحاً لحلولى كل واحد منهما محل الآخر، وضمير الجر غير صالح لحلولى محل ما يعطف عليه إلا مع إعادة الجار..." ثم قال ابن مالك وفي الحجتين من الضعف ما لا يخفى^(١٢٣) وعلى الرغم مما رد به ابن مالك من حجج منطقية تماثل ما رد به النحاة القاعدة، إلا أن هذا الذي نصت القواعد المسبقة على خطئه، وعدم عربيته، وقبح استعماله لغة، هو نفسه الذي أجازته اللغة في نصوصها العليا، فعطف على الضمير المسبوق بحرف جر بدون إعادة حرف الجر الداخل على الضمير، ومن ذلك قوله تعالى: "... فصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام"^(١٢٤) فعطف المسجد في الآية الأولى على الهاء في به دون إعادة الخافض، كما عطف الأرحام على الهاء في به. ومثل الآية والقراءة ما أخرجه البخاري في صحيحه بباب (الإجارة إلى العصر) من قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما مثلكم واليهود والنصارى"^(١٢٥)

ولا ريب أن النص القرآني يكفي في التدليل على إبطال ما ادعاه جمهور النحاة من منع هذا النوع من العطف، إلا أننا نلفت النظر لما ورد من النصوص الشعرية التي تنتمي لعصر الاحتجاج، والتي بلغت كثرة لا يملك معها من عرف أصول الاحتجاج إلا أن يقر بها، ويسلم لها جواز ما منعه جمهرة النحويين بالنظر العقلي، ومن ذلك ما يأتي:

فاليوم قربت تهجونا وتشتبنا فاذهب فما بك والأيام من عجب^(١٢٦)

وقوله:

١٢٣ سورة البقرة (آية ٢١٧)

١٢٤ سورة النساء آية في قراءة ابن عباس والحسن وابن رزبن ومجاهد وقتادة والنخعي والأعمش انظر في القراءة

١٢٥ البيت من البسيط وهو مجهول القائل، انظر سيبويه (٢ / ٣٨٣)، وشرح المفصل لابن يعيش (٣ / ٧٨)

(١٢٦) من الرجز، مجهول القائل سيبويه (٢ / ٣٨٢)

أَبَكَ آيَةَ بِيْ أَوْ مُصَدِّرٍ مِنْ حُمْرِ الْجِلَّةِ جَأْبٍ حَشَوْرٍ^(١٢٧)

وقوله :

تُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفُنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَائِفُ^(١٢٨)

وقوله :

هَلَّا سَأَلْتَ يَذِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ وَأَبِي نُعَيْمٍ ذِي اللِّوَاءِ الْمُحَرِّقِ^(١٢٩)

ومنه أيضا :

بَنَّا أَبَدًا لَا غَيْرِنَا تُدْرِكُ الْمُنَى وَتَكْشِفُ غَمَاءُ الْخُطُوبِ الْفَوَاحِ^(١٣٠)

ومنه أيضا :

لَوْ كَانَ لِي وَزَهِيرٌ ثَالِثٌ وَرَدَّتْ مِنَ الْحَمَامِ عِدَانَا شَرَّ مَوْرُودٍ^(١٣١)

ولعل هذا ما دفع الكوفيين إلى عدم اشتراط هذا الشرط المسبق ميلا إلى جانب الاستعمال اللغوي أكثر من القياس الذي اعتمد عليه غيرهم.

والباحث يتساءل مندهشا : كيف يجوز النحاة عمل ليت المتصلة بها ما الكافة بشاهد وحيد لا يسلم من طعن ، ثم يرفضون إجازة العطف على الضمير بدون إعادة الجار وقد ورد فيه عديد الشواهد العربية الموثقة المنوعة : قرآنا وحديثا وشعرا !
(ب) تقديم الفاعل الملتبس بضمير المفعول.

(١٢٧) البيت من الطويل وهو لمسكين الدرامي، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٢) وشواهد العيني (٤ / ١٦٤)

(١٢٨) البيت من الوافر، البيت لمسكين الدرامي في ديوانه ص ٥٣ " ؛ والمقاصد النحوية ٤ / ١٦٤ ؛ وبلا نسبة في شرح عمدة الحفاظ ص ٦٦٣ ؛ وشرح المفصل ٣ / ٧٩ ؛ ولسان العرب ٧ / ٣٦٥ " غوط".

(١٢٩) البيت من الطويل، شواهد الإيضاح (ص ٥٦ رقم ٧١) وشواهد العيني (٤ / ١٦٦).

(١٣٠) البيت من البسيط، المراجع السابقة

(١٣١) شرح الأشموني (٢ / ٨٣ و ٨٤).

حكم النحاة على هذه المسألة حكما مسبقا مفاده أن تقدم المفعول في هذه الحالة شاذ أو ضرورة، وقد أوجز ابن مالك ذلك الحكم بقوله:

وَشَاعَ نَحْوُ خَافَ رَبَّهُ عُمَرُ وَشَذَّ نَحْوُ زَانَ نُورُهُ الشَّجَرُ

قال الأشموني شارحا: "وشذ في كلامهم تقديم الفاعل الملتبس بضمير المفعول عليه نحو زان نوره الشجر لما فيه من عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة... والنحويون إلا أبا الفتح يحكمون بمنع هذا... وتأول المانعون بعض هذه الأبيات على خلاف ظاهرها" (١٣٢) وعلق الصبان في حاشيته بما يفيد منع الجمهور هذه المسألة، وكذا ذكر العيني في شرح شواهد (١٣٣).

وعلق ابن الناظم على بيت أبيه بما يفيد المنع فقال: "فلو كان الفاعل ملتبسا بضمير وجب عند أكثر النحويين تأخيرهم عن المفعول به... لأنه لو تأخر المفعول عاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة... والحق أن ذلك جائز في الضرورة لا غير" (١٣٤)

وان كان ابن مالك حكم في الخلاصة بالشذوذ، فقد حكم في الكافية بالقلة فقال: وقل "زان نوره الشجر" وحكم في شرح الكافية بعدم الحسن، قال: "ولم يحسن تقديم الفاعل متصلا به ضمير عائد إلى المفعول نحو: زان نوره الشجر" (١٣٥)

فالكلمة تكاد تتفق على رد النص وعدم اعتباره حكما على القواعد المصطنعة، وقد أسرف بعضهم في رد النصوص بالمنطق العقلي دون النص على ما يبرر به الرضي عبارة ابن الحاجب في الكافية "وامتنع ضرب غلامه زيدا" فقال: "إنما لم يجر ضرب غلامه زيدا، لأن غلامه فاعل، واصل الفاعل أن يلي الفعل، فهو مقدم على

(١٣٢) المرجع السابق

(١٣٣) شرح ابن الناظم (ص ١٦٥) و شرح ابن عقيل (١ / ٢٧٤).

(١٣٤) شرح الكافية الشافية (٢ / ٥٨٣)

(١٣٥) شرح الكافية للرضي (٢ / ١٧٨)

زيد لفظاً واصلاً فيكون الضمير قبل الذكر، ولا يجوز ذكر ضمير مفسره إلا في ضمير الشأن^(١٣٦)

غير أنه من يطالع كتب المسائل يدرك أن هذا الحكم يخالف الكثير الوارد في هذه المسألة وروداً ينفي عنها وصف الشذوذ.

لَمَّا رَأَى طَالِبُوهُ مُصْعَبًا دُعِرُوا وَكَادَ لَوْ سَاعَدَ الْمُقْدُورُ يَنْتَصِرُ^(١٣٧)

فقد أخرج في قوله "طالبوه مصعباً" المفعول به عن الفاعل مع أن في الفاعل ضميراً يعود على المفعول المتأخر لفظاً ورتبة

ومثله قول حسان:

وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمًا^(١٣٨)

فأخر المفعول "الدهر" عن الفاعل "مجده" مع اشتغال الفاعل على ضمير يعود المفعول به المتأخر لفظاً ورتبة

ومنه قول سليط بن سعد:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانَ عَنْ كِبَرٍ وَحُسْنٍ فَعَلٍ كَمَا يُجْزَى سِنَمَارًا^(١٣٩)

ففي الفاعل بنوه ضمير يعود على المفعول به أبا الغيلان وهو متأخر عنه لفظاً ورتبة.

ومثله قوله:

كَسَا حِلْمُهُ ذَا الْحِلْمِ أَثْوَابَ سُودَدٍ وَرَقِّي نَدَاهُ ذَا النَّدَى فِي ذُرَى الْمَجْدِ^(١٤٠)

(١٣٦) البيت من البسيط. شواهد العيني (٢ / ٥٠١) وشرح التسهيل (١ / ١٦١)

(١٣٧) البيت من الطويل، وقائله حسان بن ثابت، ديوان حسان (ص ٣٩٨) وشواهد العيني (٢ / ٤٩٧).

(١٣٨) البيت من البسيط، وقائله سليط بن سعد. أمالي بن الشجري (١ / ١٠١) والدرر اللوامع (١ / ١١٥).

(١٣٩) البيت من الطويل. قائله مجهول، تلخيص الشواهد (ص ٤٩٠) وتذكرة النحاة (٤ / ٣٦).

(١٤٠) البيت من البسيط، ونسب لأحد أصحاب مصعب، المراجع السابقة.

ومثله قوله :

لَمَّا عَصَى أَصْحَابُهُ مُضْعَبًا أَدَّى إِلَيْهِ الْكَيْلَ صَاعًا بِصَاعٍ^(١٤١)

ومثله قوله :

فقدم الفاعل في كل ما مضى على المفعول به مع اشتماله على ضمير عائد على المفعول المتأخر لفظاً ورتبة.

ولكثرة شوهة المسألة وشيوعها على ألسنة العرب الفصحاء نستطيع أن نحكم بجواز المسألة في السعة بلا شذوذ ولا ضعف ولا قلة ، ونستطيع أن نقول مع محقق شروح الألفية الشيخ / محمد محيي الدين : "... ونرى أن الإنصاف وإتباع الدليل يوجبان علينا أن نوافق هؤلاء الأئمة على ما ذهبوا إليه وإن كان الجمهور على خلافه ، لأن التمسك بالتعليل مع وجود النص على خلافة مما لا يجوز ، وأحكام العربية يقضي فيها على وفق ما ورد عن أهلها " (١٤٢)

وهذه العبارة الأخيرة ذهبية في بابها لو أجريناها على قضايا الخلاف جميعاً لتغيرت كثرة من الأحكام الشائعة في الدراسات النحوية ، وعليه نقول بجواز المسألة دون الحكم المسبق.

ج) اشتراط استكمال الخبر لجواز العطف على اسم إن بالرفع.

منع جمهور البصريين العطف على اسم إن بالرفع قبل استكمال الخبر متجاوزين النصوص الواردة في جواز ذلك متمسكين بنظر عقلي مفاده ما عبر عنه ابن الأنباري بقوله : " وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن ذلك لا يجوز أنك إذا قلت إنك وزيد قائمان وجب أن يكون زيد وتكون إن عاملة في خبر الكاف وقد

(١٤١) البيت من الطويل، وقائله أبو جندب الهذلي، ديوان أبي جندب (٢٨٩)، وخزانة الأدب (١ / ١٤١).

(١٤٢) أوضح المسالك

اجتمعا في لفظ واحد وذلك محال فلو قلنا إنه يجوز فيه العطف قبل تمام الخبر لأدى ذلك إلى أن يعمل في اسم واحد عاملان، وذلك محال^(١٤٣)

وعقب ابن الناظم على بيت أبيه :

وَجَائِزٌ رَفْعُكَ مَعْطُوفًا عَلَى مَنْصُوبٍ إِنَّ بَعْدَ أَنْ تَسْتَكْمِلَا

قائلا: "ولا يجوز أن يكون معطوفا على محل إن مع اسمها من الرفع بالابتداء، لأنه يلزم منه تعدد العامل في الخبر، إذ الرفع للخبر في هذا الباب هو الناسخ للابتداء، وفي باب المبتدأ هو المبتدأ، فلو جيء بخبر واحد لاسم إن ومبتدأ معطوف عليه لكان عامله متعددا، وانه ممتنع، ولهذا لا يجوز رفع المعطوف قبل الخبر...."^(١٤٤)

ولا ريب أن هذه الشرط الذي اشترطه الجمهور خالف نصوصا عدة موثقة السند واضحة المتن تجيز القاعدة دون شرط الاستكمال الذي فُرضَ على النص، ومن ذلك قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّائِغِينَ^(١٤٥)، وقوله تعالى في قراءة: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ^(١٤٦) برفع "ملائكته" عطفاً على "إن الله" ومن ذلك قول ضائبى بن الحارث البرجمي:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ^(١٤٧)

فعطف "قيار" بالرفع على اسم إن قبل استكمال خبرها، ولصراحة هذا الشاهد وقوة دلالة على جواز القاعدة، رد الشيخ محمد محي الدين تأويلات المؤولين فيه فقال: "ففي بيت الشاهد يتعين أن يكون المذكور هو خبر إن والمحذوف هو خبر

(١٤٣) الإنصاف (١ / ١٥٨).

(١٤٤) شرح ابن الناظم (ص ١٢٦)

(١٤٥) سورة المائدة (آية ٩٣).

(١٤٦) القراءة (إن الله وملائكته... برفع ملائكته لأبي عمرو وابن عباس انظر البحر المحيط (٧ / ٢٨٤).

(١٤٧) البيت من الطويل وقائله ضائبى بن الحارث البرجمي الكتاب (١ / ٣٨) والجمع (٢ / ١٤٤)

المبتدأ ؛ لأن هذا الخبر المذكور مقترن ، وخبر المبتدأ لا يقترب باللام إلا قليلا ، والحمل على الشاذ - ما أمكن غيره - لا يجوز ، والذهاب إلى أن اللام زائدة لا لام ابتداء مما لا داعي إليه " (١٤٨) .

ومثل ما مضى من الشواهد قول بشر بن أبي خازم :
وَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ بُعَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقٍ^(١٤٩)
والشاهد عطف أنتم على إنا أي على الضمير الواقع اسماً لأن.

ومنه أيضا قول القائل :
يَا لَيْتَنِي وَأَنْتِ يَا لَمِيسُ فِي بَلَدَةٍ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسُ^(١٥٠)
والشاهد فيه " وأنت " بكسر التاء - فإنه ضمير رفع على ما هو معلوم ، وقد رأى الفراء أنه معطوف على اسم " ليت " المنصوب محلا وهو يا المتكلم ، وقد سوى الفراء بهذا بين إن وأخواتها في جواز العطف عليها دون استكمال الخبر.
ورغم هذه الأدلة والشواهد الثابتة ، فإن النحاة عامة ونحاة البصرة خاصة ذهبوا إلى تأويل هذا نصرة للقواعد المسبقة دون النصوص ، بل ذهب سيبويه بعيدا في قوله : " واعلم إن ناسا من العرب يغلطون فيقولون إنهم أجمعون ذاهبون وانك وزيد ذاهبان " وهو حكم صريح على الفصحاء بالخطأ ، ثم ذهب إلى تأويل القراءة القرآنية

(١٤٨) هامش أوضح المسالك (١ / ٣٢١)

(١٤٩) البيت من الوافر وقائله بشر بن خازم ، في ديوانه (١ / ١٩٠) شرح المفصل (٨ / ٦٩) والخزانة (٤ / ٣١٥) .

(١٥٠) البيت من الرجز وقائله عامر بن الحارث النميري في ديوانه (ص ٥٢) وفي شرح التصريح لرؤبة (١ / ٥٢) وفي الهمع (٢ / ١٤٤) .

تأويلا بعيدا متكلفا، فقال: "ولك أن تحمل هذا النحو على التقديم والتأخير بل على أن ما بعد المعطوف خبر له دل على خبر المعطوف عليه" (١٥١)

وفسر ابن مالك تأويل سيويه فقال: "وحمل سيويه ما أوهم العطف قبل التمام على التقديم والتأخير، فالتقدير عنده... إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك" (١٥٢) وقد تمسك الكسائي بما سبق معرضا عن التأويل المتكلف وأيده الفراء في اسم إن المبني. وللاستاذ عباس حسن تعقيب رصين على هذه القضية إذ قال: "ولا اعتداد برأي من يرفض الرفع في هذه الصورة" (١٥٣)

ولا ريب أن القاعدة التي قررها الجمهور وانتصروا لها تخالف منهجيته الاستدلال والاحتجاج

الخاتمة والنتيجة

حاولت في فقرات هذا البحث أن أتناول جزئية هامة من كليات نحونا العربي، هذه الجزئية هي ضابط الكثرة والشيوع التي جعل النحاة وجوده شرطا للجواز والقياس وعدمه سببا في الرد والحكم بالشذوذ أو الضعف، فحاولت تتبع إجراء هذا الضابط في عمل النحاة، فتبين لي أن خلافا أصاب تطبيق هذا الضابط حال تطبيقه، وأن النحاة لم يلزموا أنفسهم به في جميع عملهم، وإن تشددوا في تطبيقه حال الخلاف ورد حجج المخالفين من النحاة، آية ذلك ما دلت عليه في هذا البحث، إذ وجدت النحاة يبنون قواعد كثيرة على غير هذا الضابط، تمثل ذلك في بناء النحاة قواعد عدة

(١٥١) الكتاب (٢ / ١٥٥).

(١٥٢) شرح التسهيل (٢ / ٤٩ و ٥٠).

(١٥٣) النحو الوافي (١ / ٦٧٠).

على أمثلة مصنوعة دون وجود شواهد فضلا عن الكثرة أو الشيوع، ثم بناؤهم قواعد عدة على شواهد لا يصح الاحتجاج بها أصلا - كما نصت على ذلك ضوابط النحاة - مثل شواهد فردية لا نظير لها أو شواهد مطعون في صحتها بالجهالة أو التعدد أو الصنعة، ومما يزيد ذلك الأمر وضوحاً خلل تطبيق الضابط ردهم قواعد تحقق فيها ضابط الكثرة والشيوع.

وقد دلت على هذا الخلل البادي في عمل النحاة بعدد من القضايا وقع فيها الخلل دون قصد للاستقصاء، إذ الاستقصاء لا يكفيه هذا القدر الصغير من الأوراق. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ثبت المصادر والمراجع

- [١] ابن الأنباري وجهوده في النحو رسالة دكتوراه - جميل علوش ، رسالة قدمت لجامعة القديس يوسف - بيروت ١٩٧٧
- [٢] الاستشهاد والاحتجاج باللغة د. محمد عيد عالم الكتب
- [٣] الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه وأثره في تاريخ النحو، أمان الدين حتحات ، دار الرفاعي للنشر و دار القلم العربي
- [٤] الاقتراح في علم أصول النحو ، لجلال الدين السيوطي ، قرأه وعلق عليه الدكتور محمود سليمان ياقوت ١٤٢٦ - ٢٠٠٦ ، دار المعرفة الجامعية
- [٥] ارتشاف الضرب : لأبي حيان الأندلسي. تحقيق. د. رجب محمد عثمان ، وراجعه الدكتور رمضان عبد التواب الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٨ م
- [٦] الإغراب في جدل الإغراب ولمع الأدلة كمال الدين بن الأنباري قدم لها وعني بتحقيقها سعيد الأفغاني ، مطابع الجامعة السورية ١٩٥٧
- [٧] إنباء الرواة عن أنباء النحاة لأبي الحسن علي بن يوسف - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط(١) ١٤٠٦ - ١٩٨٦
- [٨] الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية - صيدا ، بيروت
- [٩] أسس الترجيح في كتب الخلاف فاطمة محمد طاهر ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه جامعة أم القرى
- [١٠] أصول التفكير النحوي د. علي أبو المكارم (بيروت ١٩٧٣)

- [١١] أمالي ابن الشجري - هبة الله بن علي الشجري - حيدر آباد ١٣٤٩
- [١٢] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة العصرية، بيروت.
- [١٣] البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر. عالم الكتب، الطبعة الثامنة ٢٠٠٣
- [١٤] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي مطبعة السعادة القاهرة الطبعة الأولى ١٣٢٨
- [١٥] تذكرة النحاة لأبي حيان حققه عفيف عبد الرحمن مؤسسة الرسالة ط (١) ١٩٨٦-١٤٠٦
- [١٦] التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان تحقيق الدكتور حسن هنداووي الطبعة الأولى دات دار القلم دمشق.
- [١٧] تلخيص الشواهد وتلخيص الفوائد لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري تحقيق الدكتور عباس مصطفى الصالحي دار الكتاب العربي ط ١ ١٩٨٦-١٤٠٦.
- [١٨] الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م
- [١٩] حاشية ياسين الحمصي على التصريح: مطبوع بهامش التصريح لخالد الأزهري طبعة دار الفكر بيروت بدون تاريخ
- [٢٠] الحيوان لأبي عثمان الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون: الناشر مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٤ - ١٩٦٥ الطبعة الثانية

- [٢١] لخصائص أبو الفتح عثمان بن جني - دار الكتب المصرية ١٩٥٢ - ١٩٥٣
- [٢٢] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القاهر البغدادي طبعة بولاق ١٢٩٩، الطبعة الأولى
- [٢٣] الدرر اللوامع على همع الهوامع لأحمد بن الأمين الشنقيطي ط ٢ دار المعرفة بيروت ١٩٧٣
- [٢٤] ديوان حسان ثابت الأنصاري تحقيق الدكتور وليد عرفات دار صادر - بيروت ١٩٧٤.
- [٢٥] شرح أبيات سيويه لأبي سعيد السيرافي، تحقيق محمد علي الريح هاشم مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر بالقاهرة.
- [٢٦] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه منحة الجليل تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الطلائع د.ت.
- [٢٧] شرح ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين تحقيق محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية ١٤٢٠ - ٢٠٠٠.
- [٢٨] شرح الأشموني على ألفية ابن مالك تحقيق \ طه عبد الرؤوف سعد المكتبة الوقفية د.ت.
- [٢٩] شرح التسهيل لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجباني الأندلسي تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد و الدكتور محمد بدوي المختون. هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٠
- [٣٠] شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى تحقيق محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية \ د.ت.

- [٣١] شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق: عبد المنعم احمد هريدي، دار المأمون للتراث ومركز البحث العلمي بجامعة أم القرى الطبعة الأولى ١٤٠٢ ١٩٨٢.
- [٣٢] شرح المفصل، لموافق الدين ابن يعيش الطبعة المنيرية، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ د. إميل بديع يعقوب.
- [٣٣] شفاء العليل في إيضاح التسهيل، لمحمد بت عيسى السلسلي، تحقيق د. الشريف عبد الله علي الحسيني البركاتي - دار الفضيلة بمكة المكرمة الطبعة الأولى ١٩٨٦.
- [٣٤] شواهد سيبويه من المعلقات د. عبد العال سالم مكرم مؤسسة الرسالة الطبعة (١) ١٤٠٧.
- [٣٥] شواهد العيني على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك دار إحياء الكتب العربية فيصل ألبابي الحلبي.
- [٣٦] شفاء العليل في إيضاح التسهيل، لمحمد بن عيسى السلسلي، تحقيق د. الشريف عبد الله علي الحسيني البركاتي - دار الفضيلة بمكة المكرمة الطبعة الأولى ١٩٨٦.
- [٣٧] طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ط ٢ دار المعارف
- [٣٨] القاعدة النحوية د. أحمد عبد العظيم عبد الغني دار الثقافة الجامعية - القاهرة
- [٣٩] الكامل للمبرد. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
- [٤٠] الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر تحقيق عبد السلام هارون عالم الكتب
- [٤١] الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري تصحيح مصطفى حسين أحمد، نشر دار الكاتب العربي، ١٩٨٦.
- [٤٢] المزهري في علوم اللغة وأنواعها ١١ / ٢٣٤ تحقيق محمد احمد جاد المولى (صيدا - بيروت ١٩٥٦)

[٤٣] المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ، تحقيق وتعليق د. محمد كامل بركات ، منشورات جامعة أم القرى ، دار المدني للطباعة والنشر ١٤٠٥ - ١٩٨٤ .

[٤٤] معاني القرآن للفراء عالم الكتب الطبعة الثانية ١٩٨٠ تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار .

[٤٥] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري تحقيق وشرح الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب الطبعة الأولى الكويت ١٤٢١ - ٢٠٠٠ .

[٤٦] المقتضب ، المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة وهامشها ، للنشر والتوزيع ١٤١٠ - ١٩٩٠

[٤٧] من تاريخ النحو ، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ، مكتبة الفلاح

[٤٨] النحو الوافي. تأليف الأستاذ عباس حسن الطبعة الثالثة - دار المعارف بالقاهرة د.ت

[٤٩] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للإمام جلال الدين السيوطي تح \ الدكتور عبد العال سالم مكرم - مؤسسة الرسالة ١٤١٣ - ١٩٩٢

Abundance and evidence as common in Arab Between the approach and the methodology of considering the application

Dr. Tarek Mahmoud Mohamed Mahmoud

Assistant Professor / Department of Arabic Language Hail University, Saudi Arabia

Abstract. The subject of this research study multitude officer and common in custom grammar Tnzira and application, and the consequent of the rules governing the use of the people of the language and Ntgahm very important in the grammar lesson the field, with regard to the subject of this research the issue of fundamentalism have a profound impact on the facts grammarians and built on this deed of assets, and the consequent binding rules is to use the leave or prevented.

Going on this research about the witness grammar and rooted around the controls and limits exhaustive control on the witness used in the social market what inference or protest, which represents the conviction researcher approach theoretically complete to judge what is true invoked or not true, what approved these controls and border University is acceptable witness invoked, and this violates the controls and the border is wasted payoff See what brought him to use.

The application methodology grammarians in the way they are downloading these controls and university rules on evidence used in the protest rules they draw from the words of the Arabs.

The problem is that the researcher is trying to be studied in these papers is to answer the question as long insisted on my mind in the course of the permanent Maistei books grammar and assets, the question is: Do you grammarians conducted these controls and assets on the evidence that they protested in their books, or that they are cared for endoscopically without care enough to apply it?

أثر اختلاف القراءات القرآنية في إثراء الدلالة دراسة تطبيقية لنماذج من سورتي الفاتحة والبقرة باستخدام نظرية التحليل التكويني

د. خالد محمد صابر

أستاذ مساعد بكلية الآداب جامعة طيبة

مدرس بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

ملخص البحث. يمثل هذا البحث جانباً من الدرس الدلالي في القراءات القرآنية مستفيداً من نظرية التحليل التكويني (Compositional Analysis Theory) في علم اللغة الحديث، وذلك لتحديد الملامح أو السمات الدلالية (Semantics Features) لنماذج من القراءات السبع في سورتي الفاتحة والبقرة وما ينتج عن ذلك من تنوع دلالي. وقد خلص البحث إلى أن تنوع القراءات كان لإضافة سمة دلالية لا تقوم بها قراءة واحدة، ومن أهم السمات الدلالية الانتقال من الحسي إلى المعنوي كما في (مالك وملك)، وإضفاء ملمحي التكثير والموالة كما في (يخضعون ويخادعون)، وإضفاء ملمحي العدد والهيئة كما في (أسرى وأسارى)، وبيان الصفة والهيئة كما في (ننشرها، وننشرها)، والمبالغة والتعميم ليشمل القول والفعل كما في (حَسَنَّا وَحُسْنًا). وبذلك يمكن أن تسهم نظرية التحليل التكويني في دراسة أوسع للقراءات القرآنية والخروج بنتائج مهمة في الدرس القرآني واللغوي.

مدخل

لقد كان القرآن الكريم بقراءاته محورا لكثير من الدراسات اللغوية بمستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، ويمثل هذا البحث جانبا من الدرس الدلالي في القراءات القرآنية مستفيدا من نظرية التحليل التكويني (Compositional Analysis Theory) في علم اللغة الحديث ، وذلك لتحديد الملامح أو السمات الدلالية (Semantics Features) لنماذج من القراءات السبع في سورتي الفاتحة والبقرة فيما ينتج عنها من تنوع دلالي ، وذلك للإجابة عن السؤال البحثي : كيف أثرت القراءات القرآنية في دلالة النص القرآني؟

ويسعى البحث للإجابة عن هذا التساؤل من خلال تتبع آراء المفسرين والقراء ثم الانتقال إلى المعاجم العربية ، ثم تطبيق نظرية التحليل التكويني (المكونات) على القراءات المتنوعة للموضع الواحد ؛ حيث أذكر الموضع ثم أوجه القراءة فيه وأنسب كل وجه لقارئه معتمدا في ذلك القراءات السبع المشهورة ، ثم أثني بأهم ما دار حول تفسير القراءتين عند المفسرين ، وما أورده المعاجم العربية قديمها وحديثها ، نستخلص المكونات لدلالية لكل قراءة وبناء (جدول المكونات الدلالية) ، الذي يوضح السمات الدلالية (Semantics Features) للقراءات واللامح المشتركة وما تميزت به كل قراءة ، "وبيان الإطار العام لتحليل المعنى وتشعباته" (١) والأثر الدلالي الذي ينبني على ذلك من توسيع للدلالة أو تضيق أو تحويل يظهر في التحليل والمناقشة التي تعقب كل موضع.

(١) Crstal, Dived (1989 - P100 - 107) Cambridge Encyclopedia of language. camridg university Press.

وانظر: ترجمة وتعليق مازن الوعر. علامات ، ج٢١. ٦م. جمادى الأولى ١٤١٧ سبتمبر ١٩٩٦ ص ٢٨٢

وقد حرصت على أن يكون المدخل النظري موجزا يعطي المدخل الضروري للبحث دون استفاضة في النقل ؛ فأمهات الكتب يمكن الرجوع إليها في مظانها ، مفرغا الجزء الأكبر من البحث للجانب التطبيقي.

وقد تضمنت هذه المقدمة مدخلا مفهوما إلى :

- القراءات القرآنية
- التنوع في القراءات القرآنية
- نظرية التحليل التكويني Compositional Analysis Theory
- الأحرف والقراءات

الأحرف جمع حرف وقد ذكرت المعاجم للحرف معاني كثيرة منها : طرف وجانب وحدّ ، ورمز مخطوط أو مطبوع يقوم مقام صوت أو كلمة أو عبارة ، ولغة أو لهجة ، وطريقة ووجه ، وأحد أقسام الكلمة الثلاثة.

وينقل ابن الجزري عن أبي عمرو الداني "أن الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم "نزل القرآن على سبعة أحرف .." تتوجه إلى وجهين : أحدهما أن القرآن نزل على سبعة أوجه من اللغات ، والثاني أنه سمى القراءات أحرفا من باب تسمية الشيء بما هو منه ، كتسمية الجملة باسم البعض منها ، ولذا سمى النبي ﷺ القراءة حرفا وإن كان كلاما كثيرا من أجل أن منها حرفا قد غير نظمه"^(٢).

• التنوع في القراءات القرآنية

لقد اختلف العلماء في المقصود بالقراءات السبع (الأحرف السبعة) التي نزل بها القرآن ، فقليل هي اللغات السبع التي نزل القرآن الكريم بها ، وما بها من اختلافات في

(٢) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف النشر في القراءات العشر تحقيق: علي محمد

الضباع،. المطبعة التجارية الكبرى . (٢٣ / ١) .

الإفراد والجمع والتذكير والتأنيث ووجوه الإعراب، ووجوه التصريف واختلاف الأدوات، والتفخيم والترقيق، وهي مقبولة عن طريق التواتر واتصال السند برسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقة رسم المصحف وموافقة العربية ولو بوجه^(٣).

ويبين ابن الجزري أن الاختلاف بين القراءات إنما هو من سبعة أوجه، **الأول**: اختلاف الأسماء في الأفراد والثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة، **الثاني** اختلاف تصريف الأفعال من نحو ماض ومضارع وأمر، والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به، **الثالث** وجوه الإعراب، **الرابع** الزيادة والنقص، **الخامس** التقديم والتأخير، **السادس** القلب والإبدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر، **السابع** اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وإدغام وإظهار ونحو ذلك^(٤).

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فإن ما يهمننا في هذا البحث أن أوجه الاختلاف بين القراءات منها ما يؤثر على دلالة اللفظة ومعناها، ومنها ما يقتصر تأثيرها على نواح صوتية أدائية كالإمالة والتقليل ..، وغيرها مما لا يمس معنى الكلمة، فالفرق بين (هدى) بالفتح أو التقليل لا يغير من المعنى شيئاً، ولكن (مالك) و (ملك) بينهما اختلاف في المعنى، والبحث يقصد إلى دراسة أوجه القراءات التي أثّرت في الدلالة، فيوضح كيف أثّر تعدد القراءات الدلالي على الكلمة في تجربة لتطبيق نظرية التحليل التكويني.

(٣) عمر، أحمد مختار . معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٤٧٦) .

(٤) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧)

• نظرية التحليل التكويني Compositional Analysis Theory

يسعى علم الدلالة إلى الدراسة العلمية للمعنى في اللغة^(٥) وقد تعددت نظريات دراسة المعنى ومناهجه ، من ذلك نظرية التحليل التكويني أو "المكونات الدلالية (Semantic components) وهي طريقة لدراسة الوحدة الدلالية (lexeme) من خلال تحليلها إلى سلسلة من (المكونات الدلالية) أو (السمات الدلالية) (Semantics Features)"^(٦) فمثلا كلمة (رجل) يمكن أن تحلل على أنها (راشد - إنسان - ذكر) وكلمة (امرأة) تحلل إلى (راشد - إنسان - مؤنث) وتستعمل الجداول عادة في مثل هذا التحليل إشارة (+ ، -) ويمكن توضيحها من خلال الجدول الآتي :

المكون الدلالي	إنسان	بالغ	مذكر	مؤنث
رجل	+	+	+	-
امرأة	+	+	-	+

وتستخدم نظرية التحليل التكويني عند كثير من الباحثين مقرونة بنظرية الحقول الدلالية (Semantic Fields) ؛ حيث إنه بعد حشد الكلمات داخل كل حقل يقوم الباحث باستخلاص أهم الملامح التي تجمع كلمات الحقل من ناحية ، وتميز بين أفرادها من ناحية أخرى^(٧).

(٥) . Crstal, Dived (1989 - P100 - 107) Cambridge Encyclopedia of language. camridg university Press .

وانظر: ترجمة وتعليق مازن الوعر. علامات ، ج ٢١. م. ٦. جمادى الأولى ١٤١٧ سبتمبر ١٩٩٦ ص ٢٦٠

(٦) المرجع السابق

(٧) انظر: عمر، أحمد مختار . علم الدلالة . عالم الكتب. القاهرة . الطبعة الخامسة ١٩٩٨ . ص ١٢١.

ولكن التحليل الدلالي للمكونات يصبح "أكثر أهمية كلما كانت الوحدات المعجمية أكثر تعقيدا مما يظهر في الجدول الآتي^(٨)

طبيعي	مسرّع	باتجاه واحد إلى الأمام	قدم واحد دائما على الأرض
يمشي	-	+	+
يستعرض	+	+	+
يركض	+	+	-
يخرج	-	+	+

فنجد أنه يبين الفروق الدقيقة بين الوحدات التي قد تبدو مترادفة، ومن هنا تقوم فكرة البحث على التحليل الدلالي لمكونات كل قراءة إلى عناصرها التكوينية؛ حيث يمكن أن نعدّ هذه المكونات الدلالية للقراءتين - أو أكثر - مجالا دلاليا؛ إذ تتضافر كلها لتقديم العناصر التكوينية للمعنى.

وهذا يتطلب تحديد الملامح العامة التي تستخدم للتمييز، وتحديد المكونات التشخيصية لكل قراءة على حدة وما ينطبق عليها من المكونات، ليتمكن القول: إن القراءة (أ) تتميز بتقديمها للملامح أو المكونات ١، ٢، ٣ ...، في حين أن القراءة (ب) قدّمت الملامح ٢، ٤، ٣.. فقط دون الملمح^(٩)، وبذلك سيتضح كيف أن الدلالة قد أصبحت ثرية بتعدد القراءات فلو اقتصرنا على قراءة واحدة لفاتنا الجزء الموجود في القراءة الأخرى، فكأن المعنى لا تكتمل أبعاده إلا بالقراءتين المتضافرتين للقيام بكل أبعاد المعنى، فقد قدّمت كل قراءة شطرا لا يغنى عنه الآخر.

(٨) . Crstal, Dived(1989 - P100 - 107) Cambridge Encyclopedia of language. camridg university Press .

(٩) انظر : عمر، أحمد مختار . علم الدلالة ١٢١ .

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة : ٤

ورد فيه قراءات^(١٠) كثيرة، وللعشرة^(١١) فيه قراءتان "مَلِك، وَمَلِك"، فقد "قرأ عَاصِمُ وَالْكَسَائِيُّ {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} بِالْأَلْفِ وَالْبَاقُونَ بِغَيْرِ أَلْفٍ"^(١٢).

وكلا القراءتين من جذر واحد هو (م ل ك)، وقد اختلف المفسرون حول دلالة كل قراءة وأيها أدل على المعنى، غير أن منهج البحث أن كلا من القراءتين يقدم جزءا من مكونات المعنى بنقل للدلالة أو تطوير أو توسيع أو تضيق، فلا مفاضلة بين القراءتين بل تكامل، ومن هذا المنطلق نحاول استخلاص المعاني من التفاسير والمعاجم.

"(المالك) من له المُلْك، ومُلْك الحق سبحانه وتعالى قدرته على الإبداع، فالملك مبالغة من المالك"^(١٣)، فهنا أشار إلى أن الملك مبالغة من (المالك) فكأن (المالك) هي الأصل، وأضافت القراءة الأخرى معنى المبالغة "فهو سبحانه الملك المالك، وله الملك. وكما أنه لا إله إلا هو فلا قادر على الإبداع إلا هو، فهو

(١٠) مكرم، عبد العال سالم. وأحمد مختار عمر. معجم القراءات القرآنية. مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م. ٩/١.

(١١) والقراء العشرة هم: نافع المدني، ابن كثير، أبو عمرو البصري، ابن عامر الشامي، عاصم الكوفي، حمزة الكوفي، الكسائي الكوفي، أبو جعفر المدني، يعقوب البصري، خلف بن هشام. انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ص ٧-٨.

(١٢) الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو. التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي - بيروت، الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٨. وانظر: . الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار. الحجة للقراء السبعة. تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م، (١/١٩)

(١٣) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة (١/ ٤٧)

بإلهيته متوحد، وبملكه متفرد، ملك نفوس العابدين فصرفها في خدمته، وملك قلوب العارفين فشرّفها بمعرفته، وملك نفوس القاصدين فتيمّمها^(١٤).

وقيل إن (ملك) يكون لكل شيء، يقال: ملك يوم الناس، وملك يكون للشيء بعينه، يقال ملك هذا الشيء^(١٥)، وينقل السمعاني في تفسيره عن أبي عبيدة والمبرد ما يؤكد ذلك فيقول: "وَمَلِكٌ" أتم، فَإِنَّ "الْمَلِك" يجمع معنى "الْمَالِك"، وَالْمَالِكُ لَا يجمع معنى الْمَلِك، فَإِنَّ كل ملك مَالِك، وَلَيْسَ كل مَالِك ملكاً^(١٦).

كما أن قراءة (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) تعني "إخلاص المُلْك له يوم الدين"^(١٧). أما قراءة (مالك يوم الدين) فهي "بمعنى أنه يملك الحُكْمَ بينهم وفصل القضاء، متفرداً به دون سائر خلقه"^(١٨).

ويمكن من خلال ما سبق استخلاص أهم الملامح التمييزية أو المعاني الواردة للقراءتين (مالك - ملك).

(١٤) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك . لطائف الإشارات = تفسير القشيري (١ / ٤٧)

(١٥) أبو علي الفارسي . الحجة للقراء السبعة . (١ / ٩)

(١٦) السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي التميمي الحنفي، تفسير القرآن. تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى،

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ٣٦/١

(١٧) الطبري . تفسير الطبري (١ / ١٥١)

(١٨) السابق (١ / ١٥١)

جدول المكونات الدلالية لقراءتي "مالك" و"ملك"

مالك	ملك	الملامح التمييزية
+	+	الامتلاك
+	+	القوة
+	+	العموم
+	-	التمام
+	+	إخلاص الملك
+	-	القدرة على الإبداع

ومما سبق يتضح أن (مَلِك) جمعت من السمات الدلالية (الامتلاك، والقوة، والعموم، والتمام، وإخلاص الملك، والقدرة على الإبداع) في حين أنه لم تكن دلالة التمام وإخلاص الملك، والقدرة على الإبداع ظاهرة في قراءة (مالك)، ولكنها في الوقت ذاته أوسع وأشمل فيما يتعلق بأمور حسية لا يستعمل معها (ملك) مثل: مَالِك الدَّار، وَمَالِك الطير؛ إذ لَا يَسْتَعْمَل معها (الملك) وقد نقل السمعاني في تفسيره عن أبي حاتم السجستاني أن "مَالِك" بالالف أولى؛ لِأَنَّهُ أَوْسَع وَأَجْمَع، يُقَال: مَالِك الدَّار، وَمَالِك الطير، وَمَالِك الْعَبْد، وَلَا يَسْتَعْمَل مِنْهَا اسْمُ الْمَلِك^(١٩).

فكان قراءة (مالك) كان فيها تركيز على جانب حسي لمن يهمله هذا الجانب، وقراءة (ملك) دلّت على تأكيد تمام الملك لكل حسي ومعنوي، وفي ذلك إثراء للمعنى من خلال توسيع الدلالة في قراءة (ملك)، بعد أن كانت أقل اتساعاً في قراءة (مالك)، وهو إثراء للنص القرآني.

(١٩) السمعاني . تفسير السمعاني (١/ ٣٦)

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ البقرة: ٩

فيها قراءات فقد "قرأ الحرميان" (٢٠) وأبو عمرو / وَمَا يُخَادِعُونَ / بالألف مع ضم الياء وفتح الخاء وكسر الدال ، وَالْبَاقُونَ يَغَيِّرُ أَلْفَ مَعَ فَتْحِ الْيَاءِ وَالْدَّالِ " (٢١). وكلا القراءتين جذرهما (خ د ع) غير أن (يخادعون) من الفعل المجرد (خدع)، وقراءة (يخادعون) من الفعل المزيد بالألف (خادع).

وقراءة (يخادعون) هي الأشهر (٢٢)، وقد تعددت الآراء في توجيهها فنجد من يفسرها على "المشاكلة ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْأَوَّلَ يَلْفُظُ الْمَخَادَعَةَ ، وَهَذَا شَاكِلُهُ فَذَكَرَهُ يَلْفُظُهُ" (٢٣). وأن قراءة (يخادعون) مع كونها جاءت على الأصل ، فإن "لفظ المخادعة لَا يَقْتَضِي الْمُشَارَكَةَ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، وَمِثْلُهُ : طَرَقَتِ النَّعْلُ ، وَطَارَقَتِ النَّعْلُ ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الْأَفَاطِ الْمَفَاعِلَةِ" (٢٤) وما ترد فيه الْمُفَاعَلَةُ لَا عَلَى مَعْنَى الْمُشَارَكَةِ : عَافَاكَ اللَّهُ ، وَعَاقَبْتُ فَلَانًا ، وَطَارَقَتِ النَّعْلُ.

ويورد صاحب القاموس المحيط من معاني خدع "خَدَعَهُ كَمَنَعَهُ خَدَعَا وَيُكْسِرُ: خَتَلَهُ وَأَرَادَ بِهِ الْمَكْرُوهَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ"، وفي معنى "المُخَادَعَةُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِظْهَارُ غَيْرِ مَا فِي النَّفْسِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَبْطَنُوا الْكُفْرَ وَأَظْهَرُوا الْإِيمَانَ ؛ وَإِذَا خَادَعُوا الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ خَادَعُوا اللَّهَ وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ أَي : مَا تَحُلُّ عَاقِبَةُ الْخِدَاعِ إِلَّا بِهِمْ".

(٢٠) الحرميان هما نافع وابن كثير، انظر: الداني . التيسير في القراءات السبع (ص: ٣)

(٢١) انظر: ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي. السبعة في القراءات تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ ، (١ / ١٤١) وانظر: الداني. التيسير في

القراءات السبع (ص: ٧٢) . وانظر: أبو علي الفارسي . الحجة للقراء السبعة (١ / ٣١٢)

(٢٢) حيث قرأ بها أربعة من السبعة هم (ابن عامر الشامي، عاصم الكوفي، حمزة الكوفي، الكسائي الكوفي)

(٢٣) السمعاني . تفسير السمعاني ، ٤٨/١

(٢٤) السابق، ٤٨/١

فالمعنى واحد لا فرق بينهما وهو إظهار خلاف ما يبطن، وإرادة المكروه من حيث لا يعلم، وهما أبرز المعاني للقراءتين، ولا فرق بينهما إلا إرادة المشكلة بين يخادعون الأولى والثانية.

وبالرجوع إلى معاني صيغة (تفاعل) نجد أنها تدل على التكثير، مثل ضاعفت الشيء، كما تدل على المبالغة؛ حيث يتكرر الفعل فيتلووا بعضه بعضاً^(٢٥)، فكأن الفعل خادع معناه تكرار الفعل مع المبالغة، كما تطالعنا المعاجم الحديثة بمعانٍ أخرى ومرادفات للخادع وخدع على الرغم من تقاربهما في الدلالة، فنجد معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عمر يطالعنا بمعانٍ منها:

"خَدَعَ يَخْدَعُ، خَدْعًا وَخُدْعَةً وَخُدَيْعَةً وَخُدَاعًا، فهو خَادِعٌ، والمفعول مَخْدُوعٌ وخَدُوعٌ.

• خَدَعَ الشَّخْصَ: أظهر له خلاف ما يُبطن، وأضمر له المكروه؛ ليأتيه من حيث لا يعلم، أغواه، أضله، غشه.. خَدَعَ نفسه: اغترَّ - طريق خَادِعٌ: غير واضحة، تظهر تارة وتختفي أخرى. خَدَعَ العينَ: شكَّكها فيما ترى".

أما "خَادِعٌ يَخْدَعُ، خِدَاعًا وَمُخَادَعَةً، فهو مَخَادِعٌ، والمفعول مَخَادَعٌ

• خادعه بكلام معسول: أظهر له خلاف ما يخفيه، ويبت له المكروه وهو غافل، تملَّقه وأطراه ولاطفه "ما كنت أتوقع منه هذا الخداع - {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ} ". خادع العين: خدعها شكَّكها فيما ترى^(٢٦)".

ويمكن من خلال ما سبق استخلاص أهم الملامح التمييزية أو المعاني الواردة للقراءتين (يخادعون - يخدعون).

(٢٥) عزيمة، محمد عبد الخالق. المعنى في تصريف الأفعال، ط٢، دار الحديث للطباعة والنشر، القاهرة،

١٩٩٩، ص ١٣٥.

(٢٦) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦١٩) ١٥٦٧ - خ د ع.

جدول ١ المكونات الدلالية لقراءتي "يخادعون" و "يخدعون"

يخادعون	يخدعون	السمات الدلالية
+	+	إظهار غير ما في النفس
+	+	غشّه
+	+	وبيّث له المكروّة
+	+	تملّقه وأطراه ولأطفه
+	-	غفلة الآخر
+	-	مفاعلة لغير المشاركة
+	-	التكثير
+	-	الموالة

تعليق:

لعلنا بعد هذا العرض نستطيع القول إن القراءتين كليهما وإن بدتا متقاربتين في المعنى فإن صيغة (فاعل) أثرت دلالة الفعل (يخادعون) بمكونين أساسيين يتم بذكرهما استيفاء مكونات المعنى وهما: التكثير، والموالة؛ إذ إنهم يفعلون فعلتهم الشنعاء (المخادعة) مرات كثيرة، وعلى فترات قصيرة متتابة، وهما ملمحان لم يردا صراحة في قراءة (يخدعون)، وبذا تكون قراءة (يخادعون) قد أغنت السمات الدلالية. والقول بأن (يخادعون) بألف جاءت للمشاكلة فقط مع (يخادعون) الأولى قول لا يقوم وحده.

وبذا يمكن القول: إن هنا تقييدا للدلالة بين قراءة يخادعون بالتكثير والموالة.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة: ٣٦

وفيها قراءتان انفرد حمزة فقرأ (فأزالهما) مخففا والباقون بغير ألف مشددا^(٢٧). والقراءتان من جذرين مختلفين؛ فقراءة (أزلهما) من الجذر (ز ل ل)، وزيد بالهمزة فصار (أزل).

ومحور دلالتها عثور القدم، أما القراءة الثانية (أزالهما) فهي من الجذر (ز و ل) وزيد بالهمزة (أزول) وحدث فيها إعلال بالنقل والقلب فأصبحت (أزال). يقول "فَأَزَلَّهُمَا مِنْ أَزَلَّتْهُ فَزَلَّ، وَأَزَالَهَا مِنْ أَزَلَّتْهُ فَزَالَ"^(٢٨)، ويدور محور معناها حول "الزوال، وَأَصْلُهُ التَّنْحِيَةُ"^(٢٩)، وَمَعْنَاهُ: "نَحَاهُمَا وَبَعَّدَهُمَا عَنِ الْجَنَّةِ"^(٣٠).

وقد اجتهد المفسرون في توجيه كل قراءة وبيان وجهها ودلالاته، فنصوا على أن (أزلهما) بالتحديد من (الزلة)، يُقَالُ: زَلَّتْ قَدَمُهُ، وَزَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ^(٣١)، ويقال: أزلها الشيطان أغواهما^(٣٢). "وَفَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا، أَي أَذْهَبَ آدَمَ وَحَوَاءَ وَأَبْعَدَهُمَا عَنِ الْجَنَّةِ"^(٣٣) والإزلال يكون بغير اختيار "الْإِزْلَالُ جَعْلُ الْغَيْرِ زَالًا أَي قَائِمًا بِهِ الزَّلَلُ..

(٢٧) الداني. التيسير في القراءات السبع (ص: ٦٠)، أبو علي الفارسي. الحجة للقراء السبعة (٢/ ١٤). ويروي أبو علي الفارسي أن "قراءة حمزة غلط". انظر: نفس المرجع والصفحة. وهي قراءة سبعية متواترة، كما أنه ومن خلال التحليل التكويني ظهر إغناؤها لدلالة النص القرآني. وإجلاء لسمات دلالية مهمة.

(٢٨) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٦)، هذا على الحقيقة أما "الزَّلُّ فِي الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ تَجَازُّ"

(٢٩) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان، البحر المحيط في التفسير (١/ ٢٥٨)

(٣٠) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم. تفسير القرآن العظيم. تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية.

الطبعة الثالثة - ١٤١٩ هـ، (١/ ٨٧)، وانظر: تفسير السمعاني (١/ ٦٩)،

(٣١) أبو حيان. البحر المحيط في التفسير (١/ ٢٥٨)

(٣٢) ابن أبي حاتم. تفسير ابن أبي حاتم، (١/ ٨٧)

(٣٣) التحرير والتنوير (١/ ٤٣٣).

والإزلال الإزلاق^(٣٤)، وهو سير الرجلين بدون إرادة أو اختيار، يقال: "الزَّلَقُ أَنْ تَسِيرَ الرَّجُلَانِ عَلَى الْأَرْضِ بِدُونِ اخْتِيَارٍ لِارْتِخَاءِ الْأَرْضِ بِطِينٍ وَنَحْوِهِ، أَيْ ذَاهِبَةً رِجْلَاهُ بِدُونِ إِرَادَةٍ"^(٣٥)، ويفهم من هذا أن قوة الغواية سلبت آدم اختياره وإرادته حين زلّ ووقع منه ما كان. وإلى قريب من ذلك ذهب صاحب روح البيان فيرى أن (أزل) بمعنى الحمل على الزلل والحيد عن الصواب، يقول: "والزلة بالفتح الخطأ وهو الزوال عن الصواب من غير قصد والمقصود حملهما على الزلة بطريق التسبب، وهو بالسوسنة وبالغرور والدعاء"^(٣٦)، فالشيطان هو المتسبب في الزلل، ولذا قيل: إن (أزلهما) بمعنى: استزلهما، من قولك: "زلّ الرجل في دينه: إذا هفا فيه وأخطأ، وأزله غيره: إذا سبب له ما يزلّ من أجله في دينه أو دنياه"^(٣٧)، أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه^(٣٨)، فالشيطان قد أغراهما واستزلهما^(٣٩) وقيل: "أزلهما أي أذهبهما، ويعضده قراءة حمزة فآزلهما، وهما متقاربان في المعنى غير أن أزلّ يقتضي عشرة مع الزوال"^(٤٠).

(٣٤) الخلوقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي. روح البيان، دار الفكر - بيروت (١/ ١٠٨)
(٣٥) ابن عاشور. التحرير والتنوير (١/ ٤٣٣). وتسمية العصيان ونحوه زلل "تَجَاوَزَ مَشْهُورٌ فِي صُدُورِ الْخَطِيئَةِ وَالْعَلَطِ الْمُضَيَّرِ وَمِنْهُ سُمِّيَ الْعَصِيَانُ وَنَحْوُهُ الزَّلَلُ" التحرير والتنوير (١/ ٤٣٣).

(٣٦) إسماعيل حقي. روح البيان (١/ ١٠٨)

(٣٧) الطبري. تفسير الطبري. (١/ ٥٢٤)

(٣٨) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م (ص: ٤٩)، وانظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ٨٠). وانظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧)

(٣٩) السمرقندي. بحر العلوم (١/ ٤٤)

(٤٠) الألوسي، روح المعاني (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧)

ويقول في الظلال: "فَأَزَلَّهُمَا" .. إنه لفظ يرسم صورة الحركة التي يعبر عنها، وإنك لتكاد تلمح الشيطان وهو يزحزحهما عن الجنة، ويدفع بأقدامهما فتزل وتهوي! عندئذ تمت التجربة: نسي آدم عهده، وضعف أمام الغواية^(٤١).

ومما سبق يتضح أن من أهم المعاني التي أوردها المفسرون لقراءة (أَزَلَّهُمَا) أَغْوَاهُمَا، وأبعدهما، بمعنى الإزلال، الزوال عن الصواب من غير قصد، استزلَّهُما، فأغراهما، حملهما على الزلة، أذهبهما.

أما قراءة (أزالهما) بالألف فأصله من أزال يزيل، إذا أزال الشيء عن موضعه^(٤٢).

(فأزالهما) بالألف، وقرأ غيره بغير ألف. وأصله في اللغة: من أزل يزل، ومعناه فأغراهما الشيطان واستزلَّهُما. وأما من قرأ (فأزالهما) بالألف، فأصله من أزال يزيل، إذا أزال الشيء عن موضعه^(٤٣)، وقيل: "أَزَلَّهُمَا بِإِثْبَاتِ الْأَلْفِ، مِنَ الْإِزَالَةِ وهي التنحية: أَي نَحَّاهُمَا"^(٤٤) وقيل: هو من "الزوال عن المكان، وحكي عن أبي معاذ أنه قال: يقال: أزلتك عن كذا/ حتى زلت عنه وأزلتلك حتى زلت ومعناها واحد، أي: حولتك عنه، وقال بعض العلماء: أزلهما الشيطان أي استزلهما، فهو من قولك زل في دينه إذا أخطأ، وأزله غيره إذا سبب له ما يزل من أجله في دينه أو دنياه"^(٤٥)، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: "هُوَ مِنَ الزَّوَالِ: أَي صَرَفَهُمَا عَمَّا كَانَا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ

(٤١) قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي . دار الشروق - بيروت - القاهرة . الطبعة السابعة عشر ١٤١٢ هـ .

(٥٨ / ١)

(٤٢) السمرقندي، بحر العلوم (١ / ٤٤)

(٤٣) السابق

(٤٤) الشوكاني، فتح القدير (١ / ٨٠) .

(٤٥) الرازي، مفاتيح الغيب (٣ / ٤٥٥) .

إِلَى الْمُعْصِيَةِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْقِرَاءَتَانِ بِمَعْنَى، إِلَّا أَنَّ قِرَاءَةَ الْجَمَاعَةِ أَمَكْنٌ فِي الْمَعْنَى، يُقَالُ مِنْهُ: أَزَلْتَهُ فُزِلَ، وَعَنْهَا مُتَعَلِّقٌ يَقُولُهُ أَزَلَّهُمَا عَلَى تَضْمِينِهِ مَعْنَى أَصْدَرَ: أَيَّ أَصْدَرَ الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُمَا^(٤٦) "من الزوال والإزالة من الجنة. وقيل: إن زَلَّ بمعنى ذهب، وأزلهما بمعنى نخاهما"^(٤٧).

ومن المعاني التي وردت لـ (أَزَل، أزال) في المعجم
أَزَلُّ يُزِلُّ، أَزِلُّ / أَزِلُّ، إزلالاً، فهو مُزِلٌّ، والمفعول مُزَلٌّ.
• أَزَلُّ فُلَانًا:

١ - حمّله على الزَّلِّ وهو الخطأ والانحراف عن الصَّواب "أَزَلَّ خَصْمَهُ - {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ}."

٢ - زحلّقه "أَزَلَّ الولدُ رفيقه وهما يلعبان الكرة"^(٤٨).

أزال يُزيل، أزل، إزالةً، فهو مُزيل، والمفعول مُزال

أزاله عن وظيفته: نَحَاهُ عَنْهَا وَأَبْعَدَهُ وَعَزَلَهُ (انظر: زي ل - أزال) "أزال شكوكه / الغشاوة عن عينيه -

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا} "، أزال العوائق من طريقه: رفعها - أزال الصعوبات: ذلّلها - أزال شعراً إبطيه: نتفه - أزال الغمّ عنه: كشفه وفرّجه - أزال ما كتبه: محاه - الحرب مزيلة: مهلكة مدمّرة - أزال الله زواله: دعاء عليه بالهلاك^(٤٩).

(٤٦) الشوكاني، فتح القدير (١/ ٨٠).

(٤٧) عزت، دروزة محمد. التفسير الحديث. دار إحياء الكتب العربية - القاهرة. الطبعة: ١٣٨٣ هـ (٦/

(١٥٢

(٤٨) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٩٩٣) ٢٣٣٥ - ز ل ل.

(٤٩) السابق (٢/ ١٠١١) ٢٣٨٢ - ز و ل.

ويمكن من خلال ما سبق استخلاص أهم الملامح التمييزية أو المعاني الواردة للقراءتين (أزْلَهُمَا - أزالَهُمَا)

جدول المكونات الدلالية لقراءتي "أَزَلَّ"، و "أزال"

أزال	أَزَلَّ	السمات الدلالية
-	+	حملة على الزلل وساقه إليه
-	+	استزَلَّ
-	+	دَعَاها إِلَى الزَّلَّةِ
-	+	الْحُطْبَيْئَةُ
-	+	ذهب
+	+	أذهبهما
-	+	سبب لهث ما يَزَلُّ من أجله
-	+	زين له الزلل
-	+	أغراها
-	+	عثرة مع الزوال
+	-	التنحية
+	-	نَحَاه
+	-	أبعده
+	-	صَرَفَهُمَا
+	-	مقابلة الثبات بالزوال
+	-	أزال الشيء عن موضعه

تعليق

يلاحظ أن الوزن الصرفي في القراءتين لم يتغير فهما على وزن (أفعل) غير أن الأصل المعجمي مختلف ، فقراءة التشديد من (ز ل ل) وزيد بالهمزة فصار (أزل) أما القراءة الثانية فهي (ز و ل) وزيد بالهمزة (أزال) ، وأيضا هناك اختلاف في البعد الدلالي كما اختلف الأصل المعجمي ، فنجد أن قراءة (أزل) معانيها تدور حول الوسوسة والتزيين والإغراء والدعوة إلى الزلة ، وكلها تبقى على إثبات الإرادة لآدم عليه السلام ، فما زالت له قدرة على الاختيار بين أن يفعل أو ألا يفعل ، فدور الشيطان أقل سطوة.

أما (أزال) فتدور معانيه حول التنحية والإبعاد والإزالة ، وكلها تلحظ فيها معنى الفاعلية والسطوة والسيطرة المفرطة من الشيطان ، فكأن آدم عليه السلام لم يكن لديه قدرة على الاختيار أمام هذا الشيطان الذي مارس سلطانه عليه فأزاله قسرا عما هو فيه.

فكأن الفاعلية التي أثبتها استخدام الفعل (أزال) للشيطان تحمل في طياتها التماس العذر لآدم ، فقد كان الضغط عليه شديدا ، في حين أن قراءة (أزل) لا تشير إلى أن الشيطان لا يملك الإزالة ولكنه زين فقط وكان هو صاحب الاختيار.

يقول في زاد المسير: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا. أَزَلَّهُمَا بِمَعْنَى: اسْتَزَلَّهُمَا، وَقَرَأَ حَمْزَةً «ا» : «فَأَزَالَهُمَا» ، أَرَادَ: نَحَاهُمَا. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ: لَمَّا كَانَ مَعْنَى اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ: اثْبَتَا فِيهَا، فَثَبَّتَا أَزَالَهُمَا، وَقَابِلَ حَمْزَةَ الثَّبَاتِ بِالزَّوَالِ الَّذِي

يخالفه ، ويقوي قراءته : فَأَخْرَجَهُمَا. والشيطان : إبليس ، وأضيف الفعل إليه ؛ لأنه السبب^(٥٠).

وبذا يمكن القول إن التحليل التكويني للقراءتين قد أظهر توسيعا للدلالة لاستيعاب مكونات دلالية إضافية مع وجود سمات مشتركة بينهما وأكثر غير مشتركة.

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ البقرة : ٨٣
حَمْزَةُ وَالْكَسَائِي { لِلنَّاسِ حَسَنًا } يَفْتَحُ الْحَاءُ وَالسَّيْنُ وَالْبَاقُونَ يَضُمُّ الْحَاءُ
وإِسْكَانُ السَّيْنِ^(٥١).

والقراءتان من جذر لغوي واحد ؛ حُسْنٌ يَحْسُنُ ، حُسْنًا ، فهو حَسَنٌ^(٥٢) ،
فقراءة (حُسْنًا) استخدمت المصدر ، أما قراءة (حَسَنًا) فقد استخدمت الوصف من
المصدر ، وهو الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت ، ومعناه الاستمرار واللزوم^(٥٣)
ولزوم صفة الحسن فيه.

(٥٠) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي . دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ (١ / ٥٦)

(٥١) الداني . التيسير في القراءات السبع (١ / ٦١) . وانظر: أبو علي الفارسي . الحجة للقراء السبعة (٢ / ١٢٦)

(٥٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (١ / ٤٩٧)

(٥٣) انظر: الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي النحوي. شرح الرضي على الكافية. تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، مصر، ط١، ٢٠٠٠م. (٢ / ٢٢٧) ، (٢ / ٢٢٧) ، وانظر: فاضل السامرائي معاني الأبنية في العربية ، دار عمار ، ص ٦٥

وقد أورد السمعاني في تفسيره القراءتين قوله: "وَتَقْدِيرُهُ: وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا حَسَنًا، أَوْ وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا ذَا حَسَنٍ. وهو اختيار الزجاج "وقولوا للناس قولًا ذا حُسْنٍ" (٥٤).

وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: الْقَوْلُ الْحَسَنُ هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي أَنَّهُ اللَّيْنُ فِي الْقَوْلِ، وَالْمَعَاشِرَةُ يَحْسَنُ الْخَلْقَ. وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ أَنَّهُ خُطَابُ لِأَهْلِ الثَّوْرَةِ يَعْنِي: وَقُولُوا لِلنَّاسِ صَدَقًا فِي نَعْتِ مُحَمَّدٍ فِي الثَّوْرَةِ (٥٥).

إلى قريب من ذلك أشار صاحب روح المعاني: " (وقولوا للناس حُسْنًا) والحسن ضد القبح، وهو مصدر من الفعل (حَسُنَ) والتقدير (قولا ذا حسن) "وعاملوهم بالمعروف، وعاشروهم باللطف، وألينوا لهم القول، واخفضوا لهم الجانب، وأحسنوا أخلاقكم معهم" (٥٦)، وعلى قراءة (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين تكون وصفا أي قولوا للناس قولا حسنا، والحسن شيء من الحسن، فالحسن مصدر والحسن وصف.

وروى الأزهري عن أحمد بن يحيى أن "الحَسَنَ شيءٌ من الحُسْنِ والحُسْنُ شيءٌ من الكل ويجوز هذا وهذا" (٥٧).

(٥٤) السمعاني. تفسير السمعاني (١/ ١٠٣).

(٥٥) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. لسان العرب. دار صادر

بيروت. ط١، ١٩٩٧م. (١٣/ ١١٤)

(٥٦) العاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي، بيان المعاني، مطبعة الترقى - دمشق، الطبعة:

الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م (٥/ ٥٦)

(٥٧) تهذيب اللغة (٤/ ١٨٢)

ويرى الأخفش أنه يجوز أن يكون "حُسْنًا في معنى حَسَنًا"^(٥٨). قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا أَي يَفْعَلُ بِهِمَا مَا يَحْسُنُ حُسْنًا".

جدول المكونات الدلالية لقراءتي "حُسْنًا"، و"حَسَنًا"

حَسَنًا	حُسْنًا	السمات الدلالية
+	+	المعنى العام للحسن
-	+	مصدر
+	-	وصف
-	+	ذا حسن
+	-	وصف القول
-	+	وصف الأحداث الأعيان
-	+	المبالغة

تعليق

لعل قراءة استخدام المصدر حسنا لها من الدلالة ما يشمل القول وغيره، قولوا للناس ما يحسن، كما جاء في قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا" أي يفعل بهما ما يَحْسُنُ حُسْنًا^(٥٩)، فالْحُسْنُ يقال في الأحداث والأعيان^(٦٠).

أما الحَسَنُ فالأقرب أن يكون وصفا للقول، أي قولوا للناس قولاً حسناً. هذا والله أعلم.

(٥٨) الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري. معني القرآن . تحقيق: الدكتور هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، (١/ ١٣٤)

(٥٩) ابن منظور. لسان العرب (١٣/ ١١٤)

(٦٠) الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس . دار الهداية (٤٢٠/٣٤)

واستعمال المصدر بدل الوصف فيه مبالغة من قبيل قولك: رجل عدل، بدل من عادل، مبالغة في العدل، فكأن الله يأمرهم بقول الحسن كله، فاستعمل المصدر بدل الوصف.

ويمكن القول إن التحليل التكويني للقراءتين قد أظهر توسيعا للدلالة لاستيعاب مكونات دلالية إضافية مع وجود سمات مشتركة بينهما.

﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمُ الْأَسْرَىٰ تَقُولُوا هُمْ ۖ﴾ البقرة: ٨٥

قرأ "حَمْزَة {أَسْرَى} بِغَيْرِ أَلْفٍ عَلَى وَزْنِ فَعْلَى وَالْبَاقُونَ بِالْأَلْفِ عَلَى وَزْنِ فُعَالِي" (٦١)

وَفَرَّقَ أَبُو عَمْرٍو بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى، فَقَالَ: الْأَسَارَى لِمَنْ كَانَ فِي الْيَدِ مَعَ الْوِثَاقِ. وَالْأَسْرَى: لِمَنْ كَانَ فِي الْيَدِ مِنْ غَيْرِ وَثَاقٍ (٦٢). وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ قَالَ: الْأَسْرَى هُمُ الْمَأْخُودُونَ مِنْ غَيْرِ شَدٍّ، وَالْأَسَارَى هُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا وَشَدُّوا (٦٣).

يقال: أَسَرَّتِ الرَّجُلَ أَسْرًا وَإِسَارًا، فَهُوَ أَسِيرٌ وَمَأْسُورٌ، وَالْجَمْعُ أَسْرَى وَأَسَارَى .. أَسَارَى وَأَسَارَى فَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ يُقَالُ أَسِيرٌ وَأَسْرَى ثُمَّ أَسَارَى جَمْعُ الْجَمْعِ (٦٤).

(٦١) الداني . التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤) ، انظر: أبو علي الفارسي . الحجة للقراء السبعة (٢/ ١٤٣)

(٦٢) السمعاني . تفسير السمعاني (١/ ١٠٤) ، " وَلَمْ يُرْضُوا مِنْهُ بِحَدِّ الْفَرْقِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُمَا وَاحِدٌ " انظر: نفس المرجع والصفحة.

(٦٣) السمعاني . تفسير السمعاني (٢/ ٢٧٩)

(٦٤) ابن منظور. لسان العرب (٤/ ١٩)

جدول المكونات الدلالية لقراءتي " أُسْرَى " و " أُسَارَى "

الأسارى	أُسْرَى	السمات الدلالية
+	+	معنى الأسر
+	-	الأسر مع الوثاق
-	+	جمع أسير
+	-	جمع الجمع (منتهى الجموع)

تعليق

قراءة أسارى هي جمع الجمع فقد أفادة التكثير ، من أنها أفادت الأسر على هيئة معينة مع شد الأسير وتوثيقه ، فاستخدام أسرى فيه دلالة عامة حددت بقراءة أسارى من حيث العدد والهيئة.

﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْلُدُوهُمْ﴾ البقرة: ٨٥

قرأ "نافع وعاصم والكسائي" / تفدوهم / بالالف وضم التاء ، والباقون يغير ألف وفتح التاء "(٦٥)".

وقد أورد السمعاني بين القراءتين فرقاً ، فقال : "تفادوهم) يقال في فداء الأسرى بالأسرى. وتفدوهم في الفداء بالمال" (٦٦).

ومما ورد في المعاجم لفدى وفادى - فدى فلاناً: ١ - استنقذه وخلّصه مما كان فيه بماله أو بنفسه "فداه بنفسه/ بماله/ بروحه - فدت المرأة نفسها من زوجها: أعطته مالاً حتى تخلّصت منه بالطلاق - {فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} : أخذ مقابل لإطلاق الأسير. ٢ - قدّم فدية يمحو بها خطأ أو يجبر بها نقصاً" (٦٧).

(٦٥) الداني . التيسير في القراءات السبع (ص: ٧٤)

(٦٦) السمعاني . تفسير السمعاني (١/ ١٠٤)

(٦٧) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٦٨١)

فادى يفادي، فادٍ، مُفاداةٌ وفداءٌ، فهو مُفادٍ، والمفعول مُفادى

• فادى فلاناً: فداه، حرّره، دفع مالاً لتخليصه من أسر أو غيره "فادى أخاه" (٦٨).

• فادى الأسرى: أعطى الفدية لإطلاقهم "فادى الأعداء أسراهم عندنا - {وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ} " (٦٩).

ويظهر مما سبق أن اللفظين متقاربان في كثير من المعاني؛ فكلاهما من الجذر نفسه، غير أن (فادى) على وزن فاعل وبالرجوع إلى معاني هذه الصيغة يتبين أنها تدل على التكثر، مثل ضاعفت الشيء^(٧٠)، كما تدل على موالاة الفعل وتكرره بحيث يتلو بعضه بعضاً. وهو أمر مقصود في الآية، فقد كان اليهود المواليين للأوس يفزعون لنصرة الأوس، والمواليون للخزرج يفزعون لنصرة الخزرج، ثم يفدي اليهود أسراهم من الأوس والخزرج، وهو أمر تكرر كثيراً في الجاهلية، فجاءت قراءة (تفادوهم) لتشير إلى كثرة ما فعلوه وتواليه، وهو معنى تنفرد به (تفادوهم).

جدول المكونات الدلالية لقراءتي "تفادوهم"، و "تفادوهم"

السّمات الدلالية	تفادوهم	تفادوهم
المعنى العام للفداء	+	+
الفداء بالمال	+	-
الفداء بالأسرى	-	+
التكثر	-	+
الموالاة	-	+

(٦٨) السابق، (٣ / ١٦٨١)

(٦٩) معجم اللغة العربية المعاصرة. (٣ / ١٦٨٢)

(٧٠) عضيمة، محمد عبد الخالق. المغني في تصنيف الأفعال. ص ١٣٥.

تعليق

لقد أظهر التحليل الدلالي لمكونات القراءتين إيراد سمات دلالية إضافية ساهمت في تحديد للدلالة وتقييدها.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ البقرة: ٢٥٩

قرأ "الْكُوفِيُّونَ وَابْنُ عَامِرٍ (نُنْشِزُهَا) بِالزَّايِ وَالْبَاقُونَ (نُنْشِرُهَا) بِالرَّاءِ حَمْزَةً وَالْكَسَائِيُّ" (٧١).

يقول السمعاني: "{وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا} يَقْرَأُ بِقَرَاءَتَيْنِ بِالرَّاءِ: نُحْيِيهَا، وَبِالزَّايِ: يَرْكَبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، مِنَ النُّشْزِ، وَهُوَ الْإِرْتِفَاعُ" (٧٢).

وابن كثير في تفسيره يرى أن "{نُنْشِزُهَا} أَيُّ: تَرْفَعُهَا فَتَرْكَبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، ... وَأَنْ (نُنْشِرُهَا) أَيُّ: نُحْيِيهَا" (٧٣).

ويورد الطبري من المعاني "{كَيْفَ نُنْشِزُهَا} قَالَ: «نُحَرِّكُهَا» ... ، (نُنْشِرُهَا) قَالُوا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى فَهُوَ يُنْشِرُهُمْ إِنْشَارًا، وَذَلِكَ قِرَاءَةٌ عَامَّةٌ قُرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، بِمَعْنَى: وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُحْيِيهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا" (٧٤).

ومن معاني ن ش ز في المعجم

أَنْشَرَ يُنْشِزُ، إِنْشَارًا، فَهُوَ مُنْشِزٌ، وَالْمَفْعُولُ مُنْشَزٌ

(٧١) الداني . التيسير في القراءات السبع (ص: ٦٥)

(٧٢) السمعاني . تفسير السمعاني (١/ ٢٦٤)

(٧٣) ابن كثير . تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٨)

(٧٤) الطبري . تفسير الطبري (٤/ ٦١٦)

- أنشز الله عظام الميت: رفعها إلى موضعها وأعاد تركيبها " {وَأَنْظَرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا} ".
- أنشز الشيء: رفعه عن مكانه "أنشزت الحكومة التمثال حين وجدت مكانه غير مناسب له" (٧٥).

جدول المكونات الدلالية لقراءتي (نُنْشِزُهَا (بالراء)) و (نُنْشِزُهَا (بالزاي))

السّمات الدلالية	نُنْشِزُهَا (بالراء)	نُنْشِزُهَا (بالزاي)
نُحَرِّكُهَا	+	+
نُحْيِيهَا	+	-
البعث	+	-
يركب بَعْضُهَا على بعض	-	+
النشز، وَهُوَ الِارْتِفَاع	-	+
نَرْفَعُهَا فَتَرْكَبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ	-	+

فكل قراءة من جذرين مختلفين ، فالأولى من نشز ، والثانية من نشر ، ومعاني قراءة الزاي ، أكثر ، فتدل على التحريك ، بشكل معين ، والتركيب بشكل محكم فيرتفع شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى منتهاه ، ففيه تجسيد للفعل ، وأما قراءة الراء ففيها معنى البعث والإحياء ، مباشرة يثريه ويفسره ويجليه القراءة الثانية ، فكأن التساؤل كيف يكون البعث ، فتوضحه قراءة الزاي.

الخاتمة

وبعد فيمكن إيجاز أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي :

- أن ما ذهب إليه بعض المفسرين والنحاة من القول بالتماثل بين القراءتين بأنهما واحد^(٧٦) أو تخطيء بعض القراءات السبعة^(٧٧) هو قول فيه نظر، فقد أظهر التحليل التكويني للملامح الدلالية للقراءات أن الأمر لا يخلو من ملمح تمييزي لكل قراءة يثري الدلالة في جانب أو أكثر.
- أن تنوع القراءات القرآنية - فيما وقف عليه البحث من أمثلة - كان لإضافة سمة دلالية لا تقوم بها قراءة واحدة.
- من أهم السمات الدلالية التي أظهرها التحليل التكويني للقراءات موضع البحث

- الانتقال من الحسي إلى المعنوي كما في (مالك وملك)
- إضفاء ملمحي التكثير والموالة كما في (يخدعون ويخادعون)،
- إضفاء ملمحي العدد والهيئة كما في (أسرى وأسارى)
- بيان الصفة والهيئة كما في (نشرها ، ونشرها)،
- المبالغة والتعميم ليشمل القول والفعل كما في (حَسَنًا وَحُسْنًا)
- أظهر التحليل الدلالي تنوعا وثراء دلاليا كبيرا شمل كل صور تغير المعنى من توسيع للدلالة ، أو تضيق ، أو نقل للدلالة ؛ وذلك بإضافة ملمح تمييزي تقييدي ينقل الدلالة من مجال دلالي إلى مجال دلالي آخر ، أو يضيق الدلالة ببيان الهيئة أو العدد ، أو يوسع الدلالة بإضافة ملمح يوسع الدلالة ويعممها.

(٧٦) انظر مثلا: ما قيل حول يخادعون ويخدعون وأن وَكَلَا "الْقُرَاءَتَيْنِ تَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ". تفسير ابن كثير (١٧٧ / ١) .

(٧٧) انظر: رأي أو علي الفارسي حول قراءة أزالهما الشيطان في . الحجة للقراء السبعة . (١٤ / ٢) .

- يمكن أن تسهم نظرية التحليل التكويني في دراسة أوسع للقراءات القرآنية والخروج بنتائج مهمة في الدرس القرآني واللغوي.
ولله الحمد أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

- [١] الأزهرى ، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروى ، أبو منصور . تهذيب اللغة . تحقيق : محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربى - بيروت . الطبعة : الأولى ، ٢٠٠١م
- [٢] الألوسى ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينى . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . تحقيق علي عبد الباري عطية . دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ
- [٣] الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد . زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق عبد الرزاق المهدي . دار الكتاب العربى - بيروت ، الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ (١ / ٥٦)
- [٤] ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي ، الحنظلي ، الرازي ابن أبي حاتم . تفسير القرآن العظيم . تحقق أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية . الطبعة الثالثة - ١٤١٩ هـ
- [٥] أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان . البحر المحييط في التفسير ، تحقيق : صدقي محمد جميل . دار الفكر - بيروت ، الطبعة : ١٤٢٠ هـ
- [٦] الخلوّتي ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوّتي . روح البيان ، دار الفكر - بيروت .

- [٧] الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو. التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي - بيروت، الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- [٨] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي مفاتيح الغيب التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
- [٩] الرضي (رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي النحوي)، شرح الرضي على الكافية. تحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، مصر، ط ١، ٢٠٠٠م.
- [١٠] الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية
- [١١] فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار. عمان. الأردن. الطبعة الثانية ٢٠٠٧
- [١٢] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- [١٣] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. بحر العلوم.
- [١٤] السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي. تفسير القرآن. تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م
- [١٥] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. فتح القدير. دار ابن كثير، دمشق. الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

- [١٦] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
- [١٧] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر - تونس. ١٩٨٤ هـ
- [١٨] العاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي، بيان المعاني، مطبعة الترقّي - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م
- [١٩] عزت، دروزة محمد. التفسير الحديث. دار إحياء الكتب العربية - القاهرة. الطبعة: ١٣٨٣ هـ
- [٢٠] عضيمة، محمد عبد الخالق، المغني في تصريف الأفعال، ط ٢، دار الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٣٥.
- [٢١] الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي. الحجة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي - بشير جويجايي، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، (١ / ٩)
- [٢٢] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة. عالم الكتب. القاهرة. الطبعة الخامسة ١٩٩٨
- [٢٣] عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- [٢٤] القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

[٢٥] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك . لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة

[٢٦] قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي . في ظلال القرآن . دار الشروق - بيروت - القاهرة الطبعة السابعة عشر - ١٤١٢ هـ

[٢٧] ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي. السبعة في القراءات . تحقيق ضيف، شوقي . دار المعارف - مصر. الطبعة: الثانية . ١٤٠٠ هـ.

[٢٨] مكرم، عبد العال سالم. أحمد مختار عمر. معجم القراءات القرآنية . مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م.

[٢٩] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري . لسان العرب، دار صادر بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م.

[٣٠] النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي. إعراب القرآن. وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم، عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

[٣١] Crstal, Dived(1989 - P100 - 107) Cambridge Encyclopedia of language. . camridg university Press .

The Impact of Differences in the Lections (Readings) of Quran in Enriching the Semantics, Applied Study of Some Patterns in Sorah Al-Fatiha and Sorah Al-Baqarah By Using the Compositional Analysis Theory

Dr. Khalid Mohammed Saber

Assistant professor Faculty of Dar Al'ulum – Cairo university , Assistant professor Faculty of Arts and Humanities - Taibah University

Abstract. This research represents aside of the semantic rasarch in the Lections (readings) of Quran benefits from the Compositional Analysis Theory in the modern linguistics to define the Semantics Features of some samples of the seven Lections (readings) of Quran in Sorah Al-Fatiha and Sorah Al-Baqarah and the semantics variation resulted from that.

The research resulted in that the variation of the Lections (readings) added a semantic features only one reading can't do that.

From that of the important semantic features that the transition from sensory to mental, addition of numeric and shaping features representation the aspect and character and exaggeration and generalization to include word and deed. So the Compositional Analysis Theory can contribute in a wider study to the Quran (readings) and have important results in the Quran and linguistic lesson. Lections

"الحنين في الشعر الشنقيطي"

ابن أحمد دام نموذجاً

الشيخ أحمد المني

أستاذ مساعد . قسم اللغة العربية للناطقين بغيرها . كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم

ملخص البحث. لم تحظ ظاهرة الحنين في الشعر الشنقيطي بما تستحقه من دراسة رغم أن الشعر الشنقيطي عموماً بنشأته ومدارسه وأغراضه بدأ يحتل حيزاً من عمل الباحثين الموريتانيين خاصة في مذكرات وأطروحات التخرج من الجامعات الموريتانية والعربية. لذلك رأينا من المناسب التعرض للحنين في الشعر الشنقيطي من خلال أحد شعرائه البارزين وهو سيدي عبد الله ولد أحمد دام.

وقد قدمنا للبحث بمدخل نشرح فيه دلالياً مكونات العنوان والدوافع التي حادتنا إلى اختياره قبل أن نقدم كلمة عن المراجع وما تمثله من عقبة بالنسبة للباحث في الشعر الشنقيطي سيما في بعض ظواهره التي لم تحظ بكبير درس مثل غرض الحنين خاصة. وكان لزاماً علينا أن نقدم بين يدي البحث لمحة عن الحنين لغة واصطلاحاً كما عرفته أمهات كتب اللغة والأدب، أشفعناها بكلمة عن الحنين في الشعر العربي في عصوره الأولى.

وأما تناولنا للحنين في شعر ولد أحمد دام فقد استهل بنبذة عن حياة الرجل وسمات المحيط الذي نشأ فيه أتبعناها بإضاءة عن شعره قبل أن نتناول شعر الحنين لديه بشيء من الدراسة والتحليل. لقد توقفنا عند عناصر الحنين لديه كما عكستها النصوص المذكورة، فدرسنا الشخوص البشرية والمكانية ودورها في تجلية التجربة وإغنائها، قبل أن نتوقف عند مميزات الحنين لديه مركزين على المعجم الشعري ودلالاته ملمحين إلى مدى توفيق الشاعر في اختيار الكلمات والتعبيرات التي تناسب نقل تجربته بصدق وحرارة، كما تعرضنا للموسيقى الشعرية ودورها في تكثيف التجربة وإثرائها، ثم ختمنا بأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

مدخل

يتكون عنوان هذا البحث من وحدتين دلالتين، تُحِلُّ أولاهما وهي "الحنين في الشعر الشنقيطي" إلى ظاهرة شعرية قديمة - حديثة هي "الحنين" في فرع من مدونة الشعر العربي محدودة مكانيا ببلاد شنقيط^(١). وأما الثانية "ابن أحمد دَامَ نموذجاً" فمرتبطة بسابقتها لمقاربتها للظاهرة المذكورة، من خلال أحد الشعراء الشناقطة الذين عاشوا في الحدود المكانية المشار إليها. ولئن كان البعدان المعرفي "الشعر" والمكاني "شنقيط" واضحين في منطوق العنوان، فليس الأمر كذلك بالنسبة للبعد الزمني. لكن الشاعر - النموذج نفسه قد يخفف من غياب البعد الزمني من وحدات العنوان الدلالية؛ لأنه عاش في القرن الثالث عشر الهجري وبذلك تكون معالم البعد الزمني قد اتضحت إلى حد ما. ولكن هذا العنوان يبقى بحاجة - مع ذلك - إلى مزيد إيضاح وجلاء خاصة في بعده المكاني: بلاد "شنقيط" التي أضيف إليها الشعر في العنوان، وهي المعروفة حالياً بالجمهورية الإسلامية الموريتانية. وقد عرفت هذه البلاد تسميات متعددة^(٢) بحيث غدت "تسمية بلاد شنقيط" تسمية ضمن تسميات^(٣). ولئن تم تجاوز هذه التسمية "بلاد شنقيط" والتخلي عنها رسمياً منذ الاحتلال الفرنسي للبلاد مطلع القرن الميلادي

(١) شنقيط مدينة في الشمال الموريتاني يعود تأسيسها إلى سنة ١٦٠ للهجرة/ ٧٧٦ للميلاد. وقد خربت بعد ذلك وأعيد تأسيسها سنة ٦٦٠ للهجرة/ ١٢٦٢ للميلاد وهو التأسيس الذي ما تزال بعض معالمه قائمة إلى اليوم. انظر: الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٧ ص ٧٢.

(٢) منها "صحراء المثلثين" أو "بلاد المثلثين" ثم "بلاد التكرور" وتأتي "بلاد شنقيط" في المرحلة الثالثة تاريخياً. كما سميت بأسماء أخرى مثل: "المنكب البرزخي" و "بلاد الفترة"، لكن الاستعمار الفرنسي ابتعث لها من التاريخ الروماني غداة احتلاله لها اسماً مازالت معروفة به إلى اليوم ألا وهو "موريتانيا".

(٣) د. عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد، الشعر الشنقيطي في القرنين ١٢ و ١٣ هـ. دراسة في المرجع والبنية والقراءة، مطبعة المنار، نواكشوط، موريتانيا، ٢٠١٢، ص ٥٠.

المنصرم^(٤)، فقد ظل حضورها بارزا خاصة في الجانب المعرفي والثقافي لأسباب عدة منها أن البلاد عرفت بها لفترة طويلة خاصة في المغرب والمشرق العربيين، ومنها أن انطلاق ركب الحجيج كان في الغالب من مدينة شنقيط.

يضاف إلى ذلك أن العلماء الشناقطة^(٥) الذين اتجهوا إلى المشرق حجاجا ثم استقر بعضهم هناك، اشتهروا بسعة العلم والحفظ وقوة العارضة، الأمر الذي أعطى بلاد شنقيط شحنة دلالية تحيل إلى هذه المعاني كلها وساعد من ثم على صمود هذه التسمية إلى الآن.

دوافع الاختيار

خامرتني فكرة إعداد بحث عن الحنين في الشعر الشنقيطي باعتباره ظاهرة تستحق الدراسة، وذلك منذ بعض الوقت. وبعد مطالعات شبه استقصائية لهذه الظاهرة في مدونة الشعر الشنقيطي تبين لي أن الأمر يتطلب أكثر من بحث بل ربما تطلب كتابا كاملا على الأقل. وقد عقدت العزم على التصدي لتلك المهمة وإخراج كتاب يلّم شتات غرض الحنين في الشعر الشنقيطي ويكشف عن تجارب إنسانية من حق متذوقي الأدب والمشتغلين به الاطلاع عليها.

ولكن الظروف لم تسمح لي بعد بمباشرة ذلك العمل، وإن كنت اطلعت على جل نصوص الحنين وجمعت بعضها. وريثما تسنح الفرصة بذلك رأيت أن أبدأ بتناول الحنين في شعر سيدي عبد الله بن أحمد دَامْ لاعتبارات منها: أنني عايشت نصوص

(٤) أطلقت فرنسا تسمية موريتانيا بقرار وزاري بتاريخ ٢٧ / ١٢ / ١٨٩٩م، والاسم مبتعث من التاريخ الروماني وكان يدل على إقليم بإفريقيا يقع غربي نوميديا ويشمل غرب الجزائر وشمال المغرب. انظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مادة: "موريتانيا"، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٩٥.

(٥) من هؤلاء: محمد محمود ولد التلاميذ المركزي وأحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي ومحمد الأمين بن فأل الخير الحسني الشنقيطي ومحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي صاحب أضواء البيان... إلخ

شعره - ومنها نصوص الحنين - منذ سن مبكرة، فبقيت محفورة في الذاكرة راسخة في الوجدان. أمر آخر دعاني إلى تناول الموضوع ألا وهو قلة البحوث والدراسات التي تعرضت له، رغم أنني أزعم أنه لا يقل شأنًا عما حظوا ببعض المؤلفات والبحوث، لذلك رأيت أن أضع لبنة متواضعة في بناء نتمنى أن يوفيه بعض حقه علينا.

كلمة عن المراجع

ما زال الشعر الشنقيطي أو الموريتاني بحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات التي من شأنها الكشف عن مختلف جوانبه الإبداعية. ولئن ظهرت كتب ودراسات متعددة تناولته نشأة وأغراضا وتصنيفا، فإن جل كنوزه ما يزال رهين المكتبات الخاصة والخزانات الشخصية على شكل مخطوطات أو مرقونات في أحسن الأحوال. لذلك فإن من يتصدى للبحث فيه وخاصة في بعض جوانبه التي لم تحظ بعناية كبيرة شأن غرض الحنين الذي نتناوله في هذا البحث، لا بد أن تواجهه عقبات عديدة ليس من أهونها قلة المراجع في هذا الباب.

ومع ذلك فإن هناك مؤلفات تطرقت للشعر الشنقيطي تأريخا ونقدا تقدم للباحث مادة أولية يمكن الاستفادة منها في تكوين تصور عام عن هذا الشعر دون أن تمده بما يفيد في دراسة غرض الحنين ذاته. وعليه فإننا أقدمنا على هذا البحث وليس بين أيدينا من عمل يساعدنا في التصدي له، وهو أمر يؤثر سلبا على البحث كله. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، لذلك قررنا التصدي لهذا العمل مستعينين بالله وحده في إبراز جانب من جوانب الإبداع في الشعر الشنقيطي لم تمتد إليه يد البحث والتنقيب بعد. ولا بد من الاعتراف بأن هناك مؤلفات في الشعر الشنقيطي استفدنا منها في المعلومات السياقية كنشأة الشعر الشنقيطي وأغراضه وحياة ابن أحمد دام وبيئته وعصره، بل وأمدتنا بأهم النصوص موضوع البحث وهي مذكورة في نهاية البحث.

الحنين لغة واصطلاحاً

لا جرم أن الحنين إلى الوطن والأهل وإلى مرابع الصبا، طبع راسخ لدى بني الإنسان بل ولدى الحيوان كذلك، ولكنه بسكان البادية أرسخ وألصق. لذلك كان للعرب - وهم أهل بادية في الأصل - حظ وافر من الحنين إلى الوطن، وهو ما عكسته أشعارهم بجلاء وفي مختلف العصور. ولكننا قبل الاسترسال في الحديث عن الحنين في الشعر العربي عامة والشنقيطي خاصة، مولّون وجوهنا شطر كتب اللغة ومعاجمها بحثاً عن دلالة الحنين في اللغة، دون أن نطيل الاستطراد لعلنا بأن الكلمة معروفة مطروقة في معاجم اللغة وكتب الأدب.

فقد جاء في لسان العرب: "الحنين: الشّديد من البكاء والطّرب، وقيل: هو صوت الطّرب، سواء كان ذلك عن حزن أو فرح. والحنين: الشّوق وتوقّان النّفس، والمعنيان متقاربان"^(٦).

وقال الفارابي في معجم ديوان الأدب^(٧): "حنّ إليه حنيناً أي اشتاق، وكذلك حنّت الناقة أي صوّتت، وحنّ عليه حناناً أي ترحّم". وقد عُرفت الناقة به أكثر من سواها، وبها ضُربَ المثل، قال رؤبة:

حَنَّتْ قُلُوصِي أُمْسٍ بِالْأُزْدِ حَنِّي فَمَا ظَلِمْتُ أَنْ تَحَنِّي

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمُنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الْجِذْعُ فَاتَّاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ^(٨). وَقَالَ أَبُو

(٦) ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، طبعة جديدة عني بـماكل من: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، مادة حنن.

(٧) تحقيق د. أحمد مختار عمر ومراجعة د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م، الجزء الثالث، ص. ١٤٤.

(٨) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢، ص. ١٩٥.

الْهَيْثَمُ: يُقَالُ لِلْسَّهْمِ الَّذِي يَصَوِّرُ إِذَا نَفَزَتْهُ بَيْنَ إصْبَعَيْكَ: حَنَّانٌ. وَأَنْشُدْ قَوْلَ الْكُمَيْتِ:

فَاسْتَلَّ أَهْزَعَ حَنَّانًا يُعَلِّلُهُ عِنْدَ الْإِدَامَةِ حَتَّى يَرْئُو الطَّرْبُ

وَتَحَنَّنَتِ النَّاqَةُ عَلَى وَلَدِهَا: تَعَطَّفَتْ. وَأَصْلُ الْحَنِينِ تَرْجِيعُ النَّاقَةِ صَوْتَهَا إِثْرَ وَلَدِهَا. قَالَ فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطُ: "حَنَّ، الْحَنِينُ: الشَّوْقُ وَشِدَّةُ الْبُكَاءِ. وَحَنَّ، يَحَنَّ، حَنِينًا: اسْتَطْرَبَ فَهُوَ حَانٌّ كَاسْتَحَنَّ وَتَحَنَّ"^(٩). أَمَّا عِنْدَ الْإِنْسَانِ فَالْحَنِينُ هُوَ اشْتِيَاقٌ وَلَوْعَةٌ وَالْمُ دَاخِلِيٌّ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ^(١٠). وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: حَنَّانُكَ وَحَنَّانِيكَ فَإِنَّ اللَّيْثَ قَالَ: حَنَّانِيكَ يَا فَلَانَ أَفْعَلَ كَذَا أَوْ لَا تَفْعَلْ كَذَا تُذَكِّرُهُ الرَّحْمَةَ وَالْهَرَّ. وَقَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ^(١١)

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَّانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وَعَلَى ذَلِكَ فَالْمُسْتَحَنَّ، هُوَ الَّذِي يَحَنَّ إِلَى وَطَنِهِ وَيَنَازِعُهُ الشَّوْقُ إِلَى أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ. وَهَذَا الْإِيغَالُ الرُّوحِي بِالْجِيْشَانِ الْعَاطِفِي يَخَامِرُ الْمَرْءَ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ أحيانًا فِي حَالَةِ انْتِقَالِهِ مِنْ مَكَانٍ لِآخَرَ، لَا سِيَّمَا إِذَا نَأَتْ الْمَسَافَةُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَهْلِهِ. وَالْحَنِينُ إِلَى الْوَطَنِ هُوَ الطَّاعِي عَلَى لُبِّ الْمَرْءِ سِوَاءَ أَكَانَ فِي سَفَرٍ أَمْ فِي عَمَلٍ، فَمَا بِالْكَ إِذَا كَانَ الْإِبْتَعَادُ مَفْرُوضًا عَلَى الْإِنْسَانِ اضْطِرَارًا لَا اخْتِيَارًا؟ وَكَثِيرًا مَا تُلَازِمُ الْغُرْبَةُ الْحَنِينَ حَيْثُ تَكُونُ مِنْ بَوَاعِثِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ بَاعِثُهُ الْوَحِيدَ. فَالْبَعْدُ عَنِ الْوَطَنِ وَالْأَحْبَةِ وَالْأُلَافِ سَبَبٌ كَافٍ

(٩) محمد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١، بيروت ١٤٠٦، ص. ٦٣٠.

(١٠) رسائل أبي العلاء المعري، ١٠٧/١، تحقيق د. إحسان عباس، دار الشروق، ط ١، بيروت ١٩٨٢.

(١١) ديوان طرفة، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٣ هـ. ٢٠٠٢ م، ص. ٥٣.

للحنين. والغربة النَّأيُ والبعد عن الأهل والوطن، وقد تكون الغربة ذاتيةً داخليةً دونما سبب من بعدٍ أو نأيٍّ وإنما بفعل الخروج عن معهود الناس ومألوفهم.^(١٢)

وبالجملة فالحنين والغربة متلازمان فلا حنينَ إلاَّ وللغربة فيه جذور، ولا غربةَ إلاَّ والحنين مظهرٌ من مظاهر الضيق بها. فكيف عكس الشعر العربي هذه الظاهرة وكيف صورها الشعراء العرب قديماً وحديثاً؟

الحنين في الشعر العربي

تزخر مدونة الشعر العربي على اختلاف عصوره بكمٍّ هائل من القصائد والمقطّعات والنُتفِ التي صوّر أصحابها غربتهم وحنينهم إلى الأهل والديار، وتبرّمهم وضيقهم بالنأي والاعتراب. فالحنين إلى الأوطان والأهل والأحباب علامةٌ على رقة القلب والرشد لما فيه من الدلائل على كرم الأصل، وتمام العقل.

ولقد عرّف العربيُّ حبَّ الوطن والحنينَ إليه منذ أقدم الأزمان، فحمل لنا الشعرُ العربي صوراً رائعةً من أشواق الشعراء وحنينهم إلى أوطانهم ومرايهم ومراتع صباهم. فيندر أن تجد قصيدة عربيةً إلاَّ وبها حنينٌ إلى الوطن أو ذكرٌ للمنازل والديار والحبيب، ولا غرو في ذلك فالأرض قطعةٌ من الإنسان لا ينيى عنها إلى أهلها.

وليس من مبتغانا في هذا البحث استقصاءُ مظاهر الحنين في الشعر العربي لاستحالة ذلك أولاً، ولضيق المجال عن ذلك ثانياً، وإنما نودُّ أن نقدم نبذةً مختصرةً وإلماحاً موجزةً نمهد بها لما نحن بصددّه. لقد رافق الحنين إلى الأهل والوطن والخلان الشعر العربي في عصوره المختلفة، فهذا امرؤ القيس - وهو أول من بكى واستبكى - يقول^(١٣):

(١٢) مها رويحي وإبراهيم الخليلي، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي، عصر سيادة غرناطة ٦٣٥ - ٦٩٧ هجرية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٧، ص. ٢٣.

(١٣) ديوان امرئ القيس، بعناية عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، طبعة ٢، بيروت ٢٠٠٤، ص. ١٤.

فَقَدْ نَبَّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَمَلٍ

وفي العصر الإسلامي، دوَّن الشعراء العذريون ما عانوه من غربة الإبعاد والحرمان من المحبوبة، والنفي والبعد عن الوطن، وهو نفس حمله حينهم شعراً رائعاً رائعاً تتغنى به الأجيال. يقول جميل بن معمر:

هَاجَتْ فُؤَادَكَ لِلْحَبِيبَةِ دَارُ أَقْوَتْ وَغَيَّرَ آيَهَا الْأَمْطَارُ
وَعَفَا الرَّبِيعُ رُسُومَهَا فَكَانَتْهَا لَمْ يَغْنِ قَبْلُ بِرَبْعَهَا دِيَارُ
لَمَّا وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ تَبَادَرْتُ مِني الدُّمُوعُ وَهَاجَنِي اسْتِغْبَارُ

وفي العصر العباسي يكفي أن نذكر يتيمة ابن زريق البغدادي التي غدت من أشهر قصائد الشوق والحنين ومنها:

لَا تَغْدِيلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُؤْلَعُهُ قَدْ قُلْتُ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
بَلَغْتَ فِي لُومِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتُ أَنَّ اللُّومَ يَنْفَعُهُ

ويخلص إلى تصوير بديع لشوقه وحنينه إلى أهله ووطنه بعد أن ضرب في الأرض متبرماً بالارتحال الدائم الدائب الذي لا يرى له من هدف إلا ذرع الأرض جيئةً وذهاباً دونما طائل:

يَكْفِيهِ مِنْ لَوْعَةِ التَّشْتِيتِ أَنَّ لَهُ مِنْ النَّوَى كُلِّ يَوْمٍ مَا يُرْوَعُهُ
مَا آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجُهُ رَأْيِي إِلَى سَفَرٍ بِالْعَزْمِ يُزْمَعُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي حَالٍ وَمُرْتَحِلٍ مُوَكَّلٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ يَنْذَرُهُ

وبلغ الحنين والشوق ذروته باستدعاء المكان الذي كان مسرح أنس الشاعر وطربه واجتماع شمله بمن يحب، وباستدعاء الزمان لمحاورته ومساءلته عن الزمن الجميل متى يعود وهل يعود أصلاً؟

بِاللهِ يَا مَنْزِلَ الْعَيْشِ الَّذِي دَرَسْتُ آثَارُهُ وَعَقْتُ مُذْ بِنْتُ أَرْبَعَهُ
هَلِ الزَّمَانُ مُعِيدٌ فِيكَ لَدَتْنَا أُمَ اللَّيَالِي الَّتِي أَمْضَتْهُ تُرْجَعُهُ^(١٤)

تلك نماذج قليلة جدا من مظاهر الشوق والحنين في الشعر العربي في عصوره المختلفة، تعكس ما كان لهذا اللون الشعري من حضور في مدونة الشعر العربي القديم. كما أنها تمهد لما نحن بصدد ه من الحديث عن الحنين في شعر سيدي عبد الله ولد احمد دام.

وقبل الانخراط في موضوع البحث، نرى مناسبا التطرق - وبإيجاز شديد - إلى الحنين في الشعر الشنقيطي بصفته غصنا من دوحة الشعر العربي نما في ذلك الركن القصي من بلاد العرب المعروف اليوم بموريتانيا^(١٥)، بادئين بلمحة عن الشعر الشنقيطي نفسه: نشأته وآراء النقاد فيه وما استقرت عليه اجتهاداتهم في هذا السياق.

ومما يسوغ إعطاء مساحة معقولة لهذا المشغل، كون الشعر الشنقيطي يكاد يكون مجهولا في معظم البلاد العربية، بل إنه يكاد يكون مجهولا لدى المشتغلين بالأدب في تلك البلاد. لذلك رأينا من المناسب التوقف عند نشأة هذا الشعر واستعراض بعض الآراء النقدية حولها.

(١٤) المحاسن والأضداد، عمر بن بحر بن محبوب الكناي، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣، ص. ٣٣٣.

(١٥) الاسم الحالي لما عرف ببلاد شنقيط، وتحدها شمالا المغرب وشرقا مالي والجزائر وجنوبا نهر السنغال وغربا المحيط الأطلسي.

المبحث الأول: الحنين في الشعر الشنقيطي

في هذا المبحث نوّلي وجوهنا شطر الشعر الشنقيطي ملمحين إلى نشأته وما اكتنفها من غموض، وما استقر عليه رأي الباحثين حولها، قبل أن نتعرض للشعر الشنقيطي نفسه من خلال إنتاج الشعراء الشناقطة عامة وفي القرن الثالث عشر خاصة لنقف على مظاهر الحنين في شعرهم.

المطلب الأول: الشعر الشنقيطي: النشأة

يتفق أكثر الدارسين على أنه يسود نشأة الشعر العربي الفصيح في موريتانيا نوع من الغموض، بحيث يصعب تحديد تاريخها بدقة. وكل ما يمكن قوله إن إرهاباته الأولى كانت في القرن السابع الهجري على شكل أنظمة ومقطعات ينشئها العلماء والفقهاء في نطاق الدرس المحظري أو في الزوايا الصوفية^(١٦). غير أنه من شبه المؤكد أن استواء هذا الشعر على سوقه وبلوغه الأشد كان على يد شعراء كبار أمثال ولد رازكة العلوي (ت ١١٤٣هـ / ٢ - ١٧٣١) الذي يقول:

فَإِنْ لَمْ تَرَ التَّعْلَ الشَّرِيفَةَ فَانْخَفِضْ لَتَمَنَّا لَهَا وَاعْكِفْ عَلَى لَثْمِهَا عَكْفًا
بَدَتْ رَوْضَةً مَسْكِيَّةً النَّشْرَ أَوْشَكْتُ لَطِيبِ شَذَاهَا الْعَيْنُ أَنْ تَحْسَدَ الْأَنْفَا^(١٨)

ومحمد اليدالي الديماني^(١٩) والذيب الكبير الحسني^(٢٠) وآل ولد المصطفى^(٢١) وبوفمين المجلسي^(٢٢).

(١٦) الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة في وصف الأساليب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس الغرب ١٩٩٠، ص ٢٤٠.

(١٧) سيدي عبد الله بن محم بن القاضي العلوي، عالم وشاعر، ولد بشنقيط ورحل إلى منطقة القبلة المعروفة اليوم بالترارة. راجع: د. محمد المختار ولد اباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الإيمان، الرباط.

(١٨) الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص ١٨٤.

وهذا هو رأي د. محمد المختار ولد أباه وتابعه فيه المرحوم د. أحمد جمال ولد الحسن ود. عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد. فولد الحسن عند حديثه عن نشأة الشعر الشنقيطي - وبعد استعراضه لبوادر هذا الشعر ممثلة في الأنظام والمقطوعات التوسلية والمديحية التي ينشئها الفقهاء باعتبارها جزءاً من نشاطهم الديني والتعليمي - انتهى إلى القول: "إن معلوماتنا الراهنة لم تسمح بعد بنفي الحكم الذي جزم به محمد المختار ولد أباه عن "نشأة الشعر الموريتاني" (٢٣).

ومن الطريف فعلاً أن العلماء والفقهاء وقفوا من الشعر في البداية موقفاً يراوح بين الرفض والقبول ثم لم يلبثوا أن تعاطوه إنشاداً وإنشاءً، ولذلك فإن لنشأة الشعر الفصيح في بلاد شنقيط علاقة صلبة بالتعليم الديني الذي كانت المحاضر (٢٤) كنفه وكان العلماء سدنته. وهكذا فإنه ما إن حل القرن الثالث عشر الهجري حتى انقلبت الآية

(١٩) محمد بن المختار محم سعيد المعروف بمحمد اليدالي الديباني (١٠٩٥هـ / ١٦٨٨م - ١١٦٦هـ / ١٧٥٣م)، عالم جليل تعلم على أشفغ مينحنا وله مؤلفات منها الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، وله ديوان شعر. راجع كتاب: الشعر والشعراء في موريتانيا، مرجع سابق.

(٢٠) شاعر ذائع الصيت ضائع الأخبار والأشعار، توفي على ما يرجحه ابن حميدة في العقد الرابع من القرن الثاني عشر الهجري. انظر: الشعر والشعراء في موريتانيا، مرجع سابق.

(٢١) معاصر لليدالي وابن عمه، ضاعت أشعاره.

(٢٢) شاعر من شعراء تلك الفترة، كان هجاءً مداحاً ساجل ابن رازكه. راجع الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق.

(٢٣) نفس المرجع، ص. ٨٤.

(٢٤) مؤسسات التعليم الأهلية في بلاد شنقيط. ويتدرج مستوى التعليم فيها من الكتاتيب إلى الجامعات. راجع: التحليل النحوي: "بلاد شنقيط المنارة والرباط"، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،

فتسامح الفقهاء مع الشعر بل واستعذبوه وأنشؤوه وأنشدوه واستشدهوه. لذلك غدا من المعقول اعتبار هذا القرن عصر ازدهار الشعر الفصيح في بلاد شقيط.^(٢٥)

المطلب الثاني: الحنين في الشعر الشنقيطي: نماذج

لا يحتاج المرء - وهو يتصفح مدونة الشعر الشنقيطي بمختلف عصوره ومدارسه - إلى كبير جهد للوقوف على نماذج متنوعة من شعر الحنين والغربة، كتبها أصحابها وقد طوحت بهم النوى بحثا عن سبل الرزق أو شوقا إلى الحج. وعن هذين السببين يصدر جل الشعراء فيما يكتبونه من قصائد ومقطعات تفيض بالحنين والشوق. وليس من مرادنا التعرض لكل أو جل ما كتبه الشعراء الشناقطة في غرض الحنين، وإنما نرمي إلى عرض نماذج محدودة تعكس ما كان لهذا اللون الشعري من حضور لدى الشعراء الشناقطة، توطئة للحديث بصورة أكثر تفصيلا عن الموضوع في شعر سيدي عبد الله ولد أحمد دام الذي هو مدار هذا العمل.

ولعلنا لا نجانب الحقيقة إن قلنا إن الحنين والشوق إلى حج بيت الله الحرام وزيارة المسجد النبوي الشريف، على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم موضوعان مسيطران على غرض الحنين في الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر. ويكفي أن نشير إلى أنه كان من عادة الشناقطة أن يحجوا سيرا على الأقدام، وعلى ظهور الدواب لمسافة تناهز السبعة آلاف كيلومتر^(٢٦) وذلك رغم بعد الشقة وهول الطريق وقلة ذات اليد في الأغلب الأعم.

(٢٥) راجع : الشيخ أحمد المنى، الشعر السياسي الموريتاني في القرن العشرين: من المقاومة إلى المعارضة، قراءة

في الأساليب والمضامين، أطروحة دكتوراه، مرقونه، جامعة دكار، ٢٠١٠.

(٢٦) د. حماد الله ولد السالم، موريتانيا في الذاكرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م،

لقد كان الحنين إلى البلاد المقدسة يدفعهم إلى المغامرة بحياتهم وترك أهلهم ووطنهم لتأدية الركن الخامس من أركان الإسلام الذي تشترط فيه الاستطاعة أصلاً. ومن نماذج شعر الحنين والشوق إلى الحج وبلاد الحجاز قصائد الشاعر محمّدو ولد محمدي^(٢٧) الشهيرة ومنها قصيدته التي مطلعها:

تَجَلَّدَ جَهْدَ نَفْسِكَ لِلْفِرَاقِ وَكَفِّفْ غَرْبَ سَافِحَةِ الْمَآقِي
وَجَرِّدْ مِنْ عَزِيمِكَ مَا يُوَاوِي مُتَرَاتِ الْمُهَنَّدَةِ الرَّقَاقِ^(٢٨)

وهو مطلع يشي بما يعتلج في نفس الشاعر من الشوق والحنين إلى الحج معتمداً على نفسه وعزيمته، موطناً نفسه على التجلد والصبر على مفارقة الأهل والديار. وعزاؤه في ذلك ما يصوره خياله من قرب وصوله إلى البلاد المقدسة التي يحن إليها وإلى شخوصها المكانية أيما حنين:

إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ أَحَلْتُ عَنْكُمْ صَفِيحَةَ وَجْهِ وَجْدِي وَاشْتِيَاقِي
سَلَوْتُ أَحَبِّي وَاشْتَاقَ قَلْبِي لِنَلِّكَ الْأَرْضَ لَا تُجَلِّ الْحِدَاقِ
وَلَا بَيْضَ التَّرَائِبِ وَالثَّنَايَا مُدِيرَاتِ الْجُمَانِ عَلَى التَّرَاقِي^(٢٩)

وتستمر القصيدة على هذا النحو زفرات وبوح نفس لا يكثرث بالبعد والصعاب ووحشة الطريق، متوكئة على عصا الشوق والحنين الجارف إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة مهوى فؤاد كل مسلم.

(٢٧) هو محمّدو ولد محمدي، ولد سنة ١٢٤٢هـ. ١٨٢٦م في بيت علم وأدب. توفي سنة ١٢٧٧هـ. ١٨٦٠م في الطريق بين مكة وجدة وعمره ثلاثون سنة، وكان خرج حاجاً سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٦م. انظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م، مكتبة الخانجي. القاهرة، ومؤسسة منير. موريتانيا، ص. ٥٧.

(٢٨) نفسه، ص. ٤٩.

(٢٩) نفس المرجع، ص. ٥٠.

ومن نماذج الحنين الدالة أبيات الشاعر "بوفمين" (٣٠) - أبو فمين - التي يصف فيها ما تعانيه قبرة من الحنين لوطنها وما آلت إليه حالها التي هي حال الشاعر نفسه، يقول:

أَصِخْ لِقُبْرَةٍ نَأَتْ عَنِ الْوُطَنِ كَمَا نَأَيْتَ وَبَيْكِي سَاكِنُ الْوَكَنِ
مُغْبَرَّةَ الطُّوقِ وَالْمِنْقَارِ جُجُجُوهَا تَشْوِبُهُ خُمْرَةٌ مُصْفَرَّةُ الْبَدَنِ
لَمَّا شَدَتْ خِلْتُ أَنِّي كُنْتُ أَعْهَدُهَا بِذِي "ذَوِي مَنَّةٍ" تَشْدُو عَلَى فَنَنِ (٣١)

وفي هذا السياق نرى من المناسب التعرض لأبيات الشاعر احمدو ولد عبد الله ولد حبيب الله الحسني (٣٢) التي أرسلها إلى والديه من غربته في إفريقيا، وهي قطعة من نفسه تفيض شوقا وحنينا وتعلقا بوالديه وتقريبا لنفسه على تقصيره نحوهما، متوكلنا على مناجاة للبرق اللائح عله يصله بوطنه وأهله بعد أن تعذر عليه وصلهما كفاحا، وبها نختتم:

أَيَا مَنْ لِنَاءٍ لَا يَزَالُ حَيْنُهُ إِلَى وَالِدَيْهِ دَائِمًا وَأَيْنُهُ
نَأَى عَنْهُمَا عَامًا وَعَامًا وَذُو نَوَى كَذَاكَ جَدِيرٌ أَنْ يَدُومَ حَيْنُهُ
وَضَاعَفَ مِنْهُ أَهْمٌ أَنْ رَأَى بَارِقًا بِأَقْصَى بِلَادِ الْغَرْبِ لَاحَ جَبِينُهُ
أَيَا بَرْقُ حَيِّ الْأَهْلِ عَنِّي وَرَوْهَمُ وَخَرَّهْمُ عَنِّي بِمَا تَسْتَيْبُنُهُ
وَأَمَّا عَدَاكَ الْأُمْرُ يَا بَرْقُ إِنَّنِي رَهِينُ أَسَى مَا إِنْ يُفْلِكَ رَهِينُهُ

(٣٠) بوفمين المجلسي: هو المصطفى بن أبي محمد، شاعر هجاء من شعراء الجيل الاول في شنقيط عاش في صدر القرن الثاني عشر الهجري. راجع: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مرجع سبق ذكره.

(٣١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص. ٣٤٨.

(٣٢) شاعر مقل من أسرة علم، ولد حوالي سنة ١٩١٨م وتوفي سنة ١٩٦١م. نقلا عن أخيه عبد الله ولد حبيب الله في مقابلة معه بتاريخ ٢٥/٠٤/٢٠١٤ في نواكشوط.

فَبَلَغَ أَبِي مَيِّ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ يُحْيِيكَ مَنْ قَدْ كُنْتَ قَدْماً تَصُونُهُ
فَلَمَّا دَنَا مَا كُنْتَ مِنْهُ مُؤَمَّلاً نَاكَ كَمَا يَنَآئِ الْغَرِيمَ حَوُونُهُ
وَعَرَجَ بِأَمِّي وَاتْرُكِ الْقَوْلَ عِنْدَهَا أَلَا إِنَّ بَعْضَ الْقَوْلِ جَلَّتْ شُؤُونُهُ

المبحث الثاني: الحنين في شعر سيدي عبد الله ولد أحمد دام

نتناول في هذا المبحث تجليات الحنين لدى الشاعر سيدي عبد الله بن أحمد دام ممهدين لذلك بنبذة موجزة أشد ما يكون الإيجاز عن حياته والوسط الاجتماعي والثقافي الذي عاش فيه وذلك في المطلب الأول. وأما في المطلب الثاني فسنحاول الاقتراب من شخصيته من خلال نماذج من شعره نراها دالة على شاعريته التي يشهد لها اعتباره من أهم شعراء القرن الثالث عشر الهجري في بلاد شنقيط^(٣٣).

المطلب الأول: نبذة عن حياة ولد أحمد دام وعصره

لا نرمي هنا إلى تقديم ترجمة وافية لحياة شاعرنا بقدر ما نبغي تسليط الضوء على الخطوط العامة للحيز الزماني والمكاني الذي ولد وترعرع فيه والظروف التي أثرت في حياته فدفعته إلى التطواف في بلاد إفريقيا السوداء والتي أنتجت أهم شعر الحنين لديه.

ولد سيدي عبد الله بن أحمد دام الحسني حوالي^(٣٤) ١١٧٠هـ/١٧٥٦م في منطقة "العقل"^(٣٥) في الجنوب الغربي من موريتانيا الحالية. ونشأ في بيت يتعاطى أهله

(٣٣) كان ذلك ضمن كتاب: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر للدكتور أحمد جمال ولد الحسن، مرجع سابق.

(٣٤) لم تساعد طبيعة الحياة البدوية وسمتها الترحال الدائم على حفظ تواريخ الميلاد والوفيات بشكل دقيق في بلاد شنقيط في ذلك العصر.

(٣٥) منطقة تميزت بآبارها القصيرة التي يسهل امتياح الماء منها.

ومحيطهم العلوم السائدة في عصرهم وأهمها: القرآن واللغة والأدب والنحو والفقه مع بعض الممتات كالمنطق مثلاً. ولكن الدرس اللغوي وعماده دواوين الستة الجاهليين بشرح الأعلام الشنتمري وديوان غيلان ذي الرمة، طغى^(٣٦) على ما سواه من الدروس خاصة في القرن الثالث عشر الهجري وفي الجنوب الغربي من موريتانيا الحيزين الزماني والمكاني لشاعرنا.

لذلك - وفي غياب معلومات موثقة - فإننا نفترض أن ولد أحمد دام قرأ تلك الدواوين بعد دراسته للقرآن ومبادئ اللغة والفقه على عادة محيطه المباشر والقريب. ولعلنا نورد من شعر الرجل في المطلب الثاني من هذا المبحث ما ينهض دليلاً على تأثره بهذه الدواوين وغيرها من دواوين الشعر العربي التي كانت متداولة في بلاد شنقيط في ذلك العصر، شأنه في ذلك شأن معاصريه من الشعراء الشناقطة.

وقد قاده طلب العلم إلى الالتحاق بمحظرة العلامة المختار ولد بونه الجكني^(٣٧) التي كانت للدراسات اللغوية والأدبية فيها مكانة خاصة، وانتمى إلى الطريقة الصوفية القادرية التي أخذها عن الشيخ سيديا بن الهيبه^(٣٨) الذي كانت حضرته من أكبر الحضرات الصوفية^(٣٩) وأكثرها تأثيراً آنذاك. وبعد أن تخرج على ولد بونه علمياً والشيخ سيديا صوفياً رحل إلى بلاد إفريقيا لاكتساب فأكثر الحنين إلى بلاده والشوق إلى أهله

(٣٦) ولد الحسن، مرجع سابق، ص. ١١٨.

(٣٧) عالم جليل (ت ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)، تخرج عليه في اللغة والنحو معظم علماء شنقيط في عصره والعصر الذي يليه. راجع: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة في وصف الأساليب، مرجع مذكور سابقاً.

(٣٨) هو الشيخ سيديا الكبير ولد المختار ولد الهيبه (ت ١٢٨٤هـ)، عالم جليل ومتصوف كبير وشاعر مكثر. راجع: ألوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق.

(٣٩) "الحضرة" في السياق الشنقيطي تعني مستقر الشيخ في حيه المتنقل، ويقابلها في البلاد العربية "زاوية".

وخلانه: "حتى كان الحنين نغمة له مميزة"^(٤٠) على حد وصف ولد الحسن. وكان يعود إلى بلاده أحيانا ثم لا يلبث الحنين إلى زوجه وأولاده أن يغريه بالعودة إلى السنغال^(٤١) حيث تركهم. ومع أن تاريخ وفاته غير مضبوط، فالغالب أنه توفي بعيد سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م.^(٤٢) وله ديوان شعر مرقون^(٤٣) ومؤلفات في العقيدة والفقه والحديث^(٤٤). وقد ضم هذا الديوان جل شعره المحفوظ، والذي يدل على أنه كان شاعرا متمكنا من ناصية اللغة، وكانت له شاعرية لا تخطئها العين، نحاول استجلاءها في المطلب التالي من هذا البحث.

المطلب الثاني: ولد أحمد دام شاعرا

يتبوأ ابن أحمد دام مكانة بارزة بين الشعراء الشناقطة وخاصة بين معاصريه من شعراء القرن الثالث عشر الهجري. لذلك كان حضوره لافتا في الأعمال التي تناولت الشعر الشنقيطي في هذا القرن وفي القرون التي تلت^(٤٥). فهو إذن ليس نكرة في الشعر الشنقيطي، وإن لم يحظ - كما ألمحنا إلى ذلك سابقا - بدراسات وبحوث خاصة به.

(٤٠) الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مرجع سابق، ص. ١٣٠.

(٤١) دولة إفريقية مسلمة تقع في غرب أفريقيا، استقلت عن فرنسا سنة ١٩٦٠، عاصمتها داكار.

(٤٢) لكون صديقه الشاعر محمدي ولد سيدينا (ت شوال ١٢٦٤هـ/أغسطس أو سبتمبر ١٨٤٨م) خاطبه

بأبيات وهو يحتضر. راجع: د. أحمد جمال ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة

في وصف الأساليب، مرجع سابق، ص. ١٣٠.

(٤٣) حققه محمد رضوان الله ولد محمد سالم، المدرسة العليا للتعليم، نواكشوط، ١٩٨٤م.

(٤٤) Mohamed El Mokhtar Ould Bah, La Litterature juridique et l'evolution du Malikisme en Mauritanie, Tunis, 1982.

(٤٥) فقد أورد جل شعره المحفوظ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" المشار إليه

سابقا. كما كان على رأس الشعراء الذين تناولهم د. أحمد جمال ولد الحسن في كتابه سابق الذكر: "الشعر

الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مساهمة في وصف الأساليب. كما تطرق إلى شعره د. محمد المختار ولد

اباه في كتابه "الشعر والشعراء في موريتانيا"، طبعة دار الأمان بالرباط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. وتناوله كل من

إن المتتبع لإنتاجه الشعري ليعجب من حضور أغلب الأغراض المعروفة في عصره من مدح ومدح وغزل وفخر ورثاء ومساجلات وحنين إلى الأهل والوطن وغيرها في ديوانه. والملاحظ أنه في كل هذه الأغراض مجيد حتى ليخيل إلى المرء وهو يقرأ مديحياته مثلاً أنه على المديح أقدر وأكثر ترمساً منه على ما سواه. وقل الشيء نفسه في المدح والغزل والحنين والمساجلات وبقية الأغراض، وهو أمر لا يتاح لكل الشعراء، إذ يكون بعضهم في أحيان كثيرة أكثر تمكناً في غرض معين منه في الأغراض الأخرى. ويدل ذلك على أنه كان بالفعل "شاعراً"^(٤٦) بالمقاييس النقدية التقليدية^(٤٧) التي كانت مسلطة على الشعر والشعراء في عصره الذي كان "عصر كبار الشعراء"^(٤٨).

وليس من مرامنا استطراد إنتاجه الشعري كله للدلالة على ما ذكرنا، بل سنقتصر على التعرض بإيجاز شديد لبعض قصائده التي نراها ممثلة لشعره، على أن تكون في أغراض مختلفة. ولا نعني بالتعرض لتلك القصائد استطرادها وتحليلها بل نعني سوق مطالعها وأبيات منها متفرقة تقيم أود البرهان على ما زعمناه من شاعرية الرجل.

الدكتور عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد في كتابه "الشعر الشنقيطي في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين: دراسة في المرجع والبنية والقراءة"، مطبعة المنار، نواكشوط، ٢٠٠٨م... إلى غير هؤلاء من الباحثين.

(٤٦) لم يكن من السهل الوصول إلى هذه المرتبة في بلاد شنقيط وخاصة في القرن الثالث عشر الهجري الذي استوى فيه شعر تلك البلاد على سوقه، وغدت فيه المقاييس النقدية صارمة أشد ما تكون الصرامة.

(٤٧) لا يتصف بهذه الصفة في بلاد شنقيط عادة إلا المتمكن في نسج الشعر الجيد في كل الأغراض، المثقف ثقافة لغوية وأدبية وعلمية جيدة. لذلك ضاع كثير من الشعر الشنقيطي الذي لم يكن مستوفياً لهذه الشروط التي كان لها من النقد سدة لا يتهاونون في تطبيقها.

(٤٨) الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مرجع سابق، ص. ٢٥.

وقبل ذلك لابد من الإشارة إلى أن ابن أحمد دام - على غرار شعراء عصره والعصور اللاحقة - متأثر إلى أبعد الحدود بالشعر الجاهلي خاصة على مستوى المعجم، ويشعر صدر الإسلام على مستوى المضامين. لذلك جاءت قصائده مضارعة لشعراء هذين العصرين على وجه التحديد. ولكنه مع ذلك بقي محافظاً على شخصيته المميزة، فلم يجترّ إنتاجاً متقدميه اجتراراً، بل مهره بطابع ذاته الشاعرة وألبسه من مفردات محيطه الطبيعي والاجتماعي حلة نسيجها الأرض والإنسان. ولئن تجلّى ذلك في شعر الحنين لديه بوجه خاص، فقد تجلّت شخصيته كذلك في مختلف أغراض شعره. ولكن الشعر الجاهلي خاصة والإسلامي بدرجة أقل، كان المثل الأعلى للشعراء الشناقطة، وكانت معارضته ومضارعته علامة على التمكن من فن القول الشعري وجواز سفره للالتحاق بمصاف الشعراء الكبار. ولا ضير بعد ذلك في أن يتنكب الشاعر - في مرحلة لاحقة - طرائق الجاهليين وأساليبهم ومعجمهم ليمتص من البيئة المحلية طبيعتها واجتماعيتها بل علميتها ولغويتها. وستعرض فيما يلي لثلاث قصائد من شعر ابن أحمد دام تتناول على التوالي غرض المدح والمديح والغزل مرجئين الحديث عن الحنين إلى المبحث اللاحق.

لم يكن ولد أحمد دام مداحاً ولكن له قصائد يمدح بها شيخه في الطريقة القادرية^(٤٩) الشيخ سيديا، منها هذه القصيدة التي تعد من عيون المدح في الشعر الشنقيطي، مطلعها^(٥٠):

مَا لِلْمَشِيبِ وَفَعَلَ الْفَتْيَةِ الشَّبَبُ وَلَلَّيْبِ يُؤَاصِي فِي الصَّبَا حَبَبُهُ^(٥١)
أَنْتَ لِدِي شَمَطِ الْفُودَيْنِ رَجَعْتُهُ^(٥٢) إِنَّ الْقَتِيرَ^(٥٣) لَيَحْمِي ذَا النُّهَى^(٥٤)

(٤٩) نسبة إلى عبد القادر الجيلاني المتوفى ببغداد سنة ٥٦١هـ.

(٥٠) الديوان، تحقيق: محمد رضوان الله، المدرسة العليا للتعليم، انواكشوط، ١٩٨٤، ص. ٣٤.

(٥١) الخبب ضرب من العدو وهو نقل الفرس أيا منه وأيا سره جميعاً وأن يراوح بين يديه. القاموس المحيظ، الطبعة

الثامنة ١٤٢٦ - ٢٠٠٥، مؤسسة الرسالة، ص. ٧٧.

وهي بداية قوية في لغة جزلة تجاوز فيها الشاعر المقدمة الطللية التي كانت من مقومات الشعر لدى القوم: وتلك أولى علامات بروز شخصيته وذاته. فهو ينكر على الشيب سلوك الشباب ويذكرهم بدنو الأجل وما يستلزمه من العزوف عن اللهو والتفرغ للعبادة قبل أن يخلص إلى الثناء على ممدوحه مقارنا إياه بحاتم الطائي، مضفيا عليه من آيات الثناء ما يليق بشيخ تربية روحية وزعيم سياسي، وذلك في أسلوب سمته القوة والجزالة والسلاسة:

حَارَتْ أَنْاسٌ يَحْدُو حَاتِمٌ وَلَقَدْ نَرَى سَخَاءَ كَمَالِ الدِّينِ قَدْ غَلَبَهُ
أَغْنَى الْعَمَاعِمِ^(٥٥) مِنْ رَاجِيهِ سَيْبُ نَدَى مَنْ لَا يَمُنُّ عَلَى الْعَافِينَ مَا وَهَبَهُ
يَلْقَى الْعُقَاةَ^(٥٦) بِوَجْهِهِ مِنْ سَمَاحَتِهِ كَاهُنْدَوَانِي تَجَلُّو مَتْنَهُ الْجَلْبَهُ^(٥٧)
وإن أَلَمَ بِهِ ضَئِيفٌ فَمُرَحَّجٌ يُثْنِي وَكَانَ جَمِيلَ الظَّنِّ إِذْ رَغِبَهُ

وتمضي القصيدة على هذا النحو في إضفاء صفات الكرم والندى والبذل والسخاء على الممدوح في اتباع لسنة أدبية عربية مألوفة، ولكن بلغة راقية لا ضعف فيها ولا ابتذال. وهذه الصفات الحميدة التي خلعها ولد أحمد دام على الشيخ سيدي هي التي تؤدي في ختام القصيدة إلى أن يصبح الممدوح مهوى الأفئدة ومحط الرحال:

فَأَصْبَحَ الشَّيْخُ مَاوَى كُلِّ ذِي ظَمَأٍ كَمَا يُصْبَحُ مَسْقَى دَجَلَةَ الْقُرْبَةِ

(٥٢) الشَّمَطُ: بياض الرأس يخالط سواده. القاموس المحيط، الطبعة الثامنة ١٤٢٦ - ٢٠٠٥، مؤسسة الرسالة، ص. ٦٧٤.

(٥٣) القنتر: المشيب. لسان العرب، دار صادر، طبعة ٣، ص. ٧٣.

(٥٤) العقل.

(٥٥) الجماعات من الناس. راجع اللسان، مرجع سابق، ص. ٤٢٧.

(٥٦) الأضياف وطلاب المعروف، نفسه، ص. ٧٤.

(٥٧) اختلاط أصوات الجماعة من الناس، نفسه، ص. ٢٦٩.

أما المديح فنعرض فيه لقصيدة له شهيرة يذوب فيها طرباً لذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، بدأها بمقدمة طللية على غير عادته فلم يطلها وإنما أتى بقدر ما يقيم أود الغرض ، يقول^(٥٨) :

تَأَلَّقَ لَمَّا غُ الوَمِيزُ لَمُوحُ	ب"ذِي السَّرْحِ" ^(٥٩) يَخْفَى تَارَةً وَيَلُوحُ
سَقَى دِمْنًا حَوْلَ اللُّوِيِّ وَأَرْبَعًا	عَلَى الْغَارِ ثَجَّاجُ الْفُوقِ سَحُوحُ
وَجَادَتْ عَلَى أَطْلَالِ "زَارٍ" ^(٦٠) مُرَبَّةٌ	بِهَاكُلُ غَرَاءِ الْجَبِينِ دَلُوحُ

ثم يخلص إلى مدحه صلى الله عليه ، مبتدئاً بالسلام عليه على مدى أربعة أبيات معددا ما استطاع من خصاله ومآثره :

سَلَامٌ بِأَنْفَاسِ الْعَبِيرِ يَلُوحُ	عَلَى النُّورِ يَغْدُو دَائِمًا وَيَزُوحُ
سَلَامٌ عَلَى قُطْبِ الْعُلَا الْأَوْحِدِ الَّذِي	يُرَوِّحُ مِنْهُ السَّامِعِينَ مَدِيحُ
سَلَامٌ عَلَى شَمْسِ الضُّحَى قَمَرِ الدُّجَى	وَنَجْمِ الْهَدَى ذِي عَوْضٍ لَيْسَ يَزِيحُ
سَلَامٌ عَلَى عِزِّ الْحِجَازِ وَأَهْلِهِ	مَنْ أَنْبَأَهُمْ شَقٌّ بِهِ وَسَطِيحُ ^(٦١)

ولكنه لا يلبث أن يقر بعجزه عن تعداد فضائله وشمائله وقصوره وسابقه بل ولا حقيقه عن وصف عشر معشار ما له من فضل وعظمة :

وَإِنِّي وَتَعْدَادِي خُلَاةٌ كَحَاسِبٍ	مِنْ الرَّمْلِ مَا ضَمَّتْ مَهَامُهُ فَيَحُ
تَوَاصَفَ خَيْرَ الْخَلْقِ نَاسٌ وَقَصَّروا	وَقَى الْجَهْدُ مِنْهُمْ وَالْمَجَالُ فَسِيحُ
تَوَلَّتْ يَدُ الْعَايَاتِ مِنْ دُونِ فَضْلِهِ	فَسَيَّانٍ مِّنَّا بَاقِلٌ ^(٦٢) وَقَصِيحُ

(٥٨) الديوان، ص، ٤١.

(٥٩) تعريب موضع اسمه بالعامة "انواتيل".

(٦٠) اسم موضع بعينه.

(٦١) كاهنان مشهوران.

وأما في غرض الغزل فنسوق قطعة من شعر الرجل تجسد رقة غزله وصدقه وقدرته على التقاط الصور المتحركة ريشما ترسم ريشته أبعادها الجمالية وهي لا تتجاوز خمسة أبيات ولكنها في زعمنا تكفي لتمثيل غرض الغزل في شعره وتنهض دليلا على ما نسبناه له من شاعرية، يقول^(٦٣):

مَا سَفَّهُ الْحِلْمَ وَاسْتَصْبَى أَخَا كِبَرٍ	كَالْكَاعِبِ الرُّؤْدِ لَمْ تَعْدُو اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
كَأَنَّهَا فَنَنْ طَوْعَ الرِّيحِ فَمَا	تَنْفَكُ مُسْفِرَةً طَوْرًا وَمُخْتَمِرَةً
عَجَلَى الْقِيَامِ صَحُوكُ عَنْ مُؤَشَّرَةٍ	تُنْسِي مَلَا حَتَّهَا ذَا لَوْلُؤِ دُرَّرَةٍ
وَفِي الْجَوَابِ وَفِي كُلِّ الَّذِي نَطَقَتْ	طَبِشُ تَرْدُ بِهِ الْأَكْبَادُ مُنْقَطِرَةً ^(٦٤)
يَحَالُ ذُو الْجَهْلِ أَنَّ الْحُودَ لَيْسَ لَهَا	لُبٌّ وَيُعْجِبُهُ مِنْ ذَاكَ مَا اخْتَبَرَهُ

المبحث الثالث: شعر الحنين لدى ولد أحمد دام

لم نتصد لشعر الحنين لدى سيدي عبد الله بن أحمد دام إلا بعد معايشرة لجل شعره ومكابدة لغرض الحنين في ذلك الشعر بوجه خاص. فتشكل لدينا إحساس بتميز ولد أحمد دام في هذا الباب، وبأنه لم يوفّ حقه من الدراسة لذلك كان هذا البحث. والواقع أن تجوال الشاعر وتطوافه ببعض مناطق إفريقيا ومكثه هناك السنوات ذوات العدد بعيدا عن أهله ووطنه جعل من حنينه "زفرات شعرية صادقة" على حد

(٦٢) باقل الإيادي: جاهلي، يضرب بعينه المثل. قيل إنه اشترى ظيبا بأحد عشر درهما فمر بقوم، فسألوه بكم اشتريته، فمد لسانه ومد يديه (يريد أحد عشر) فشرذ الظبي، وكان تحت إبطه. والمثل (أعبي من باقل) مشهور. راجع: مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص. ٤٣. بدون تاريخ.

(٦٣) الديوان، ص. ٣٠.

(٦٤) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص. ٢٩١.

تعبير د. عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد.^(٦٥) ويكفي أن نعلم أن له في غرض الحنين وحده ست عشرة قصيدة، وهو ما يؤكد أن الحنين كان "نغمة له مميزة" كما يقول د. أحمد جمال ولد الحسن.^(٦٦)

وإذا كان الأمر كذلك، أفلا يكون من المشروع إذن البحث عن أسباب الظاهرة وجذورها؟ وعن مظاهرها وتحليلاتها؟ ومن ثم ألا يغدو من الضروري التعرض لمعجم الحنين لديه، وعناصر هذا الحنين ومميزاته؟ تلك بعض الجوانب التي سنحاول مقاربة شعر الحنين لدى ولد أحمد دام من خلالها.

ولنبادر إلى القول إن السبب الأساسي لبروز الحنين في شعر ولد أحمد دام على النحو الذي وضحنه آنفاً ونزيده توضيحاً لاحقاً بحول الله وقوته، هو غربته التي دعت إليه مكرها ظروف الحياة فعكسها شعره حيناً لا يهدأ إلى وطنه وأهله وخلانه وتبرما لا ينقطع ببلاد الغربه وأهلها.

المطلب الأول: عناصر الحنين في شعره

يكاد الحنين في شعر ولد أحمد دام أن يتجسد بشكل أساسي في عنصرين بارزين هما الإنسان والمكان، وهما عنصران طالما شكلا محورين أساسيين من عناصر الحنين والشوق في الشعر العربي بل وربما في الشعر العالمي. ويقوم الحنين لدى ولد أحمد دام على ثنائية الوطن والمهاجر وسكانهما تغنياً بالأول أرضاً وسكاناً وتطلعا إلى الاستقرار فيه، وتبرما وضيقاً بالثاني أرضاً وسكاناً كذلك واستشرفاً للخلاص منه.

وسنعرض أولاً للشخص البشري التي شكلت موضوعاً للحنين وسبباً من أسباب المعاناة وأداة من أدوات نقل التجربة الذاتية، على أن نشي بالشخص المكانية

(٦٥) الشعر الشنقيطي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين: دراسة في المرجع والبنية والقراءة، مرجع سابق، ص. ٣٠٧.

(٦٦) الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة في وصف الأساليب، مرجع سابق، ص. ١٣٠.

التي مثلت وظيفتين متناقضتين، حيث شكل الوطن موضوعاً للحنين والشوق في حين شكلت أرض الاغتراب موضوعاً للرفض والتمرد والثورة على كل ما تمثله.

أولاً: الإنسان

يمثل الإنسان في شعر ولد احمد دام عنصراً مهماً حوله يدور شعر الحنين لديه ومنه تستمد تجربته ملامحها ورواءها. وليس ذلك بمستغرب إذ الإنسان مدار التجارب وموضوعها في آن. وقد شكل الإنسان (الأبناء، الزوجة، الأقارب، العشيرة) جانباً مهماً من تجربة ابن احمد دام ومعاناته شوقاً وحنيناً ولوماً وعتاباً، كما شكل كذلك مدار ذات التجربة بغضاً وتبرماً وسخطاً (سكان بلاد الغربة).

ولا بد بدءاً من الإشارة إلى أن حنين الشاعر تجلّى أكثر ما تجلّى في تعبيره عن شوقه إلى أبنائه الذين وصفهم في أكثر من موضع بالفراخ أو الأفراخ وهي تسمية لطيفة تحمل من معاني الضعف والهشاشة ما يسوغ لواعج الشوق والحنين والعطف والشفقة، من ذلك قوله في قصيدة له شهيرة:

أَصْغِي وَأَفْرَاخِي قَدْ أَعْرَضَ دُونَهُمْ عَرَّاضُ الْفَيَافِي وَالْجِبَالِ الْفَوَارِغِ^(٦٧)

فأنت ترى كيف نجح في استعطف المتلقي ليشركه معاناته التي زادها استخدام هذه العبارة تجلية وقرباً من النفس، فيندمج القارئ في التجربة والمعاناة ويغدو شاهداً على صدقهما ومشاركاً في تبكيت المتقاعسين عن أزر الشاعر في محتته تلك. وقد نستغرب اقتصار الشاعر على ذكر أولاده دون زوجه مع أنه يحنّ إليهم جميعاً وقد أبعدته عنهم ظروف الحياة، ولكن ذكر الأولاد وبهذا النعت "أفراخ" يكاد يصرح بالحنين إلى أهمهم كذلك. أليس من مستلزمات ذلك النعت الرعاية والعناية والتربية،

(٦٧) المرتفعة، راجع القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٧٤٦.

وهي مهام الأم بامتياز. وبذلك يغدو الحنين إلى الأبناء لدى ولد احمد دام ، حنيناً وشوقاً إلى زوجه سواء بسواء.

وينوع ابن احمد دام صور التعبير اللطيفة عن شوقه وحنينه إلى أبنائه مستخدماً هذه المرة صفة لا تقل استدراراً لعطف المتلقي ألا وهي "صَبِيّ" التي تحيل أيضاً على الضعف والهشاشة والحنين والعطف وهو ما تجليه الإضافة والتوق إلى اللقي واجتماع الشمل. ويتكشف هذا المعنى عبر استخدام عبارة التمني "ألا ليت شعري" التي تكشف عن مدى شوقه وحنينه :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي بِصَبِيٍّ طَلِيقًا مِنْ أَيْدِي النَّأْيِ وَالشَّمْلِ جَامِعُ

على أن الحنين إلى الزوجة بدا جلياً ومصرحاً به في الشطر الأخير من بيت آخر من نفس القصيدة، محملاً هذه المرة بمرارة البعد والنأي وشاسع المسافة التي تفصل بينهما حتى خلع على بلاد الغربية التي بها زوجه صفة من صفات الإنسان وهي المطل :

أَمْرُ النَّوَى مَنَأَى حَبِيبٍ إِذَا دَنَا لَوْثَكَ بِمَحْجُوبٍ بِلَادُ شَوَاسِعُ

لم يكن الحنين يبارح ولد احمد دام أكان في الغربية مع زوجه وأولاده أو كان في وطنه مع أهله وخلانه، ولعلها ميزة له خاصة وهو أمر غير مألوف عند غيره من الشعراء الشناقطة. فالمعروف أن الحنين إنما يكون عادة إلى حبيب ووطن نأى عنهما المرء لسبب من الأسباب، فإذا عاد إليهما ذهبت لواعج الحنين بفعل الاجتماع بعد الفرة والألفة بعد الوحشة. ومن هنا كان الحنين لديه ذا طعم خاص فلا يجتمع بأهله هنا إلا ليساوره من تباريح الحنين إلى أهله هناك صنوف وألوان. وقد عبر أصدق تعبير عن حاله تلك هذان البيتان :

هُمَا طَرْفَا مِيزَانِ شَوْقٍ كِلَاهُمَا تُطَلِّقُنِي أَهْوَالُهُ وَتُرَاجِعُ

أُتِيحَتْ لِعَرَبِ الْأَرْضِ مَيِّ زِيَارَةٌ وَفِي الشَّرْقِ أَرْضٌ فِي الْمَزَارِ تُنَارِغُ

وكما صور ابن احمد دام شوقه وحنينه إلى زوجه وأبنائه في بلاد الاغتراب، فإنه صور كذلك وربما بنفس القوة ما يعتريه من لواعج الحنين إلى أهله وعشيرته بحيث يكاد متقد الشوق يريه أحبته عبر آلاف الأميال :

وَتَبْدُو لِعَيْنِي بَلَدَةٌ وَأَحِبَّةٌ عَدَانِي طَوِيلًا عَنْهُمَا الْمَلَوَانِ

ومن الطريف أن ابن احمد دام وظف في حنينه إلى أهله وعشيرته اغترابه اللساني الذي كان شديد الوطأة على نفسه وهو يعيش بين أعاجم لا يبينون، وكلما أمعن في تجلية عجمتهم كلما زادت صور الحنين التي يرسمها وضوحا وقوة. وتصور هذه لأبيات جانبا من ذلك الاغتراب اللغوي والنفسي :

نَشَأْتُ بِأَرْضٍ لَا أَوْدُ بِأَهْلِهَا أَعَزُّ أَنَاسٍ فِي الْبِلَادِ وَأَكْرَمَا
وَهَا أَنَا أَسْعَى بَيْنَ نَاسٍ تَخَالِي لَدَيْهِمْ إِذَا خَاصُوا الْأَحَادِيثَ أَبْكَمَا
وَتَحْسَبُهُمْ وَزُقَ الْقَطَا قَدَفَتْ بِهِ عَلَى سَدَمٍ قَفَرِ الْجَبَا لَوْعَةُ الظَّمَا
يَقْعَنَ فَمَا يَنْقَعَنَّ إِلَّا بِلَجَّةٍ غَلِيلًا فَمَا تَذَرِي بَكَى أَمْ تَرَمَّمَا؟^(٦٨)

فهو لا يتوكل في حنينه إلى أهله على متعارف حب المرء وميله الطبيعي إلى ذويه، بل يضيف إلى ذلك سببا آخر، أدبيا إن شئت، فيغدو حبهم والحنين إلى الاجتماع بهم حبا وحنينا إلى مجالسهم التي فيها يتناشد رائق الشعر وريّقه، ويميّز جيده من رديّه في بيئة تعلي من قيم الفصاحة والنقاء اللغوي وتطرح العجمة والغلظة والجفاء، ويحسن أهلها الشعر إنشادا وإنشاء :

وَهَلْ أَرَانِي فِي قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا مِنْ صَائِبِ الْقَوْلِ مَسْرُودًا وَمُنْتَشِرَا

تَمَّائِلُوا مَيْدَ صَرَعى قَرْقَفٍ وَرَمَوْا عَنْ قَوْسٍ أَغْيَبِهِمْ مَنْ قَالَهُ شَرَّراً
عُجْبًا بِذَاكَ وَلَا يُغْنِي تَمَّائِلُهُمْ عَنْ أَنَّةٍ كَاهْتِجِ العَاشِقِ أَذْكَرَا
هُنَاكَ رَاجٌ بَلِيغُ القَوْلِ وَانْتَبَذَتْ زُيُوفُهُ غَيْرَ مَعْنِي بِهَا هَذَا^(٦٩)

هذا عن الإنسان في شعر الحنين لدى ابن أحمد دام، فماذا عن المكان ودوره في تصوير حنينه ورسم أبعاد معاناته؟

ثانياً: المكان

المكان لغة الموضوع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالاً لأن العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك واقعد مقعدك فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه.^(٧٠) ولا نرى ضرورة لاستطراد تعريفات الزبيدي^(٧١) وابن دريد^(٧٢) والجرجاني^(٧٣) وغيرهم، لأن ذلك يخرجنا عن حيز هذا البحث وحجمه. وللمكان أهمية خاصة في الشعر إذ أن علاقة الشاعر بالمكان ذات أبعاد متعددة يمتزج فيها الواقعي بالخيالي، فهو يعيش فيه على مستوى الوجود الحقيقي ويسبح فيه في عالمه الشعري.^(٧٤)

(٦٩) الديوان، ص. ٦٩.

(٧٠) لسان العرب، مرجع سابق، مادة: مكن.

(٧١) انظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: د. حسين نصار، طبعة الكويت، ١٤٠٣هـ، مادة: مكن.

(٧٢) راجع: جمهرة اللغة، أبو بكر بن دريد، طبعة دار الباز، ١٣٤٥هـ، ص. ١٧١.

(٧٣) علي الجرجاني، التعريفات، الطبعة الأولى بعناية مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، ص. ٢٢٧.

(٧٤) شاعرية المكان، د. جريدي المنصوري الثبيتي، الطبعة ١، دار العلم، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ.

والمكان في شعر الحنين لدى ابن احمد دام مكانان: مغتربه ووطنه. وقد أشرنا أنفاً إلى ما عاشه من تمزق بينهما، حبا بساكني الأول لا به وحنينا إلى الثاني وساكنيه. لقد بدا ابن احمد دام في جل نصوص الحنين التي كتبها متبرما بمغتربه مزدريا معالمة البشرية والمادية، تواقا إلى وطنه ومرايع صباه، في ثنائية لا تني ترسم صور الألم والمرارة التي عاشها موزعا بين وطنين و"مكانيين". وإنه ليخيل إلى المرء وهو يقرأ تلك النصوص أنه لم يكن من الممكن إطلاقا تصوير أحد المكانيين إلا بخلع الصفات المناقضة على الآخر. وقرأ معي إن شئت قوله:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى مَعْهَدِ النَّوَى خَلَّاصٌ مِنْ أَيْدِي النَّأْيِ وَالْجَوْلَانِ
وَهَلْ لِي بِحَنِّي "تَغَرَّرَيْتَ" (٧٥) إِلَى إِلَى "الْأَجْرَعِ الْغَرِيِّ" "فَاجْرُذَانِ"
إِلَى جَنْبَيَّ "ذِي قَسْطِلٍ" (٧٧) مُتَنَزَّةً فَإِنِّي إِلَيْهَا دَائِمُ الْهِمَّانِ
وَتَبَدُّو لِعَيْنِي بَلَدَةً وَأَحْبَبَةً عَدَائِي طَوِيلًا عَنْهُمَا الْمَلَوَانِ

فأنت ترى إلى أي حد نوع تصوير حنينه عبر مفردات وعبارات متنوعة: ألا ليت شعري، هل إلى، خلاص، هل لي، متنزّة، دائم الهميان، تبدو لعيني، بلدة. ولا يقتصر هذا التنوع على المفردات والعبارات، بل يشمل المواضع والأمكنة، فكأنه قصد قصدا إلى تعداد الأماكن واحدا واحدا حتى يجلي أكثر ارتباطه بوطنه من خلال البرهان على انتمائه إليه وإلى كل ذرة من ترابه فيضحي حنينه إليه مؤصلا.

أما المقطع الثاني من هذه القصيدة فقد أراد الشاعر أن يحضه لدم بلاد الغربة والتبرم بها ونعتها بما يدعو إلى النفور منها والحلم بمبارحتها، مضيفا إلى ذلك عنصرا ما

(٧٥) "تَغَرَّرَيْتَ" بفتح التاء وسكون الغين وفتح الراءين وسكون الباء وفتح التاء: اسم موضع باللغة الصنهاجية.

(٧٦) تعريب موضع اسمه بالعامية: لحجورية بإشمام اللام وتسكين الحاء وضم الجيم ومدّها وكسر الراء.

(٧٧) تعريب موضع اسمه بالعامية: بو اغبيره، بضم الباء ومدّها وتسكين الغين وإمالة الباء وفتح الراء.

فتى يلح عليه وهو عجمة أهلها فكأنه يتبنى المقولة: "بضدها تتبين الأشياء". ويسلمه بغض تلك البلاد وما عاناه فيها من هوان إلى حكمة يأمل أن تخفف عليه ما كابده وعائشه من منغصات:

فَيْرَابَ مَا أَثَّتَهُ أَيَّامُ "سَالِمٍ" (٧٨) وَأَيَّامُنَا فِي سَاحَةِ "السُّنْعَانِ" (٧٩)
وَأُخْرَى أَقَمْنَا فِي قُرَى "جُلْفَ" (٨٠) الَّتِي
فَمِنْ مَنْظَرٍ تَقْدَى بِهِ وَرَطَانَةٍ
بِلَادٍ رَمَتْنَا بَيْنَهَا لَا مُحَبَّبٍ
وَمَنْ صَحِبَ الْأَيَّامَ أَثَّيْنَ جَارُهُ
وَأَذْنَتْ لَهُ مَنْ لَيْسَ بِالْمُتَدَانِي

وكما استدعى في المقطع السابق كل العبارات والكلمات التي من شأنها تصوير شوقه وحنينه إلى وطنه وأهله، فقد حرص على رسم صورة قائمة لمغتربه تجليها العبارات والمفردات التالية: أَثَّتَهُ، ضِيْعَةٌ، هَوَانٌ، تَقْدَى بِهِ، رَطَانَةٌ، تُصِمْكَ، أُخْزِي، رَمَتْنَا، لَا مُحَبَّبٍ، مَنْ لَيْسَ بِالْمُتَدَانِي. ونرى ابن أحمد دام يلح على الغربة اللسانية أيما إلحاح حتى ليخيل إلى المرء أنها أشد ألوان الغربة وطأة عليه. ولقد كان للحياة الثقافية والأدبية والعلمية في بلاده في ذلك العصر من الازدهار والنشاط ما يفسر ذلك.

ومن اللافت في استدعاء ابن أحمد دام للمكان إيراده لأسماء أعجمية يعتقد للوهلة الأولى أنها ستفسد عليه ما رمى إليه من تصوير تباريح حنينه واشتياقه إلى وطنه، لكن المفاجأة أن تلك العجمة والوحشة بل والثقل في بعض الكلمات من قبيل: "تَغَرَّرِيَتْ" مثلاً لا تلبث أن تنقلب ألفة بل وحميمية كأنما صهرها لهيب الحنين وصاغها

(٧٨) منطقة بجمهورية السنغال.

(٧٩) يعني السنغال.

(٨٠) منطقة بشرق السنغال.

صياغة جديدة غدت بها - وهي شديدة العجمة - أفصح في التعبير عن تجربته ومعاناته من الكلمات العربية القحّة ذاتها. وقل الشيء نفسه في أسماء الأماكن في بلاد الغرب، فقد بدت - على عجمتها - منسجمة مع النص الشعري الفصيح بل ومؤدية فيه دورها في تصوير نفوره من تلك البلاد وتبرمه بشخصها البشرية والمكانية جميعا.

وتجلّي الأبيات التالية ما للمكان من أهمية في تصوير معاناة الشاعر في الغرب، فهو دائم البث دائم النحيب، يذكره كل ركب بوطنه ويهيجه كل مرتحل على الحنين والشوق إلى مراتب صباه وديار أهله وخلانه :

أَفِي الْحَقِّ أَنِّي كُلَّمَا مَرَّ قَافِلٌ طَعَتْ زَفَرَاتٌ فِي الْحَشَا وَنَشِيجُ
وَوَارَى غُرُوبِ الدَّمْعِ إِنْسَانٌ مُقْلَتِي فَبَا لِمَعِينٍ سَالَ وَهُوَ مَشِيجُ
كَذَاكَ حَسِبْتُ الْأَفُقَ حَلَقَةً خَائِمٌ عَدَاةً بَدَتْ مِنْ دِيرٍ "بَيْرٍ" بُرُوجُ^(٨١)

ويرسم البيت الأخير صورة جميلة ودقيقة لمشاعر صاحبنا وهو يوغل في مجاهل إفريقيا، وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت لما أبصر معالم تلك المدينة التي ترمز إلى كل معاني الغرب: "بَيْرٍ" بباء مفتوحة وياء ساكنة وراء مفتوحة. فعجمة الكلمة بحد ذاتها تؤذن بالنأي والفراق والبعد عن الأهل والوطن، وهو ما عكسه هذا النص وسابقوه إذ اجتهد ابن احمد دام في توظيف أدوات تعبيرية مختلفة ليشركنا في تجربته ووفق في ذلك إلى حد بعيد.

المطلب الثاني: مميزات شعر الحنين لديه

في هذا المطلب نعرض لمميزات شعر الحنين لدى ابن احمد دام من خلال توظيفه للمعجم والموسيقى الشعرية لتجلية وتكثيف تجربته الإبداعية.

(٨١) بلدة في جمهورية غينيا بغرب إفريقيا.

أولاً: معجم الحنين لديه

يمثل المعجم بالنسبة لأي متكلم الرصيد الذي يتألف منه الكلام، والشعر كلام خاص ومتميز، وذلك لأمر أبرزها عناية صاحبه بالمعجم انتقاء وتوظيفاً. وهذا ما دفع بعض النقاد إلى اعتبار جوهر فن الشعر في طريقة التعامل مع المعجم وذلك من حيث التلاعب بترتيبه وجعل كلماته تحيل إلى نصوص أكثر منها إلى أشياء مادية^(٨٢).

وهذا ما عبر عنه ابن رشيق بقوله: "للشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوقة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها إلا أن يريد الشاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي، فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الخطرة"^(٨٣).

وعلى ضوء ما سبق سنتطرق في البداية إلى المعجم الذي استخدمه ولد أحمد دام ومدى إسهامه في نقل وتجسيد تجربته ومعاناته ثم نشير إلى الموسيقى الشعرية التي أزرته في تجلية تجربته وصقلها. والمقصود بالمعجم هنا البنى^(٨٤) اللفظية كلمة كانت أو جملة أو تركيباً مما يتوصل به إلى التعبير عن الذات والمعاناة، عن الحزن والفرح، عن الواقع والطموح، بحيث تغدو اللغة ذاتها أداة للتعبير عن تلك الجوانب جميعاً وذلك بما تحمله من مدلولات أصلية أو فرعية أضفتها عليها عبقرية الشاعر واللحظة الشعرية ذاتها.

(٨٢) مايكل ريفاتير، دلائليات الشعر، ترجمة ودراسة محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٧، ص. ٣٣. نقلاً عن عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد، الشعر الشنقيطي في القرنين ١٢ و١٣ الهجريين، مرجع سابق، ص. ١٨٩.

(٨٣) العمدة: ١٢٨/١.

(٨٤) تأتي البنية بالرفع والكسر في معاجم اللغة بمعنى الصيغة التي يبنى عليها اللفظ. انظر: المكان في الشعر الأندلسي، مرجع سابق، ص. ١٢٤.

لذلك سينصب اهتمامنا في الأسطر التالية على استنطاق مفردات شعر الرجل وجمله للكشف عما تحمله من أوجه الشوق والحنين إلى وطن هاجر عنه قسرا وأهل نأى عنهم جبرا. وكما ذكرنا سابقا فإن لولد أحمد دام ست عشرة قصيدة في غرض الحنين، وهي تتفاوت طولا من التفتة إلى القطعة إلى القصيدة، ولكنها في مجملها تعكس نغمة الحنين التي تميز بها عن أضرابه من الشعراء الشناقطة.

ولعل أطول تلك القصائد على الإطلاق قصيدته العينية التي يبلغ عدد أبياتها ثمانية وثلاثين بيتا. ولهذه القصيدة قصة أوردتها صاحب الوسيط^(٨٥) وخلاصتها أنه كان ذات مرة في بلاد إفريقيا فاشتاق إلى وطنه وذويه فترك زوجته وأولاده وتوجه إلى بلاد شنقيط. ولما أقام فترة في وطنه وبين أهله وذويه، اشتاق إلى زوجته وأبنائه وأعلم قومه بعزمه على الرجوع إلى مهاجره، فحاولوا ثنيه عن ذلك متعللين بعد الشقة ووحشة الطريق بل واقترحوا عليه الزواج والاستقرار. لكنهم لما رأوا إصراره طلبوا منه إمهالهم فترة حتى يجهزوا له رفيقا وزادا، فلما انقضى الأجل ولم ينجزوا ما وعدوه به انتظر حتى اجتمعوا في المسجد للصلاة، فأقسم ألا يأخذ منهم زادا ولا غيره وأنشداهم القصيدة ثم مضى لحال سبيله.

وتعكس هذه القصيدة التمزق النفسي الذي عاشه الشاعر وذلك في حنيه إلى زوجته وأولاده وقد خلفهم في مجاهل إفريقيا وجزعه من مفارقة وطنه وذويه في بلاد شنقيط.

ولن نتعرض للقصيدة كلها وإنما إلى الأبيات التي نرى أن معجمها الشعري يخدم ما نحن بصددده من الكشف عن تميز الشاعر في حنيه المزدوج. وتبدأ القصيدة بداية قوية تتسق مع حسم الشاعر وحزمه ودقة موقفه:

(٨٥) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص. ٢٩٤. ٢٩٦.

تَجَلَّدْتُ لِلتَّوْدِيعِ وَالْقَلْبُ جَانِعُ وَأَخْفَيْتُ مَا كَادَتْ تُبِينُ الْمَدَامِعُ
تَرَفَّرَقَ دَمْعٌ لَوْ أَطَعْتُ غُرُوبَهُ^(٨٦) ذَرَفْنَ كَأَجْرَى مَا تُفِيضُ الدَّوَابِعُ
فَيَا عَجَبًا أَخْشَى الْفِرَاقَ وَطَالَ مَا حَرَصْتُ عَلَيْهِ مُكْرَهًا أَنَا طَائِعُ
أَمْرُ النَّوَى مَنْأَى حَيِّبٍ إِذَا دَنَا لَوْثَكَ بِمَحْبُوبٍ بِلَادُ شَوَاسِعُ
هُمَا طَرَفًا مِيزَانِ شَوْقٍ كِلَاهُمَا تُطَلِّقُنِي أَهْوَالُهُ وَتُرَاجِعُ
أُتِيحَتْ لِعَرَبِ الْأَرْضِ مِنِّي زِيَارَةٌ وَفِي الشَّرْقِ أَرْضٌ فِي الْمَزَارِ تُنَازِعُ

والوحدات المعجمية التي يتجلى فيها ذلك التمزق موجودة بشكل خاص في هذا المقطع من القصيدة (من البيت الأول إلى البيت السادس). بيد أن هذا المقطع ذاته يمكن تقسيمه إلى جزأين: الجزء الأول ويشمل الأبيات ١ و ٢ و ٣ ويمكن عنونته بـ "القرار الصعب" حيث يبرز فيه الشاعر عزمه على الرحيل إلى إفريقيا وجلده وصبره على مفارقة وطنه وأهله ويختمه بتوجيه اللوم إلى نفسه على الجزع وإذالة الدمع أسيً على الفراق وهي التي ألفت البعد والفراق حتى غدا التجوال والاعتراب عاداتها وديدنها. وهذا ما تعبر عنه المفردات التالية:

تجلدت . التوديع . جازع . أخفيت . المدامع . ترفرق . ذرفن . تفيض . أخشى .
الفراق . مكرها.

وهي وحدات عبّرت إلى حد بعيد عن قسوة الفراق وألمه وشدة وقعه على النفس وما يتطلبه من التجلد والصبر الجميل ، وهو ما نجح فيه الشاعر عبر تذكير نفسه بتجاربه السابقة في البعد عن الأهل والوطن. وتجلّى ذلك بوجه خاص في البيت الثالث الذي هو عبارة عن حوار داخلي (مونولوج) بين الشاعر وذاته أراد إشراكنا في فحواه:

(٨٦) سيلان الدمع من العين بدون انقطاع، راجع لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ص. ٦٤٣.

فقد ذهب به العجب كل مذهب من خوفه وجزعه من فراق أهله ووطنه وهو الذي تعود الفراق وكان عليه حريصا وله طالبا وفيه راغبا.

وقد آذَنَ افتتاحه للنص بفعل "تجلَّدت" بكل معاني التحمل والصبر والضييق والجزع والقلق والخوف من "توديع" الأهل والعشيرة، والارتقاء في أحضان مجاهل إفريقيا شوقا وحنينا إلى الزوجة والأولاد، وهي المعاني التي تنتشر في مختلف مفاصل القصيدة، مما قذف بالشاعر في أتون دوامة من الحزن والأسى يغذيها "القلب الجازع" المضطرب. لكن نفس الشاعر لأبية لا ترضى له بل ولا هو يرضى لها الاستكانة والضعف، لذلك شدَّت من أزره أو قل شدَّ هو من أزرها حتى أمكنه إخفاء مشاعره ولَجُمَ دموعه في الغالب، رغم لحظات الضعف والأسى التي تفلت أحيانا من عَقَالٍ جلده ورباطة جأشه.

وقد استطاع الشاعر توظيف مختلف تقنيات التعبير لخدمة هدفه في تجلية ما يعتَمِل في صدره من مشاعر متناقضة. من ذلك لجوؤه إلى المقابلة إمعانا في وصف معاناته على نحو ما ورد من مقابلة بين "أخْفِيْتُ" و"تُبِينُ"، و"أخشى" و"حَرَصْتُ" في البيت الأول والثالث.

أما الجزء الثاني من هذا المقطع ويضم الأبيات ٤ و ٥ و ٦ وعنوانه "الإحساس بالمرارة والتمزق"، فقد محَضَهُ الشاعر للتعبير عن معاناته المزدوجة وتمزُّقه المربع بين أهلين: زوجه وأولاده في إفريقيا من جهة، ووطنه وأهله في بلاد شنقيط.

ويتجلى هذا التمزق وتلك المرارة في مجموعة من المفردات والتعبيرات التي استطاع أن يحمِّلها شعوره بالعتب والضييق من قومه الذين ما فتؤوا يماطلونه ويمُنُونه بالرَّفقة والزاد، مجسِّدا ما يعيشه من تشَّتت بين أهلين ووطنين في ثنائية بديعة طرفاها الوطن والغربة. ومن الكلمات التي أسهمت في تجلية هذا التمزق وتلك المرارة:

أمرّ . النوى . منأى . شوق . تطلقني . أهواله . تراجع . غرب . شرق . تُنازِعُ.

وتكاد صيغة المبالغة "أمرّ" التي افتتح بها الشاعر البيت الرابع تلخص مضمون الأبيات التالية بل مضمون النص كله. لذلك تغدو الأبيات ٣ و ٤ و ٥ مجرد تكثيف لهذه الصيغة وتوضيح لأبعادها، فيغدو الشوق إلى الأهل والأحبة هنا وهناك شوكتي ميزان بينهما أهوال وعذابات يصلّي الشاعر جحيمها كلما رجحت إحدى الكفتين. وهو ما يصوره البيت الخامس من المقطع الأول تصويراً فوتوغرافياً يكاد ينبض بالحياة:

هُمَا طَرَفَا مِيزَانِ شَوْقٍ كِلَاهُمَا تَطْلُقْنِي أَهْوَالُهُ وَتُرَاجِعُ

وانظر معي إلى قدرة ولد أحمد دام على التعبير الدقيق عن معاناته التي جلاها أحسن ما تكون التجلية باستخدامه لهذه الصورة المركبة البديعة: فهو يستشعر حساسية وضعه، إذ هو معلق بين وطنه وأهله وبين زوجه وأولاده في الغربة، وهو مدرك لأهمية الإنصاف والعدل في صلة الطرفين، فعبر عن ذلك الحس وتلك الحساسية بكفتي الميزان وضرورة إقامة الوزن بالقسط في كلتا الحالتين. وما أروع الشطر الثاني من هذا البيت: "تطلقني أهواله وتراجع"، في تكثيفه للمعنى المذكور، فلا المشاعر التي تساوره "أمسكته بمعروف" ولا هي "سرحته بإحسان" فبقي عالقاً أو معلقاً، ممزقاً أو مشتملاً.

وهذه الحساسية المفرطة تجاه معاناته وما يقاسيه لم تدفعه إلى إثارة طرف على آخر وترجيح كفة على أخرى، بل بقي محافظاً على الإنصاف والعدل بين طرفي حنينه، كأنما أراد إبراء ذمته من الميل إلى أحدهما أكثر من الآخر، يقول في البيت السادس:

أَتِيحَتْ لِعَرَبِ الْأَرْضِ مِنِّي زِيَارَةٌ وَفِي الشَّرْقِ أَرْضٌ فِي الْمَزَارِ تُنَازِعُ

على أن الشاعر يستفيد أحياناً من المقابلة بين المفردات والتعبيرات لتكثيف تجربته وتحديد ملامحها أكثر فأكثر، ومن ذلك: "منأى" و"دنا" و"تطلقني" و"تراجع" و"غرب"

و"شرق" في الأبيات ٤ و ٥ و ٦. بل إنه يزيد الصورة إيضاحاً وتحديداً عبر المقابلة بين شطرين كاملين على نحو ما يصوره البيت السابق.

وأما المقطع الثاني فنفترض له عنواناً: "الرحيل" ويشمل الأبيات من ٧ إلى ١٤، ويمكن اعتباره جزأين أولهما ينتهي عند البيت التاسع:

أَلَا فَارْحَلَا^(٨٧) قَبْلَ الصَّاحِ مَطِيئَنَا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُجَابَ الْبَلَاءُ^(٨٨)
إِلَى حَاجَةٍ لَمْ يَشْنِ عَنْهَا عَزِيمِي صَدِيقٌ بِأَنْوَاعِ الْمَلَامَةِ صَادِعُ
عَدَا إِذْ عَدَا فَرَحَاهُ مِنْهُ بِمَنْظَرٍ يُثَبِّطُ لَوْ أَنَّ الشَّجِيَّ يُطَاوِعُ

وفيه بدأ التنفيذ وأزفت ساعة الرحيل التي عبرت عنها بقوة جملة فعل الأمر "ألا فارحلا"، بعد أن يؤس الشاعر من أي عون أو مساعدة من قومه الذين لم يألوا جهداً في تثبيطه ومماطلته. وقد آذن استخدامه لخطاب الاثنين بما يعتلج في صدره من العتب على قومه، فلجأ إلى الاستئذان بسنة الشعراء في مخاطبة رفقاتهم في السفر الحقيقيين أو المتخيلين. أما هو فالصورة لديه ذهنية لا أكثر، وكيف لا ولم يظفر من قومه بمن يؤنس وحشة الطريق؟ بيد أن ألوان الملامة لم تفت في عضده ولم تنل من عزيمته، خاصة وأن لائميته لا يصلون ما يصلاه من حنين وشوق مبرح فليس من شأنهم الإحساس بما يحسه ولا تقدير معاناته. ومن الكلمات التي تجلّي هذه الحالة النفسية: فارحلا. لم يبق. حاجة. لم يشن. عزيمتي. أنواع الملامة. فرحاهُ منه بمنظر. يثبّط. الشجي.

وفي الجزء الثاني من هذا المقطع انكفأ الشاعر نفسه يقرعها ويلومها، خشية أن تميل - في لحظة ضعف - إلى الإصغاء إلى محاولات قومه تثبيطه عما أزمعه من الارتحال

(٨٧) أرحل الرجل البعير إذا أخذ بعيراً صعباً فجعله راحلة، لسان العرب، مرجع مذكور سابقاً، ص. ٢٧٧.

(٨٨) الأرض القفر، لسان العرب، مرجع مذكور آنفاً، ص. ٢١.

إلى أبنائه. ويبدو ذلك جلياً في البيت الأول من هذا الجزء الذي يحاور فيه الشاعر نفسه ويحاول إقناعها بعدم الإصغاء إلى ما تسمعه من وعود: **أَصْغِي؟ . أَفْرَاخِي . أَعْرَضْ دُونَهُمْ . عَرَّاضُ الْفَيَّافِي . الْجِبَالُ الْفَوَارِعُ**. ويستوقفنا (في البيت ١٠) جنوح الشاعر إلى الاستعطاف عبر وصف أبنائه بالفراخ، **عَلَّ الْقَوْمَ يَرِقُّ لَهُمْ قَلْبٌ أَوْ تَدْمَعُ لَهُمْ عَيْنٌ** فيسارعوا إلى شدِّ أزره، وذلك في لحظة من لحظات الضعف القليلة في القصيدة.

ويشي هذا الحوار الداخلي بما كان يتنازع الشاعر من عواطف ومشاعر تجاه ما كان القوم يعرضونه عليه وما كانت نفسه الجموح تدعوه إليه. وقد يكون في استعراض تلك العروض والوعود تفصيلاً ما يدل على أنه أمعن التفكير فيها بل ربما كان قاب قوسين أو أدنى من القبول بها أو ببعضها، ولكن الحنين والشوق إلى الأهل في المغترب كان أقوى وأمكن، يقول:

أَصْغِي وَأَفْرَاخِي قَدْ أَعْرَضَ دُونَهُمْ	عَرَّاضُ الْفَيَّافِي وَالْجِبَالُ الْفَوَارِعُ
دَعَانِي إِلَى نَسِيَانِهِمْ كُلِّ رَاقِمٍ ^(٨٩)	عَلَى الْمَاءِ صُمْتُ عَنْ دُعَاةِ الْمَسَامِعِ
إِذَا وَعَدُوا بِالْمَالِ ثُمَّ ذَكَّرْتُهُمْ	تَلَّاشْتُ إِذْنُ لَوْ يَعْلَمُونَ الْمَطَامِعِ
وَأِنْ خَدَعُوا بِالْعِيدِ غَادَرَ ذِكْرُهُمْ	لَدَيْ هَبَاءٍ مَا وَشَاهُ الْمُخَادَعِ
وَأِنْ قِيلَ فِي أَهْلِ التَّغْرِبِ أَسْوَةٌ	فَمَا أَنَا لِلضَّاوِينَ فِي الْعَجَزِ تَابِعُ

وأما في هذا المقطع:

سَأَعْمِلُ سَيْرَ التَّجَبُّ نَصًّا إِلَيْهِمْ	وَأَهْمِلُ لَعَوًّا رَأَيْ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
وَمُعْطِي عُهُودٍ أَنْ يُرَافِقَ أَصْبَحَتْ	تَمُرُّ بِهَا نُكْبُ الرِّيَّاحِ الزَّعَازِعُ
يُضَاعَفُ مِنْ عَزَمِي عَلَى السَّيْرِ كُلَّمَا	بَدَتْ مِنْ ضَمِيرِ الْمُخْلِفينَ الْجَنَادُ

بَدَا مَا طَوَى مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَيَطْوِي إِلَيَّ الْيَسَدَ وَالْحَقُّ نَاصِعُ
تَكَاسَلَ إِخْوَانِي الْأَقْرَابُ فِي الرَّخَا لَدُنْ صَدَعَتْ شَمْلِي اللَّيَالِي الصَّوَادِعُ
فَمَا اسْتَأْجَرُوا لِي صَاحِبًا مِنْ سِوَاهُمْ فَرُبَّ أَجِيرٍ فِي الْمَضَائِقِ نَافِعُ

فيراوح ابن احمد دام بين توطيد عزمه على الرحيل (البيت ١٥) وتقريع قومه (الأبيات ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠)، فلا يستقيم له إقناع نفسه وحملها على اقتحام أهوال السفر ومخاطره إلا بتذكيرها بموقف القوم ووعودهم التي لا يمكن التعويل عليها أو الركون إليها، حيث صورها تصويرا بديعا في البيت ١٦ وهو تصوير يدرك أهل الصحراء فحواء أكثر من غيرهم (تَمُرُّ بِهَا نُكْبُ الرِّيَّاحِ الرَّعَازِغُ). ويظهر جليا استخفافه بتلك الوعود في عبارات من قبيل: أَهْمِلُ . لَعُؤَا . نُكْبُ . الرِّيَّاحِ . الرَّعَازِغُ . الْمُخْلِفِينَ . الْجُنَادِغُ . يَزْعُمُ . تَكَاسَلَ . فَمَا اسْتَأْجَرُوا. ويعبر البيت ١٩ عن مدى المارة التي يحسها الشاعر وهو يتحدث عن "إخوانه" و"تكاسلهم" عن مؤازرته مع قدرتهم على ذلك، فهل هو استعطاف أخير أم تقريع وتبكيك تأتئ من اليأس من الحصول منهم على أي عون أو مساعدة؟

وتمضي القصيدة على هذا النحو من المراوحة بين التأكيد على قويّ عزمه على السفر، ولوم قومه إذ لم يمدوا له يد العون، مبرزاً خلال ذلك كله اعتماده على نفسه وقدرته على تقحم الصعاب والمهالك. ولكن التغني بهمته وقوة إرادته وعدم احتفاله بمن خذله تتجلى أكثر في بقية القصيدة حيث لا يذكر موقف قومه وتخاذلهم إلا لتأكيد قدرته على الاعتماد على نفسه وتجشم الصعاب وحده، بيد أن الشعور بالمرارة يبدو أحيانا وكأنه أفلت من ربة نغمة القوة والعزم والحزم والإقدام التي طبعت القصيدة برمتها.

فقد استخدم أدوات تعبيرية تحيل إلى العتاب والشعور بالمرارة: أسلموني .
مُقاطِع . شكوتُ. فأنت ترى معي كيف صور قدرته وقوة عزمه وإصراره على السفر
إلى إفريقيا يقوده في مجاهلها حادي الشوق والحنين غير مكترث لا بمخاطر وأهوال
الطريق ، ولا بخذلان قومه له في لحظات من لحظات الضعف الإنساني.

لقد حشد الشاعر في بقية القصيدة الكلمات والتعبيرات التي من شأنها أن تبين
القدرة والإرادة والعزيمة ورباطة الجأش بل والشجاعة والإقدام:

جلادة . مجرَّب . الداهيات . القوارع . الموامي . الهواجر . السرى . غنيُّ النفس .
أمضى عزيمةً . العضب . الكمي . المصارع . تَغُولُ . الروائع . اعتساف . مقدم . مهمة .
يتيه . جسورٌ . دُهم المخاوف . عرى الخزم . صبورٌ . برح المَشَقَاتِ . أهوالها . الرُّزْقُ
العيون . السمادعُ . تعاصى . سيف . قاطعُ.

وليس بالمفردات والتعابير وحدها توسل ابن أحمد دام لتصوير اعتماده على
نفسه واستغنائه بذاته بعد أن لم يظفر من قومه بمؤازرة أو مساندة. بل لقد نوع أدواته
التعبيرية - مفردات وجملا وتراكيب وأبياتا بل ومجموعة أبيات أحيانا - ليجلي معاناته
النفسية ممثلة في الحنين الممض إلى أهله وولده ، والاجتماعية مجسدة في تخلي قومه عنه
في لحظة ضعف بشري.

وتتجلى شدة حنين الشاعر إلى أولاده وزوجه في أنه لا يفتأ يذكرهم في مواضع
مختلفة من بقية القصيدة بحيث يغدو من الصعب تقسيمها منهجيا إلى أجزاء متميزة.
وبالجملة فهذا المقطع يراوح فيه الشاعر بين اللوم في البيت:

أَصِيحُ إِذَا قَالُوا وَأَتَّبِعُ مَا أَرَى وَمَا سَيْفُ مُنْقَادِ الْقَرِينَةِ قَاطِعُ

والعتاب في البيت :

لَنْ أَسْلَمُونِي لِلنَّوَى لَمْ يَكُنْ مَعِي أَخْ حُمَيَّا^(٩٠) وَخَشَةَ الْبَيْنِ دَافِعُ

والشكوى في البيت التالي :

شَكُوتُ إِلَى الْمُبْدِي الْمُعِيدِ بِمِثْلِ مَا شَكُوتُ بِهِ إِذْ عَوَّقَتْنِي الْمَوَانِعُ

ولا نرى بعد ذلك ضرورة للوقوف عند كل بيت على حدة، إذ المبتغى إبراز جانب من الحنين في شعر ولد احمد دام من خلال البنية المعجمية لهذه القصيدة، وهو ما نظن أننا أشرنا إلى جانب منه غير يسير.

ثانيا: الموسيقى الشعرية

يتميز شعر ولد احمد دام بالقوة والجزالة وقرب المأخذ، كما ينم عن ثقافة واسعة لغوية ودينية. أما شعر الحنين لديه فبالإضافة إلى ما سبق فإنه يتميز بميزات أخرى اقتضتها طبيعة الموضوع ومعاناة الشاعر. ولا نرمي في هذا المطلب إلى استقصائها، بل إن هَمَّنَا أن نستخلص من النصوص التي بين أيدينا أهمها إن على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون. فعلى مستوى الشكل يمكن أن نلمح إلى الميزات التالية إلماحا :

نعتقد أن أهم ميزة امتاز بها شعر الحنين لدى ابن احمد دام هي توزع حنينه بين أهلين ووطنين، وقد تعرضنا لذلك في السابق فلا نطيل فيه هنا. أما الميزات الأخرى ذات الصلة ببنية النص نفسه عروضيا وموسيقيا فيمكن أن نذكر منها مثلا لا حصرا :

(٩٠) الحميا: أول سورة الكأس، انظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الخففي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية . الدار النموذجية، الطبعة الخامسة، ص.

- غلبة استخدام بحر الطويل: استخدام الطويل حصراً في جل نصوص الحنين لدى ولد احمد دام وهو أمر غريب خاصة إذا علمنا أنه في الأغراض الأخرى استخدم كل البحور الخليلية المعروفة وخاصة التام منها. فلماذا الاقتصار على الطويل في هذه النصوص بالذات؟

سمي الطويل طويلاً لأنه طال بتمام أجزائه؛ فهو لا يستعمل مجزئاً ولا مشطوراً ولا منهوكاً، وقيل: لأن عدد حروفه يبلغ ثمانية وأربعين حرفاً في حالة التصريح، أي في حال كون العروض والضرب من الوزن والقافية نفسها، وليس بين البحور الأخرى واحد على هذا النمط.

وقد لاحظ بعض دارسي الأدب^(٩١) الموريتاني احتلال بحر الطويل الدرجة الأولى في الاستخدام لدى الشعراء الشناقطة. بل إن الدكتور إبراهيم أنيس يقول عن شيوع الطويل لدى الشعراء العرب عموماً: "ليس بين بحور الشعر ما يضارع الطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن".^(٩٢)

ولعل للأمر علاقة بفضاء هذا البحر وامتداده الذي يسع تبايرح الحنين وزفراته وأثاته، ويتسع لنقل المعاناة بكل أبعادها وتفصيلها، وهي أمور تتيح معالجة كل المواضيع ذات الصلة بحياة الشاعر ومشاعره. فالبحر "الطويل ذو بهاء وقوة"^(٩٣)، في

(٩١) مثل الدكتور احمد جمال ولد الحسن في كتابه: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، مساهمة في وصف الأساليب، مرجع سابق. وكذلك الدكتور عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد في كتابه: الشعر الشنقيطي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، دراسة في المرجع والبنية والقراءة، مرجع سابق كذلك.

(٩٢) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢، ص. ٥٩.

(٩٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص. ٢٦٩.

ذبذباته وذو إمكانات متسعة تتيح النظم في الموضوعات التي تتطلب طول نفس لأنه سخي النظم يضم ثمانية وأربعين صوتاً تفتح للشاعر حرية في التعبير وانعتاقاً من القيود. وبناء على ما تقدم يمكن القول، بشيء من الثقة، إن ولد أحمد دام استفاد إلى حد بعيد من مميزات الطويل المذكورة آنفاً في نقل تجربته وبسط معاناته عبر تنويع وصفه لها. وربما كان فضاء الطويل المتسع وقوته سبباً في اختياره - عن وعي أو عن غير وعي - لبث الهموم ولواعج الحنين والعتب والتبرم وكذلك الاعتزاز بالنفس والثقة فيها والاعتماد عليها في مواجهة الصعاب والمشقات.

إن مساحة الحرية والانعتاق النسبي من القيود أمور أتاحت للشاعر متسعاً زمانياً - مكانياً للتعبير عن أوجه معاناته وألوان حنينه وشوقه، بل ومكنته من نقل ما يعانيه من تمزق نفسي وعاطفي بين أهليين ووطنين: أهله في بلاد شنقيط وزوجه وأولاده في بلاد الغربية. وهكذا استطاع الطويل أن يقتنص هذه الصورة المتحركة الرائعة المعبرة أصدق تعبير وأروعاً عن التمزق المذكور:

هُمَا طَرْفَا مِيزَانِ شَوْقٍ كِلَاهُمَا تُطَلِّقُنِي أَهْوَالُهُ وَتُرَاجِعُ
أَتِيحَتْ لِعَرَبِ الْأَرْضِ مِنِّي زِيَارَةٌ وَفِي الشَّرْقِ أَرْضٌ فِي الْمَرَارِ تُنَازِعُ

ولا نقول إنه لم يكن بوسع الشاعر أن يعبر عن هذه المعاناة بما فيها من حساسية ودقة وعلى هذا النحو من التصوير الدقيق في غير الطويل، ولكننا نزعم أن الطويل كان أقدر على ذلك من سواه من البحور الخليلية.

- غلبة استخدام القوافي المشبعة: هناك أمر آخر يميز شعر الحنين لدى ابن أحمد دام ألا وهو استخدام القوافي المشبعة أو المطلقة مثل الجيم والعين والنون والكاف والراء

والميم، وهي معدودة ضمن القوافي الذلل^(٩٤) كما يسميها المعريّ. والأحرف الثلاثة الأولى (العين، النون، الجيم) تفسح المجال واسعا للحنين وتجلياته من أنين وأسى وحرقة وتوجع وهي أمور طبعت شعر الحنين لدى الرجل. يضاف إلى ذلك تمسك الشعراء الشناقطة بالسنة الشعرية المطردة في الشعر العربي باستخدام القوافي المشبعة بحيث لم تتجاوز نسبة استخدام القوافي المقيدة في هذا الشعر العشرة في المئة كما يقول د. إبراهيم أنيس.^(٩٥)

وتتجلى غلبة الطويل بموسيقاه الهادئة ذات النفس المتسع في هذه النصوص الثلاثة :

تَجَلَّدْتُ لِلتَّوْدِيعِ وَالْقَلْبُ جَارِعٌ وَأُخْفِيتُ مَا كَادَتْ تُبَيِّنُ الْمَدَامِعُ
ومنها قطعة مطلعها^(٩٦) :
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى مَعْهَدِ النَّوَى خَلَاصٌ مِنْ أَيْدِي النَّأْيِ وَالْجَوْلَانِ
وكذلك مطلع قصيدته^(٩٧) :
أَفِي الْحَقِّ أَنِّي كُلَّمَا مَرَّ قَافِلٌ طَغَتْ زَفَرَاتُ فِي الْحَشَا وَنَشِيجُ

(٩٤) اللزوميات لأبي العلاء المعريّ، تحقيق وتحقيق أمين الخانجي، القاهرة، ١٣٤٢هـ، ص. ٢٤. ويقسم المعريّ قوافي الشعر القديم إلى ثلاثة أصناف:

١. قوافي ذللا، ٢. قوافي نفر، ٣. قوافي حوش. وقد قسم د. عبد الله الطيّب الأحرف على هذا الأساس، فالقوافي الذلل تضم: الهزمة والباء والتاء والجيم والحاء والذال والراء وواسين والعين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والياء. أما القوافي النفر فضمت: الزاي والصاد والضاد والطاء والهاء والواو. هذا في حين شملت القوافي الحوش: التاء والحاء والذال والشين والطاء والغين. انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب، جزء ١، ص. ٤٧.

(٩٥) موسيقى الشعر، مرجع سابق، ص. ٢٦٠.

(٩٦) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع مذكور سابقا، ص. ٢٩١.

(٩٧) نفسه، ص. ٢٩٠.

ونكتفي بهذه النماذج الثلاثة لأن جل قصائد الحنين هي في هذا البحر، وإنما أحببنا أن نمثل لذلك ليقاس على ما ذكر ما لم يذكر.

تلك بعض مميزات شعر الحنين لدى ابن احمد دام كما بدت لنا، وحاولنا تفسيرها وتبيان الإمكانات التي وظفها الشاعر في وصف جوانب تجربته ونقل جوانب من معاناته وتقديمها إلى القارئ في ثوب شعري شفاف برزت من خلاله عناصر الحنين لديه ممثلة في الإنسان والمكان بشكل خاص.

الخاتمة

ها قد وصلنا إلى ختام هذا البحث الذي انطلقنا فيه من فرضية مؤداها أن في شعر الحنين لدى سيدي عبد الله ولد احمد دام من الجدة والطرافة ما يجعله نموذجاً للحنين في الشعر الشنقيطي. ويبدو لنا بعد عشرة ديوانه وخاصة غرض الحنين منه أن افتراضنا كان على شيء من الوجاهة في عمومته، ذلك أن النصوص التي درسناها نهضت دليلاً على تميز صاحبها ليس في غرض الحنين خاصة بل في جل الأغراض التي طرقها.

وبما أن اهتمامنا ينصب على الحنين في شعر الرجل، فقد بدا لنا أن للرجل ملامح إبداعية برزت فيها شخصيته الشعرية الأصيلة في هذا الجانب من شعره فكانت له نغمة مميزة. وقد عرضنا لتلك الملامح تفصيلاً في ثنايا البحث، ونعرض لها تلخيصاً في الأسطر التالية من خلال استعراض أهم النتائج التي توصلنا إليها:

- أن موضوع الحنين في الشعر الشنقيطي في مجمله هو الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو أمر مفهوم بل ومتوقع من قوم عاطفتهم الدينية وقادة وهيماهم بالحرمين الشريفين معروف بل ومشهور. فلا يستغرب والحال

هذه أن يصدحوا بشوقهم وحنينهم إلى تلك الديار عبر ما ينشئونه من قصائد فصيحة وشعبية.

- أن الحنين لم يكن غرضاً متناولاً لدى كل الشعراء الشناقطة بل لدى قلة منهم، إذ هو تجربة ذاتية قبل كل شيء ولهذا كان مرادفاً للغربة الجسمية والمعنوية كليهما. وكونه تجربة ذاتية تجعله مرتبطاً بظروف الحياة الخاصة بالشاعر، وليس كل الشعراء يعيشون ظروف الغربة التي عادة ما تكون مدعاة الشوق والحنين.

- أن ولد أحمد دام تميز عن سائر الشعراء الشناقطة - وأكاد أقول سائر الشعراء العرب - في طبيعة الحنين لديه. فقد شاء الله أن تطوح به النوى إلى مجاهل إفريقيا حيث لا أنيس ولا صديق، وحيث تضرب العجمة بأطنابها، وهو الشاعر المرهف المولع بالعربية شعراً ونثراً، وقد تربى بين قوم يكاد الشعر أن يكون حكراً عليهم إنتاجاً واستهلاكاً فكيف يطيب له المقام في تلك البلاد وبين ظهرائي أولئك الأعاجم؟

لذلك كان الحنين لديه - علاوة على طابعه الإنساني - ذا طابع ثقافي لا تخطفه العين. فلا ذكر لبلاد الغربة إلا ويلازمه التبرم بعجمة أهلها واستدعاء فصاحة الأهل ونصاعة بيانهم. وهذه أولى ميزات الحنين لديه والتي تميزه عن أضرابه من الشعراء الشناقطة. ولئن كان هذا "الحنين الثقافي" أو "الغربة الثقافية" يذكر في بعض وجوهه بقصيدة شاعر العربية أبي الطيب المتنبي في "شعب بوان" وخاصة قوله:

مَلَأَ عِبْ جَنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانُ لَسَارَ بِتَرْجُمَانٍ

فإن البون شاسع بين الشاعرين في هذا المضمار. ذلك أن أبا الطيب لم يذق طعم الغربة ولا طعم العجمة كما ذاقهما ابن أحمد دام فكان ما وصف به "شعب بوان" أقرب إلى التمرين الشعري والترف الأدبي منه إلى الحنين الذي هو تجربة ذاتية إنسانية لحمتها الغربة وسداها المعاناة.

- لعل من أهم الميزات التي تميز بها الحنين لدى ابن أحمد دام هي هذا الازدواج في الحنين ذاته: ففي بلاد الغرب التي تجمع به زوجته وأولاده كانت لواعج الشوق والحنين إلى وطنه وأهله لا تفتأ تساوره فتقضى مضجعه فيمتاح من وجدانه ألوان التبرم والضيق ببلاد الاغتراب، ولكنه ما أن يحل بربوع وطنه وديار أهله حتى تعاوده لواعج الشوق والحنين إياها ولكن هذه المرة إلى زوجه وأولاده وليس إلى البلاد التي بها يقيمون ولا أهلها الذين بين ظهراهم يثوون. لقد كان حنينه ذا اتجاهين لا يخف في أحدهما بفعل اللقاء والأنس إلا ليشتد في الآخر بفعل البعد والنأي. وهذا التوزع بل والتمزق خاصية لابن أحمد دام لا نرى أنه مسبوق إليها في الشعر الشنقيطي على الأقل.

تلك بإيجاز أهم الملاحظات التي قادنا إليها البحث في شعر الحنين لدى ابن أحمد دام، وهي ملاحظات واستنتاجات نعتقد أنها بحاجة إلى تعميق أكثر لتجلية الجوانب الإبداعية التي عكسها حنينه المزدوج. وتلك مهمة حري بباحثين أقدر ودارسين أمهر الانتداب لها للوفاء ببعض حقوق "أسلافنا الأدبيين" علينا، وهل هناك من وشيجة أقوى؟

المصادر والمراجع

- [١] الأثر القرآني في الشعر العربي: الشعر الموريتاني نموذجاً، التقي ولد الشيخ، اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، الطبعة الأولى، نواكشوط ٢٠١٠م.
- [٢] بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، تونس ١٩٨٦.

- [٣] التعريفات، علي الجرجاني، الطبعة الأولى بعناية مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.
- [٤] تهذيب اللغة، (أبو منصور) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م.
- [٥] الثقافة الشنقيطية، محمد الأمين ولد الناتي، دار نجيبويه، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٢.
- [٦] حياة موريتانيا، المختار ولد حامدن، الطبعة الأولى، الدار العربية للكتاب، بيروت ١٩٩٠.
- [٧] ديوان سيدي عبد الله ولد احمد دام، محمد رضوان الله ولد محمد الأمين، رسالة تخرج من المدرسة العليا للتعليم، مرقون، نواكشوط ١٩٨٤.
- [٨] شاعرية المكان، جريدي المنصوري الشبتي، دار العلم، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ.
- [٩] الشعر السياسي الموريتاني: من المقاومة إلى المعارضة، الشيخ احمد المنى، مرقون، داكار ٢٠١٠.
- [١٠] الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري: مساهمة في وصف الأساليب، أحمد جمال ولد الحسن، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٥م.
- [١١] الشعر الشنقيطي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين: دراسة في المرجع والبنية والقراءة، عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد، مطبعة المنار، الطبعة الأولى، نواكشوط، موريتانيا، ٢٠١٢م.
- [١٢] الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، عبد الله ولد بن احميدة، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، طرابلس الغرب ٢٠٠٩.

- [١٣] شعر المقاومة الموريتانية ضد الاستعمار الفرنسي من ١٨٥٤ - ١٩٦٠ م، يحيى المتعلق بالله الهاشمي، دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٣ م.
- [١٤] الشعر والشعراء في موريتانيا، محمد المختار ولد اباه، دار الأمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، الرباط، ٢٠٠٣ م.
- [١٥] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- [١٦] القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١، بيروت ١٤٠٦ هـ.
- [١٧] لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة عني بها كل من: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
- [١٨] اللزوميات، أبو العلاء المعري، تحقيق أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٧٦.
- [١٩] المعارضة في الشعر الموريتاني: مدخل لدراسة الاحتذاء عند شعراء القرن الثالث عشر الهجري، عبد الله ولد محمد سالم ولد السيد، المطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني، الطبعة الأولى، نواكشوط ١٩٩٥ م.
- [٢٠] معجم ديوان الأدب، تحقيق د. أحمد مختار عمر ومراجعة د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- [٢١] معجم اللغة العربية المعاصرة، عبد الحميد أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط ١، القاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- [٢٢] معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، سيدي محمد بن محمد عبد الله، منشورات سعيديان، الطبعة الأولى، تونس ١٩٩٦.

- [٢٣] المكان في الشعر الأندلسي: عصر ملوك الطوائف، أمل محسن العميري، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٢م.
- [٢٤] نقد الشعر الفصيح عند الشناقطة (١٧٠٠ - ١٩٦٠م)، الشيخ ولد سيدي عبد الله، اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، الطبعة الأولى، نواكشوط ٢٠١٣م.
- [٢٥] الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩١١م.

Nostalgia in Shanqeeti poetry, Ibn Ahmad Dam as an example

Alsheikh Ahmad Almona

Assistant Professor, Department of Arabic Language for non-native speakers
Faculty of Arabic Language and Social Studies. Al Qassim University

Abstract. The phenomenon of nostalgia in Al Shenqeeti poetry did not receive the amount of study in deserves even though the inception, schools and purposes of this poetry started to occupy the space of the work of researchers especially in the graduation theses of Mauritanian and Arab Universities.

Thus, it was appropriate to exposure the nostalgia in Al Shenqeeti poetry through a prominent poet , namely Sidi Abdullah ibn Ahmed Dam. The research was initiated with the entrance that explains the components of the title and the motivation behind this choice. Then an overview is shown of the problem of references that is usually facing a researcher in Al Shenqeeti poetry particularly in some of the phenomena that have not been studied, particularly the purpose of nostalgia.

We had then provided a glimpse of nostalgia linguistic and terminological, as defined by the reference books of language literature. In addition to that the nostalgia in Aabic poetry in the early days is briefly discussed. Regarding talking the nostalgic in the poetry of Ibn Ahmed Dam, it was initiated by giving an outline of the men's life and features of the environment where he was raised, followed by enlightening the general purpose of his poetry before dealing with nostalgia poetry with deeper study and analysis.

We focused on the nostalgia study on the poetic lexicon and connotations, alluding to the precision of the poet in the choice of words and expressions that fit his experience honestly and transparently. We have stopped as well on the elements of nostalgia as reflected in the texts mentioned the human and spatial characters were studied besides their role in enriching the experience. The research was concluded with the most important results that have been reached.

وسائل الملك عبدالعزيز في تحقيق السلام الاجتماعي في نجد

١٣١٩ - ١٣٥١هـ/ ١٩٠٢ - ١٩٣٢م

د. محمد بن عبدالرحمن الشيحة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - قسم التاريخ والحضارة

ملخص البحث. لقد شهدت منطقة نجد قبيل حكم الملك عبدالعزيز صراعات قبلية مريعة على الماء والكأ، فعمت الاضطرابات، وانعدم الأمن، فكثر القتل، وتوسعت دائرة الثارات، وانتشرت المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، نظراً لانتشار الأمية في أوساط المجتمع؛ وقد استطاع الملك عبد العزيز أن يحقق مشروعه في السلام الاجتماعي في نجد؛ إذ تعامل مع كل تلك التعقيدات بذكاء وفطنة، من خلال استخدامه وسائل دينية وفكرية، وسياسية واجتماعية، وأمنية وعسكرية. إذ قام بتفعيل دور العلماء، والمرشدين وإرسالهم إلى كل أقاليم نجد؛ فزالَت تلك المفاهيم المغلوطة عن الدين، وأنشأ هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عموم نجد فحورت الرذيلة، وتوسعت دائرة الفضيلة، ونشر فيها التعليم فانحسر الجهل، وانخفضت نسبة الأمية، وغرس مفاهيم الأخوة الإسلامية بين أبناء المجتمع النجدي، فعم الوثام، وغابت الأحقاد والثارات. وأحسن تعامله مع الناس، فأحبه، وازدادوا به تمسكاً، كما أحبه خصومه بعد عفوه عنهم: وقد اهتم بإصلاح ذات البين، حنأً وتطبيقاً، كما أنه قام بتفكيك النظام القبلي؛ وحول الولاء للدولة، وأمن الطرق، ونشر العدل بين الناس؛ وواجه خصومه عسكرياً، كما حاربهم نفسياً، عندما لم تنفع أي وسيلة سلمية معهم.

بهذا استطاع الملك عبدالعزيز أن يحقق مشروعه الطموح بإحلال السلام الاجتماعي في نجد خلال فترة وجيزة، وهو ما أثار استغراب الكُتَّاب والمؤرخين من عرب وأجانب؛ فجعلوا يكتبون عنه وعن إنجازاته بإعجاب وإسهاب كبيرين، وما علموا أن إخلاص الملك عبدالعزيز في عمله، وما منَّ الله تعالى به عليه من فطنة وذكاء هو الذي عجل في تحقيق ذلك المشروع، الذي لم يقتصر على نجد فحسب؛ بل امتد ليشمل كافة المناطق التي وحدها الملك عبدالعزيز؛ وأطلق عليها اسم المملكة العربية السعودية؛ التي لا زالت إلى يومنا هذا تسير على خطاه، وتقتفي أثره.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
لقد كان الملك عبدالعزيز يدرك أهمية السلام الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات ، وأهمية تحقيقه في المناطق التي كان يحكمها ، خاصة بعد أن شهدت نجد صراعات ، ونزاعات قبلية مريعة على الماء ، والكأ ، حيث عمت فيها الفوضى ، والاضطرابات ، وانعدم الأمن ، وكثرت الثارات ، والفتن ، والقتل . لقد كانت كل هذه العوائق ؛ واقعاً تعيشه نجد ، ويحتاج تجاوزه إلى جهد كبير ، وتعامل بذكاء وفطنة ؛ لتجنب المجتمع زيادة التعقيد القائم . وقد عمل الملك عبدالعزيز جاهداً على تقريب الهوة بين القبائل المتناحرة في تلك الفترة ، وكذلك معالجة أسباب الحقد والكراهية المنتشرة في المجتمع ، التي كان من أهمها الجهل ، والفهم الخاطئ للدين ، والذي ولد العنف من منطلق الانتقام ، وفي سبيل ذلك استخدم عدداً من الوسائل .

وقد انطلق الملك عبدالعزيز في تحقيق مشروع السلام الاجتماعي في نجد من منطلق ديني ، ولذلك لم يكن يستخدم أي وسيلة تتعارض مع الدين الحنيف ، وكل الوسائل التي استخدمها لتحقيق ذلك السلام المنشود كانت أحد أمرين : إما أن الوسيلة قيمة من قيم الإسلام ، ومبدأ من مبادئه ، أو أنها وسيلة لا تتعارض مع قيم الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه .

وقد علم الملك عبدالعزيز أن المجتمع النجدي المشترك بالدين واللغة والعادات والتقاليد ، يحتاج إلى تصالح مع نفسه ، ويحتاج إلى تحديد العدو الحقيقي ، وهو الضعف الاقتصادي الذي كان يعاني منه المجتمع حينها ، فضلاً عن الأمية المنتشرة ، والجهل بأمور الدين ، وانتشار الظلم ، وتأصل مبدأ الثأر والانتقام بين القبائل ، وبين الأفراد ، والافتقار إلى روح المحبة والتآلف بين أبناء المجتمع ، وانتشار المفاهيم المغلوطة ؛ عن

الإسلام. ولما عرف الملك عبدالعزيز أن تلك المشكلات كانت هي العدو الحقيقي الذي يقف حائلاً دون تحقيق السلام الاجتماعي في المجتمع النجدي ؛ سعى بكل ما أوتي من قوة إلى معالجة تلك المشاكل ؛ باتخاذ عدد من الوسائل التي تتلاءم مع كل مشكلة ، وبما من شأنه تحقيق السلام بمجمله ؛ وقد تنوعت الوسائل لتشمل الوسائل الدينية والفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والأمنية ، وإن استدعت الحاجة إلى استخدام القوة العسكرية استخدمها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

إن دراسة مثل هذه الوسائل يفيد في إبراز دور الملك عبدالعزيز ، وحكمته ، وحنكته في التعامل مع تعقيدات المجتمع النجدي ؛ الذي لم يكن بمنأى عن التعقيدات التي كانت سائدة في بقية مناطق الجزيرة العربية ، وكيف تعددت وسائله ؛ مع مختلف عوائق السلام الاجتماعي ؛ إذ عالج كقائد محنك كل عائق بالوسيلة التي تتناسب معه ، ولهذا نجد أن تاريخه في هذا المجال كان حافلاً بالنجاح. وسيحاول الباحث من خلال هذا البحث جمع أكبر قدر ممكن منها ، سواء الدينية والفكرية ، أو الوسائل السياسية والاجتماعية ، أو الوسائل الأمنية والعسكرية ، وهذا ما يزيد من أهمية البحث ، كما تظهر أهمية البحث في كونه يبرز أهمية تلك الوسائل في أي مجتمع من المجتمعات حتى يسوده السلام ، وتعمه المحبة.

أهداف الدراسة

- ١ - تهدف الدراسة إلى الإحاطة بأكبر قدر ممكن من الوسائل التي اتخذها الملك عبدالعزيز لتحقيق السلام الاجتماعي في نجد.

٢ - إبراز حنكة الملك عبدالعزيز وحكمته في التعامل مع التعقيدات التي كان يعيشها المجتمع النجدي، وحرص الملك عبدالعزيز على تجنب المواجهة العسكرية إلا إذا اضطر إليها، وتفضيله للوسائل الدينية، والفكرية، أو السياسية، والاجتماعية عليها.

٣ - إبراز كيفية تعامل الملك عبدالعزيز كقائد محنك مع مختلف العوائق، والظروف، ومعالجتها بالوسائل التي تناسب معها؛ سعياً لتحقيق السلام الاجتماعي في نجد.

٤ - إبراز مدى تأثير الوسائل الدينية، والفكرية، والسياسية والاجتماعية على السلام الاجتماعي للمجتمع النجدي، ومدى كونها وسائل ناجحة وناجعة؛ تغني عن اللجوء إلى القوة والحسم العسكري في كثير من المواطن.

منهج الدراسة

يتبع الباحث المنهج التاريخي من خلال الاستقصاء للأحداث، والمواقف، والأعمال التي قام بها الملك عبدالعزيز خلال الفترة المحددة للبحث؛ من خلال ما توافر لدى الباحث من مادة علمية.

وسيتبع الباحث المنهج التحليلي القائم على ذكر الواقعة، أو الحدث، أو ما شابهه، وتحليل الواقعة، أو الحدث، أو غيره، واستنباط المراد منها، وكيفية تأثيرها في المجتمع.

الحدود المكانية والزمانية للدراسة

تتمثل الحدود المكانية أو الجغرافية للدراسة بمنطقة نجد، فيما تتمثل حدودها الزمنية بالفترة من ١٣١٩ - ١٣٥١هـ/ ١٩٠٢ - ١٩٣٢م.

مصطلحات البحث

السَّلامُ: اسم من أسماء الله عز وجل لسلامته من النقص والعيب والفناء، والسَّلامُ في الأصل: السلامة؛ يقال: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلاماً وسَلامَةً، ومنه قيل للجنة: دار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات. وروى يحيى بن جابر أن أبا بكر قال: السَّلامُ أمان الله في الأرض.

ومعنى السلام الذي هو مصدر سَلَّمْتُ؛ أنه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وتأويله التخليص^(١)، وهذا يعني أن السلام هو الأمن، وبهذا يمكن إطلاق مصطلح الأمن الاجتماعي، أو السلام الاجتماعي.

الاجتماعي: يقصد بمصطلح (الاجتماعي): "وصف للسلوك أو المواقف نحو الآخرين، وهو يعني المواقف التي فيها تأثير متبادل بين فرقاء تربطهم روابط وعلاقات"^(٢).

السلام الاجتماعي: أما المقصود بالسلام الاجتماعي فهو: "توافر الاستقرار والأمن، والعدل الكافل لحقوق الأفراد في مجتمع ما، أو بين مجتمعات، أو دول"^(٣).

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج ٤، ص ٦٦٠ - ٦٦١.

(٢) عماد محمد رضا علي التميمي، وإيمان محمد رضا علي التميمي: الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي أقامته كلية الشريعة في جامعة آل البيت في الأردن، وذلك يومي ١٣ - ١٤ شعبان/١٤٣٣هـ، الموافق ٣ - ٤ يوليو/٢٠١٢م، ص ٦.

(٣) خالد بن محمد البديوي: الحوار وبناء السلام الاجتماعي، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، ط ١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ١٢.

خطة الدراسة

نظراً لأن الملك عبدالعزيز كان يستخدم كافة أنواع الوسائل لتحقيق السلام الاجتماعي بحسب الأحوال ؛ وذلك لا يعني بالضرورة عدم استخدامه لأكثر من وسيلة في آن واحد ؛ لذا فإن من الصعب تقسيم تلك الوسائل مرحلياً. وقد اجتهد الباحث في توزيع الوسائل ، فجمع الوسائل التي يغلب على الظن أنها تتداخل بين كونها دينية وفكرية تحت هذين النوعين ، وجمع الوسائل السياسية والاجتماعية ؛ لأن بعضها تتداخل بين كونها وسيلة سياسية ، وبين كونها اجتماعية ، علماً بأن هناك وسائل تتداخل بين كونها دينية فكرية ، وبين كونها اجتماعية ، وتم ضمها إلى الدينية والفكرية ، والأمر ينطبق على الوسائل التي ضمت إلى الأمنية ، والعسكرية. عموماً فإن ذلك يعد اجتهاداً من الباحث يأمل أن يكون أقرب إلى الصواب.

وقد اضطر الباحث إلى الاجتهاد أيضاً بترتيب أنواع تلك الوسائل بحسب قوة تأثيرها في تحقيق السلام الاجتماعي في نجد.

وبهذا ينقسم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة. تتناول المقدمة : أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، وأهداف الدراسة ، وحدود الدراسة ومصطلحات البحث ، فيما يتناول التمهيد معوقات السلام الاجتماعي في نجد قبيل عهد الملك عبدالعزيز ، ويتناول المبحث الأول : الوسائل الدينية والفكرية ، أما المبحث الثاني فيتناول : الوسائل السياسية والاجتماعية ، وفي المبحث الثالث : الوسائل الأمنية والفكرية.

التمهيد

معوقات السلام الاجتماعي في نجد قبيل عهد الملك عبدالعزيز

إن الحديث عن وسائل الملك عبدالعزيز لتحقيق السلام الاجتماعي في نجد خلال الفترة التي يتناولها البحث ؛ يقتضي بالضرورة ؛ التعرّيج على الوضع الذي كانت تعيشه نجد قبيل عهد الملك عبدالعزيز ؛ للوقوف على المعوقات التي مثلت تحدياً حقيقياً أمام تحقيق السلام الاجتماعي في نجد ؛ وهو ما يقودنا إلى معرفة الجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز لتغيير ذلك الوضع.

لقد شهدت نجد صراعات ونزاعات قبلية مريرة على الماء والكلأ، حيث عمت فيها الفوضى والاضطرابات، وانعدم الأمن ؛ إذ كان الأمن في معظم الأوقات لا يتعدى خارج أسوار المدينة، ولما كان الناس غير آمنين على أنفسهم، وأموالهم ؛ فإنهم لجأوا إلى السير دائماً في جماعات، ومعهم السلاح ؛ خوفاً من المجهول، خاصة مع انتشار الصراعات القبلية، وكثرة الضغائن القديمة، والفتن، والقتل^(٤).

وقد نشأت تحالفات بين القوى القبلية للحصول على الماء والكلأ، فتشكلت في نجد اتحادات قبلية بين بعض أمراء القبائل ؛ ليفرضوا على قبائلهم نوعاً من السيادة، فظهر نظام الحماية، حيث تلجأ القبائل الضعيفة إلى القبائل الأقوى لحمايتها مقابل دفعها ضرائب سنوية^(٥).

(٤) يحيى عبدالله للعلمي: الأمن في المملكة العربية السعودية، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مصر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٢٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٤.

وقد كانت القبائل آنذاك تقوم في السنة بغزوتين رئيسيتين على الأقل، والتي لا تفعل ذلك، تتهم بالعجز، وتكون عرضة للمهاجمة من القبائل الأخرى^(٦)؛ فإن سقط على إثر ذلك قتلى وجرحى من الطرفين؛ تولدت الثارات، وقد تطول لسنوات؛ لأن الدم في عرف البادية لا يعوض إلا بالدم، ولو أدى ذلك إلى هلاك العشيرة، أو القبيلة. وبهذا فإن الثأر كان سبباً من أسباب الحروب القبلية في المجتمع النجدي بصفة خاصة، ومجتمعات شبه الجزيرة العربية بصفة عامة^(٧).

إن كل تلك الفوضى لم تكن لتظهر لو أن هناك وازعاً دينياً، وسلطة حاكمية؛ تقيم الحدود الشرعية على القتل وقطاع الطرق، وغيرهم ممن يعكرون صفو الأمن الاجتماعي؛ وتحارب الأسباب التي أدت إلى انتشار الجريمة كالأمية والجهل^(٨) الذي تغلغل في المجتمع حتى استحسن القبيح، وقبح الحسن؛ وعد من يغزو للكسب، أو الانتقام، أو الثأر؛ شرفاً للقبيلة، ومبعث افتخار، واعتزاز لها؛ خاصة لدى البدو^(٩)، الذين كان ولاؤهم للقبيلة وشيخها أكثر من أي سلطة سياسية^(١٠) أخرى.

(٦) سعد بن خلف العفنان: الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع المعرفة، حائل، ط١، ١٤٢١هـ، ص ٣٠.

(٧) رابح لطفي جمعة: حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٢٥، ١٢٧.

(٨) أحمد بن زيد الدعجاني: الأساليب القيادية للملك عبدالعزيز ودورها في تحقيق الأمن، رسالة ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٥٠ - ٥١؛ جمعة: المرجع السابق، ص ٥٠-٥١.

(٩) العفنان: الإصلاح الاجتماعي...، ص ٣٠.

(١٠) محمد المناع: توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبدالله العثيمين، د.ن، د.م، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٢٧؛ محمد عبد الله السلطان: توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي، دار العلم، جدة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٢١٠.

ولم يكن الحضر وسكان المدن بمنأى عن ذلك، فقد كان بعض البدو يغيرون على المدن وينهبون المتاجر، في حين اتخذ بعض الحضر ممن لم يكن يردعهم وازع ديني أو سلطة حاكمة؛ من السرقة مهنة، ومن الاعتداء على من يقاومهم وسيلة للخلاص^(١١).

لقد كان السلب والنهب من المهن المعترف بها قبيل عهد الملك عبدالعزيز، ولم تكن طرق القوافل، أو قطعان الماشية من غنم وجمال، هي التي تتعرض لذلك فحسب^(١٢)، بل وصل الأمر نتيجة تلك الفوضى إلى إزهاق الأرواح^(١٣)، وقد كان للحجاج والمعتمرين نصيب من ذلك السلب، والنهب، بل وحتى القتل؛ رغم الاحتياطات التي كانت تبذل في سبيل المحافظة على أرواحهم، وأموالهم^(١٤).

ومما هو جدير بالذكر أن ما زاد في تعقيدات المشهد في تلك الفترة التدخلات الأجنبية؛ خاصة مع عدم وجود دولة تحمي سكان المنطقة، حيث كانت تتقاسم السيطرة على نجد عدة قوى ليس فيها من بلغ مستوى الدولة التي تقدم حماية لكافة سكانها^(١٥).

(١١) المعلمي: المرجع السابق، ص ٢٣.

(١٢) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٧، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٤٥١.

(١٣) محمد ناصر الشثري: الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، دار الحبيب، الرياض، ط ٤، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ١، ص ٤٦.

(١٤) الشثري: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٧ - ٤٨؛ عبدالله بن عبدالحسن التركي: الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص ١٢٩.

(١٥) صالح سعد الشبيب: عبدالعزيز الملك الذي أحب شعبه شواهد ودوافع ونتائج العلاقة الحميمة بين المؤسس وشعبه، المؤلف، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص ٣٠، ٣٢.

ومن تلك التدخلات ما كانت تقوم به السلطات العثمانية في نجد؛ إذ إن تدخلاتها لم تتوقف حتى بعد استرداد الملك عبدالعزيز للرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، ومباشرة لتوحيد الأقاليم النجدية، فقد كانت تقوم بدعم عبدالعزيز بن رشيد في نزاعه مع الملك عبدالعزيز^(١٦).

هكذا كانت منطقة نجد قبيل عهد الملك عبد العزيز آل سعود، فكيف استطاع أن يغير ذلك الوضع، وينفذ مشروع السلام الاجتماعي في نجد؟! هذا ما سنتناوله في المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول: الوسائل الدينية والفكرية في تحقيق السلام الاجتماعي

إن الدين والفكر أمضى أسلحة المواجهة لأي جهل أو تخلف أو فوضى؛ كونهما يتعاملان مع العقل والروح، وهما الموجهان الرئيسيان لبقية أعضاء الجسم، وبصلاح الفرد يصلح المجتمع، فإذا تم التمكن من غرس القيم الدينية، والأخلاق الحميدة، وتنوير الأفكار بالعلم، ومحو الأمية والجهل بنشر التعليم، وتشجيع وتحفيز العلماء والمتعلمين، ونشرنا الفضائل وحاربنا الرذائل؛ لأمكن تغيير وضع المجتمع من الفوضى والقتل والنهب والسلب وعدم الاستقرار إلى مجتمع مستقر وآمن، يعرف كل فرد فيه واجبه فيؤديه، وحقه فيأخذه ويحافظ عليه.

إن الدولة السعودية الأولى منذ أول قيام لها في ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م حملت على عاتقها نشر العقيدة الصحيحة، ومحاربة ما علق بالإسلام من شبهات، وخرافات؛

(١٦) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت، د. ط، د. س، ص ١٣٣ - ١٤٨؛ الزركلي: شبه الجزيرة،

ج ١، ص ١٤٥ - ١٦٥؛ سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود، مطابع المدينة، الرياض، ط ٢،

١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج ١، ص ٥٤ - ٦٧.

أثرت كثيراً في عقيدة المجتمع النجدي ، كما أنها حملت على عاتقها الأمر بالمعروف ، والنهي على المنكر ، فكان هذا هو ميثاقها الأول^(١٧) . وقد سار على ذلك النهج أئمة الدولة السعودية الثانية ، كما أن الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة السعودية الثالثة قد سار على نفس النهج ، وحمل على عاتقه ما حملة أسلافه ؛ إيماناً منه بوجوب الالتزام بذلك الميثاق التاريخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود ؛ وإيقاناً بأن طريقهم هو الطريق الصحيح نحو دولة تنعم بالأمن والاستقرار والرخاء .

لقد كان الملك عبدالعزيز يولي الدين الحنيف جل اهتمامه ؛ يتضح ذلك من خلال ملازمة العلماء لمجلسه ، وتوقيره لهم ، وحرصه على نشر العلم الشرعي في مختلف مناطق المملكة ؛ لما في تفقيه العامة بأمور دينهم من خير لهم ، وللمجتمعهم ، فضلاً عن منح بعضهم الصفة الرسمية لممارسة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر في المجتمع . ولم يغب عن بال الملك عبدالعزيز أهمية الفكر وتنويره ؛ إذ إن العلم الشرعي لا بد أن يصاحبه محو للآمية ، وتنوير للفكر بمختلف العلوم الشرعية ، وغير الشرعية ؛ فمحاربة الجهل والآمية من خلال نشر التعليم ، وتدريس بقية العلوم غير الشرعية ؛ يسهم بشكل ، أو بآخر في تنوير المجتمع وتحضره ، من خلال اكتشاف طاقات المجتمع ، وكوادره في مختلف المجالات ، والاهتمام بها ورعايتها ؛ لتقوم بوظيفتها مستقبلاً في بناء المجتمع ، والحرص على أمنه ، واستقراره ورخائه .

لقد حرص الملك عبدالعزيز أن تكون وسائله الدينية والفكرية هي أهم الوسائل التي يستخدمها في تحقيق السلام الاجتماعي الذي كان يصبو أن يعم أرجاء نجد بصفة

(١٧) حسين بن غنام: تاريخ نجد، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار الشروق، بيروت، ط ٤، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م،

خاصة، والمملكة بصفة عامة، وقد كان له ما أراد. وللوقوف على أهم تلك الوسائل تفصيلاً نتناولها على النحو الآتي:

١ - تفعيل دور العلماء وتعزيزه في الوعظ والإرشاد:

لقد كان الملك عبدالعزيز يقدر العلماء ويجلهم، ولا يكاد يخلو مجلسه منهم حضراً وسفراً، بل كان منهم من يصحبه في تحركاته العسكرية^(١٨)، وقد عمد عندما بدأ بتوطين البادية من خلال إنشاء الهجر^(١٩) للسكن - إلى إرسال العلماء، والدعاة، والوعاظ، وطلبة العلم، وحفظة القرآن، والمطاوعة إلى القبائل في القرى، والهجر^(٢٠)؛ لعلمه اليقين بأهمية دورهم في وعظ العامة، وإرشادهم، وتعليمهم أمور دينهم، وتقوية وازعهم الديني، بترغيبهم بثواب الله، وترهيبهم من عقابه؛ وقد أثمرت تلك الجهود فيهم؛ حيث كفت شرورهم، وتروضت نفوسهم على الخير^(٢١). ولما رأى البدو أن إخوانهم الذين انتقلوا إلى الهجر؛ قد تحسنت أوضاعهم، وتعمقت أخوتهم، بدأوا بالانتقال إليها؛ حيث أخذت العشائر البدوية تقلد بعضها بعضاً في الانتقال إلى الهجر، بل أصبحوا يسمون حياة البادية عندهم بالجاهلية، ويسمون الحياة الجديدة بالإسلام^(٢٢).

(١٨) عبدالله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٤، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٢، ص٣٢٦.

(١٩) الهجر: مفرداً (هجرة) والهجر عبارة عن قرى بنيت دورها من الطين الجفف، والأشجار، وسعف النخيل، وهي تسمية مستحدثة في نجد، وقد كانت هجرة الأرطاوية هي أول هجرة بنيت في نجد، وكان ذلك عام ١٣٣٠هـ/١٩١١م، وقد تبع بناءها عدة هجر في مناطق شتى من نجد. انظر: حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٢٨٥.

(٢٠) الزركلي: شبه الجزيرة....، ج١، و٢، ص٢٦٠، ٤٥٠.

(٢١) المعلمي: المرجع السابق، ص٤١.

(٢٢) وهبة: المصدر السابق، ص٢٨٥.

وقد حرص الملك عبدالعزيز - خاصة بعد الفتنة التي كادت أن تقع في نجد سنة ١٣٤٥هـ بين الإخوان من جهة، والحكومة والحضر من جهة أخرى بسبب المفاهيم المغلوطة للدين الخنيف^(٢٣) - على انتقاء أكفأ الدعاة، والمعلمين، ويرسلهم إلى البادية لتعليم الناس أمور دينهم؛ لعلمه بحاجة أولئك إلى العلم الصحيح البعيد عن الغلو من ناحية، ولصعوبة المهمة من ناحية أخرى، وكان يدعمهم مادياً، ومعنوياً؛ ليعزز ذلك من موقفهم، ويسهل عليهم مهمتهم^(٢٤).

ومن انتدبهم الملك عبدالعزيز لتلك المهمة الصعبة، والعمل الجليل في الهجر الشيخ عمر بن محمد بن سليم^(٢٥).

وفي ذلك يقول صالح بن سليمان العمري نقلاً عن ابنه عمر العمري^(٢٦) في معرض ترجمته للشيخ عمر بن سليم: "ولما ابتدأ الملك عبدالعزيز بتهجير البادية إلى أمهات الهجر كالأرطاوية ودخنة كان يبعثه إليهم، فيقيم في الهجرة الشهرين والثلاثة؛ يذكرهم، ويعلمهم، ويعمر مجالس التدريس، وقد مر بكل من دخنة من بلاد حرب، والفوارة من بلاد حرب، والأرطاوية من بلاد مطير، وكان يصحب معه من كبار الطلبة ما يقرب من ثلاثين طالباً يتحمل نفقاتهم، يواصلون قراءتهم عليه، وينتفع به

(٢٣) المصدر نفسه، ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢٤) عمر بن صالح العمري: الملك عبدالعزيز والعمل الخيري "دراسة تاريخية وثائقية" دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢٥) الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن حمد بن سليم هو: علامة القصيم في زمنه، ولد في بريدة عام ١٢٩٩هـ، وتلقى العلوم من والده ومن غيره من علماء القصيم، عينه الملك عبدالعزيز على قضاء القصيم بعد وفاة أخيه، وكان يستشير في تعيين القضاة والمرشدين في كثير من مناطق المملكة، وكان أيضاً ممن كلفه في بعثات الإرشاد للهجر في البوادي، وقد استمر على مكانته، وعمله إلى أن توفي - رحمه الله - في عام ١٣٦٢هـ. العمري: المرجع السابق، ص ١٥٤، هامش (١).

(٢٦) العمري: المرجع السابق، ص ١٥٤.

وبهم أهل تلك النواحي ، وقد صار لذلك أثر كبير على أهل تلك النواحي ، كما أنه إذا كان في الأرطاوية يجتمع عليه عدد من أهل سدير والوشم وغيرهم... ، واستمر سفره للأرطاوية إلى عام ١٣٤٥ هـ.

ومن بين الذين أرسلهم الملك عبدالعزيز عام ١٣٣٧ هـ إلى الهجر : الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العمار^(٢٧) ، حيث تم إرساله إلى هجرة الأرطاوي - بإقليم السر - قاضياً ، وإماماً ، ومرشداً لمدة ٢٦ عاماً ، عند بني عبدالله من مطير ، ثم تم إرساله قاضياً إلى بلدة ساجر في نفس الإقليم ، واستمر فيها من عام ١٣٦٣ هـ إلى ١٣٦٨ هـ ، ثم أعيد بعد ذلك إلى هجرة الأرطاوي ، حتى أحيل على التقاعد عام ١٣٧٨ هـ ، ولكنه بقي إماماً ، وخطيباً ، وفقياً فيها حتى عام ١٣٩١ هـ^(٢٨).

ومن الدعاة والمرشدين الذين بعثهم الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله العبيدي^(٢٩) ، حيث أمره عام ١٣٤٠ هـ بالتوجه إلى (قرية)^(٣٠) ، وقد ظل فيها

(٢٧) هو الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن علي بن عبدالله العمار من آل غرير من بني خالد، ولد في بلدة غسلة بالقرائن التابعة لمحافظة شقراء سنة ١٣٠٣ هـ، ونشأ بها، تعلم القراءة والكتابة، وكف بصره وهو ابن عشر سنوات، فحفظ القرآن الكريم، وسافر إلى الرياض، ولازم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، ودرس عليه مدة طويلة. ومن زملائه الشيخ سليمان بن سمحان، والشيخ حمد بن فارس. وفي الخامسة والثلاثين من عمره تفوق في علم الفرائض، واشتهر بين طلبة العلم بالفرضي، فطلب منه أن يدرس هذه المادة، فكان ممن درس عليه فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وغيره. وقد توفي الشيخ عبدالله العمار - رحمه الله - في عام ١٣٩٧ هـ، ودفن في مسقط رأسه بالقرائن. انظر: عبدالرحمن بن محمد البليهد: غسلة بالقرائن بلد الأجداد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢ م، ص ١٧٤ - ١٧٥؛ إبراهيم بن عبدالرحمن السدحان: القرائن بالوشم، مطابع الحيمي، الرياض، ط ١، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥، ج ١، ص ١١٦.

(٢٨) البليهد: المرجع السابق، ص ١٧٤ - ١٧٥؛ السدحان: المرجع السابق، ص ١١٦.

(٢٩) الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن علي بن عبدالله بن محمد العبيدي من قبيلة الأسلم من شمر، ولد في بلدة غسلة بالقرائن من بلدان إقليم الوشم التابعة لمحافظة شقراء سنة ١٣٢٥ هـ

يؤم، ويعلم، ويقرئ القرآن مدة عامين تقريباً، ثم انتقل إلى الصحف^(٣١)، ثم إلى الدفي، ثم إلى عنك بالقطيف، ثم إلى الليب^(٣٢) حتى عام ١٣٤٩هـ، وفي سنة ١٣٥٠هـ عاد إلى مسقط رأسه بلدة غسلة بالقرائن، وعين إماماً لجامعها، ومعلماً لأبناء قريته لمدة خمس سنوات^(٣٣).

لقد كان الشيخ عبدالرحمن العبيدي - يرحمه الله - كما أعرفه^(٣٤) رجلاً حافظاً للقرآن الكريم، متديناً، ورعاً، سموحاً، بشوشاً، كريماً، ذا خلق رفيع. جدير بالذكر أن عدد المرشدين، والمعلمين، الذين بعثهم الملك عبدالعزيز إلى القرى والهجر؛ بلغ أكثر من (١٠٠٠) معلم، ومرشد، وكانوا لا يرتبطون بتشكيلات حكومية^(٣٥).

تقريباً، ونشأ وترعرع فيها، وقد توفي - يرحمه الله - يوم الخميس ١٤/٦/١٤٠٧هـ. ويظهر ذلك من خلال ما خلفه الشيخ عبدالرحمن العبيدي من مكاتبات؛ والتي حصل الباحث على بعضها من أحد أحفاده وهو الأستاذ الدكتور: عبدالعزيز بن راشد العبيدي.

(٣٠) "قرية": تقع في أقصى الشمال الشرقي للمملكة العربية السعودية. إحدى هجر مطير، وكان أميرها ترحيب بن شقير. ومن رؤسائها: فلاح بن شقير، وفيصل بن نايف بن شقير، وغصاب بن منديل. انظر: عبدالله الزامل: أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، المؤسسة التجارية، بيروت، ط ١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ٢٧٣.

(٣١) الصحف: اسم هجرة كان أميرها حينذاك فهد بن بجاش. انظر: الزامل: المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٣٢) الليب: هجرة لقبيلة الدعاجين من عتيبة، أسست بأمر من الملك عبدالعزيز للشيخ عبد المحسن بن بدر بن مرزوق الهيضل ومن معه من الهياضلة، والدعاجين، وغيرهم من قبائل بركا. ومن رؤسائها: صلال بن بدر، وعمر أبو رقة. انظر: الزامل: المصدر السابق، ص ٢٦٨؛ الموقع الإلكتروني:

<http://www.ar.wikipedia.org>.

(٣٣) هذه المعلومات مستقاة من مكاتبات خلفها الشيخ عبدالرحمن العبيدي، والتي حصل الباحث على بعضها من أحد أحفاده وهو الأستاذ الدكتور: عبدالعزيز بن راشد العبيدي.

(٣٤) الكلام للباحث: حيث إن الشيخ عبدالرحمن العبيدي من أهل بلدة الباحث.

إن إرسال الملك عبدالعزيز للعلماء، والمرشدين، إلى الهجر وإلى كافة أنحاء نجد^(٣٦)؛ عزز دورهم في إرشاد وتوجيه السكان بالأخذ بالآداب الإسلامية؛ الأمر الذي ساهم في تحقيق السلام الاجتماعي، والاستقرار في نجد؛ إذ أصبحت الروابط الاجتماعية عند البدو مبنية على أساس الدين؛ وأقوى من الروابط القبلية التي كانت سائدة قبل التوطين، فقد كان التوطين بمثابة إحياء للسلفية القديمة التي ضعفت من الوجهتين الدينية، والسياسية قبل دخول الملك عبدالعزيز الرياض^(٣٧)، ولم يكن يشترط أن تنفرد كل قبيلة بهجرة مستقلة؛ بل أصبح يشاركها السكن أفخاذها، أو بطون من قبائل أخرى، ربما كانت تناصبها العداء في الماضي، ولكنهم في تلك الهجر؛ أصبحوا إخوة، تجمعهم رابطة الدين؛ التي هي أقوى، وأبقى من رابطة الأسرة، والعشيرة، فانفتحت بهذا المشروع المعزز بدور العلماء في الإرشاد، والتوجيه للناس؛ العدوات القبلية القديمة، وحلت محلها رابطة الإيمان، ووشائج المحبة، والارتباط بالمصير الواحد^(٣٨).

٢- إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

سبق القول: إن الملك عبدالعزيز كان يؤمن أن للدين دوراً أساسياً في بناء المجتمع واستقراره؛ إذ إن الوازع الديني له أثره البالغ في انحسار الجريمة، وترابط

(٣٥) عبدالرحمن بن سليمان الرويشد: الجهاد الفكري للملك عبدالعزيز، مجلة الدارة، ع ٤٤، س ١١، رجب ١٤٠٦هـ / مارس ١٩٨٦م، ص ١٨٦.

(٣٦) عبد الرحمن بن زيد الزيندي: تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ، ص ٩٣.

(٣٧) غسان الشمري: اتباع أمة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٣٤.

(٣٨) عبدالله محمد الشهيل: فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٣-١٣٥١هـ / ١٩١٥-١٩٣٢م، دراسة تاريخية تحليلية، دار الوطن للنشر والإعلام، الرياض، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٨٣.

المجتمع ، ولذلك نشر العلم عن طريق إرسال العلماء إلى مختلف المناطق - كما أوضحنا في الفقرة السابقة - ، ولم يكتف بذلك ، بل عمد إلى تعزيز ذلك الاهتمام بالدين بإنشائه هيئة تضم في تكويناتها عدداً من العلماء ، ولها صفة رسمية ، بأن ما يصدر عنها يكون ملزماً ، وجعل مهمتها الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ لمعرفة ما لشعيرة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر من أثر على الفرد ، والمجتمع في حماية الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة ، وإشاعة السلام الاجتماعي في المجتمع النجدي بصفة خاصة ، ومجتمع شبه الجزيرة العربية بصفة عامة.

لقد كان العلماء والصلحاء يقومون بواجبهم في الاحتساب منذ استرداد الملك عبدالعزيز للرياض سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ؛ ولكن ذلك كان يتم فردياً ، ومن أبرز أولئك العلماء الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ، فقد كان يقوم بالحسبة تطوعاً في مدينة الرياض. وعندما استقرت البلاد واتسع الحكم نسبياً ؛ كلفه الملك عبدالعزيز بالقيام بولاية الحسبة ، وزوده ببعض الأعضاء لمساعدته ، منهم فضيلة الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ^(٣٩) ، وكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعزرون ، ويحبسون من يستحق الحبس ، وغير ذلك من أعمال الحسبة^(٤٠).

(٣٩) عمر بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، انظر: الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها - أعمالها، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١٠٩.

(٤٠) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المصدر السابق، ص١٠٨ - ١١٠؛ طامي بن هديف بن معيض البقمي: التطبيقات العلمية للحسبة في المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة، طبعة المثوية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٨٦ - ٨٩.

وعقب وفاة الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ عام ١٣٤٥هـ ، كلف الملك عبدالعزيز الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ بأعمال الاحتساب ، فأصبح رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد ، والتي كانت تضم القصيم ، وحائل ، وكافة بلدان العارض ، ثم بعد ذلك ضم إليه وادي الدواسر التابع لمنطقة نجد ، كما ضم إليه أيضاً المنطقة الشرقية ، والحدود الشمالية^(٤١) ، وكان مقر الهيئة الرئيسي في الرياض^(٤٢) ، وفتحت مراكز فرعية لها في الرياض ، أما خارجها فقد أنشئت فروع للهيئة في كل مدينة ، ولكل فرع مقر دائم ، ورئيس ، وأعضاء ، وجنود ، وتقوم تلك الفروع بإحالة القضايا المهمة إلى الرئاسة في الرياض ، وكان الملك عبدالعزيز ما أن يسمع أن هناك قرية ليس فيها من يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ؛ حتى يسارع بتوجيه القائم فيها بأن يعين من أهل الصلاح والتقوى لهذا الأمر^(٤٣).

ومما لا شك فيه أن جهود المحتسبين قد ساعدت الملك عبدالعزيز في إنجاح مشروع توطین البدو الذين كانوا يشكلون حينها أكثر من نصف رعاياه^(٤٤) ، وساهمت كثيراً في تحقيق مشروع السلام الاجتماعي.

وكان الدعاة والمرشدون الذين يتم إرسالهم إلى الهجر للتعليم ، والوعظ ، والإرشاد ، يتولون أيضاً الاحتساب ، ويضربون بيد من حديد على يد كل فاجر ،

(٤١) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: المصدر السابق، ص ١١٠؛ البقمي: المرجع السابق، ص ٩١.

(٤٢) عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: مشاهير علماء نجد، ط ٢، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٤هـ، ص ١٨؛ البقمي: المرجع السابق، ص ٩١.

(٤٣) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: المصدر السابق، ص ١١١.

(٤٤) الزركلي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٠.

وفاسق، ومكابر^(٤٥)، كما أنهم كانوا يفصلون في بعض الخلافات، أما الأمور الكبرى التي كانت تنشب في تلك الهجر، أو تحدث بين القبائل الأخرى التي لم يتم توطينها بعد، فقد كانت تحال إلى القضاة^(٤٦).

وقد كان للعمل الذي بذلته هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حينها؛ الأثر المحمود في حماية الأخلاق، وإصلاح المجتمع النجدي.

لقد كان الملك عبدالعزيز يولي شعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أهمية بالغة، ومما يؤكد ذلك ما جاء خطابه في المؤتمر الوطني الذي عقد يوم الثلاثاء ١٥ محرم ١٣٥٠ هـ في منى، والذي ألقاه نيابة عنه سكرتيه الشيخ يوسف ياسين، وبحضوره، حيث جاء فيه: "يجب أن ننظر في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يجب النظر في الأمور التي نتمادى فيها، وما هي إلا لهو، ودنو إلى الشر وبعد عن الخير، وقد ترك الناس أمر الصلاة، وهنالك أمور أخرى لا يفعلها إلا الخسيس... نريد أن تكونوا عوناً للحكومة في هذا الأمر؛ لأنه إذا اتفق الجميع على درء هذه المفاسد؛ سهل العمل، أما إذا كانت إجبارية صعب حلها، وطال أمرها، وإن المساعدة التي نطلبها هي: (١) مساعدة الأهالي.

(٢) ترتيب طريقة درء المفاسد، والحيلولة دون هذا الفساد، لنتمكن من إقامة الشرع الشريف.

فإذا عملنا هذا قمنا باللازم، وهذا أهم ما يجب العناية به؛ لأن الدنيا إذا كثرت خيراتها، والدين أهمل، فلا فائدة ترجى منها، بل هذا أساس البلاء، أما إذا عمر الدين، ونفذت أوامره، واجتنبت محارمه صلحت الدنيا... أرجو أن تهتموا بالأمر

(٤٥) الزامل: المصدر السابق، ص ٢١١؛ جمعة: المرجع السابق، ص ٩٥.

(٤٦) البقمي: المرجع السابق، ص ٩٠.

اهتماماً شديداً... وصفوة القول: إذا صلح الرأس صلح الجسد، وأمور الدين هي الرأس، فإذا استقام أمره صلحت أحوالنا الدنيوية^(٤٧).

إن هذا الخطاب المهم يبين مدى اهتمام الملك عبدالعزيز بالدين الحنيف، وبالحسبة التي تعمل على تقويم الاعوجاج ودرء المفسد، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو ما ينعكس إيجاباً على حياة الناس اليومية؛ لأنه كما قال: "أمور الدين هي الرأس، فإذا استقام أمره صلحت أحوالنا الدنيوية".

لقد اختار الملك عبدالعزيز للاضطلاع بمسؤولية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الإصلاح؛ علماء أفاضل، كان لمجهودهم دور كبير في تحقيق السلام الاجتماعي، الأمر الذي سهل على الملك عبدالعزيز؛ كسب تأييد المجتمع له في حروبه لإحلال السلام الاجتماعي في المجتمع النجدي، وغيرها من المناطق الأخرى التي تضمها المملكة العربية السعودية.

٣- نشر التعليم في المجتمع:

إن نشر التعليم في المجتمع يعد من الأهمية بمكان؛ خاصة عندما تعم الأمية غالبية المجتمع؛ إذ إنها تعد من أكبر العوائق التي تواجه أي مشروع حضاري، أو استقرار سياسي، أو وئام وسلام اجتماعي، ولذلك كان نشر التعليم وسيلة من وسائل الملك عبدالعزيز في تحقيق السلام الاجتماعي في نجد، وما حولها؛ نظراً لأن الأوضاع العلمية في نجد كانت ضعيفة حينها كما سبق القول.

وقد كان هناك نوعان من التعليم في نجد، هما: الكتاتيب: ويدرس فيها القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة، والإملاء، والحساب. وحلقات العلماء في

(٤٧) عبدالحميد الخطيب: الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، دارة

الملك عبدالعزيز، الرياض، طبعة المثوية ١٤١٩هـ، ج١، ص ٣٣٣، ٣٣٨ - ٣٣٩.

المساجد، ويتركز التدريس فيها على أصول الدين، وفروعه، وشيء من قواعد اللغة العربية^(٤٨) إلا أنها لم تكن منتشرة بكثرة.

وقد كان اهتمام الملك عبدالعزيز بالناحية التعليمية واضحاً منذ أن بدأ مسيرته لتوحيد نجد؛ فقد كان يشجع طلاب العلم، ويساعدهم وفق إمكانياته المحدودة حينذاك، ومع أن فكرته الرائدة لتحضير البادية كانت متعددة الأهداف، فإن من أهم تلك الأهداف نشر التعليم، والمعرفة الدينية بالذات بين أفراد تلك الفئة المهمة من أتباعه^(٤٩)؛ لأن النفس البشرية إذا اطمأنت، وتعلمت؛ أنتجت فكراً، وعملياً، كون العلم يدعو للعمل الجاد، وقد استثمر تلك الميزة ابتداءً بتحضير البادية، وانتهاءً بفتح المدارس لتعليم الناس أمور الدنيا، فضلاً عن علوم العقيدة الإسلامية الصحيحة^(٥٠).

لقد كان تعليم سكان البلد، أو الهجرة، أو القبيلة؛ القراءة، والكتابة؛ هو أول شيء يقوم به أولئك الوعاظ والمرشدون المرسلون إلى تلك المناطق؛ حتى يتمكن الناس من قراءة القرآن، والسنة النبوية قراءة صحيحة، وقد كانت المساجد في غير أوقات الصلاة، والعبادة؛ أشبه بالمدارس، يؤمها الصغير، والكبير؛ لطلب العلم. وقد كانت هذه الطريقة أنجع الطرق في محاربة الأمية؛ حيث لوحظ حينها أن نسبة الذين يقرؤون ويكتبون من السكان ذكوراً وإناثاً، أصبحت جيدة^(٥١)، وهو ما جعل الملك عبدالعزيز يأمر سنة ١٣٤٤ هـ بعد ضمه للحجاز بإنشاء مديرية المعارف العامة

(٤٨) العثيمين: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٢٣، ٣٢٦.

(٤٩) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٢٦.

(٥٠) الدعجاني: المرجع السابق، ص ٥٠؛ سليمان بن عبدالرحمن الحقييل: الإرث الذي خلفه لنا الملك عبدالعزيز ورجاله المخلصون كيف نحافظ عليه؟، مطابع الحميضي، الرياض، ط ٢، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥ م، ص ١٤٣.

(٥١) الزامل: المصدر السابق، ص ٣٨٢.

لترعى شؤون التعليم في البلاد، ومنها منطقة نجد^(٥٢)؛ وبذلك انتشر التعليم، وافتتحت المدارس، وطبعت المناهج، وتم تبني سياسة جديدة للتعليم؛ حيث تم جلب المدرسين من البلاد العربية، وحولت الكتاتيب إلى مدارس منظمة، كما حولت حلقات الدروس في المساجد عامة، وفي الحرمين الشريفين إلى معاهد ودور علم منظمة^(٥٣). وفي عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م تم إرسال أول البعثات الطلابية للدراسة في الخارج، وكان ذلك إلى الجامعات المصرية في مختلف الفروع^(٥٤).

إن التغيير الاجتماعي والثقافي الذي حصل بعد تأسيس مديرية المعارف العامة سنة ١٣٤٤هـ، كان تغيراً جذرياً في الأفكار والمبادئ والقيم، وتغيراً نقل جمهور الشعب من حالة إلى أخرى، حيث طال هذا التغيير جميع مناحي الحياة^(٥٥).

ومن الأعمال المتممة لقضية التعليم، والتي قام بها الملك عبدالعزيز، قيامه بطباعة الكتب في مختلف العلوم والمعارف^(٥٦)، الأمر الذي أسهم في العناية بالكتب، ودعم حركة النشر والمعرفة، ويسجل التاريخ أن عناية الملك عبدالعزيز بالكتب قد شملت شراءها، وتوزيعها، ووقفها على طلبة العلم؛ مما كان له أثره في إحياء التراث الإسلامي^(٥٧) في المجتمع النجدي وما حوله.

(٥٢) الزركلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٣٣.

(٥٣) الرويشد: المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٥٤) الزركلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٣٧.

(٥٥) خلود بنت فاروق حضراوي: التخطيط التربوي في عهد الملك عبدالعزيز، وأثره في النهضة التعليمية الحديثة ١٣٤٤-١٣٧٣هـ، رسالة ماجستير، قسم الإدارة التربوية والتخطيط، جامعة أم القرى، ١٤٢٨/١٤٢٩هـ، ص ٤.

(٥٦) الزركلي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٠٢٩ - ١٠٣١؛ الزامل: المصدر السابق، ص ٣٨٢.

(٥٧) عبدالعزيز الصقعي: الملك عبدالعزيز ورعايته للثقافة والعلوم، دراسات متعددة تناولت شخصيته واهتماماته بالعلم والكتب، مقال منشور على شبكة الإنترنت، رابط الموقع:

وقد أثمرت جهود الملك عبدالعزيز تلك في مجال التعليم عن إذابة النزعات القبلية والسلوكيات الخاطئة التي كانت تمارس كالسلب والنهب، وتسابق الناس على التحصيل العلمي؛ حيث انتقل بعض أبناء البادية إلى الرياض لدراسة علوم الدين، وعادوا إلى مدنهم، وقراهم، وهجرهم ينشرون ما تعلموه، وقد كانت المدارس في بداية تأسيسها مدارس دينية، تهتم بتعليم المواطنين أصول الدين، وقد أثمر ذلك عن تفهم قبائل نجد وما حولها للأحكام الشرعية^(٥٨)، ثم تطورت مناهجها لتضم مختلف العلوم.

٤ - غرس مفاهيم الأخوة الإسلامية بين أبناء المجتمع:

إيماناً من الملك عبدالعزيز بأهمية غرس مفاهيم الأخوة بين أبناء المجتمع الواحد؛ واقتداءً منه بالنبي محمد ﷺ الذي آخى بين المهاجرين، والأنصار؛ حرص منذ تقلده زمام الأمور في نجد على أن يؤاخي بين قبائل نجد وغيرها^(٥٩)؛ فجعلها ضمن مهام من يرسلهم من العلماء، والوعاظ، وغيرهم إلى مختلف مناطق نجد، وقد ساعدهم على إنجاز مهمتهم تلك؛ قيام الملك عبدالعزيز بتوطين البدو - كما مر بنا - والذي كان له أساس ديني؛ إذ بث فيهم روح الأخوة الإسلامية والتكافل الاجتماعي، فتلاشت اعتداءات بعضهم على بعض، واعتداءاتهم على الآخرين بدرجة كبيرة^(٦٠).

وقد أطلق على البدو الذين انتقلوا للعيش في تلك الهجر اسم (الإخوان) إشارة إلى رابطة الأخوة التي جمعتهم بعد العداء والتخاصم، فيما أطلق الملك عبدالعزيز

<http://www.alriyadh.com/281774,16/6/2015> .

(٥٨) الحقيق: الإرث الذي خلفه لنا الملك عبدالعزيز. . . ، ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٥٩) الشمري: المرجع السابق، ص ١٤٧.

(٦٠) مجلة الدارة: العدد (٤)، سنة (١١)، الرياض، رجب ١٤٠٦ هـ/ مارس ١٩٨٦ م، ص ٨٨.

على تلك المجتمعات الجديدة اسماً إسلامياً فريداً، وهو (الهجر) أي: الانتقال من البداوة إلى الحضارة، أو الانتقال من حياة المعصية إلى حياة الطاعة، حيث ورد في الحديث الصحيح: "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" (٦١).

وكان للإخوان في تلك الهجر هيئة خاصة يتميزون بها عن غيرهم، حيث كانوا يميزون أنفسهم بلبس العمامة، وهي (عصابة بيضاء) يلفونها حول رؤوسهم بدلاً من العقال التقليدي المعروف (٦٢).

لقد قام العلماء بدور كبير في غرس مفاهيم الأخوة في المجتمع النجدي، وقد أثمر ذلك عن تجاوز الإخوان لشخصيتهم القديمة التي كانت تجنح إلى الاقتتال فيما بينهم، ليصبحوا محاربين من أجل العقيدة (٦٣)، لقد أصبح مجتمعهم مجتمعاً متساوياً، متآخياً، متعلماً، مهنيّاً، متعاوناً (٦٤)، وأصبحوا ينكرون على من يفتخر بقبيلته، ويقولون: هذا من دعوى الجاهلية، ويؤدّبون فاعله (٦٥).

(٦١) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٨، ص ١٠٢.

(٦٢) محمد الطيب النجار، وآخرون: الملك عبدالعزيز آل سعود مثل رائعة من عبقريته الفذة ووفائه النادر، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٨٣.

(٦٣) علاء الدين سومرو: الأوضاع السياسية في جزيرة العرب في عهد الملك عبدالعزيز، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة ١٩-٢٣ ربيع الأول عام ١٤٠٦هـ، الموافق ١-٥ ديسمبر ١٩٨٥م، طبعة المثوية، شوال ١٤١٩هـ، مج١، ص ١٨٧.

(٦٤) الشمري: المرجع السابق، ص ١٣٩.

(٦٥) الشثري: المرجع السابق، ج١، ص ١٤٧.

إن ما يؤكد نجاح المساعي التي بذلها الملك عبدالعزيز في المؤاخاة بين القبائل ما رواه الشثري^(٦٦) نقلاً عن أبيه^(٦٧)، حيث قال: "إن معيض بن عبود رجل من أمراء آل مسعود من قحطان قبل أن يلتزم بالدين تقابل مع رجل من قبيلة عتيبة يدعى مرزوق الغميسي، فأراد كل واحد منهما قتل الآخر، فكان كل واحد يجهز بندقيته؛ ليفتك بأخيه، فلا يفلح لثلاث مرات، فنجى الله كلاهما من بطش أخيه، ثم تلاقيا عند الملك عبدالعزيز بعد أن آخى الملك بين القبائل - فتعانقا، وذكر كل منهما صاحبه بما وقع بينهما من تقاتل في الماضي، فحمدا الله أن منَّ عليهما بالأخوة الإسلامية".

المبحث الثاني: الوسائل السياسية والاجتماعية

لقد تعددت وسائل الملك عبدالعزيز في تحقيق السلام الاجتماعي في نجد؛ أملاً بتحقيق أفضل النتائج التي كان يريها، فإذا كانت الوسائل الدينية، والفكرية قد أسهمت إلى حد كبير في تحقيق بعض ما يصبو إلى تحقيقه في المجتمع النجدي؛ إلا أن هناك فئات من المجتمع لم تؤثر فيها بعض تلك الوسائل، أو أنها أثرت، ولكن ليس على الوجه المطلوب؛ الأمر الذي يستدعي بالضرورة تعدد الوسائل المحققة للهدف بحسب ما تقتضيه الحاجة. ونحن في هذا المبحث سنحاول أن نسلط الضوء على عدد من الوسائل التي غلب على ظننا أنها وسائل سياسية، واجتماعية، وقد استخدمها الملك عبدالعزيز لتحقيق السلام الاجتماعي في منطقة نجد خاصة، والمملكة العربية السعودية بصفة عامة، وهي الآتي:

(٦٦) المرجع نفسه، ج ١، ص ١٤٨.

(٦٧) والد المؤلف هو الشيخ: ناصر بن عبدالعزيز الشثري.

١ - حسن التعامل مع الناس، وكسب ولائهم:

لقد كان الملك عبدالعزيز يدرك أن كسب المعركة مع العدو؛ ليس بالضرورة أن يكون عسكرياً، وإنما يمكن أن يكون دون أي إزهاق للأرواح، أو فقدان لبعض القوة، والعتاد، وذلك باتخاذ سياسة مرنة؛ تنطلق بالنسبة للمسلمين من روح الإسلام؛ إذ إن المسلم العادي فضلاً عن القائد المسلم؛ يجب أن يكون متخلاً بأخلاق وآداب الإسلام، وهذا ما كان عليه القائد المسلم الملك عبدالعزيز الذي استخدم السلاح الذي لا يتقن استخدامه الكثير، وهو سلاح كسب القلوب من خلال التحلي بخلق التواضع، وعدم الاستعلاء على الآخرين، فضلاً عن إنزاله للناس منازلهم، من خلال احترامه رؤساء العشائر، وإكرامهم، وإشراكهم في المشورة؛ الأمر الذي جعلهم يشعرون بأنهم ذوو رأي مسموع، ومشورة مقبولة؛ فزاد ذلك من ولائهم له، وتفانيهم في خدمة الدولة.

والمستقرى لحوادث التاريخ، يدرك أن آل سعود ومنهم الملك عبد العزيز، لم يكونوا طلاب ملك، أو دعاة سياسيين لنحلة معينة، ولكنهم قبل ذلك حماة لدين الله، ودعاة إلى توحيد الله بالعبادة والعقيدة، وإقامة شرع الله في عباد الله، كما جاء به محمد ﷺ، وبلغه صحابته الكرام^(٦٨)، وهذا ما مكن الملك عبدالعزيز من تحقيق مشروع السلام الاجتماعي في نجد خلال فترة وجيزة.

لقد كان الملك عبدالعزيز يشاور من حوله، ويجتمع بهم، ولا يكتفي بإصدار تعليماته وتوجيهاته لهم؛ كما أنه كان يستدعي أحياناً رؤساء العشائر لحضور مجلسه،

(٦٨) محمد بن سعد الشويعر: السمات الدعوية في شخصية الملك عبدالعزيز، بحث مقدم لندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - التي عقدتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في الرياض من ٢٣ - ٢٨ صفر ١٤٢٠هـ، بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ص ٥٧.

وكان ذلك قبل أن يكتمل التنظيم الإداري للمملكة، فضلاً عن الاجتماعات العامة التي كانت تضم مئات الأشخاص من العلماء، والمستشارين، والأعيان، وأمراء المدن^(٦٩).

لا شك أن قيام الملك عبدالعزيز بجمع تلك الفئات في مجلسه له عدة أهداف، لعل من أهمها تأليف قلوب رؤساء العشائر، وكسب ولائهم، فضلاً عن استشارتهم، والاستفادة من آرائهم، وهو بذلك يقربهم منه، ويبعدهم عن خصومه، وقد تحققت تلك الأهداف، فكان هؤلاء سبباً في اتساع رقعة دولته، وقد كانوا له عوناً عسكرياً واقتصادياً كما سنلاحظ لاحقاً.

لقد كان التواضع والبساطة من السمات التي يتميز بها الملك عبدالعزيز، حتى بعد أن فتحت له كنوز الأرض، إذ ظل يعيش في ذلك المستوى البسيط والحالة المتواضعة^(٧٠)، وفي هذا يقول الكاتب الإنجليزي (كانت وليمز) عنه في كتابه "بلاد ابن سعود": "بسيط إلى أقصى حد في ثيابه وطعامه، ينفر من الأبهة، والفخفة، ولا يهتم بزخارف الحياة، ومباهجها، وإنما يعنى بالحقائق عارية، مجردة، لا أثر للزركشة فيها... ولا المبالغة... ولا التزويق"^(٧١).

لقد كان الملك عبدالعزيز قدوة في تصرفاته، وهذا ما جعل الناس يلتفون حوله سريعاً، لقد أحبه وأعجب به من كان يناوئه بالأمس، وكان ذلك لما وجدوا فيه من ثبات على المبدأ، وحب للخير، وتسامح، وكرم نفس، وبر، وعفو عند المقدرة،

(٦٩) التركي: المرجع السابق، ص ٧٧.

(٧٠) الشريف حمدان الهجاري: الملك عبدالعزيز آل سعود والدعوة إلى الله، المؤلف، المدينة المنورة، ط ١،

١٤١٩هـ، ص ٩٣.

(٧١) سعد بن محمد آل ضرومان: صفحات مضيئة من سيرة بطل، ج ١، دار العقيدة، الرياض، د. ط، د. س،

ص ٧٤.

ودعوة عملية، وقولية لدين الله الحق، ولا يخشى في ذلك قائلة متقول، مع حبه للمسلمين في كل مكان؛ ورغبة في تآلفهم، وتجميع كلمتهم، وإزالة ما بينهم من شحناء وتدابير، وحكمة في معالجة الأمور^(٧٢).

لقد أحسن الملك عبدالعزيز اختيار جلسائه وأعوانه؛ لعلمه بأهمية المجلس، وقد عرف عنه ذلك منذ كان شاباً، ولذلك كانوا مخلصين له، ومما يؤكد ذلك أنه عندما أزمع على استرداد الرياض كان معه أربعون رجلاً من آل سعود، والموالين لهم، ونحو عشرين من الأتباع، وقد تفقدتهم قبل أن يترك واحة بيرين، وأخبرهم بكتاب أبيه له بالنصح بالعودة إلى الكويت، وخيرهم بين الاستمرار معه في المهمة التي اضطلع بها، وبين الرجوع للراحة، والدعة، والأمن، والسلامة، ولكنهم جميعاً انحازوا إليه، وارتضوا قيادته، والسير تحت لوائه، ولا عجب، فقد اختارهم، ورضيهم أعواناً^(٧٣).

حقاً لقد استحق الملك عبدالعزيز الزعامة لسيطرته على القلوب، بما جبل عليه من طباع؛ فلا يقترب منه إنسان إلا ويتبدد ما كان يجد في نفسه عليه من أمور سببتها دعايات مغرضة، وأقاويل ملفقة، بقصد الخط من قدره، والتنقيص من شأنه^(٧٤).

٢- عفوه عن خصومه مع المقدرة:

إن أخلاق الملك عبدالعزيز التي ذكرت لم تكن مع أعوانه ومحبيه فحسب؛ بل امتدت لتشمل منائيه الذين حملوا السلاح في وجهه، وقتلوه؛ إذ كانت سياسته تجاههم هي سياسة العفو عند المقدرة، قدوته في ذلك محمد ﷺ.

(٧٢) الشويعر: المرجع السابق، ص ٧٢.

(٧٣) التركي: المرجع السابق، ص ٥٢.

(٧٤) الشويعر: المرجع السابق، ص ٧٢.

وهناك مواقف كثيرة تدل على ذلك، ومنها مثلاً ما فعله الملك عبدالعزيز عند استرداد الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، حيث أعطى الباقين من رجال حامية عبدالعزيز بن رشيد في الرياض بعد استردادها "الأمان على دمائهم، فخرجوا وتوجهوا إلى حائل" (٧٥).

ومن المواقف كذلك ما كان منه تجاه أهل حائل؛ فقد كانوا أيضاً من أنصار ابن رشيد، الذي كان من أشد مناوئي الملك عبدالعزيز، وقد حاربوه مع ابن رشيد لفترة طويلة من الزمن، إلا أنه تناسى ذلك عندما تمكن من دخول حائل؛ فبعد أن حاصرها لفترة بدأت المفاوضات بين أهل حائل وبينه؛ فطلب أهالي حائل من الملك عبدالعزيز أن يرسل ألفي رجل من قواته، ففتحوا لهم الحصون الخارجية المسيطرة على المدينة، وقد أعطاهم الملك عبدالعزيز الأمان على أرواحهم وأموالهم، وممتلكاتهم، وحفظ كرامتهم؛ فخرجوا في اليوم التالي يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فسان الملك عبدالعزيز لحائل أمنها، واستقبل أهلها بصفحة بيضاء جديدة^(٧٦)، وخطب فيهم وفي أتباعه قائلاً:

"نحن أبناء اليوم"، ثم شدد على أنه لا فرق عنده بين أهل حائل، من الآن فصاعداً، وبين أي من أهالي المناطق الأخرى، ودعا إلى استبعاد الأحقاد والضغائن،

(٧٥) عبدالله بن محمد البسام (ت ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م): تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، نسخت في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥هـ، الموافق يناير ١٩٥٦م، بخط نور الدين شريعة، نقلاً عن المؤلف، عنيزة، دار الملك عبدالعزيز بالرياض، رقم (٢١٠)، نسخة مصورة، مج ١، ورقة ٣٣٢.

(٧٦) سعد بن خلف العفنان: الخطط السياسية والعسكرية للملك عبدالعزيز، مطابع المعرفة، حائل، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ١١٧.

وحذر من العودة إلى الماضي، أو الاقتصاص لشيء مما حدث، وطلب من الحاضر أن يبلغ الغائب بما حذر منه، ودعا إليه^(٧٧).

ويتضح من مضمون خطاب الملك عبدالعزيز السابق لأهل حائل أنه لم يكن يهدف إلى الانتقام والتشفي بهم؛ إنما ينم عن شيم، وحلم، وأخلاق، يفتقدها كثير من القادة؛ كما أنه كان بمثابة إعلان عن السياسة التي سيتبناها في قادم الأيام، والتي ستقوم على المساواة بين كافة رعاياه، بما فيهم أولئك الذين ناصبوه العداء، وقاتلوه مع خصمه ابن رشيد، سياسة تقوم على نبذ الأحقاد، والضغائن، واستبدال العفو والصفح بهما، ونشر المحبة والإخاء؛ بغية الوصول إلى مجتمع يتحقق السلام الاجتماعي في كل ربوعه، وقد نجحت تلك السياسة فعلاً في تحقيق ما أراد.

إن الملك عبدالعزيز؛ لم يكن ليأخذ بثأره من أهل حائل مع قدرته على ذلك؛ لأنه اتخذ العفو والصفح عن خصومه - مع قدرته عليهم - وسيلة من وسائله في تحقيق السلام الاجتماعي في المجتمع النجدي؛ ومما يؤكد ذلك أنه عندما ترامى إلى مسامعه؛ أن الحرب وطول الحصار على المدينة قد نالا من أهالي حائل، حتى نفدت المؤن من المدينة تماماً؛ أمر بتوزيع المواد الغذائية كالديق على أهلها، وتوزيع الملابس الشتوية نظراً لدخول فصل الشتاء. لقد عبر عن تسامحه، ونبل أخلاقه حين دخل المدينة؛ فتجول في شوارعها، وتحدث مع أهلها، ودخل الكثير من منازل أعيانها، وشرب القهوة معهم، ولطفهم، وذلك تأكيداً منه على إشاعة روح المحبة، والسلام الاجتماعي، وتبنيه للعفو، والمسامحة^(٧٨).

(٧٧) المرجع نفسه، ص ١١٧ - ١١٨.

(٧٨) العفنان: الخطط السياسية والعسكرية...، ص ١١٨.

وهذه الأخلاق تنبئ عن شخصية يصعب وصفها ؛ فقد كان بمثابة الأب الحنون ، والقائد الوفي ، والمجاهد المصلح ؛ الذي لم يكن يهدف إلا لإعلاء كلمة الله ، وإعلاء شأن الأمة ، وتعزيز وحدة المسلمين ، وإشاعة السلام الاجتماعي بين الناس ، وترسيخ قواعد الأمن ، والعدل ، والمساواة في المجتمع ، متخذاً من سياسة العفو ، والصفح حتى عن خصومه ؛ سياسة عامة لدولته الفتية.

وهذا ليس سوى موقف واحد من مواقف أخرى متعددة ؛ تثبت نبيل وحسن تعامل الملك عبدالعزيز مع خصومه في معارك التوحيد.

ومن أخلاق الملك عبدالعزيز أنه عندما اضطر إلى اقتحام مدينة بريدة بالقصيم عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ؛ لتحصن أبا الخيل^(٧٩) في قلعة (الجردة) التي تقع في قلب المدينة ، خاطب جنده قائلاً: "إننا هاجمون على هذا البلد ، فاحذروا أن تؤذوا من لا يعترضكم ، وأن تسيئوا إليهم بشيء ، حاربوا من يحاربكم ، وسالموا من سالمكم ، أما البيوت فلا تدخلوها ، وأما الحرم فمن اعتدى عليهن فيدي عليه"^(٨٠).

(٧٩) هو محمد بن عبدالله المهنا أبا الخيل، كان أميراً لمدينة بريدة في سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م من قبل الملك عبدالعزيز، وقد خرج عن طاعته، ووالى سلطان بن حمود بن عبيد بن رشيد أمير حائل، وقد تمت محاصرة أبا الخيل من قبل الملك عبدالعزيز ورجاله في القصر المقيم فيه ببريدة، ثم طلب الأمان فأمنه الملك عبدالعزيز على حياته، وتركه يذهب حيث يشاء، فاختار العراق إقامة له، وبذلك أصبحت بريدة في حوزة الملك عبدالعزيز للمرة الثانية، وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٦هـ، الموافق لليوم الثالث والعشرين من شهر مايو ١٩٠٨م، للمزيد انظر: ابن هذلول: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٥-٧٨؛ الريحاني: تاريخ نجد الحديث...، ص ١٧٣ - ١٧٧؛ صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط ، د. س، ج ٢، ص ٩٩ - ١٠٢.

(٨٠) الريحاني: تاريخ نجد الحديث...، ص ١٧٦؛ العفنان: الخطط السياسية والعسكرية...، ص ١٢١ - ١٢٢.

ومن الأمثلة على عفو وصفح الملك عبدالعزيز عن خصومه ما فعله مع المدعو: مقعد الدهينة^(٨١)، وكان أحد قطاع الطرق المشهورين، وقد بلغ من أمره أن ضرب به المثل، "يقال لمن أتى بشيء عظيم: كأنك جئت برأس الدهينة"، ومع هذا عفا عنه الملك عبدالعزيز عندما ظفر به؛ لأنه كان يظهر أحياناً الشدة، ولا يستعملها^(٨٢)، كما أنه كان يتجنب عملية إضعاف خصومه عندما يريد مواجهتهم عسكرياً؛ عدا بعض من كانت لهم صفة سياسية مثل آل رشيد^(٨٣).

يتحدث الأمير طلال بن عبدالعزيز عن والده حول هذا الشأن فيقول في وصف والده: "كان لا يعرف الحقد، وكثيراً ما عفا عمن أساء إليه، واعتبر أبناء الذين تغلب عليهم كأنهم أبناءؤه في المعزة والتكريم، وإغداق العطف والحنان عليهم"^(٨٤). ومما يؤكد ذلك عفو الملك عبدالعزيز عن أفراد أسرة آل رشيد في حائل، فقد ذكر الأمير طلال بن عبدالعزيز أن والده خاطب آل رشيد بقوله: "اعلموا يا أهل الرشيد أنكم عندي مثل أولادي، وأنتم في الرياض تعيشون كما أعيش أنا وأولادي، ثيابكم مثل ثيابنا، وأكلكم مثل أكلنا، وخيلكم مثل خيلنا وأزين، وهل منكم من يشك في ذلك؟! تكلموا!!"^(٨٥).

(٨١) مقعد الدهينة: هو أحد مشايخ عتيبة.

(٨٢) إبراهيم بن عوض العتيبي: الأمن في عهد الملك عبدالعزيز تطوره وآثاره، ١٣١٩ - ١٣٧٣هـ/١٩٠٢ - ١٩٥٣م، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٤٣.

(٨٣) سليمان بن عبدالرحمن الحقييل: في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، المؤلف، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢٨.

(٨٤) دارة الملك عبدالعزيز: قسم الوثائق: وثيقة رقم (٢٤٢٢)، ملف (١٥)، المجموعة العامة، رقم السجل (٤٢٣٥٠)، بتاريخ ١/٧/١٩٨١م.

(٨٥) دارة الملك عبدالعزيز: قسم الوثائق: وثيقة رقم (٢٤٢٢)، ملف (١٥)، المجموعة العامة، رقم السجل (٤٢٣٥٠)، بتاريخ ١/٧/١٩٨١م.

ومما سبق يتأكد لنا أن سياسة العفو كانت لدى الملك عبدالعزيز سياسة متأصلة، وهي لذلك بدت في أكثر من موقف، ومع أكثر من خصم.

٣- إصلاح ذات البين:

لقد حظي إصلاح ذات البين باهتمام الملك عبدالعزيز؛ فقد عمل على تشجيع المصالحات بين العشائر، والأسر؛ لما لذلك من أهمية بالغة في استقرار أوضاع المجتمع، ولمعرفته أن هذه الوسيلة الاجتماعية؛ لها عظيم الأثر في القضاء على المنازعات، والخلافات، وإشاعة السلام الاجتماعي في المجتمع؛ فضلاً عن ثوابها عند الله عز وجل.

لقد سعى الملك عبد العزيز إلى عقد الصلح بين القبائل، والعشائر، وقد وفق في ذلك؛ حيث انصاعت القبائل، والعشائر لمساعيه الحميدة، واستبدلت بالفرقة وحدة، وبالفوضى نظاماً، وبالخوف أمناً، وبالرعب طمأنينة، وبالفزع أماناً، وبالصراع سلاماً، فأصبحت القبائل والعشائر، وزعماءها، ومشايخها؛ يداً واحدة؛ تعمل مع الملك عبدالعزيز على استقرار الأوضاع الداخلية في نجد بصفة خاصة، والجزيرة العربية بصفة عامة، في القضاء على أسباب الفتن، والقتال؛ فكان أبناء الصحراء؛ العضد الأيمن لبطل الجزيرة، والمساعد الأقوى له^(٨٦).

ومن أقواله الدالة على حبه لإشاعة السلام بين الناس، وتجنب الحرب قوله: "لست من المحبين للحرب وشروورها، وليس أحب إلي من السلم، والتفرغ للإصلاح"^(٨٧).

(٨٦) جمعة: المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٨٧) الزركلي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٩٣.

إن مما أسهم في تشجيع المصالحات بين العشائر والأسر؛ قضاء الملك عبدالعزيز على جرائم الثأر قضاءً مبرماً؛ وذلك بقتل القاتل فوراً، وفي نفس مسرح الجريمة، بعد التثبت شرعاً من أنه هو القاتل، وعدم تنازل أولياء المجني عليه عن حقهم، وبذلك حقن دماء كثير من المسلمين، وشفا غليل أولياء الدم، وفقاً لما جاءت به الشريعة الإسلامية الغراء^(٨٨).

لقد كان الملك عبدالعزيز يعمل جاهداً على الصلح بين القبائل، أو الأسر؛ بمجرد سماعه عن وجود أي خلاف بينهم، وهو بذلك يقوي رابطة الأخوة بينهم، فتزيد قوة المجتمع ومثاقفه^(٨٩)، ومن الأمثلة على ذلك؛ أنه تأثر كثيراً عندما علم ذات يوم أن أخوين من أبناء المدينة المنورة تشاجرا على الميراث، وأن القطيعة حصلت في الأسرة الواحدة؛ واستمرت الدعاوى بينهما لعدة سنوات؛ فأوفد بعض رجاله للتوسط بينهما، ومعرفة موضوع النزاع، والفصل فيه بأسرع وقت. وبالفعل تم ذلك، وعاد الوئام بين أفراد الأسرة الواحدة^(٩٠).

بل إنه كان يوجه بعض أتباعه بالإصلاح بين بعض الخصوم من الرعايا، ومن ذلك وثيقة حصل عليها الباحث، وهي عبارة عن رسالة موجهة من الملك عبدالعزيز إلى أحد أتباعه، وهو محمد بن سلطان^(٩١)، يوجهه فيها بنظر أحد النزاعات القائمة بين بعض الرعايا، ومما جاء في الرسالة:

(٨٨) الزركلي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٦.

(٨٩) عبد الرحمن بن صالح آل عبداللطيف: من جوانب العدالة عند الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٧١.

(٩٠) الزامل: المصدر السابق، ص ٤٢٧؛ آل عبداللطيف: المرجع السابق، ص ٧١ - ٧٢.

(٩١) محمد بن إبراهيم بن سلطان بن محمد بن علي بن حسن بن سلطان آل ذباح، ولد في مدينة ضرماء في مستهل القرن الرابع عشر الهجري تقريباً، وكانت أسرته (آل سلطان) من الأسر المرموقة في ضرماء، وقد

"تشوف أمر حيدر وجماعته وهالمنافسة الذي حصلت بينهم وبين جماعتهم، وهالكلام الذي نسب عنهم وعدم انقيادهم، المقصد تاصلهم، وتحرص على إصلاح ذات البين فيما بينهم، وتحقق الأمور بوجه الثبوت، ولا تذخر تسوية الأمور وتركيدها..."^(٩٢).

وكان الملك عبدالعزيز حريصاً كل الحرص على وأد الفتن، والمنازعات في مهدها؛ إدراكاً منه بثاقب نظره، وسلامة تفكيره، وواسع خبرته، بأنه إذا لم يقض على هذه الفتن في مهدها، ولم يزل مسبباتها؛ فإنه سرعان ما سيتطير شرارها، وتصبح فتنة هوجاء؛ خاصة أن المجتمع ما يزال بدوياً في معظمه.

لقد كان فعلاً داعي حق، وعدل، ورحمة لتلك القبائل؛ يبذل لرجالها الأعطيات، مساوياً بينهم حسب منازلهم، ويكف عنهم أيدي من يعتدي عليهم، مثلما يلزمهم أن يكفوا أيديهم عن أي اعتداء، ويحكم فيهم، ولهم، مثلما يحكم في غيرهم^(٩٣)، وكان إذا دخل بلداً، أو أخضع قبيلة لطاعته؛ جعل رئيس البلدة، أو شيخ القبيلة، وجماعته؛ مسؤولين مسؤولية مباشرة أمامه، مثلما يأخذ الحق منهم،

عينه الملك عبدالعزيز أميراً على العديد من البلدان، وفي عام ١٤٣٢هـ أمره الملك عبدالعزيز بالسفر إلى جميع رؤساء العشائر لحل مشاكلهم. انظر: جريدة الرياض، العدد (١٤٥٨٥)، الجمعة ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ، الموافق ٣٠ مايو ٢٠٠٨م الموقع الإلكتروني الآتي:

<http://www.alriyadh.com/346516>

(٩٢) وثيقة عبارة عن خطاب موجه من الملك عبدالعزيز إلى محمد بن سلطان، بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٤٢هـ، وقد نشرت هذه الوثيقة مع عدد من الوثائق التي أشير إليها في الموقع الإلكتروني الآتي إلى أن نشرها يتم لأول مرة، والموقع هو:

<http://www.alriyadh.com/346516>.

(٩٣) العفنان: الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز....، ص ٣٢ - ٣٣.

فإنه يعطيه لهم^(٩٤)، ولذلك أيقن جميع رؤساء العشائر؛ أنه لا مفر من تنفيذ متطلبات الأمن؛ ومنها حل الخلافات التي قد تنشأ في قبائلهم وفقاً للشريعة الإسلامية؛ فأصبح كل فرد يلتمس أنه في ظل حكومة تعطيه، وتأخذ منه بالعدل، فاستشعروا مسؤوليتهم عن الأمن^(٩٥).

المبحث الثالث: الوسائل الأمنية والعسكرية

لم تكن الوسائل الأمنية والعسكرية في فترة زمنية لاحقة للوسائل الدينية والفكرية، ثم السياسية والاجتماعية، ولكنها كانت في أكثر الأحيان متزامنة معها، إذ إن استخدام بعض الوسائل قد يغني عن استخدام غيرها؛ لبسط الأمن والاستقرار، ومن ثم تحقيق السلام الاجتماعي في ربوع نجد، وما حولها، وفيما يأتي نبرز أهم الوسائل الأمنية، والعسكرية؛ التي استخدمها الملك عبدالعزيز وهي:

١ - تفكيك النظام القبلي، وتأمين الطرق:

من الخطأ الاعتقاد أن الملك عبدالعزيز؛ وصل إلى ما وصل إليه، عن طريق الحظ والظروف؛ لأن الواقع يقول غير ذلك؛ فقد كانت حياته مليئة بالمصاعب والمصاعب المريرة، التي ما كان ليتحمل مشاقها الرجل العادي^(٩٦)؛ إذ كان المجتمع القبلي من حوله غاية في التعقيد؛ مجتمع تسوده الفوضى، ويعمه التسيب والإجرام، مجتمع قبلي مبني على التمايز والتنافر، فضلاً عن الولاء للقبيلة، ولو كانت على

(٩٤) المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٩٥) المرجع نفسه، ص ٣٥ - ٣٦.

(٩٦) عبدالعزيز محمد الأحيدب: من حياة الملك عبدالعزيز، مطابع الإشعاع التجارية، الرياض، ط ١،

١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٥١.

خطأ^(٩٧)؛ ولذلك كان التعامل معه ذا صعوبة بالغة؛ وخاصة أن المشكلة الأمنية في نجد كانت مستعصية خاصة على الطرقات؛ كل ذلك شكل هاجساً؛ أرق الملك عبدالعزيز منذ استرداده الرياض؛ فلا يكاد الناس يسمعون عن حادثة سرقة أو سلب ما؛ حتى يأتي خبر حادثة أخرى هنا، أو هناك.

وقد أدرك الملك عبدالعزيز أن من الأسباب المهمة التي أدت إلى انتشار هذه الظاهرة؛ الحياة الاجتماعية، والاقتصادية للبادية، فالمجتمع القبلي متناحر متشاحن، يخوض حروباً باستمرار، وكان الفقر سبباً لمعظمها، كما أن انتشار حوادث قطع الطرق على المسافرين، والحجاج، ونهب ممتلكاتهم؛ كان إما بدافع الفقر والعوز، أو بدافع الثأر من قبيلة أخرى^(٩٨)، ولذلك فالملك عبدالعزيز بهمته العالية، ونيته الصادقة وهو يبني ملكه بالسياسة والحرب؛ لم يترك فرصة تسنح له بالقضاء على التمايز القبلي، وترسيخ قواعد الأمن في ربوع البلاد عامة، وفي نجد خاصة إلا استغلها لتحقيق ذلك، لقد فهم المشكلة، وفهم المشكلة جزء من حلها.

لقد كانت القبائل تتعايش سلمياً أحياناً، وتتنازع أحياناً أخرى، وكانت تلك النزاعات، والاعتداءات القبلية هي ما يعكر صفو السلام الاجتماعي داخل الإقليم، وخارجه، ومن حياة الغزو تلك؛ تجسد في عقلية البدوي حبه الشديد للسلب والنهب، ولهذا كثرت حروبهم، كما أنهم كانوا لا يتوانون عن الهروب من المعركة إذا دارت عليهم، بل قد ينقلبون على المغلوب، ويعملون فيه نهباً^(٩٩)، وهم أيضاً لا

(٩٧) سعيد بن علي بن ثابت: أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، دار الحضارة، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٤٠.

(٩٨) الحقييل: الإرث الذي خلفه لنا الملك عبدالعزيز...، ص ٥١ - ٥٣.

(٩٩) وهبة: المصدر السابق، ص ٩ - ١٠؛ عبد الفتاح حسن أبو عليّة: الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، دار المريخ، الرياض، ط ١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ١٢١.

يوالون طويلاً، ولا يعادون طويلاً، ولا يشبتون، ولا يطيعون، ولا يخلصون؛ لأنهم لا يملكون أرضاً، أو بيوتاً ثابتة^(١٠٠).

لقد فهم الملك عبدالعزيز خفايا هذا المجتمع المعقد، وبدأ يرسم خطته لمعالجة تلك التعقيدات، ومن أهمها مشكلة النظام القبلي، وما يقوم عليه من الولاء الضيق للقبيلة، فضلاً عن التناحر، والتنافر القائم بين العشائر حينها، وكذلك انعدام الأمن، وانتشار قطاع الطرق؛ فعمد إلى استغلال مشروع إنشاء الهجر في معالجة كل ذلك؛ ليستقروا فيها؛ فيحل النظام، والسلام الاجتماعي محل الفوضى، والافتتال^(١٠١)، حيث قام بتوزيع الأراضي المجاورة للهجر على البدو المقيمين فيها، فحصل البدوي بذلك على حصة من الأراضي التي لم يكن ليحصل عليها لولا هذا المشروع؛ الذي جعله يمتلك قطعة أرض كبيرة يزرعها، ويستفيد من خيراتها^(١٠٢)، وخاصة أن الملك عبدالعزيز قد وفر لهم في تلك الهجر آبار المياه، والتي بدورها ساهمت في استيعاب البدو المجاورين لهم^(١٠٣).

وكان من أهم أهداف فكرة الهجر وتوطين البدو في أماكن مهيأة بمواردها المائية، ومساكنها الطينية التي تقام، هدف اقتصادي، وهو: اشتغال الناس بالزراعة^(١٠٤)، وهدف ديني، وهو: تعلم أمور الدين، وخاصة القرآن الكريم، والعلوم الشرعية^(١٠٥)، وهدف اجتماعي، وهو: جمع القبائل البدوية المنتشرة،

(١٠٠) الريحاني: تاريخ نجد...، ص ٢٦٠.

(١٠١) الزامل: المصدر السابق، ص ١٢٨، ١٣٤؛ ابن ثابت: المرجع السابق، ص ١٤١.

(١٠٢) أبو علي: المرجع السابق، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(١٠٣) الزركلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٠.

(١٠٤) الزركلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٠.

(١٠٥) الزبيدي: المرجع السابق، ص ٩٤.

والمتفرقة في الصحراء في هجر زراعية ؛ تجعل البدوي يشعر بمسؤولية المواطنة، وتغرس في نفسه حب الاستقرار، والخلود إلى السلام الاجتماعي^(١٠٦).

وبعد أن أنشأ الملك عبدالعزيز تلك الهجر، وزودهم فيها بأسباب الحياة، عمد إلى إحكام رابطة القبيلة بشيوخها، واعتبار أفرادها جميعاً جنداً للحكومة وولائهم لها، وزعمائها مسؤولين عن رعاية الأفراد، وخص الشيوخ بمنح موسمية، أو شهرية ثابتة من المواد الغذائية، وحظر الغزو حظراً باتاً، وجعل القبيلة متضامنة، متكافلة في المسؤولية عن وقوع أية جريمة فيها، أو في جوارها، فإذا وقعت جريمة ألزمت القبيلة بإظهار المجرم، وإذا لم تظهره عوقبت القبيلة بكاملها^(١٠٧).

وقد حظر الملك عبدالعزيز فرض (الإتاوة)^(١٠٨)، أو أخذها، ومنع فرض الضرائب، وحظر على العشائر أن تقيم مضاربها على الطرق العامة ؛ ليقى المسافرين أكثر شعوراً بالأطمئنان، والأمن على أنفسهم، وأموالهم، وتجارتهم^(١٠٩)، وحرصاً منه على إنجاح خطته الأمنية ؛ تعقب المجرمين من قطاع الطرق، وغيرهم ؛ وفي سبيل ذلك ضم رجالاً توارثوا فن القيافة، وتتبع الأثر للوصول إلى المجرمين، والقبض عليهم، وتسليمهم إلى المكلفين بحفظ الأمن من قبله، وقد ساهم ذلك كثيراً في ضبط

(١٠٦) أبو علي: المرجع السابق، ص ١٤٨.

(١٠٧) الزركلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٠ - ٤٥١؛ عبدالعزيز بن محمد الأحيدب: ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع الإشعاع التجارية، الرياض، د. ط، د. س، ص ٨٦-٨٧.

(١٠٨) الإتاوة: الرشوة، وكل ما أخذ بكرة، أو قُسم على موضع من الجباية، وغيرها، انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٣ - ٧٤.

(١٠٩) الحقييل: الإرث الذي خلفه لنا الملك عبدالعزيز. . . ، ص ٥٣.

الأمن، وأصبح بوسع الإنسان أن يجوب الأماكن ليلاً أو نهاراً، ولا يجزو أحد على التعرض له، أو ماله، أو لمتاعه، مهما غلا ثمنه^(١١٠).

كما أن من مظاهر اهتمامه بالأمن تخصيصه أناساً لحماية الشعب، يمتطون الخيل، ومهمتهم هذه تقتضي التفرغ التام؛ بأن لا يشغل الخيال بأي عمل آخر، كما أنه نظم اقتناء السلاح^(١١١).

لقد تمكن الملك عبدالعزيز فعلاً من تحويل اهتمام البدو من الولاء للقبيلة، ورئيسها؛ إلى الولاء للدولة، وحاكمها، وقد تحضرت البادية، وكُسر المجتمع البدوي القبلي، وقضي على النزعة القبلية عندهم، وانتقلت السلطة الفعلية إلى يد الملك عبدالعزيز^(١١٢).

لقد كانت قناعة الملك عبد العزيز أن البداوة غير المستقرة؛ لن تجلب للمجتمع الراحة، والاستقرار، وأن استمرارهم في فزعته القبيلة لن يجعلهم يقلعون عن الغزو، وقطع الطرق، ونشر الفوضى، فقرّر أن يطوع تلك الحياة الصحراوية لإرادته؛ عن طريق إقامة البدو في مواقع مستقرة على أرض خصبة قرب الآبار، لكي يتحولوا من حرية التجول والترحال إلى الارتباط بالأرض، فإذا تحقق لهم ذلك الاستقرار؛ فإنهم حينئذ؛ سوف يدركون أهمية الأمن والنظام^(١١٣)؛ وبذلك استطاع من خلال

(١١٠) عبدالمنعم الغلامي: الملك الراشد جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود، دار اللواء، الرياض، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٢٠٤ - ٢٠٥؛ الزركلي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٢؛ الأحيديب: ظاهرة

الأمن في عهد الملك عبدالعزيز...، ص ٨٧.

(١١١) الدعجاني: المرجع السابق، ص ٥٠.

(١١٢) أبو عليّة: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(١١٣) ماضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود: الهجرة ونتائجها في عهد الملك عبدالعزيز، معهد البحوث العلمية بمكة المكرمة - جامعة أم القرى، ط٢، ١٤١٩هـ، ص ٥٠، ٥٢، ٣٧٤.

مشروعه الحيوي المهم في نجد أن يفكك النظام القبلي ، وأن يؤمن طرقها للسالكين ، ويعمق مفهوم السلام الاجتماعي ، بإبراز فوائده بين أبناء القبائل^(١١٤) في نجد وغيرها .
إن تحويل الملك عبدالعزيز شبه الجزيرة العربية عامة ، ونجد خاصة من منطقة مضطربة ، أهلة بالعصابات إلى منطقة آمنة مستقرة ؛ لم يكن السبب فيه القوة ، والسيف فحسب ؛ وإنما ما غرسه الملك عبدالعزيز في نفوس أبناء المنطقة ! من تمسك شديد بالشرعية الإسلامية قولاً وعملاً^(١١٥) .

لقد كان الملك عبدالعزيز يعتقد جازماً أن إقامة شرع الله ، وتمكن الإيمان من القلوب ؛ كفيل بإنهاء أكبر العضلات التي كانت تواجهه في المجتمع النجدي ، خاصة فقدان الأمن في الطرقات ، وهذا ما جعله يولي تطبيق شرع الله ، وغرس المفاهيم الدينية الصحيحة في المجتمع النجدي أولوية خاصة ، وفي هذا يقول : "لقد أمن الله ، ثم أمنت الطرق ، وضربت على يد الظالم ، وأقمت شرع الله في جميع أنحاء المملكة"^(١١٦) .
لقد كانت الطرق في الأحساء في العهد العثماني لا تعبر إلا بقوة عسكرية ، أو بدفع "الخوة" ، وكانت الطريق بين العقير ، والأحساء ، وهي طريق التجارة إلى نجد الأسفل ، أكثرها وأشدّها أخطاراً ، وإذا فاز التاجر بحياته ، وبقي شيء في كيسه ، فمن

(١١٤) حمود بن أحمد الرحيلي: أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١٠٨)، السنة (٣٠)، ١٤١٩/١٤٢٠هـ، ص ٤٥٥؛ غازي غزالي المطيري: منهج الملك عبدالعزيز في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١١٠)، السنة (٣٢)، ١٤٢٠هـ، ص ٢١٩.

(١١٥) جاك بنو ميشان: عبدالعزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ط، د.س، ج ٤، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(١١٦) محيي الدين القاسبي: المصحف والسيف، مجموعة من خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، المطابع الأهلية، الرياض، ط ٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص ٨٢.

المؤكد أن أحماله لا تصل كلها إلى الأحساء، بل إن عسكر العثمانيين إذا خرجوا لتأديب إحدى العشائر؛ طاردهم البدو، وأخذوا خيلهم، وثيابهم، وأرجعوههم إلى الأحساء حفاة عراة^(١١٧).

تلك هي الحالة الأمنية التي كانت سائدة على الطرق التجارية أثناء سيطرة العثمانيين على الأحساء قبل ضم الملك عبدالعزيز لها سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م؛ ولكن تلك الحالة الأمنية السيئة؛ تبدلت بعد ضم الملك عبدالعزيز للأحساء؛ فأصبحت الطرق التجارية إلى نجد آمنة، وذلك بفضل الله أولاً، ثم بفضل جهود الملك عبدالعزيز التي سبق الحديث عنها.

لقد عم الأمن في نجد وغيرها من المناطق التي ضمها الملك عبد العزيز إلى مملكته، حيث تم القضاء على قطع الطرق، قضاءً مبرماً، حتى صار الرجل يترك جملة وعليه حملة، ويأتيه بعد عدة أيام وهو على حاله، بل قد يموت الجمل الرازح، ويبقى حملة على قارعة الطريق عشرة أيام، فيعود صاحبه فيجده، وما مسته يد بشرية، كما تركه في مكانه^(١١٨).

لقد تمكن الملك عبد العزيز من إقامة مثل هذا الأمن، وتوطيده في بلاده، بأمرين: أولهما الشرع، وثانيهما تنفيذ أحكام الشرع تنفيذاً لا يعرف التردد، ولا التمييز، ولا الرأفة^(١١٩).

لقد وصف جاك بنو ميشان^(١٢٠) الحالة الأمنية في عهد الملك عبدالعزيز وخاصة على الطرق بقوله: "انقطعت الجرائم الدنيئة عموماً، وطهرت الطرق من عصابات

(١١٧) أمين الريحاني: ملوك العرب، دار الجليل، بيروت، د. ط، د. س، ج ٢، ص ٥٥٩.

(١١٨) الريحاني، ملوك العرب، ج ٢، ص ٥٦٠.

(١١٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٦٠.

النهب والسلب ، وأصبحت آمنة حتى للمسافرين المنفردين ، وأصبح في وسع التاجر أن يترك أمتعته وأمواله على جانب الطريق ، ويعود ليأخذها بعد أسابيع ، لأن المارة يفضلون أن يتعدوا عنها ، ويدوروا من حولها على أن يلمسوها ولو خطأً .

وإن شهادة كهذه لو صدرت من عربي لشكك البعض في صحتها ، ظناً بأن القائل يحابي ويحامل الملك عبدالعزيز ، لكن تواتر مثل هذه الشهادة من عرب وغربيين ممن عاصروا تلك الفترة ؛ يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الملك عبدالعزيز قد كان فعلاً رجل تلك المرحلة ، وأن ما حققه من تغيير جذري في المنطقة قد أبهر الكثيرين من السياسيين ، والمؤرخين .

جدير بالذكر أن هذا الانطباع عن الملك عبدالعزيز لم يكن مقتصرًا على السياسيين والمؤرخين الذين عاشوا تلك الفترة فحسب ؛ بل امتد ليشمل حتى أولئك البدو الذين كانوا المتضرر الأول من الإجراءات التي اتخذها لتأمين الطرق ، وتفكيك النظام القبلي . وللدلالة على هذا نورد ما أشارت إليه بعض الدراسات من أن الملك عبدالعزيز قابل في إحدى رحلاته للحج أحد البدو ، وكان هذا البدوي لا يعرف الملك عبدالعزيز ، وقد سأله الملك : هل رأيت موكب عبدالعزيز من قبل ؟ فأجابه بأنه لا يعرف الملك عبدالعزيز ، ثم أراد الملك عبدالعزيز أن يعرف رأي هذا البدوي فيه ، فسأله : أتحب عبدالعزيز ، أم تكرهه ؟ ! فأجابه البدوي بأنه لا يحبه ، ولا يكرهه . وعندما سأله الملك : لماذا ؟ أجابه البدوي بأنه لا يحب الملك عبدالعزيز ؛ لأنه لو لم يكن حاكماً لكان السائل وسيارته ومتاع كل من كان معه نهباً للبدوي وقبيلته ، وأخبره أن سبب

عدم كرهه له أنه جاء الجميع بالعافية والأمن، وقد ارتاح الملك عبدالعزيز لصدق شعور ذلك البدوي، وأخبر من حوله بصدق ذلك الشعور^(١٢١).

في الحقيقة أن ما صورته لنا الكتاب أو الرحالة أو المؤرخون عما تنعم به نجد بصفة خاصة، وشبه الجزيرة بصفة عامة من أمن واستقرار في عهد الملك عبدالعزيز لهو أكبر شاهد على حرص الملك عبدالعزيز على استتباب الأمن، ومنع قطع الطرق بما اتخذته من إجراءات وعقوبات صارمة لكل من تسول له نفسه القيام بارتكاب جريمة، أو قطع طريق، وذلك وفقاً للشريعة الإسلامية، وبذلك عمّ السلام الاجتماعي في نجد، وغيرها من المناطق في البلاد.

٢- تفعيل دور القضاء والعدل بين الناس:

لقد قام الملك عبدالعزيز بتفعيل دور القضاء كوسيلة من وسائل تحقيق السلام الاجتماعي؛ إدراكاً منه بأن نشر العدل بين الناس يجعلهم يأمنون على أموالهم وأعراضهم، فيعمّ الأمن في أنحاء المجتمع؛ ولذلك حرص منذ بداية تأسيسه للدولة السعودية الحديثة على تحكيم شرع الله تعالى في كافة الأمور، فأنشأ لذلك المحاكم على اختلاف أنواعها، ودرجاتها، وأصدر الأنظمة التي ترتب أعمال المحاكم، وتبين وظائفها، وتحدد اختصاصاتها، وسلطاتها، وسير العمل فيها^(١٢٢).

ونظراً للظروف السياسية، والتاريخية السابقة لتوحيد المملكة على يد الملك عبدالعزيز؛ فإن القضاء في منطقة نجد استمر على نظامه التقليدي المتوارث في فض

(١٢١) نواف بن صالح الحليسي: حكمة الملك عبدالعزيز في إدارة الدولة، مطابع التقنية، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ص١٢٩-١٣٠.

(١٢٢) لطيفة عبدالعزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م - ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، دراسة تاريخية وثائقية، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٢١.

المنازعات، وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية^(١٢٣) يقوم به القاضي الفرد^(١٢٤)، والأمير^(١٢٥).

لقد كان الملك عبدالعزيز يكره الظلم، ويكره أن يحيق به، أو بغيره، لهذا كان هدفه من استعادة الحكم؛ محو الظلم الذي لحق به، وبأسرته، وتحرير الأفراد، والجماعات من جور العبودية، والاضطهاد الذي لحق بهم. إن كرهه للظلم؛ لعلمه بأن الله حرم الظلم على نفسه، وحرمه بين خلقه^(١٢٦).

كما أن الملك عبدالعزيز كان حريصاً كل الحرص على إيتاء كل ذي حق حقه، سواء كان ذلك الحق دماً، أو مالاً؛ متى تحقق ذلك بطريقة شرعية، وللدلالة على ذلك نورد ما جاء في إحدى الوثائق وهي خطاب موجه من الملك عبدالعزيز إلى أهل نجد، ومما جاء فيه قوله: "... تفهمون ما جرى في نجد من الحوادث والفتن والزعازع التي صارت، تعرفون أننا ما ظهرنا لنجد لا لعلو في الأرض، ولا لفساد...، وإننا ندور ما عند الله من البراءة للذمة من دماء المسلمين، وأموالهم. أحببت أن أبين لكم مادتين: المادة الأولى: جزمت واستعنت بالله تعالى إن شاء الله أن جميع مال، أو دم مأخوذ

(١٢٣) وبعد ضم الملك عبدالعزيز للحجاز عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م قام بتوحيد مصادر القضاء في جميع مناطق البلاد، حيث صدر الأمر الملكي في عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م القاضي بتوحيد النظام القضائي، وجعل المذهب الحنبلي هو الأساس؛ دفعاً لمضار تضارب الأحكام، وتعدد المراجع. فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص١٩٧؛ لطيفة السلوم: المرجع السابق، ص١٢٤ - ١٢٦.

(١٢٤) قضاء الفرد: هو أن يتولى منصب القضاء قاضي واحد يعينه الإمام، أو نائبه في بلد معين؛ ليفصل بمفرده فيما يعرض عليه من خصومات، وقد يخصص بدعاوى معينة، أو قضية خاصة، انظر: لطيفة السلوم: المرجع السابق، ص١٢١، هامش(٤).

(١٢٥) لطيفة السلوم: المرجع السابق، ص١٢١.

(١٢٦) أحمد عبدالغفور عطار: صقر الجزيرة، ج٧، ن، د. م، ط٣، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص١٣٦٨.

سواء أن هذا المال بدين أو غصيبة، والدم معروف حالته، فهذا أنا مستعد إن شاء الله أن أقوم بوفائه، ويؤتى كل ذي حق حقه؛ على شرط أن ذلك يحقق عند علماء المسلمين في كل محل أن المال هذا، أو الدم المسفوك أن ما عليه جرم، وأنه ما جاء في أي شبهة...، فأثبت بذلك بشهود مرضيين، مع تقرير عالم من المسلمين المنصوبين؛ فبحول الله إن شاء الله نوفيّه إياه على الوجه المشروع...، الأمر الثاني: أن لا يدخل بذلك أي إنسان محارب للمسلمين، ومساعد لعدوهم على إبعادهم، وطردهم عن بلادهم، والسعي بالفساد في الأرض، فكل من عمل بذلك، أو ساعد عليه؛ فلا ينظر في دعواه لا في دم ولا مال، والباقي نحن مستعدون كما ذكرنا أعلاه...^(١٢٧).

ولتحقيق ما جاء في الخطاب السابق؛ والذي خلاصته حرص الملك عبدالعزيز على إعطاء كل ذي حق حقه؛ كان لابد من الاهتمام بالآلية التي تضمن تحقيق ذلك، وهي هنا السلطة القضائية، والتي يناط بها تحقيق العدل بين الناس؛ ولذلك أولى الملك عبدالعزيز القضاء، والعدل بين الناس اهتماماً بالغاً، منذ استرداده للرياض؛ بدءاً بممارسته له بنفسه؛ إذ أعطى الحق لكل شخص في أن يتقدم إليه بأي شكوى، أو يرفع إليه مظلّمته، وكان يعاقب كل من يمنع عنه سائلاً، أو يحجب عنه شاكياً، أو مظلوماً، وكان ملتزماً في جميع أحكامه بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، غير متوان في إنفاذ الحق على أي شخص، صغيراً كان، أو كبيراً، حتى لو كان أبناؤه، وإخوانه^(١٢٨).

(١٢٧) دارة الملك عبدالعزيز: قسم الوثائق، وثيقة رقم (١١٠٠)، ملف (١٥)، المجموعة العامة، رقم السجل (٣٩٨٥٢)، بتاريخ ١٣٦٠/٨/٢٣هـ.

(١٢٨) عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ: جهود الملك عبدالعزيز في خدمة العقيدة الإسلامية، المؤتمر العلمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١١ - ١٦ ربيع الأول ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٣ - ٢٨ نوفمبر ١٩٨٥م، ص ٢٦.

ومن الأمثلة على ذلك أنه عندما جاءه أعيان، ووجهاء إحدى المناطق يتوسطون لثلاثة أشخاص من أسرة لها وزنها، ومكانتها في البلاد؛ اشتركوا في قتل صديق لهم؛ بتأخير حكم الإعدام الذي أصدرته بحقهم المحكمة الشرعية الكبرى لثبوت قتلهم للمجني عليه عمداً؛ لمدة أسبوع واحد حتى يتسنى لهم بذل الجهود، والتوسط لدى أولياء المقتول؛ للتنازل عن حقهم الشخصي؛ مقابل أي مبلغ من المال يطلبونه؛ رفض الملك عبدالعزيز وساطتهم، وأمر بسرعة تنفيذ حكم الإعدام في القتلة الثلاثة، ونفذ فيهم الحكم ضرباً بالسيف، ولم يأبه الملك بمكانة أهل الجناة، ولا بمنزلة أولئك الوسطاء من الأعيان، والوجهاء، رغم أنه كان أحوج ما يكون إليهم، وكل ما فعله هو: أنه ذكرهم^(١٢٩) بقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} (١٣٠).

إن الملك عبدالعزيز لم يكن يتوانى في إقامة العدل على أسرته، وعشيرته، بل حتى على نفسه، فها هو ذات يوم يخرج من المسجد فيعترضه رجل، ويطلبه بدفع مبلغ من المال ادعى أنه له في ذمة والد الملك عبدالعزيز، فلم تأخذ الملك عبدالعزيز العزة بالسلطان، ولم يقيم بمعاقبته لتجرئه عليه، وادعائه على أبيه وهو من هو، بل كان جوابه متواضعاً منصفاً؛ إذ طلب منه الذهاب معه إلى القاضي ليحكم بينهما؛ فذهبا معاً إلى القاضي، وقام الملك عبدالعزيز بطرق باب بيت الشيخ ابن عتيق القاضي، فلما فتح القاضي لهما الباب ابتدر بسؤال الملك عبدالعزيز قائلاً له: "أجئتني زائراً أم متقاضياً؟ فأجابه الملك: "بل متقاضياً". فأشار القاضي إلى الملك عبدالعزيز، والرجل أن يجلس كلاهما على الأرض أمامه؛ ليحكم بينهما^(١٣١).

(١٢٩) جمعة: المرجع السابق، ص ٩١.

(١٣٠) سورة البقرة: الآية (١٧٩).

(١٣١) كمال الكيلاني: عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، دار الملك عبدالعزيز،

وبغض النظر عن الحكم الذي أصدره القاضي ، فإن المشهد المنقول إلينا تتجلى فيه أعلى درجات العدل بين الراعي ، والرعية ، فقد طلب الملك عبدالعزيز من الرجل الذهاب معه إلى القاضي ليحكم بينهما ، وهذا فيه ما فيه من تواضع الملك ، ورضوخه للحق ، وطلبه له... إلخ...، وإذا كان هذا هو موقف الملك عبدالعزيز ، فماذا عن موقف القاضي؟! لقد برهن القاضي عملياً على ما وصل إليه العدل في عهد الملك عبدالعزيز؛ فقد ساوى القاضي بين مجلس الملك ، ومجلس ذلك الرجل المدعي - وهو أحد رعية الملك - في مجلس القضاء ، وهذا دليل على أن القاضي كان على يقين من أن الملك عبدالعزيز يحترم شرع الله ، ويحتكم إليه ، وينزل القضاء منزلته ، أما موقف الرجل المدعي فإنه لولا معرفته بعدل الملك عبدالعزيز؛ لما تجاسر على مطالبته بذلك الدين.

كما أن المتتبع لشؤون القضاء في عهد الملك عبدالعزيز؛ يجد أنه لم يكن يغفل عن متابعة الأمراء ، ومن يعينهم ، ويحثهم على الاهتمام بالشأن القضائي ، والحرص على تنفيذ ما يرد إليهم من أحكام شرعية أولاً بأول^(١٣٢) ؛ وأياً كانت العقوبة سواء الإعدام للقاتل ، أو قطع يد السارق ، أو جلد شارب الخمر ، أو رجم الزاني المحصن^(١٣٣) ، أو غيرها.

وكان الملك عبدالعزيز هو الذي يتولى تعيين القضاة أو نائبه^(١٣٤) ، وكان التعيين يتم في المدن الرئيسة دون القرى لعدم الحاجة إليها^(١٣٥).

الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٨١.

(١٣٢) آل عبداللطيف: المرجع السابق، ص ٧٧.

(١٣٣) الحقيق: في آفاق التربية الوطنية. . . ، ص ٤٠.

(١٣٤) لطيفة السلوم: المرجع السابق، ص ١٢٢.

(١٣٥) عبدالرحمن بن زيد السويداء: نجد في الأمس القريب، صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين

وقد انقضى أكثر من الثلث الأول من حكم الملك عبدالعزيز وفي كل بلدة قاضي، وأمير، وكان القاضي يستعرض ما بين المتخاصمين، ويحكم، فإن رضىا بحكمه نفذ، وإن رفضاه، أو رفضه أحدهما؛ رفع الحكم إلى الأمير فيتولى إنفاذه^(١٣٦).

وقد كان القضاء في نجد في بداية حكم الملك عبدالعزيز، وقبل توحيدة أجزاء البلاد؛ بعيداً عن التعقيدات المكتبية التي تحدث اليوم؛ إذ كان يتم بأقل قدر ممكن من الجلسات، وغير مقيد بمكان محدد، فقد كان القاضي يقضي في المسجد من بعد طلوع الشمس إلى قبيل الظهر، ومن بعد صلاة العصر حتى قبيل الغروب^(١٣٧)، ويقضي أيضاً في بيته، أو أي مكان حتى في الطريق^(١٣٨)؛ وكان يتم البت في معظم القضايا في نفس المكان، دون التدوين في سجلات، أو صكوك؛ إذ كان يكتفى بتسجيل القضايا الحساسة ذات الجذور العميقة؛ التي يمكن أن تستأنف، أو أن يحصل لها مضاعفات مستقبلية في صكوك بمقابل، وتسلم لأصحابها بعد علم الخصم بمضمونها، وكان القاضي لا يتردد في الفصل بين الخصوم، وإن جاؤوا إليه في غير الأوقات المحددة للتقاضي^(١٣٩).

ومن المزايا التي كان يتمتع بها القضاء في منطقة نجد؛ أنه كان يتسم باليسر في تشكيله واختصاصه، إذ كان يعتمد على القاضي الفرد في القضاء بين الناس، وقد

عاماً، دار العلوم، الرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٦٥.

(١٣٦) الزركلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٩؛ الغلامي: المرجع السابق، ص ١٩٤؛ عبدالعزيز آل الشيخ: المرجع السابق، ص ٢٦.

(١٣٧) السويداء: المرجع السابق، ص ١٦٣.

(١٣٨) لطيفة السلوم: المرجع السابق، ص ١٢٢.

(١٣٩) السويداء: المرجع السابق، ص ١٦٣-١٦٤.

استمر ذلك حتى توحيد الملك عبدالعزيز البلاد في عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م^(١٤٠)، كما أن من المزايا وحدة المذهب في الأحكام، فليس هناك إلا مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكتبه، وكتب فقهاء المذهب^(١٤١)، فضلاً عن أن حب الناس للشرعية، وتعطشهم لها؛ ساهم في قبول أحكام الشريعة التي يصدرها القاضي الشرعي، ورضاهم بها، كما أن لجوء الناس في حل بعض المشكلات الثانوية إلى الأعراف والتقاليد؛ خفف العبء على القضاة، إذ ساعدتهم على سرعة الفصل في القضايا المعروضة عليهم^(١٤٢).

وقد استحدثت هيئة لمساعدة القاضي ومنسوب الإمارة معاً، وتسمى هيئة النظر (النظراء)، وتشكل بمعرفة القاضي والأمير في كل مدينة، أو قرية، أو مجموعة قرى، ويكون أعضاؤها ممن لهم إلمام بالأمور الشرعية، من ذوي الرأي، والحنكة، والذكاء، والجاه، من كبار السن الذين عركتهم التجارب، وكان يرشحهم مواطنوهم. وكانت مهمة الهيئة حل القضايا التي تكون صبغتها إدارية، وجوهرها شرعياً، كتحديد الحدود بين الأفراد، والنظر في منازعات حقوق معينة بين المزارعين، وتحديد المراعي، والفلوات، وموارد المياه، وقسمة الموارث من عقارات، وغيرها، وإصلاح ذات البين بالجاه، وغيره بين أطراف متنازعة، وغير ذلك من الأمور^(١٤٣)، وهي تشبه اليوم ما يطلق عليه في كثير من البلدان الخبراء، أو أهل الخبرة، وهم الذين يكونون على دراية بالأمور التخصصية في مختلف المجالات.

(١٤٠) لطيفة السلوم: المرجع السابق، ص ١٢٤.

(١٤١) الزركلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٠.

(١٤٢) السويداء: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(١٤٣) السويداء: المرجع السابق، ص ١٦٥ - ١٦٦.

وكانت هذه الهيئة ترتبط مباشرة "بالمنصب" ، وتساعده في حل كثير من المشكلات التي تقع في نطاق وحدته ، كما أنها ترتبط بالقاضي فيما يتعلق بالأمور الشرعية ، وكانت تبتّ في بعض المسائل بنفسها في حينه ، والبعض الآخر ترفع توصية بشأنها إلى المنصب ، أو القاضي ، متضمنة رأيها في القضية من واقع المشكلة في الميدان ، وكانت الهيئة جاهزة دائماً للطوارئ ، فتنتقل من مكان إلى آخر ، ومن قرية إلى أخرى حسب الطلب. ومن واقع التجربة فإن أفراد هذه الهيئة لديهم إلمام واسع في معرفة أحوال الناس ، وما يدور في نطاق عملهم من شؤون ، ولديهم معرفة باتجاهات الناس ، وطباعهم ، ومن هذا المنطلق يعرفون كيفية معاملة كل فرد ، أو مجموعة ، وربما تجد لديهم ذخيرة كبيرة في علم أنساب هذه الوحدة ؛ بفضل احتكاكهم الدائم مع الناس ، وبحكم صغر حجم ذلك المجتمع الذي يعيشون فيه^(١٤٤).

٣- الإجراءات العسكرية:

وكما أن الملك عبدالعزيز استخدم الوسائل السلمية لتحقيق مشروع السلام الاجتماعي فإنه في أحيان أخرى كان يعتمد إلى الوسائل العسكرية لتحقيقه ؛ من خلال حسم المعركة مع منائمه.

ولم تكن الرياض وحدها ، هي غايته ، بل كانت الغاية الدفاع عن عقيدة التوحيد في الجزيرة العربية ، وإقامة حكم الله فيها كما سبق القول ، وكان ذلك يعني ضرورة توحيد الجزيرة العربية سياسياً ، حتى يستطيع تحقيق تلك الغاية ، وهو ما حصل بعد ذلك^(١٤٥) ، وفي سبيلها يمكن له استخدام أي وسيلة ، ولو كانت عسكرية.

(١٤٤) المرجع نفسه، ص ١٦٦.

(١٤٥) التركي: المرجع السابق، ص ٣٢.

لقد كان الملك عبدالعزيز سياسياً محنكاً يجيد المناورة مع خصمه، كما يجيد اتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب؛ إذ كان شديد الذكاء، يحسن التعامل مع المواقف بما يتناسب معها، سواء في حال السلم، أو في حال الحرب، إذ كان يستخدم الحزم حيث لا ينفع إلا الحزم، ويستخدم اللين حين يراه وسيلة مناسبة ستوصله إلى مبتغاه دون خسائر.

استخدم الملك عبدالعزيز القوة في عدة مواطن، وكان ذلك بحزم، وبدون تراجع حين يستدعي الموقف ذلك؛ وهذا ما مكّنه من السيطرة على نجد، بل على معظم أجزاء الجزيرة العربية، بعد تمكنه من القضاء على النزاعات، والفتن، والتفرقة بين القبائل^(١٤٦).

لقد كان من حنكة الملك عبدالعزيز أنه يحسن اختيار الزمان والمكان المناسبين للاستخدام بخصمه، ويترسم قبل هذه المعارك الحكمة في تخطيطه لمراحلها، بإجراءات عسكرية تناسب ما سيقدم عليه. ومن الأمثلة على ذلك أنه قرر عقب خروجه من الكويت لاسترداد الرياض؛ أن يوقع بين القبائل الموالية لابن رشيد؛ حتى يدخل الرعب في قلوبهم، وحتى يكون ذلك سبباً في انفصال البدو عن خصمه، وانضمامهم إليه، وقد تمكّن الملك عبدالعزيز ببصره الثاقب، وحده ذكائه، وصحة تقويمه لأصدقائه، وخصومه على السواء؛ أن يضع كلاً منهم بقدر حجمه، وفي المكان المناسب له^(١٤٧).

وبعد أن نفذ الملك عبدالعزيز خطته التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة أقدم على عمل عسكري جريء؛ تمكن به من استرداد الرياض في العام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، ثم

(١٤٦) الحقيّل: في آفاق التربية الوطنية ...، ص ٢٨ - ٢٩.

(١٤٧) المرجع نفسه، ص ٣٣ - ٣٤.

شرع في تسوير المدينة؛ لتأمينها من خصمه عبدالعزيز بن رشيد، المدعوم من الدولة العثمانية؛ حيث قام باستكمال شراء المؤن وتخزينها، وكذلك توزيع الأسلحة التي غنمها من حامية ابن رشيد، ومخازنه، ثم قام بوضع خطة دفاعية تعتمد أساساً على أسلوب الدفاع النشط^(١٤٨)، ثم أرسل الملك عبدالعزيز إلى والده والشيخ مبارك في الكويت يخبرهما بذلك الانتصار، وطلب منهما المدد^(١٤٩)؛ وبعد اتخاذه لتلك الإجراءات التي مكنته من تعزيز قدرته العسكرية، وتأمين احتياجاتها انطلق لملاحقة خصمه جنوب نجد؛ وقد تمكن من إخضاع جنوب نجد في مدة لم تتجاوز ستة أشهر، ثم عاد إلى الرياض^(١٥٠).

وكان الملك عبدالعزيز قد واجه مصاعب عسكرية، واقتصادية جمة، عقب استعادته الرياض؛ إذ لم يكن لديه العدد الكافي من الرجال، والسلاح، والمال، وهي أمور لا بد من توافرها ليستطيع مواصلة مواجهة خصومه، وبسط سيطرته على شبه الجزيرة العربية مترامية الأطراف^(١٥١)، ومنها بالطبع منطقة نجد؛ لتحقيق السلام الاجتماعي.

إن الملك عبدالعزيز لم يأل جهداً في تحقيق السلام الاجتماعي في الرياض، وما حولها من مناطق بالوسائل السلمية؛ ولما وجد صعوبة فيما يهدف إلى تحقيقه؛ لجأ إلى

(١٤٨) محمد إبراهيم رحمو: أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٦٥.

(١٤٩) حزة: المصدر السابق، ص ٢٤.

(١٥٠) لطيفة السلوم: المرجع السابق، ص ١٩.

(١٥١) بندر عمر بن ناهل: الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عبقرته العسكرية وحنكته السياسية "دراسة

استراتيجية" الحرس الوطني، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٣٥.

تكوين جيش من حاضرة أهل نجد، وأطلق عليه اسم (جيش الجهاد)^(١٥٢)؛ لتحقيق السلام الاجتماعي في نجد، وغيرها من المناطق، فضلاً عن إنشاء جيش من البدو، وكانت (الهجر) بمثابة ثكنات عسكرية، وقد سمي هذا الجيش (جيش الإخوان)، ولكل فريق منهم راية خاصة تظله راية القائد العام، وكانوا جنوداً أشداء، قادرين على تحمل شظف العيش، ويستبسلون في خوض المعارك، وهم على ثلاثة أصناف: (الهجانة، والخيالة، والمشاة)، وكان سلاحهم الذي يستخدمونه - قبل إدخال التشكيلات العسكرية الحديثة إلى صفوفهم - قاصراً على البنادق، والسيوف والخنجر، والرماح^(١٥٣).

ومن الأعمال التي قام بها الملك عبدالعزيز كإجراء عسكري لحشد القبائل والبلدان إلى جانبه لمساعدته؛ قيامه بجمع العلماء، وشرح لهم أهدافه، وأرسلهم إلى زعماء القبائل، والبلدان التي حوله؛ لإبلاغهم بأن الهدف الرئيسي الذي يسعى إلى تحقيقه هو: إعلاء راية الإسلام، والحكم بأحكام الشريعة الإسلامية السمحة، وإحلال السلام الاجتماعي بين أفراد المجتمع في نجد، وغيرها من المناطق؛ وقد كان لذلك تأثير كبير على القبائل، والبلدان^(١٥٤).

(١٥٢) جيش الجهاد: هم نواة وزارة الحرس الوطني، فقد أدرك الملك عبدالعزيز ببعد نظرته أن البلاد بحاجة إلى البناء والإصلاحات والتنظيمات، فأنشأ مكتباً للجهاد والمجاهدين، وبعد وفاته حول الملك سعود ذلك المكتب إلى رئاسة الحرس الوطني بتاريخ ١٣٧٤/٩/١ هـ لتنظم هذه الرئاسة كتائب المجاهدين. يوسف إبراهيم السلوم: الملك القائد "القيادة العسكرية للقائد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٥٥.

(١٥٣) يوسف السلوم: المرجع السابق، ص ٥٥.

(١٥٤) ابن ناهل: المرجع السابق، ص ٣٦ - ٣٧.

وطلب الملك عبدالعزيز زعماء تلك البلدان، والمناطق؛ للاجتماع بهم، وقد أكرم وفادتهم، ثم تشاور معهم حول الأوضاع الدينية السائدة في نجد، والجهل المتفشى بين الناس في أمور دينهم، فضلاً عن الجور والظلم، والسلب والنهب، واعتداء القبائل بعضها على بعض لأبسط سبب، وتأكيده لهم مقدرته على ترسيخ مفاهيم الدين الإسلامي، والسلام الاجتماعي، إذا عملوا معه، وساعدوه في ذلك، واعتبروه واحداً منهم، فإن فعلوا ذلك؛ فإنه لن يحيد عن الدفاع عنهم، فعهده على الولاء، وتقديم كل العون له، بعد إدراكهم أهمية الانضواء تحت لوائه^(١٥٥)؛ لتحقيق السلام الاجتماعي، والوحدة، والأمن، والاستقرار الذي ينشدونه.

وبذلك تغلب الملك عبدالعزيز على مشكلتين رئيسيتين كانتا تواجهانه، وهما: القوة العسكرية، والمشكلة الاقتصادية، حيث قام رجال القبائل بمعاهدته على المحاربة معه، فضلاً عن توفير الأسلحة لأنفسهم، فأصبحوا بذلك لا يشكلون عبئاً اقتصادياً عليه، كما أن المقاتلين الموالين له من الحاضرة كانوا أيضاً قادرين على توفير قوتهم، وسلاحهم لأنفسهم^(١٥٦).

لا شك أن كسب الملك عبدالعزيز لأكبر قدر من رؤساء البادية وأمرأء الحاضرة كقوة مساندة له؛ يعد مكسباً عظيماً؛ وهو بذلك يكون قد عزز من الإجراءات العسكرية التي اتخذها لتحقيق ما يصبو إليه.

وقد كان الملك عبدالعزيز - كما قلنا - شديد الذكاء في التعامل مع خصومه؛ ولذلك رأى ألا يستفز جيرانه، وكذلك حاول تخفيف حدة التوتر بينه وبين خصومه: عبدالعزيز بن رشيد في حائل، والشريف في الحجاز، والعثمانيين في

(١٥٥) المرجع نفسه، ص ٣٦ - ٣٧.

(١٥٦) المرجع نفسه، ص ٣٧.

الأحساء، وفي الوقت نفسه كان يقوم ببعض الإجراءات العسكرية دون إظهارها حتى لا يستفزهم، مع علمه اليقين بأنهم سيواجهونه يوماً ما، لذلك فقد كانت تلك الإجراءات استعداداً لملاقاتهم، وهو ما حدث بالفعل، فقد قام عبدالعزيز بن رشيد بشن هجوم على الملك عبدالعزيز بعد تسعة أشهر من استرداده الرياض، إلا أن الملك عبدالعزيز تمكن من صد ذلك الهجوم، وأجبر ابن رشيد على الرجوع إلى القصيم^(١٥٧). عموماً لقد كان الملك عبدالعزيز يحرص قدر الإمكان على تجنب القتال رغم رجوح كفته فيه إن حدث؛ حقناً للدماء، وجنوحاً للسلم، والتصالح مع خصومه، وإعطاءهم الفرصة تلو الفرصة للدخول في السلام الاجتماعي الذي ينشده، لما لذلك من أثر في تحقيق لحمة الأمة، ووحدتها - قبل أن يلجأ للقتال^(١٥٨).

يتبين لنا من ذلك أن الملك عبدالعزيز كان يخوض الحرب عندما تكون المواجهة العسكرية أمراً حتمياً، ويكتفي بالحلول السلمية إذا تحققت أهداف الحرب وغاياتها، وبذلك فهو ينطلق في أعماله العسكرية، أو السلمية من ثلاثة اعتبارات: الاعتبار الأول: ديني، فالله سبحانه وتعالى يحاسب على الأعمال صغيرها، وكبيرها، ويجازي عليها.

الاعتبار الثاني: حضاري، فالحرب لا بد أن يرافقها دمار، وتلافي ذلك الدمار لا شك له مردوده على الحضارة، والعمران، وهو ما كان يسعى إليه الملك عبدالعزيز في الغالب. أما إذا اقتضت المصلحة العامة أن يخوض حرباً؛ فإنه لا يتردد. الاعتبار الثالث: وطني، باعتبار أن الحرب تقوم أصلاً لمصلحة الوطن والمواطنين، وأن المتحاربين هم جميعاً من أبناء الوطن؛ الذي يسعى لنشر السلام

(١٥٧) ابن ناحل: المرجع السابق، ص ٣٧ - ٣٨.

(١٥٨) العمري: المرجع السابق، ص ٩٠.

الاجتماعي فيه ؛ وهذا يستدعي الحرص على مصلحة الفريقين، وسلامتهم؛ فهؤلاء أتباعه، وأولئك هم مواطنوه، وفي ذمته، ورعايته، فهم عنده سواءً بعد أن تنتهي الحرب مباشرة^(١٥٩).

وكان الملك عبدالعزيز في جميع أعماله قتالية كانت، أو سياسية؛ يراقب الله تعالى ويخشاه، ولم يكن أبداً يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، كما وصفه بعض المؤرخين، مستندين في ذلك إلى صرامة بعض خططه الحربية، وصاعقية بعض هجماته القتالية، فالخطط الحربية لا بد أن تكون صارمة، والقتال لا بد أن يكون صاعقاً؛ إذا أريد لهما أن يحققا الحسم السريع، ولذلك فإن القائد الذي يحسم المعركة بضربات سريعة، وصاعقة؛ يكون أكثر رفقا من القائد الذي يطيل المعركة، ويتباطأ في الاقتحام؛ كون المعارك الصاعقة تكون أقل ضحايا من المعارك البطيئة الطاحنة^(١٦٠).

٤- الحرب النفسية ضد الخصم:

لقد كان أسلوب الملك عبدالعزيز في إعداد الجيش، واستعداده للقتال يختلف من معركة إلى أخرى، وذلك وفق معطيات، ورؤى عسكرية؛ تمكنه من الانتصار بأقل خسارة، وربما دون مواجهة.

وكان يستخدم الوسيلة التي يراها مناسبة مع الخصم، وقد استخدم الحرب النفسية وسيلة من وسائل مواجهته للخصم؛ إذ كان يستخدمها ليهزم خصمه في عقر داره، ومن ذلك مثلاً أنه كان يقوم أحياناً بحشد ما يستطيع حشده من قوات، وينشرها في مواقع مكشوفة، وظاهرة للعيان، فتبدو للطرف المقابل أكثر من عددها الحقيقي،

(١٥٩) العفنان: الخطط السياسية والعسكرية للملك عبدالعزيز، . . . ، ص ١٢٥.

(١٦٠) المرجع نفسه، ص ١٢٦.

فتوهن من عزيمته، وتفت في عضده، فيستحيل عليه المجابهة القتالية؛ فيأخذ في مراجعة نفسه، ومفاوضتها حتى يصل إلى النقطة التي يريدها الملك عبدالعزيز، وهي القبول بشروطه التي وضعها^(١٦١).

ومن الأمثلة على ذلك أن الملك عبدالعزيز عندما توجه إلى محاصرة حائل شمالي نجد مقر إمارة آل رشيد؛ كانت قواته تزيد على اثني عشر ألف مقاتل، في حين لم تكن حائل تستطيع أن تعبئ أكثر من ألف وخمسمائة مقاتل؛ بعد أن أنهكتها الحروب، وأرهقتها الخلافات الداخلية، وعصفت بها الفتن مرة تلو الأخرى، وقد كان بإمكان الملك عبدالعزيز أن يقتحم تحصينات مدينة حائل بقليل من التضحيات ويدخلها عنوة، لكنه تعمد تجنب هذه الخطوة؛ لأن دخول حائل عنوة وهي التي حاربت واحدًا وعشرين عاماً سوف يؤدي إلى تدميرها، ووقوع مجزرة ضحيتها الأولى هم الأهالي؛ ولذلك عمد الملك عبدالعزيز إلى تضيق الحصار على حائل، واستمر لمدة شهرين من بداية شهر محرم إلى ٢٩ صفر عام ١٣٤٠هـ، وكانت الاتصالات السياسية مستمرة بينه وبين أعيان حائل، وكان لهؤلاء الأعيان مطالب تتعلق بالاحتفاظ بنوع من المعاملة الحسنة لأسرة آل رشيد، لكن الملك عبدالعزيز أصر على أن ينفذ أهالي حائل أيديهم عن أسرة آل رشيد تماماً، فيكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين^(١٦٢).

لقد استخدم الملك عبدالعزيز الحرب النفسية مع أهل حائل فكسب المعركة، ونجح في السيطرة على حائل دون مقاومة، وهو بذلك يكون قد حقن الدماء؛ الأمر الذي سهل معه تحقيق السلام الاجتماعي، ذلك أن الثأر والانتقام لم يكن من

(١٦١) العفنان: الخطط السياسية والعسكرية للملك عبدالعزيز...، ص ١١٥ - ١١٦.

(١٦٢) المرجع نفسه، ص ١١٦ - ١١٧.

سجاياه ؛ إذ كان يحرص كل الحرص على تحاشي الحرب ، باذلاً في سبيل ذلك مختلف الوسائل السلمية التي تمكنه من تحقيق أهدافه دون خوضها^(١٦٣) ، وهو ما عزز من تحقيق مشروعه في السلام الاجتماعي في نجد.

وبهذا نكون قد وصلنا إلى آخر وسيلة من وسائل الملك عبدالعزيز في تحقيق السلام الاجتماعي في منطقة نجد ، سائلاً المولى عز وجل أن ينفع بهذا البحث ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

الخاتمة

على ضوء كل ما تقدم ذكره ؛ فإن الملك عبدالعزيز تمكن بالوسائل التي تنوعت ما بين دينية وفكرية ، وما بين سياسية واجتماعية ، وآخرها الوسائل الأمنية والعسكرية من تجاوز كل العوائق التي اعترضت مشروعه الكبير الرامي لتحقيق السلام الاجتماعي في المجتمع النجدي.

إن الوسائل التي اتخذها الملك عبدالعزيز في حماية المجتمع النجدي تعني درء المخاطر التي كانت تهدد حياة سكان منطقة نجد ، وتهدد السلام الاجتماعي ؛ كشوب الصراعات ، والحروب بين القبائل التي كانت تسكن ذلك المجتمع.

لقد تداخلت عوامل ومتغيرات سياسية ، ودينية ، واقتصادية ، واجتماعية ؛ أثرت سلباً على التوازن الاجتماعي ، والسلام الاجتماعي في المجتمع النجدي ، فاستخدم وسائله المتناسبة مع كل تلك العوامل ، والمتغيرات ؛ سعياً منه لتحقيق السلام

(١٦٣) فهد المارك: من شيم الملك عبدالعزيز، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز،

الرياض، ط ٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج ١، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

الاجتماعي في منطقة نجد خاصة، وفي المملكة بصفة عامة، وقد كانت وسائله ناجحة كما رأينا من خلال البحث.

لقد استطاع الملك عبدالعزيز - خلال فترة وجيزة - بفضل تلك الوسائل التي اهتدى إلى استخدامها؛ أن يحقق مشروعه؛ إذ انتقل المجتمع النجدي خصوصاً، ومملكته عموماً من مجتمع بدوي، متناحر، متنافر، يسوده السلب والنهب، وتعمُّه الفوضى، وتنتشر بين مختلف قبائله الثارات، ويعيش معظم سكانه تحت خط الفقر، فضلاً عن انتشار الأمية في غالبية السكان؛ إلى مجتمع متحضر مستقر؛ يسوده الوئام، ويعمه الأمن والسلام الاجتماعي، ويدين جميع أفراداه بالولاء لدينه، ومليكه، ووطنه، بعيداً عن الولاءات الضيقة للقبيلة، مجتمع صححت فيه المفاهيم المغلوطة عن الدين الحنيف، وعم فيه العدل، وأصبح حكم الله يطبق على الكافة، فتلاشت في أرجائه الثارات، وأنشئت فيه الكتاتيب لمحاربة الأمية، ثم تطور فيه التعليم؛ فبنيت المدارس، ثم شيدت بعد ذلك الجامعات، وبهذا حقق الملك عبدالعزيز مشروعه الاستراتيجي الذي كان يطمح لتحقيقه في المجتمع النجدي. وقد امتد بعد ذلك ليشمل كل المناطق التي انضوت تحت مملكته التي وحدها في عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، وأطلق عليها اسم المملكة العربية السعودية، والتي لا زالت إلى يومنا هذا تسير على نفس خطاه، وتقتفي أثره، - يحفظها الله من كل مكروه -.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق

- [١] دارة الملك عبدالعزيز: قسم الوثائق: وثيقة رقم (٢٤٢٢)، ملف (١٥)، المجموعة العامة، رقم السجل (٤٢٣٥٠)، بتاريخ ١٩٨١/١/٧هـ.
- [٢] دارة الملك عبدالعزيز: قسم الوثائق: وثيقة رقم (١١٠٠)، ملف (١٥)، المجموعة العامة، رقم السجل (٣٩٨٥٢)، بتاريخ ١٣٦٠/٨/٢٣هـ.
- [٣] وثيقة عبارة عن خطاب موجه من الملك عبدالعزيز إلى محمد بن سلطان يكلفه فيه بالذهاب إلى خيبر لحل الخلافات الناشبة بين بعض الرعايا هناك، وكان ذلك بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٤٢هـ، وقد نشرت هذه الوثيقة مع عدد من الوثائق في الموقع الإلكتروني الآتي، وقد أشير فيه إلى أن نشر هذه الوثائق يتم لأول مرة، للمزيد انظر الموقع الآتي:

<http://www.alriyadh.com/346516>

- [٤] ثلاث وثائق تتعلق بالشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العبيدي، وهي عبارة عن مكاتبات، اتضح من خلالها بعض الجوانب المتعلقة بحياته العملية، وقد حصل عليها الباحث من أحد أحفاده، وهو الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن راشد العبيدي.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية والمترجمة

- [٥] القرآن الكريم.
- [٦] الأحيدب: عبدالعزيز بن محمد، ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع الإشعاع التجارية، الرياض، د. ط، د. س.
- [٧] الأحيدب: عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مطابع الإشعاع التجارية، الرياض، ط ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- [٨] البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٨.
- [٩] البديوي: خالد بن محمد، الحوار وبناء السلام الاجتماعي، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- [١٠] البسام: عبد الله بن محمد، (ت١٣٤٦هـ/١٩٢٧م): تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، نسخت في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥هـ، الموافق يناير ١٩٥٦م، بخط نور الدين شريفة، نقلًا عن المؤلف، عنيزة، دار الملك عبدالعزيز بالرياض، رقم ٢١٠، نسخة مصورة.
- [١١] البقمي: طامي بن هديف بن معيض، التطبيقات العلمية للحسبة في المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة، طبعة المئوية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- [١٢] البليهد: عبدالرحمن بن محمد، غسلة بالقرائن بلد الأجداد والآباء والأجداد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- [١٣] بنوا ميشان: جاك، عبدالعزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ط، د.س، ج٤.
- [١٤] التركي: عبدالله عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- [١٥] التميمي: عماد محمد رضا علي، وإيمان محمد رضا علي التميمي، الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي أقامته

- كلية الشريعة في جامعة آل البيت في الأردن، وذلك يومي ١٣ - ١٤ شعبان ١٤٣٣هـ، الموافق ٣ - ٤ يوليو ٢٠١٢م.
- [١٦] ابن ثابت: سعيد بن علي، أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- [١٧] جريدة الرياض، العدد (١٤٥٨٥)، الجمعة ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ، الموافق ٣٠ مايو ٢٠٠٨م الموقع الإلكتروني الآتي:
<http://www.alriyadh.com/346516>
- [١٨] جمعة: رابح لطفي، حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- [١٩] حضراوي: خلود بنت فاروق: التخطيط التربوي في عهد الملك عبدالعزيز وأثره في النهضة التعليمية الحديثة ١٣٤٤ - ١٣٧٣هـ، رسالة ماجستير، قسم الإدارة التربوية والتخطيط، جامعة أم القرى، ١٤٢٨/١٤٢٩هـ.
- [٢٠] الحقييل: سليمان بن عبدالرحمن، الإرث الذي خلفه لنا الملك عبدالعزيز ورجال المخلصون كيف نحافظ عليه؟ مطابع الحميضي، الرياض، ط٢، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- [٢١] الحقييل: سليمان بن عبدالرحمن، في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، المؤلف، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- [٢٢] الحليسي: نواف بن صالح، حكمة الملك عبدالعزيز في إدارة الدولة، مطابع التقنية، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- [٢٣] حمزة: فؤاد، البلاد العربية السعودية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

[٢٤] الخطيب: عبدالحميد، الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، طبعة المئوية ١٤١٩هـ، ج ١.

[٢٥] الدعجاني: أحمد بن زيد، الأساليب القيادية للملك عبدالعزيز ودورها في تحقيق الأمن (رسالة ماجستير في العلوم الإدارية)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[٢٦] الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها - أعمالها، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

[٢٧] ربحو: محمد إبراهيم، أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٢٨] الرحيلي: حمود بن أحمد، أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١٠٨)، السنة (٣٠)، ١٤١٩/١٤٢٠هـ.

[٢٩] الرويشد: عبدالرحمن بن سليمان، الجهاد الفكري للملك عبدالعزيز، مجلة الدارة، ع ٤، س ١١، رجب ١٢٠٦هـ/ مارس ١٩٨٦م.

[٣٠] الربحاني: أمين، تاريخ نجد الحديث، دار الجليل، بيروت، د. ط، د. س.

[٣١] الربحاني: أمين، ملوك العرب، دار الجليل، بيروت، د. ط، د. س.

[٣٢] الزامل: عبدالله العلي المنصور: أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، المؤسسة التجارية، بيروت، ط ١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- [٣٣] الزركلي: خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٩٧م، ج١، وج٢، وج٣.
- [٣٤] الزبيدي: عبدالرحمن بن زيد، تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.
- [٣٥] السدحان: إبراهيم بن عبدالرحمن، القرائن بالوشم، مطابع الحميضي، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج١.
- [٣٦] آل سعود: موزي بنت منصور: الهجر ونتائجها في عصر الملك عبدالعزيز، معهد البحوث العلمية بمكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط٢، ١٤١٩هـ.
- [٣٧] السلطان: محمد عبد الله، توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي، دار العلم، جدة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- [٣٨] السلوم: لطيفة عبدالعزيز، التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م - ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، دراسة تاريخية وثائقية، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- [٣٩] السلوم: يوسف، الملك القائد، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- [٤٠] سومرو: علاء الدين، الأوضاع السياسية في جزيرة العرب في عهد الملك عبدالعزيز، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، الذي عقدته جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة من (١٩ إلى ٢٣) ربيع الأول، عام ١٤٠٦هـ، الموافق (١ إلى ٥) ديسمبر ١٩٨٥م، طبعة المئوية، شوال ١٤١٩هـ، مج١.

[٤١] السويداء: عبدالرحمن بن زيد، نجد في الأمس القريب: "صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عاماً، دار العلوم، الرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٤٢] صالح سعد الشبيب: عبدالعزيز الملك الذي أحب شعبه شواهد ودوافع ونتائج العلاقة الحميمة بين المؤسس وشعبه، المؤلف، الرياض، ١٤٢٠هـ.

[٤٣] الشثري: محمد ناصر، الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، دار الحبيب، الرياض، ط ٤، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ١.

[٤٤] الشمري: غسان، انبعاث أمة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط ١، ٢٠٠٠م.

[٤٥] الشهيل: عبدالله محمد، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٣ - ١٣٥١هـ/١٩١٥ - ١٩٣٢م، دراسة تاريخية تحليلية، دار الوطن للنشر والإعلام، الرياض، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

[٤٦] الشويعر: محمد بن سعد، السمات الدعوية في شخصية الملك عبدالعزيز، بحث مقدم لندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، التي عقدتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، في الرياض من ٢٣ - ٢٨ صفر ١٤٢٠هـ. بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

[٤٧] آل الشيخ: عبدالرحمن بن عبداللطيف، مشاهير علماء نجد، دار اليمامة، الرياض، ط ٢، ١٣٩٤هـ.

[٤٨] آل الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله، جهود الملك عبدالعزيز في خدمة العقيدة الإسلامية، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، الرياض ١١ - ١٦ ربيع الأول ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٣ - ٢٨ نوفمبر ١٩٨٥م.

[٤٩] الصقعي: عبدالعزيز، مقال بعنوان: الملك عبدالعزيز ورعايته للثقافة والعلوم، دراسات متعددة تناولت شخصيته واهتماماته بالعلم والكتب، منشور على شبكة الإنترنت، رابط الموقع:

<http://www.alriyadh.com/281774>

[٥٠] آل ضرمان: سعد بن محمد: صفحات مضيئة من سيرة بطل، دار العقيدة، الرياض، د.ط، د.س.

[٥١] آل عبداللطيف: عبدالرحمن بن صالح، من جوانب العدالة عند الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

[٥٢] العتيبي: إبراهيم بن عوض، الأمن في عهد الملك عبدالعزيز تطوره وآثاره، ١٣١٩ - ١٣٧٣هـ / ١٩٠٢ - ١٩٥٣م، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

[٥٣] العثيمين: عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٤، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ٢.

[٥٤] عطار: أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، د.ن، د.م، ط ٣، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

[٥٥] العفنان: سعد بن خلف، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع المعرفة، حائل، ط ١، ١٤٢١هـ.

[٥٦] العفنان: سعد بن خلف، الخطط السياسية والعسكرية للملك عبدالعزيز، مطابع المعرفة، حائل، ط ١، ١٤٢١هـ.

- [٥٧] أبو علي: عبدالفتاح حسن، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، دار المريخ، الرياض، ط ١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- [٥٨] العمري: عمر بن صالح، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، "دراسة تاريخية وثائقية"، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- [٥٩] الغلامي: عبدالمنعم، الملك الراشد جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود، دار اللواء، الرياض، ط ٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- [٦٠] ابن غنام: حسين، تاريخ نجد، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار الشروق، بيروت، ط ٤، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- [٦١] القابسي: محيي الدين، المصحف والسيف: مجموعة من خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، المطابع الأهلية، الرياض، ط ٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
- [٦٢] الكيلاني: كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- [٦٣] المارك: فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، الرياض، ط ٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- [٦٤] المانع: محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الله العثيمين، د. ن، د. م، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- [٦٥] مجلة الدارة، ع ٤، س ١١، الرياض، رجب ١٤٠٦هـ/مارس ١٩٨٦م.
- [٦٦] المختار: صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، د. س، ج ٢.

- [٦٧] المطيري: غازي غزاي، منهج الملك عبدالعزيز في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١١٠)، السنة (٣٢)، ١٤٢٠هـ.
- [٦٨] العلمي: يحيى عبدالله، الأمن في المملكة العربية السعودية، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مصر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- [٦٩] ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- [٧٠] ابن ناكل: بنذر عمر، الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عبقرته العسكرية وحنكته السياسية "دراسة استراتيجية"، الحرس الوطني، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- [٧١] النجار: محمد الطيب، وآخرون، الملك عبدالعزيز آل سعود مثل رائعة من عبقرته الفذة ووفائه النادر، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- [٧٢] الهجاري: الشريف حمدان، الملك عبدالعزيز والدعوة إلى الله، المؤلف، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٩هـ.
- [٧٣] ابن هذلول: سعود، تاريخ ملوك آل سعود، مطابع المدينة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١.
- [٧٤] وهبة: حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

??

Dr. Mohammed A. Al-Shiha
Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University
Department of History and Civilization

Abstract. Just before the King Abdulaziz ruling period, Najd area has witness fierce tribal conflicts on water and grass. Unrest and killing and revenge have become common and widely spread in addition to mistaken concepts about Islam, and spread of illiteracy throughout the community. Dealing with such challenges with his own intelligence and acumen, King Abdulaziz achieved his project of social peace in Najd through utilizing some religious, thought, political, social, security, and military tools. He activated and supported the role of religious scholars, preachers, guides and sent them all over Najd areas to remove such faulty concepts about Islam. In addition, he set up the Committee for the Promotion of Virtue and the Prevention of Vice throughout Najd to fight vices and spread virtues and they succeeded. He spread education to control ignorance. He implanted Islamic brotherhood among Najdi society members so that revenge and prejudice has disappeared and friendliness and harmony spread widely. He has been of an excellent conduct in his dealing with people so that they loved him and became loyal to him. In addition, his rivals also became loyal after he forgave them. He not only called for and applied reconciliation. King Abdulaziz dismantled the tribal system to make people's loyalty to the state. He secured roads and activated the work of legislative authorities to spread justice among people. One peaceful solution had not use, he moved to military confrontation, psychological wars.

By the above mentioned means and many others, King Abdulaziz achieved his ambitious project to bring social peace in Najd in a short period. Arab and Foreign writers have been impressed by King Abdulaziz and wrote about his achievements and contributions, his intelligence that made his achieve such project in a short time. The project extended to include all the Kingdom areas that has been unified by King Abdulaziz and called it "Kingdom of Saudi Arabia" that still following his trace up to date.

تغير التركيب المحصولي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من عام ٢٠١٢/٢٠٠٠ دراسة جغرافية تحليلية

د. بدرية عبد الله الرشيد

أستاذ الجغرافيا الاقتصادية المساعد

قسم الجغرافيا - جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

ملخص البحث. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل التغير في التركيب المحصولي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٠١٢-٢٠٠٠. أن الغرض من هذه الدراسة هو إيضاح أثر السياسة الزراعية بالمملكة على تغير التركيب المحصولي خلال فترة الدراسة سواء على مستوى الأقاليم الرئيسة بالمملكة أو حسب الاستخدام الاقتصادي أو موسم زراعتها.

وقد رت المساحة الزراعية التي يمكن استغلالها في النشاط الزراعي بنحو ١,١٢ مليون هكتار عام ٢٠٠٠، انخفضت إلى ٧٤٥ ألف هكتار عام ٢٠١٢، وبمعدل انخفاض بلغ - ٣٣,٤ % عن عام ٢٠٠٠. وتشير نتائج الدراسة إلى انخفاض مساحات كل من الحبوب والأعلاف بمعدل تغير بلغ -٦٥,٧ %، ٨,٨ % على الترتيب، في حين ازدادت مساحات الخضار والفاكهة بمعدل تغير ١٧,٤ %، ١٨ % على الترتيب خلال فترة الدراسة (٢٠١٢-٢٠٠٠). ومن دراسة معامل التوطن نجد أن الإقليم الشمالي يستحوذ على النصيب الأكبر من مساحة محصول الحبوب والتي بلغت ٨٩٦٧٩ هكتار وهو ما يوازي ٤٢,٣ % من إجمالي مساحة الحبوب بالمملكة عام ٢٠١٢م. في حين تتوطن مساحة الأعلاف والخضار بالإقليم الأوسط حيث بلغت مساحة الأعلاف نسبة تصل إلى ما يقارب الثلثين (٦٥,١ %)، والخضار نسبة ٦٢,٢ % من إجمالي المملكة عام ٢٠١٢م، كما تشير نتائج الدراسة إلى تركز أكثر من ٦٨,٥ % من مساحة محصول الفاكهة في الإقليم الأوسط والشمالي في ذات الفترة. مما يعكس اتجاه الدولة لزراعة محاصيل ذات استهلاك مائي منخفض في مناطق ملائمة لذلك.

ومن المصطلحات المستخدمة في البحث التركيب المحصولي، المساحة المحصولية، تصنيف المحاصيل حسب الاستخدام الاقتصادي، تصنيف المحاصيل حسب موسم زراعتها (فصل النمو)، السياسة الزراعية

مقدمة

يشمل التركيب المحصولي المساحات المزروعة بجميع أنواع المحاصيل، والتي تشمل محاصيل الحقل والخضر والفاكهة، (نوال حامد ص ١٧١). وتحتوي عملية تحليل مكونات أي مركب محصولي على كثير من الصعوبة والتعقيد، وذلك لوجود مرونة كبيرة في اختيار عناصره لأنه يمكن أن تزرع المحاصيل المختلفة في أراضٍ متشابهة الخصائص (فوده، ١٩٩١، ص ٥). فمحصول القمح كان من المحاصيل الرئيسية لفترة معينة إلى أن تم إدخال محاصيل أخرى بديلة مثل الأعلاف والشعير واتسعت مساحته على حساب مساحة محصول القمح في المملكة العربية السعودية، وقد أدت استراتيجية تحقيق الأمن الغذائي عن طريق الاكتفاء الذاتي إلى حدوث هدر واضح في الموارد المائية والأرضية الرأسمالية. فقد أدى التوسع الزراعي الأفقي إلى زيادة استخدام المياه في القطاع الزراعي وبصفة خاصة خلال خطة التنمية الثالثة (١٩٨٠ - ١٩٨٥ م)، كما أدى التركيز المحصولي في مناطق معينة إلى استنزاف كميات كبيرة من المياه الجوفية غير المتجددة، وأصبحت ندرة الموارد المائية من أهم المشاكل التي تواجه التنمية الاقتصادية والاجتماعية. كما يعد القطاع الزراعي أكبر مستهلك للمياه في المملكة إذ قدر استهلاكه للمياه بحوالي ١٦,٠٤٧ مليون متر مكعب أي بنسبة ٩٠ ٪ من إجمالي المياه. ويتم استيفاء معظم هذه المياه من المياه الجوفية العميقة غير المتجددة.

وتتميز المملكة بالتنوع في التركيب المحصولي والذي يضم مجموعة من المحاصيل تختلف فيما بينها من حيث الأهمية النسبية ومدى إسهامها في المساحة المحصولية، وقد تم تصنيف تلك المحاصيل في أربع مجموعات رئيسة وفقا للاستعمال الاقتصادي، وفي هذا البحث سوف نتناول تغير المركب المحصولي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠١٢ م، وذلك من حيث التعرف على نمط استغلال الموارد الأرضية

بالمملكة ، والتركيب المحصولي على مستوى الأقاليم الجغرافية الخمسة الرئيسة بالمملكة ، والتركيب المحصولي حسب الاستخدام الاقتصادي ، وحسب مواسم زراعته بالمملكة .

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى :

- ١ - التعرف على تغير التركيب المحصولي لمناطق المملكة.
- ٢ - دراسة استجابة التركيب المحصولي لسياسة الحد من المساحات المزروعة من بعض المحاصيل الزراعية.
- ٣ - دراسة حالة لتغير التركيب المحصولي لإحدى المناطق الزراعية بالمملكة العربية السعودية.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

انبثقت مشكلة الدراسة من ضرورة مساهمة الزراعة في تنويع مصادر الدخل للمملكة العربية السعودية وتحقيق الاكتفاء الذاتي مع مراعاة ظروفها البيئية والهيدرولوجية والتي لا تهيئ فرصاً واسعة للتنوع المحصولي ، وبالتالي برزت أهمية دراسة التركيب المحصولي وتغير تركيبه للفترة من ٢٠٠٠ - ٢٠١٢ ، وتنبع مشكلة الدراسة من التساؤلات التالية :

- ١ - كيف تطورت المساحة المزروعة في المملكة وأقاليمها التخطيطية؟
- ٢ - ما التغيرات التي طرأت على التركيب المحصولي في المملكة العربية السعودية في الفترة من ٢٠٠٠م - ٢٠١٢م؟
- ٣ - أين تتوطن مساحة المحاصيل المختلفة في المملكة؟
- ٤ - ماهي أسباب تغير التركيب المحصولي من خلال دراسة الحالة؟

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على أساس وصف الظاهرة قيد البحث، وذلك من خلال جمع البيانات، والمعلومات، والحقائق عن التركيب المحصولي في المملكة العربية السعودية من واقع البيانات الحكومية الإحصائية الصادرة من الجهات الرسمية بالمملكة مثل وزارة الزراعة ووزارة التخطيط وغيرها. وقد جرى تحليل بيانات الدراسة وعرض النتائج باستخدام الأساليب الإحصائية التالية:

١ - درجة التوطن الزراعي لمعرفة مساحة المحاصيل الزراعية إلى إجمالي المساحة المحصولية في الدولة، كذلك معرفة نسبة توطن المحاصيل الزراعية في كل إقليم (هارون، ١٩٩٩، ص ٨٢)، وتم تطبيق هذا المعامل على المحاصيل الزراعية بالمملكة عام ٢٠١٢، وتم تطبيق المعادلة على الشكل التالي:

أ) إجمالي مساحة الحبوب في الإقليم $\times 100$

إجمالي مساحة المحاصيل في الإقليم

ب) إجمالي مساحة الحبوب في الدولة $\times 100$

إجمالي المساحة المحصولية في الدولة

٢ - استخدام معامل التغير حيث يتم إيجاد معامل التغير لمقارنة التطور من سنة إلى أخرى، حيث تنسب قيمة الظاهرة إلى القيمة التي تسبقها بدلا من نسبتها إلى أساس ثابت موحد (خير، ١٩٧٨، ص ٢٣٩). بالإضافة إلى النسب المئوية.

٣ - استعانت الباحثة ببرنامج Map viewer بغية الحصول على المساحة المحصولية للأقاليم منسوبة إلى مساحة المملكة. كذلك تمت الاستفادة من برنامج GIS بهدف الحصول على نسبة المساحة المحصولية بالجوف منسوبة للمملكة.

الدراسات السابقة

تنوعت التخصصات التي عاجلت التركيب المحصولي ولم يقتصر الأمر على الجغرافيين فقط فهناك دراسات تناولت التركيب المحصولي في المملكة أو إحدى المناطق، فالدراسات الجغرافية التي تناولت التركيب المحصولي تكاد تكون قليلة حسب علم الباحثة وأمكن رصدها على النحو التالي:

- تناولت دراسة فوده (١٩٩١م)، التركيب المحصولي في منطقة القصيم، وأشار فيها إلى أن التركيب المحصولي يتأثر بمجموعة من العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية تشكل البيئة المحيطة بالتركيب المحصولي في المنطقة، كما أوضح أن الزراعة بمنطقة القصيم تعاني من مجموعة من المشاكل أهمها العمالة، المياه، والاعتماد على محصول واحد. وتوصل الباحث في دراسته إلى أن معرفة التغيرات المستقبلية في التركيب المحصولي يجب أن تتم على بيانات كافية، بخصوص التربة والماء واقتصاديات المحاصيل، وذلك لمعرفة المحاصيل التي تحقق أكبر عائد اقتصادي من الأرض والمياه والعمالة والتقنيات الزراعية. وهي أول دراسة جغرافية تتناول الموضوع واعتمدت في بعض أجزائها على الدراسة الميدانية، وقد اقتصرت على دراسة منطقة القصيم، هذا فضلا عن أنها نشرت عام ١٩٩١، أي قبل ما يزيد عن خمس عشرة سنة.

- كتب الشريف (٢٠٠٣م)، بحثا عن التركيب المحصولي الأمثل وأهميته في التوطن الزراعي بمنطقة مكة المكرمة، وقد استهدفت هذه الدراسة الوصول إلى أفضل البدائل للتركياب المحصولية الزراعية بمنطقة مكة المكرمة، بحيث يراعى تحقيق الأهداف الاقتصادية الزراعية لمستخدم الأرض والاستخدام الأمثل لأكثر الموارد الإنتاجية الزراعية والمتمثلة في الموارد الأرضية والمائية والعمالة الزراعية. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج منها: تم إعداد التركيب المحصولي باستخدام البرامج الخطية في إعداد نماذج

رياضية لاقتراح التركيب المحصولي في منطقة مكة المكرمة للوصول إلى حل يتلاءم مع ظروف المنطقة. وبينت النتائج أن التركيب المحصولي يتفق مع الطبيعة الجغرافية لمنطقة مكة المكرمة حيث تعاني المنطقة من محدودية الموارد الزراعية. بينما الدراسة الحالية تهتم بتتبع التغير في المساحة المحصولية، كما أنها تدرس التركيب المحصولي على مستوى المملكة.

- تناولت دراسة الشريف (٢٠٠٨ م)، التوطن المكاني للتركيب المحصولي في ظل محدودية الموارد المائية في المملكة العربية السعودية حيث هدفت الدراسة إلى توصيف وتحديد الاستخدام الأمثل للأرض عن طريق معرفة التركيب المحصولي الأنسب والأكفأ استخدما لعنصر المياه وفقا لوضع المملكة الهيدرولوجي والبيئي. وناقشت الدراسة المساحة المحصولية حتى عام ٢٠٠٤ حيث كانت المساحة ١,١٧ مليون هكتار، في حين بلغت عام ٢٠١٢ نحو ٧٤٥ ألف هكتار وقد طبق معادلة تعكس أثر التغير في التركيب المحصولي على استهلاك مياه الري في مناطق المملكة المختلفة، أي أن هذه المساحة قد شهدت انخفاضا مطردا مما يعكس تراجعاً في مساحات محاصيل سوف توضحها هذه الدراسة.

منطقة الدراسة

تقع المملكة العربية السعودية في أقصى جنوب غربي قارة آسيا، وتنحصر أراضيها بين دائرتي العرض ٤٦ ١٦ ٢٢ و ١٤ ٣٢ شمالاً، وخطي الطول ٣٠ ٢٩ و ٣٤ ٥٥ شرقاً. ويمر خط مدار السرطان (٢٣ ٣٠ شمالاً) من وسطها، مما حدد خصائصها المناخية التي أثرت بدورها في أنماط الاستغلال الزراعي السائدة في جهات المملكة المختلفة. وتبلغ مساحتها حوالي ٢,٢٥ مليون كيلو متر مربع (٢٢٥

مليون هكتار)، تشغل أربعة أخماس شبه الجزيرة العربية (أطلس المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م، ص ٦١، ٢٤). (انظر الخريطة ١).



الشكل رقم (١). توزيع الأقاليم الجغرافية في المملكة العربية السعودية.

المصدر: وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، الإدارة العامة للمساحة العسكرية، الرياض، ١٤٢١هـ.

وبلغ عدد سكان المملكة استنادا لتقديرات مصلحة الإحصاءات العامة خلال عام ٢٠١٠ م نحو ٢٧١٢٦٩٧٧ نسمة. وتوجد في المملكة خمسة أقاليم تخطيطية جغرافية كبيرة هي المناطق الفرعية لمنطقة الدراسة، وهذه الأقاليم هي الإقليم الأوسط، (الرياض القصيم) والإقليم الغربي (مكة المكرمة المدينة المنورة)، والإقليم الشرقي، والإقليم الشمالي (حائل، تبوك، الجوف، الحدود الشمالية)، والإقليم الجنوبي الغربي (عسير جازان، نجران الباحة).

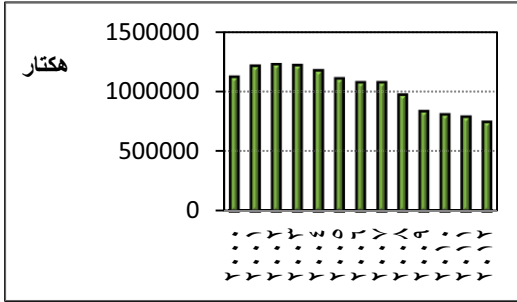
أولاً: تطور المساحة المزروعة في المملكة العربية السعودية والتركيب المحصولي:

يلاحظ من الجدول رقم (١) والشكل (٢) اتجاه المساحة المزروعة للانخفاض تدريجي (عدا عام ٢٠٠٧) وقدرت المساحة الزراعية بنحو ١,١٢ مليون هكتار عام ٢٠٠٠، انخفضت إلى ٧٤٥ ألف هكتار عام ٢٠١٢ بمعدل انخفاض بلغ -٣٣,٤٪ عن عام ٢٠٠٠م. ويعزى ذلك إلى عوامل متعددة، من أهمها: محدودية الموارد المائية والتي تعد من أهم التحديات ليس فقط للتنمية الزراعية بل للاقتصادية والاجتماعية بالمملكة. بالإضافة إلى أن الدولة انتهجت من العام ٢٠٠٠م استراتيجيات جديدة في هيكله السياسة الزراعية المطبقة والتي ساهمت في تغيير شكل النشاط الزراعي ومساحته ونوعية الدعم المقدم للقطاع الزراعي، وفي هذا الإطار صدرت عدة قرارات على سبيل المثال تخفيض الطلب على موارد المياه الجوفية السطحية المتجددة وغير المتجددة وزيادة الاعتماد على مصادر المياه غير التقليدية، إيقاف توزيع الأراضي البور من ٢٧/٢/٢٠٠٣م.

الجدول رقم (١). تطور المساحة المحصولية (هكتار) في المملكة خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢

السنوات	المساحة	الزيادة السنوية %	السنوات	المساحة	الزيادة السنوية
2000	1119949		2007	1074958	0,1
2001	1211579	8,2	2008	971608	-9,6
2002	1224502	1,1	2009	834989	-14,1
2003	1216038	-0,7	2010	806682	-3,4
2004	1172742	-3,6	2011	787739	-2,3
2005	1106728	-5,6	2012	745637	-5,3
2006	1074155	-2,9			

المصدر: وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الإحصائي السنوي، أعداد متفرقة.



الشكل رقم (٢). تطور المساحة المحصولية (هكتار) في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢
المصدر من عمل الباحثة اعتماداً على الجدول رقم (١)

ويتفاوت توزيع المساحة المزروعة على مستوى المملكة كما في الجدول رقم (٢) ومنه يتبين:

- ١ - أن أكثر من خمسي المساحة المزروعة في المملكة توجد في الإقليم الأوسط (بنسبة تراوحت بين ٤٣,٣٪ و ٤٧,٦٪) والذي يضم كلا من منطقتي الرياض والقصيم خلال السنوات الممتدة من عام ٢٠٠٠ الى ٢٠١٢ م، يأتي الإقليم الشمالي في الترتيب الثاني بنسبة تراوحت بين ٢١,٥٪ و ٣١,٢٪ خلال نفس الفترة، بينما يأتي في الترتيب الثالث الإقليم الجنوب الغربي بنسبة تراوحت بين ١١,٤٪ و ١٩,٨٪ خلال سنوات الدراسة، وتتقارب المساحة المزروعة في الإقليمين الشرقي والغربي. وسوف نتطرق إلى دراسة التركيب المحصولي في كل إقليم من الأقاليم الخمسة في الصفحات القادمة.

الجدول رقم (٢). توزيع المساحة (بالهكتار) المزروعة بالأقاليم الجغرافية بالمملكة خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.

السنوات	المملكة	الأوسط	%	الشرقي	%	الغربي	%	الشمالي	%	الجنوب الغربي	%
2000	1119949	485289	43.3	95910	9	81055	7.2	241090	21.5	216425	19
2001	1211579	527750	43.6	105938	8.7	73327	6.1	264461	21.8	240103	19.8
2002	1224502	556086	45.4	87686	7.2	73816	6	282075	23	224839	18.4
2003	1216039	578553	47.6	81899	6.7	70431	5.8	289498	23.8	195655	16.1
2004	1172743	519215	44.3	68152	5.8	66535	5.7	332709	28.4	186131	15.9
2005	1106727	478808	43.3	69297	6.3	67787	6.1	332853	30.1	157982	14.3
2006	1074155	450964	42	71911	6.7	69754	6.5	327356	30.5	155170	14.4
2007	1074958	448457	41.7	67994	6.3	72747	6.8	335268	31.2	150492	14
2008	971608	367526	37.8	70189	7.2	67657	7	303976	31.3	162260	16.7
2009	834989	314699	37.7	60558	7.3	72376	8.7	240433	28.8	146922	17.6
2010	806682	352151	43.7	57640	7.1	59636	7.4	245037	30.4	92218	11.4
2011	787739	350809	44.5	56167	7.1	59493	7.6	229358	29.1	91912	11.7
2012	745637	339579	45.5	50414	6.8	58164	7.8	205440	27.6	92040	12.3

المصدر: وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الإحصائي السنوي، أعداد متفرقة.

بهدف التعرف على مقدار ما يشغله كل محصول، وأي المحاصيل تحتل مساحة أكثر من غيره في هذه الأقاليم.

٢ - يلاحظ أن هناك عدداً من الأقاليم تزايدت نسبة المساحة المزروعة وأخرى تناقصت ففي الإقليم الأوسط والشمالي تزايدت المساحة من ٤٣.٣٪، ٢١.٥٪ عام ٢٠٠٠ إلى ٤٥.٥٪، ٢٧.٦٪ عام ٢٠١٢ لكل منهما على الترتيب. بينما انخفضت المساحة المزروعة في الإقليم الشرقي من ٩٪ إلى ٦.٨٪، والإقليم الجنوب الغربي من ١٩٪ إلى ١٢.٣٪ لذات الفترة ويعود ذلك للنقص في مساحة

كل من محصولي الحبوب والأعلاف، حيث انخفضت مساحة الحبوب في المنطقة الشرقية (من ٦٨ إلى ٢٢ ألف هكتار) والأعلاف (من ٧ إلى ٥ آلاف هكتار) خلال الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠١٢، وهو ما تكرر في المنطقة الجنوبية الغربية حيث انخفضت مساحة الحبوب من (١٥٦ إلى ١٣٠ ألف هكتار) والأعلاف من (٢٧ إلى ١٨ ألف هكتار) خلال نفس الفترة.

ويشغل التركيب المحصولي في هذه المساحات الزراعية كما في الجدول رقم (٣)، والتي تتركز في أربع مجموعات رئيسية هي مجموعة الحبوب، مجموعة الأعلاف، مجموعة الخضار، ومجموعة الفواكه ومنه نستخلص ما يلي:

١ - تتقارب المساحة المحصولية لكل المجموعة، كما تتباين المجموعات بعضها البعض في نسبتها من المساحة المزروعة في المملكة.

الجدول رقم (٣). مساحة المحاصيل الزراعية (بالهكتار) وأهميتها النسبية في التركيب المحصولي بالمملكة للفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.

السنوات	حبوب	%	اعلاف	%	الخضار	%	فاكهة	%	المجموع
2000	618900	55	213665	19	94034	9	193350	17	1119949
2001	660981	55	244934	20	114341	9	191323	16	1211579
2002	706768	58	211303	17	113083	9	193348	16	1224502
2003	699222	57	204757	17	114447	9	197613	16	1216039
2004	685350	56	168198	14	110618	9	208577	18	1172743
2005	631652	57	142719	13	114905	10	217451	20	1106727
2006	602653	56	137357	13	110566	10	223579	21	1074155
2007	582071	54	151301	14	112163	10	229423	21	1074958
2008	469264	48	160808	17	109023	11	232513	24	971608
2009	328725	39	160356	19	106761	13	239147	29	834989
2010	286932	36	184462	23	108845	13	226443	28	806682
2011	260312	33	187078	24	111168	14	229181	29	787739
2012	212156	28	194808	26	110445	15	228228	31	745637

المصدر: وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الإحصائي السنوي، أعداد متفرقة.

٢ - نجد أن التركيب المحصولي قد تغيرت مساحاته خلال الفترة من ٢٠٠٠ - ٢٠١٢ حيث شكلت الأهمية النسبية لمساحات الحبوب، الأعلاف، الخضار، والفاكهة نحو ٥٥٪، ١٩٪، ٩٪، ١٧٪.

على التوالي من إجمالي المساحة المحصولية المقدرة بنحو ١,١٢ مليون هكتار عام ٢٠٠٠ م. في حين بلغت الأهمية النسبية للمجموعات السابقة نحو ٢٨٪، ٢٦٪، ١٥٪، ٣١٪ على التوالي من إجمالي المساحة المحصولية المقدرة بنحو ٧٤٥,٦ ألف هكتار عام ٢٠١٢ م.

٣ - كان الانخفاض الأكبر من نصيب مساحة الحبوب حيث انخفضت أكثر من النصف بنسبة (-٦٥,٧٪) تلتها في الانخفاض مساحة الأعلاف (-٨,٨٪). وربما يعود ذلك للإجراءات التي اتخذتها وزارة الزراعة كتخفيض سعر شراء القمح من (١,٥ ريال) إلى (١ ريال) كجم بدءاً من موسم ٢٠٠٥ م ووقف توزيع الأراضي الزراعية لمدة خمس سنوات ابتداء من ١٤٢٣/١٢/٢٥ (٢٠٠٣ م) وإيقاف إصدار تصاريح جديدة لمشروعات زراعة الأعلاف مما يعكس تراجع مساحات محاصيل الحبوب والأعلاف.

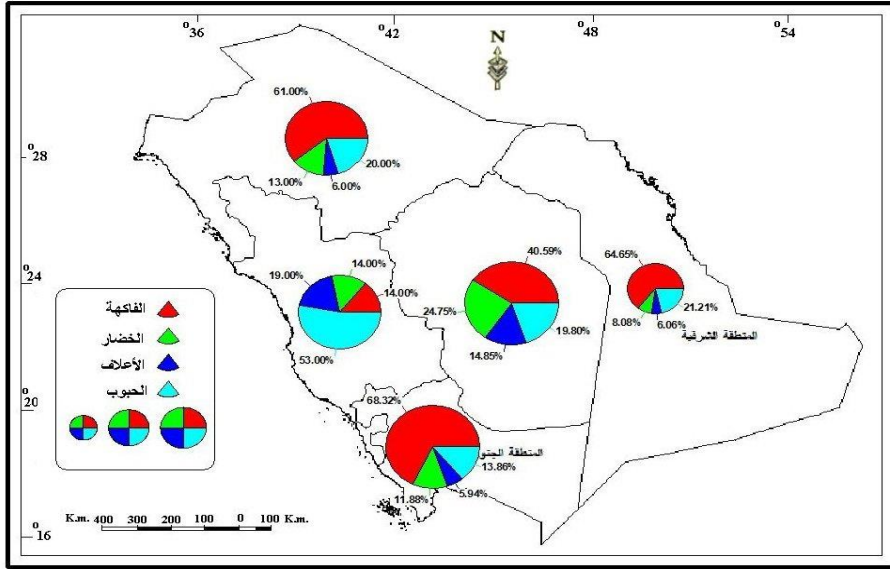
٤ - زيادة الأهمية النسبية لمساحات محاصيل الخضار والفاكهة عام ٢٠١٢ لتصل إلى ١٥٪ و ٣١٪ لكل منهما على الترتيب وذلك لتناقص المساحة الزراعية بالملكة بهدف الحفاظ على الموارد المائية المحدودة وعدم استنزاف هذه الموارد غير المتجددة والمستخدمة في الزراعة، وترشيد الزراعة كثيفة الاستهلاك للمياه مثل زراعة الحبوب والأعلاف والتحول إلى المحاصيل ذات الكفاءة العالية في استخدامات المياه مثل الخضروات والفاكهة.

٥ - مثلت مجموعة الفاكهة المرتبة الأولى حيث بلغت مساحة تصل إلى ٢٢٨ ألف هكتار بنسبة ٣١٪ من إجمالي المساحة المزروعة عام ٢٠١٢

٦ - احتلت مجموعة الحبوب المرتبة الثانية عام ٢٠١٢ بعد أن كانت تحتل المرتبة الأولى حتى عام ٢٠١١، في حين احتلت الأعلاف المرتبة الثانية حتى عام ٢٠٠٣ بين المجموعات المحصولية، وظلت الخضار في المرتبة الرابعة طوال الفترة.

ثانياً: التركيب المحصولي على مستوى الأقاليم الجغرافية بالمملكة:

يشمل التركيب المحصولي المساحات المزروعة بجميع أنواع المحاصيل الرئيسة والتي تشمل محاصيل الحبوب، الأعلاف، الخضار، الفاكهة والتي تتميز بالمرونة والتغير من فترة لأخرى. وسوف يتم دراستها على مستوى المملكة والأقاليم الرئيسة الخمسة لمعرفة أي من هذه الأقاليم قد وجهت إدارة مواردها نحو إحدى المجموعات على حساب الأخرى بهدف الحفاظ على مخزون المياه الجوفية. ويتوقف نمط التركيب المحصولي في منطقة ما على عدة عوامل، أهمها مدى توافر الموارد المائية والرأسمالية والعمالة الزراعية والتقنية المستخدمة ودرجة خصوبة التربة والسياسات الزراعية والدعم الحكومي، بالإضافة إلى العوامل المناخية وأهمها درجة الحرارة ونسبة الرطوبة وحركة الرياح. ومن دراسة الشكل (٣) الذي يوضح الأهمية النسبية للأقاليم الرئيسة بالمملكة والبالغة خمسة أقاليم حيث مثلت متوسط المساحة المحصولية للإقليم الأوسط والشرقي والغربي والشمالي والجنوب الغربي نحو ٤٣,٢٪، ٧,١٪، ٦,٧٪، ١٥,٨٪، ٢٧,٢٪ على الترتيب من متوسط المساحة المحصولية على مستوى المملكة والمقدرة بنحو ١,٠٢ مليون هكتار خلال متوسط الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠١٢م وفي ذلك إشارة إلى أن بعض الأقاليم مثل الوسطى والجنوبية الغربية والشمالية كان لها النصيب الأكبر من المساحة الزراعية.



الشكل رقم (٣). الأهمية النسبية لمساحة مجموعات المحاصيل على مستوى الأقاليم الجغرافية بالمملكة
 كمتوسط للفترة من عام ٢٠٠٠ وحتى عام ٢٠١٢م
 المصدر من إعداد الباحثة اعتماداً على: وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، الإدارة العامة للمساحة العسكرية،
 الرياض، ١٤٢١هـ.

وسوف تتم دراسة التغير في التركيب المحصولي خلال فترة الدراسة (٢٠٠٠ - ٢٠١٢م)، ٠ ملحق (١) والأشكال (١، ٢، ٣، ٤، ٥، على الترتيب في الملاحق) على حساب معدلات التغير بين العامين من خلال مقارنة عام ٢٠١٢م بعام ٢٠٠٠م سواء للمساحة المحصولية الكلية أو مساحات مجموعات المحاصيل الرئيسة من حبوب وأعلاف وخضار وفاكهة.

أولاً: بالنسبة للإقليم الأوسط والذي يضم الرياض والقصيم، يلاحظ انخفاض المساحة الإجمالية المحصولية عام ٢٠١٢م بنسبة ٣٠٪ خلال ثلاثة عشر عاماً وهي فترة الدراسة ويرجع ذلك بصورة أساسية إلى الانخفاض في مساحة الحبوب بنحو ٨٠,٥٪

وإلى توجه الدولة بعدم التوسع في زراعة الحبوب في حين شهدت مساحات كلٍ من الأعلاف، والخضار، والفاكهة زيادة بلغت نسبة تصل إلى ٩,٣٪، ٤٩,٣٪، ٢١,٦٪ على الترتيب خلال عام ٢٠١٢م بالمقارنة بعام ٢٠٠٠م.

ثانياً: أما الإقليم الشرقي فقد انخفضت مساحة المحاصيل فيها عام ٢٠١٢م بنسبة قدرها ٤٧٪ (- ٤٧٪) عن عام ٢٠٠٠م. ويعود ذلك الانخفاض في المساحة المحصولية بصورة أساسية إلى النقص في مساحة كلٍ من الحبوب، الأعلاف، الخضار بنسبة بلغت ٦٦,٨٪، ١٧,٧٪، ٥٢,٧٪ على التوالي، ومرد ذلك ما تعانيه المنطقة الشرقية من نزوب النسبة العظمى من العيون التي كان يعتمد عليها معظم السكان في واحة الاحساء والقطيف وانخفاض مستوى وكميات المياه في القليل المتبقي منها، في حين شهدت مساحة الفاكهة تزايداً بنسبة ٣٠,٨٪ عام ٢٠١٢م عن عام ٢٠٠٠م. وتمثل التمور نسبة كبيرة من الفاكهة بالمنطقة الشرقية حيث شكلت أشجار النخيل فيها نسبة ١٠٪ من إجمالي المملكة من التمور عام ٢٠١٢م.

ثالثاً: يضم الإقليم الغربي المنطقتين الإداريتين مكة المكرمة والمدنية المنورة، ويتمثل التركيب المحصولي فيها في أن مساحة الحبوب، والأعلاف، والخضار، والفاكهة بلغت نحو ٢٥٪، ١٩٪، ١٥٪، ٤١٪ على التوالي من إجمالي المساحة المحصولية عام ٢٠٠٠م، في حين تغيرت الأهمية النسبية للمجموعات السابقة حيث بلغت نحو ٥٪، ١٣٪، ٢٣٪، ٥٩٪ على الترتيب من إجمالي المساحة المحصولية عام ٢٠١٢م، بنسبة انخفاض بلغت لعام ٢٠١٢ حوالي ٢٨٪ (- ٢٨٪) مقارنة بعام ٢٠٠٠، ويعود ذلك لعدم صلاحية كثير من الأراضي الزراعية إما لعدم توفر المياه فيها، أو لارتفاع ملوحة مياهها.

رابعاً: أما فيما يتعلق بالإقليم الشمالي والذي يتكون من المناطق الإدارية حائل، تبوك، الجوف، الحدود الشمالية يلاحظ أن المساحة المحصولية الإجمالية لعام ٢٠١٢م قد انخفضت بنحو ١٥ ٪ وذلك نتيجة لانخفاض مساحات كل من الحبوب والأعلاف حيث تراجعت مساحة كل من الحبوب والأعلاف عام ٢٠١٢م بمعدل انخفاض بلغ - ٣١,٥ ٪، - ٢٢ ٪ لكل منهما في مقابل تزايد نسبة مساحة الخضار والفاكهة بمعدل بلغ ٥,٦ ٪ و ٣٤,٤ ٪ على الترتيب. وذلك يتفق مع اتجاه الدولة نحو تقليص المساحة المزروعة بالحبوب (القمح والشعير) والأعلاف (البرسيم) وذلك بحكم كونها محاصيل تستهلك كميات كبيرة من المياه والعمل على ترشيد استخدام المياه من المصادر غير المتجددة.

خامساً: أما الإقليم الجنوبي الغربي والذي يشتمل المناطق الإدارية عسير، جازان، نجران، الباحة فقد أظهرت النتائج انخفاض المساحة المحصولية الإجمالية بأكثر من النصف حيث بلغت ٥٧,٥ ٪ عام ٢٠١٢م مقارنة بعام ٢٠٠٠م، وذلك انعكاس لانخفاض محاصيل الحبوب والأعلاف والخضار والفاكهة بمعدل نقص بلغ - ٦٨,٤ ٪، - ٣٨ ٪، - ٣٥,٦ ٪، - ١٤ ٪ عام ٢٠١٢م مقارنة بعام ٢٠٠٠م، ويعود تقليص المساحة الزراعية إلى تناقص كمية الأمطار ونقص مياه الري وتملح التربة ومشاكل التسويق في المناطق الجنوبية الغربية.

وقد تم استخدام معامل التوطن لمعرفة نسبة مساحة المحاصيل الزراعية إلى إجمالي المساحة المحصولية في الإقليم، كذلك معرفة نسبة توطن المحاصيل الزراعية في كل إقليم. وتبرز بيانات الجدول (٤) معامل التوطن لمساحة المحاصيل الزراعية بالمملكة عام ٢٠١٢م.

- يستحوذ الإقليم الشمالي على النصيب الأكبر من مساحة محصول الحبوب، في حين يحتل الإقليم الجنوب الغربي والأوسط على المركز الثاني بنسب متقاربة، يلي ذلك الإقليم الشرقي بنسبة ١٠,٦٪، أما الإقليم الغربي فلم تزد نسبته عن ١,٥٪ من الإجمالي.

وتظهر أرقام توطن مساحة محصول الحبوب بالأقاليم الجغرافية عام ٢٠١٢م، حيث يفوق معامل التوطن المعدل العام للمملكة (واحد صحيح) في كل من الأقاليم التالية الجنوب الغربي، الشمالي، الشرقي، في حين يقل عن المعدل العام للدولة في الإقليم الأوسط والغربي، والذي بلغ أدناه (٢)، في الإقليم الغربي، وبلغ أقصاه (١,٩) في الإقليم الجنوب الغربي ويعكس ذلك الأهمية النسبية لهذا المحصول حيث تؤلف الحبوب بأنواعها المختلفة المادة الغذائية الأساسية للإنسان من جهة، وملائمة هذه المناطق لزراعة هذا المحصول من جهة أخرى.

- يستحوذ الإقليم الأوسط على المركز الأول حيث بلغت مساحة الأعلاف نسبة تصل إلى ما يقارب الثلثين (٦٥,١٪) من إجمالي الأعلاف بالمملكة عام ٢٠١٢م، يلي ذلك الأقاليم الشمالي بنسبة شكلت ما يقارب الخمس (١٩,٥٪)، فيما تأتي في المركز الثالث الإقليم الجنوب الغربي بنسبة (٨,٦٪). ويتقاسم النسبة الباقية كل من الإقليم الغربي والإقليم الشرقي والبالغة (٦,٨٪).

وبدراسة الأرقام الخاصة بتوطن محصول الأعلاف في المملكة عام ٢٠١٢م، يتضح أن الإقليم الذي بلغ معامل التوطن فيه (واحد صحيح) هو الإقليم الأوسط (١,٤)، في حين يقل معامل التوطن عن المعدل العام للدولة في باقي الأقاليم الجغرافية. وبلغ هذا الرقم أدناه (٤)، في الإقليم الشرقي وذلك لانخفاض الأهمية النسبية لهذا المحصول، مما يعكس توطن هذا المحصول في أقاليم معينة من المملكة.

يتركز محصول الخضار في الإقليم الأوسط حيث مثل نسبة ٦٢,٢٪ من إجمالي مساحة الخضار بالمملكة عام ٢٠١٢م، بينما يحتل الإقليم الشمالي والغربي المركزين الثاني والثالث بنسبة ١٦٪، ١٢٪ على الترتيب من الإجمالي، وتنخفض نسبة الإقليم الشرقي لتبلغ أدناها (٢,٨٪).

ولقد انعكست الأرقام السابقة على معامل التوطن لمحصول الخضار حيث يظهر توطنها في أقاليم محدودة يأتي في مقدمتها الإقليم الغربي والأوسط، حيث فاق معامل التوطن فيهما المعدل العام للدولة (واحد صحيح)، في حين قلّ معامل التوطن لهذا المحصول عن المعدل العام في باقي الأقاليم المدروسة.

توضح أرقام الجدول السابق تركيز أكثر من ٦٨,٥٪ من مساحة محصول الفاكهة في الإقليم الأوسط والشمالي، حيث شكلت نسبة ٤٢,٣٪، ٢٦,٢٪ على التوالي. أما الإقليم الغربي شكل نسبة بلغت ١٥٪ من إجمالي المملكة. وتتقارب نسبة الإقليم الشرقي والجنوب الغربي ٨,٥٪، ٨٪ لكل منهما.

ويبين أرقام توطن محصول الفاكهة عام ٢٠١٢م توطنها في أقاليم محددة حيث يفوق معامل التوطن (واحد صحيح)، وذلك في كل من الإقليم الغربي والشرقي (١,٩-١,٢)، على الترتيب في حين يتساوى معامل التوطن في الإقليم الأوسط والشمالي (٩)، لكل منهما، بينما ينخفض معامل التوطن للإقليم الجنوب الغربي إلى (٦،).

ثالثاً: التركيب المحصولي حسب الاستخدام الاقتصادي في المملكة:

تتميز المملكة بالتنوع في تركيبها المحصولي والذي يضم أكثر من سبعين نوعاً، تختلف تلك المحاصيل فيما بينها من حيث أهميتها النسبية ومدى إسهامها في المساحة المحصولية، وقد تم تصنيف تلك المحاصيل إلى أربع مجموعات رئيسية وفقاً للاستعمال

الاقتصادي. من دراسة الجدول (٥) يمكن التعرف على تلك المجموعات الزراعية وأهم المحاصيل المزروعة في تلك المجموعات :

(أ) مجموعة محاصيل الحبوب:

تمثل محاصيل الحبوب أهمية كبيرة في التركيب المحصولي في المملكة حيث تمثل نسبة ٥٥٪ من المساحة المحصولية بالمملكة عام ٢٠٠٠م، وتضم ستة محاصيل. وقد تأثرت مساحة الحبوب من السياسة التي اتخذتها الدولة بشكل واضح حيث انخفضت مساحة الحبوب في منطقة الدراسة بمعدل بلغ -٦٥,٧٪ بين عامي. ويتضح من الجدول رقم (٥) أن القمح احتل المرتبة الأولى بين محاصيل الحبوب،

الجدول رقم (٤). معامل التوطن لمساحة المحاصيل الزراعية (بالمكتار) في الاقاليم الجغرافية عام ٢٠١٢

الاقاليم الجغرافية	محصول الحبوب			محصول الأعلاف			محصول الخضار			محصول الفاكهة		
	المساحة	%	التوطن	المساحة	%	التوطن	المساحة	%	التوطن	المساحة	%	التوطن
الإقليم الأوسط	47454	22,4	5,	126778	65,1	1,4	68651	62,2	1,3	96696	42,3	9,
الإقليم الشرقي	22518	10,6	1,6	5475	2,8	4,	3107	2,8	4,	19314	8,5	1,2
الإقليم الغربي	3191	1,5	2,	7690	4	5,	13140	12	1,5	34143	15	1,9
الإقليم الشمالي	89679	42,3	1,6	38023	19,5	7,	17806	16	6,	59932	26,2	9,
الإقليم الجنوبي الغربي	49314	23,2	1,9	16842	8,6	7,	7741	7	5,	18143	8	6,
المجموع	212156	100		194808	100		110445	100		228228	100	

المصدر: من عمل الباحثة اعتماداً على بيانات، وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الاحصائي السنوي، أعداد متفرقة.

بينما يأتي محصول الذرة الرفيعة التي تستخدم كعلف للماشية في المرتبة الثانية، وبذلك يحتكر هذان المحصولان ٨٩ ٪ من مساحة محاصيل الحبوب. أما الذرة الشامية فتأتي في المركز الثالث بين محاصيل الحبوب، بينما لا تتجاوز مساحة الشعير ١ ٪ عام ٢٠١٢م.

ومن خلال متابعة التطور المساحي لمجموعة محاصيل الحبوب في الفترة من ٢٠٠٠ - ٢٠١٢م يتبين أنها دائما تحتل المرتبة الأولى بين مجموعات التركيب المحصولي الأربع ويرجع ذلك التفوق المساحي لمجموعة الحبوب لكونها تضم محاصيل استراتيجية مهمة للإنسان، ولكنها اتجهت نحو الانخفاض المستمر في السنوات الأخيرة من الدراسة.

ب) مجموعة محاصيل الفاكهة:

تشغل مجموعة محاصيل الفاكهة ثاني أكبر مجموعات التركيب المحصولي بالملكة، وقد سبق أن ذكرنا أن محاصيل الفاكهة احتلت المركز الثاني منذ عام ٢٠٠٤م، كما احتلت المركز الأول عام ٢٠١٢م، وتكاد تتركز في ثلاثة أنواع، يحتكر محصول التمر المركز الأول بين مجموعة محاصيل الفاكهة حيث تستحوذ على ١٥٧ ألف هكتار تمثل أكثر من ثلثي مساحة الفاكهة بنسبة ٦٩ ٪ من مساحة محاصيل الفاكهة، بينما لا تتجاوز مساحة محصول الموالح والعنب نسبة ٥ ٪ لكل منهما.

ج) مجموعة محاصيل الأعلاف:

تشكل مجموعة محاصيل الأعلاف ثالث مجموعة في التركيب المحصولي بالملكة بنسبة ٢٦ ٪ من المساحة المحصولية عام ٢٠١٢م. ومن خلال متابعة التطور المساحي لمجموعة الأعلاف يتضح أنها كانت تأتي في الترتيب الثاني بين مجموعات التركيب

المحصولي من بداية الفترة وحتى عام ٢٠٠٤م، وذلك على الرغم من تذبذب مساحتها بين الارتفاع والانخفاض، وتضم هذه المجموعة بشكل أساسي محصول البرسيم إلى جانب بعض محاصيل الأعلاف الثانوية.

(د) مجموعة محاصيل الخضر:

تعتبر أكبر المجموعات من حيث تنوع المحاصيل التي تضمها. وتعد مجموعة محاصيل الخضر ضمن المحاصيل التي تشهد توسعا وصعودا في مساحتها فمن خلال ملاحظة تطور مساحتها عبر فترة الدراسة يتضح أنها لم تمثل سوى ٨ ٪ من المساحة المحصولية بالمملكة عام ٢٠٠٠م، ثم تضاعفت مساحتها واتجهت نحو الصعود المستمر طوال فترة الدراسة. ويمثل محصول الطماطم والبطاطس أهم ملامح مركب محصول الخضروات بالمملكة، ولا شك أن هذين المحصولين يعدان من أهم المحاصيل التي يتزايد الطلب عليها للاستهلاك المحلي كما تعد من أعلى محاصيل الخضار ربحية.

رابعا: توزيع التركيب المحصولي حسب موسم زراعتها:

تعد دراسة التركيب المحصولي حسب الموسم الزراعي على جانب كبير من الأهمية لارتباطها بشكل أساسي بتقدير حجم الاحتياجات المائية اللازمة للري، والتي تختلف باختلاف الموسم الزراعي حيث تتباين الظروف المناخية والتي لها دور فعال في تحديد الاحتياجات المائية، إضافة إلى اختلاف خصائص المحاصيل في كل موسم من حيث استهلاكها للمياه. لذا سوف نتناول بالدراسة المساحة المحصولية للموسم الشتوي والصيفي والبيوت المحمية والدائمة خلال فترة الدراسة، ثم دراسة التركيب المحصولي للأنواع السابقة لعام ٢٠١٢م بشيء من التفصيل.

١- تطور مساحة المحاصيل خلال المواسم المختلفة:

بالنظر في جدول رقم (٦) والشكل (٤) لمعرفة تطور المساحة المحصولية الزراعية خلال المواسم المختلفة بالمملكة التي تضم الموسم الشتوي والصيفي والدائمة والبيوت المحمية يتضح الاتي:

١ - تستحوذ محاصيل الموسم الشتوي على ما يقرب من نصف المساحة المحصولية بالمملكة معظم فترة الدراسة، ويعود ذلك إلى تنوع التركيب المحصولي، إلى جانب أنها تضم أكبر المحاصيل المنزرعة في المملكة وهو محصول القمح والذي يعد بلا منازع محصول الشتاء الرئيس، كذلك الذرة الرفيعة والخضروات وهي من المحاصيل التي تحتل مراكز متقدمة على مستوى التركيب المحصولي. وقد ظل الموسم الشتوي محتفظاً بمركز الصدارة من إجمالي المساحة المحصولية بالمملكة، حيث شكل نحو ٥٥ ٪ من إجمالي المساحة المحصولية ثم اتجه نحو الزيادة حتى عام ٢٠٠٤م ثم شهد تراجعاً في المساحة عام ٢٠١٢م بمعدل تغير بلغ - ٦٠ ٪ عن عام ٢٠٠٠م الأمر الذي يعزي إلى انكماش مساحة محصول القمح والشعير والذرة الرفيعة والذرة الشامية. كذلك يتضح من الجدول السابق الارتباط العكسي بين مساحة الموسم الشتوي ومساحة البيوت المحمية فمن الواضح زيادة مساحة محاصيل الأخيرة في نفس الفترة التي هبطت فيها مساحة الموسم الشتوي.

الجدول رقم (٥) التركيب النوعي لمجموعة مساحة (بالهكتار) محاصيل الحبوب والفاكهة والأعلاف والخضار بالمملكة خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.

الحبوب	٢٠٠٠	%	٢٠١٢	%	الفاكهة	٢٠٠٠	%	٢٠١٢	%	الأعلاف	٢٠٠٠	%	٢٠١٢	%	محاصيل الحبوب	٢٠٠٠	%	٢٠١٢	%
القمح	419220	68	144169	68	التينور	142450	74	156848	69	البرسيم	131090	61	125683	64,5	الخضار	2000	13	12458	13
الشعير	25350	4,1	2044	1	المواخ	14527	8	12029	5	أعلاف أخرى	82575	39	69125	35,5	الباذنجان	4852	5	3910	5
الذرة الشامية	6464	1	15328	7,3	العنب	8250	4	12408	5	مجموع الأعلاف	213665	100	194808	100	الكوسا	6150	7	6278	7
الذرة الرفيعة	158582	25,6	45438	21,4	فاكهة أخرى	28123	15	46943	21						الحار	2723	3	3275	3
المسمم	2352	0,4	1854	0,9	مجموع الفاكهة	193350	100	228228	100						الباميا	6568	7	3680	7
المدخن	6522	1,1	2844	1,3											الجزر	3120	3	3517	3
محاصيل أخرى	180	-	279	0,1											البطاطس	14524	15	16020	15
مجموع الحبوب	618900	100	212156	100											البصل الجاف	3158	3	3945	4
															الشمام	7255	8	12363	11
															البطيخ	14425	15	18151	16
															حفظوات أخرى	18801	20	22096	20
															مجموع الخضار	94034	100	110445	100
% من إجمالي المساحة	55		28,5													8			15

المصدر: من عمل الباحثة اعتمادا على وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الإحصائي السنوي، أعداد متفرقة.

تغير التركيب المحصولي في المملكة العربية السعودية ...

٢ - يحتل الموسم الصيفي المركز الثاني من حيث المساحة المحصولية حيث تشكل نسبة ٣٦,٢ ٪ من إجمالي المساحة المحصولية عام ٢٠١٢م، ومن الملاحظ على تطور مساحة الموسم الصيفي هو التذبذب الطفيف نحو الزيادة بنسبة شبه ثابتة من المساحة المحصولية بلغ المتوسط ٢٨ ٪. ومن دراسة الجدول والشكل يتضح أن مساحة الموسم الصيفي بلغ في بداية الفترة نحو ٣١٣ ألف هكتار وظلت تدور حول هذا الرقم تارة بالنقصان وأخرى بالزيادة حتى عام ٢٠٠٤م حيث بدأت تتجه للنقصان، ولكنها انتزعت المركز الأول من الموسم الشتوي في نهاية الفترة المدروسة حيث سجلت نسبة ٣٦,٢ ٪ في مقابل ٣٢,١ ٪ للأخيرة، معنى ذلك أن مساحة الموسم الصيفي انخفضت بمعدل ١٣,٨ ٪ على مدار ١٣ عاما أي معدل الانخفاض السنوي حوالي ٤,٧ ٪ الأمر الذي يعود إلى انكماش مساحة محاصيل الذرة الرفيعة والذرة الشامية حيث انخفضت مساحة الحبوب إلى النصف تقريبا فمن ٦١ ألف هكتار عام ٢٠٠٠م إلى نحو ٣١ ألف هكتار عام ٢٠١٢م.

٣ - تأتي المحاصيل الدائمة في المركز الثالث فقد شهدت مساحة المحاصيل الدائمة نموا ملحوظا طوال سنوات الدراسة فقد تضاعفت من ١٩٣ ألف هكتار في عام ٢٠٠٠م إلى أكثر من ٢٢٨ ألف هكتار في نهاية الفترة وقد بلغ معدل النمو السنوي ١,٤ ٪ ويعود ذلك لكونها تضم أكبر المحاصيل المنزرعة في المملكة على الإطلاق وهو محصول التمور الذي يعد بلا منازع أهم المحاصيل الدائمة في المملكة، إلى جانب محاصيل أخرى كالعنب والمواالح والرمان وهي من أنواع الفاكهة المزروعة في المملكة.

٤ - تحتل الزراعة في البيوت المحمية المركز الأخير، وأهم محاصيلها الخضروات كالطماطم والخيار، وقد أخذت مساحتها في الارتفاع التدريجي حيث بلغت مساحتها حوالي ٣٠٠٠ هكتار عام ٢٠٠٠م بنسبة لم تزد عن ٠,٣ ٪ من المساحة المحصولية،

ارتفعت مساحتها إلى ٨ آلاف هكتار لتمثل نسبة ١,١ ٪ من جملة المساحة المحصولية بالدولة عام ٢٠١٢م وذلك بمعدل نمو سنوي بلغ ٢٣٪.

٢- تغير التركيب المحصولي للموسم الشتوي والصيفي:

سوف نناقش في الصفحات التالية أهم المحاصيل السائدة لكل موسم زراعي ومساحتها بشكل موجز بهدف إبراز أهم ملامح التركيب المحصولي لكل موسم على حدة تمهيداً لمعرفة المحاصيل الرئيسة التي تشكل هرم التركيب المحصولي بالمملكة. (سيتم دراسة المحاصيل الرئيسة ويستبعد المحاصيل الثانوية التي تمثل نسباً ضعيفة في المساحات المزروعة).

أ) تغير المركب المحصولي للموسم الشتوي:

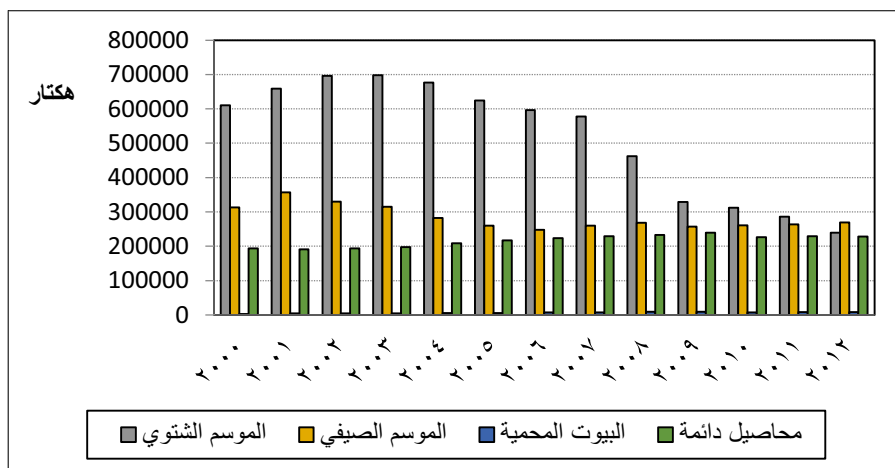
يضم الموسم الشتوي مجموعات متنوعة من المحاصيل أهمها على الإطلاق محاصيل الحبوب متمثلة في القمح والشعير والذرة الرفيعة حيث تستأثر بأكثر من ٥٤٤ ألف هكتار تشكل ٨٩,٣ ٪ من المركب المحصولي الشتوي عام ٢٠٠٠م، انخفضت إلى ما يقارب ١٧١ ألف هكتار تشكل ٧١ ٪ من مساحة المركب المحصولي الشتوي عام ٢٠١٢م، يليها محاصيل الخضار ٢٩ ألف هكتار تشكل نسبة ٥٪ ارتفعت نسبتها عام ٢٠١٢م إلى ١٤,٥ ٪ من مساحة المركب الشتوي بالمملكة.

يتضح من دراسة الجدول (٧) الآتي : أنه يمكن من خلال نسب التغير لمساحات أنواع المحاصيل الشتوية تقسيم هذه المحاصيل إلى :

الجدول رقم (٦). تطور المساحة المحصولية (بالهكتار) بالملكة وفقا لموسم زراعتها خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.

الموسم/ السنوات	2000	2001	2002	2003	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012
الموسم الشتوي	610807	658396	696252	698232	624429	596051	577829	461736	328882	311875	286494	239569
%	55	54,3	56,9	57,4	56,4	55,5	53,8	47,5	39,4	38,7	36,4	32,1
الموسم الصيفي	312840	356941	330309	315348	259697	247501	259993	268438	257288	260535	264070	269642
%	28	29,5	27	25,9	23,5	23	24,2	27,6	30,8	32,3	33,5	36,2
البيوت المحمية	2952	4919	4593	4845	5150	7024	7713	8921	9672	7829	7994	8198
%	0,3	0,4	0,3	0,4	0,5	0,7	0,7	0,9	1,2	1	1	1,1
محاصيل دائمة	193350	191323	193348	197613	217451	223579	229423	232513	239147	226443	229181	228228
%	17,3	15,8	15,8	16,3	19,6	20,8	21,3	24	28,6	28	29,1	30,6
المجموع	1119949	1211579	1224502	1216038	1106727	1074155	1074958	971608	834989	806682	787739	745637
%	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

المصدر: من عمل الباحثة اعتمادا على وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الاحصائي السنوي، أعداد متفرقة.



الشكل رقم (٤). تطور المساحة المحصولية (بالهكتار) في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.

المصدر: من عمل الباحثة اعتمادا على الجدول رقم (٦)

ب) محاصيل تغير معدل مساحتها بالزيادة وتشمل:

١- الذرة الشامية (الذرة الصفراء): تعتبر الذرة الشامية من أهم الحبوب التي تستعمل كغذاء للإنسان، وكعلف للحيوان وفي الصناعة، وترجع الزيادة في مساحته إلى أهميته كعلف للحيوان وذلك لتغطية الاحتياجات المتزايدة من هذا المحصول والتي تعتمد مشاريع إنتاج الدجاج اللحم ومشاريع إنتاج بيض المائدة بصورة أساسية عليه في التغذية. وتوجد زراعته في منطقة حائل إذ تزرع فيها أكبر مساحة من الذرة الشامية شكلت

٢٠٠٠م ارتفع إلى نسبة ٧٣٪، يليها منطقة الرياض بنسبة ١٨,٦٪ من جملة المساحة المزروعة ذرة شامية بالمملكة عام ٢٠١٢م.

٢- البصل الجاف: يعد البصل أحد المحاصيل الشتوية حيث يختفي من المجموعة المحاصيل الصيفية، ويتركز معظم الإنتاج في منطقتي الرياض والجوف حيث شكل إنتاجهما ٥٧٪ من جملة المساحة الشتوية المزروعة بهذا المحصول عام ٦٤٪ عام ٢٠١٢م.

٣- البطاطس: تعد من أهم المنتجات الزراعية واسعة الاستعمال سواء في الغذاء أو كأعلاف أو في الصناعة. وقد دلت التجارب على نجاح بعض الأصناف الجيدة وملاءمتها لظروف المملكة خاصة المائية، مما شجع وزارة الزراعة على التعاون مع وزارة الزراعة الهولندية لوضع برنامج أسمته (برنامج تطوير وتحسين زراعة البطاطس) منذ أكثر من خمس وعشرين سنة.

وقد بدأ كثير من المزارعين في السنوات الأخيرة يوجهون أهمية خاصة لإنتاج البطاطس وذلك:

• زيادة الطلب عليه من السكان كغذاء.

• استخدامه في عدد من الصناعات الغذائية مثل شرائح البطاطس وأصابع البطاطس وغيرها.

• إمكانية تخزينه. (من ٤ - ٦ شهور)، وتنظيم عرضه في الأسواق.

• يستخدم كعلف للحيوان.

بلغت مساحة محصول البطاطس في بداية الفترة ٧٣٩٣ هكتار تشكل ١٪ من جملة المساحة المحصولية الشتوية عام ٢٠٠٠م، إلا أن مساحة البطاطس شهدت نموا ملحوظا طوال سنوات الدراسة فقد بلغت في نهاية الفترة حوالي ٨٧١٠ هكتار بمعدل تغير بلغ ١٨٪ من سنة الأساس.

٤ -الجزر: يمثل محصول الجزر أحد محاصيل الخضر الجذرية الهامة لقيمتها الاقتصادية والغذائية. وتتركز زراعته في المنطقة الوسطى في محافظتي الرياض والقصيم وتتصدر الرياض المساحة، إلا أن النسبة انخفضت إلى ٤٧٪ نهاية الفترة. في حين شهدت مساحة هذا المحصول زيادة هائلة في منطقة القصيم حيث تضاعفت أكثر من ستة أضعاف في مدة ثلاث عشرة سنة لتصبح ١٤٨٢ هكتار تشكل ٤١٪ عام ٢٠١٢م لتصبح ثاني منطقة في زراعة الجزر بالمملكة.

ج) محاصيل تغير معدل مساحتها بالنقصان وتشمل:

١- الشعير: تناقصت المساحات المزروعة بالشعير لصالح مساحات محصول الذرة الشامية، الذي تفوق عليه بمعدل تغير بلغ ٥٨٩٪ عام ٢٠١٢م. ونظرا لأهمية زراعة الشعير كغذاء للإنسان أو كعلف للحيوان فقد بدأت مساحة الشعير تتزايد منذ عام ١٩٨٧م، إلا أن هذه المساحة أخذت بالانخفاض بمعدل نقص بلغ - ٩٢٪ عام ٢٠١٢م، وذلك انطلاقا من اهتمام وزارة الزراعة والمياه بموضوع ترشيد استخدام المياه والمحافظة عليها وتوجيه الموارد المائية النادرة إلى إنتاج محاصيل غذائية ذات احتياجات

مائة أقل وقيمة مضافة أعلى فقد تم الحد من الإنتاج المتسارع للشعير. وتعد المملكة من كبريات الدول المستهلكة للشعير في العالم حيث يستخدم بصفه رئيسية كعلف للحيوان، وبصفة خاصة لتغذية الأغنام. وفي تقرير لجريدة الجزيرة في ١٩ / ٧ / ٢٠١١ م ذكر أنها تستهلك بحسب متخصصين في المجال الزراعي ٤٠ - ٥٠ في المائة من إنتاج الشعير عالميا بحسب الإحصاءات ويرجع سبب ارتفاع استهلاك المملكة من الشعير إلى التوجه لشراء الشعير بديلاً لأنواع مختلفة من الأعلاف من بينها الذرة الصفراء، والتي يبلغ سعر الطن عالمياً ٣٣٥ دولاراً للطن بينما يتراوح سعر الشعير ما بين ٢٧٠ إلى ٣٠٩ دولارات للطن.

٢- الذرة الرفيعة: تناقصت مساحتها عام ٢٠١٢م بنسبة تناقص مقدارها (- ٧٥ %) عن المساحة سنة الأساس، وتعتبر الذرة الرفيعة من المحاصيل الصيفية التي تتحمل الحر والجفاف والملوحة أكثر من غيرها من المحاصيل. وقد يكون تراجع مساحتها مرده المنافسة من محصول الذرة الشامية والتي تتفوق على الذرة الرفيعة من حيث تنوع استخداماتها وقيمتها الغذائية ووفرة إنتاجها. وتزرع جيزان أكبر مساحة من الذرة الرفيعة في المملكة تليها في المساحة منطقتي مكة المكرمة وعسير في سهول تهامة. وتوجد زراعته في هذه المناطق لما تتميز به من جو دافئ طوال العام ويزرع بغرض إنتاج الحبوب التي تستخدم في تلك المناطق في بعض الأكلات الشعبية ولتغذية الحيوانات والطيور وذلك على عروتين شتوية وصيفية ويعتمد بصفة عامة على الزراعة البعلية، أما في المناطق الأخرى فيزرع لإنتاج الأعلاف الخضراء فقط. (وزارة الزراعة، ص ١٢٣).

الجدول رقم (٧). تغير المساحة المحصولية (بالهكتار) خلال الموسم الشتوي والصيفي بالمملكة خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.

الصيفي						الشتوي					
معدل تغير	%	2012	%	2000	اسم المحصول	معدل التغير %	%	2012	%	2000	اسم المحصول
						66-	60	144169	69	419220	القمح
						92-	1	2044	4	25550	الشعير
65 -	8	20640	19	59146	الدرة الرفيعة	75-	10	24798	16,3	99436	الدرة الرفيعة
61	3	8835	2	5493	الدرة الشامية	589	3	6693	0,2	971	الدرة الشامية
						57-	1	2248	1	5258	الدخن
43	2	4873	1	3401	الطماطم	2,3	3	8310	1,3	8105	الطماطم
5 -	1	2084	1	2186	الباذنجان	31,5-	1	1826	0,4	2666	الباذنجان
3	1	3636	1	3536	الكوسا	6,5-	1	2445	0,4	2614	الكوسا
51 -	1	1844	1	3792	الباميا	33,9-	1	1836	0,4	2776	الباميا
						13	1	3517	1	3120	الجزر
3	3	7310	2	7131	البطاطس	18	4	8710	1	7393	البطاطس
70	5	12363	2	7255	الشمام	25	2	3945	1	3158	البصل الجاف
26	7	18151	5	14425	البطيخ	63,7-	88	210541	96	580267	جملة المحاصيل الشتوية الرئيسية
21	4	11077	3	9174	خضروات أخرى	11	4	9709	1	8733	خضروات أخرى
9 -	66	17630 1	63	19393 9	أعلاف أخرى	6-	8	18507	3	19726	أعلاف أخرى
14 -	100	26711 4	100	30947 8	جملة المحاصيل الصيفية	60,8-	100	238757	100	608726	جملة المحاصيل الشتوية

المصدر: من عمل الباحثة اعتمادا على وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الاحصائي السنوي، أعداد متفرقة.

٣- القمح: أهم محاصيل الحبوب من حيث القيمة الغذائية، وتعود زراعته في معظم مناطق المملكة ماعدا جيزان لعدم ملائمة مناخها لإنتاج القمح، ويتصدر المحاصيل الشتوية من حيث المساحة المزروعة عام ٢٠٠٠م، ويعزى ما تحقق من إنجاز في مجال إنتاج القمح إلى الدعم السخي الذي قدمته الدولة للمزارعين والمستثمرين والمتمثل في السعر التشجيعي لشراء المحصول بالإضافة إلى الإعانات المقدمة لوسائل الانتاج، إلا أن المساحة المزروعة قمحا قد تناقصت عام ٢٠١٢ م بنسبة تغير (- ٦٦٪) من سنة الأساس. وقد تركزت أكبر مساحاته في المنطقة الوسطى خاصة القصيم تليها الرياض فحائل عام ٢٠٠٠م، إلا أن منطقة الجوف احتلت الصدارة تليها منطقة الرياض عام ٢٠١٢م.

ومن المحاصيل التي انخفضت مساحتها الدخن (- ٧٥٪)، وبعض الخضروات كالبايما والباذنجان والكوسا عام ٢٠١٢م.

ثانيا: تغير المركب المحصولي للموسم الصيفي:

بلغت جملة المحاصيل الصيفية في المملكة ٢٦٧١١٤ هكتار عام ٢٠١٢م بعد أن كانت مساحتها ٣٠٩٤٧٨ هكتار عام ٢٠٠٠م بنسبة نقص مقدارها (- ١٤٪) من سنة الأساس، وقد بلغت المحاصيل الصيفية ٥٣٪ من إجمالي المساحة المحصولية الشتوية والصيفية.

من تحليل الجدول السابق (٧) يتبين الآتي: -

(أ) محاصيل معدل تغيرها بالزيادة:

١- الشمام: زادت معظم مساحات المحاصيل الصيفية بنسب متفاوتة، وعلى رأس هذه المحاصيل محصول الشمام بمعدل تغير ٧٠٪ من سنة الأساس.

٢- الذرة الشامية: زادت مساحة الذرة الشامية بمعدل تغير بلغ ٦١ ٪ من سنة الأساس. وترجع الزيادة في مساحته إلى أهميته كغذاء للإنسان وكعلف للحيوان وهو من المحاصيل الصيفية المهمة كما ينتج كمحصول شتوي، وتحتل منطقة حائل المركز الأول على مستوى مناطق المملكة في إنتاجه عام ٢٠١٢م حيث شكلت نسبة ٨٨ ٪ من جملة إنتاج المملكة.

٣- الطماطم: تعد الطماطم أهم أصناف الخضروات المنتشرة زراعتها في جهات المملكة المختلفة، وينتج الطماطم كمحصول شتوي وصيفي، ويتميز محصول الطماطم الشتوي بالانتشار في المناطق أكثر، أما الطماطم الصيفي فمحدود الانتشار بسبب احتياجها الى كميات كبيرة من المياه، ويتركز في مناطق محدده أهمها منطقة الرياض بنسبة ٣٤ ٪ عام ٢٠١٢م. وتساهم زراعة الطماطم في البيوت المحمية بإنتاج يبلغ (١١٠) ألف طن، التي تتميز بارتفاع إنتاجها في وحدة المساحة بالإضافة إلى تدني احتياجاتها المائية.

ومن المحاصيل التي زادت مساحتها البطيخ (٢٦٪) والبطاطس والكوسا.

ب) محاصيل تغير معدل مساحتها بالنقصان وتشمل:

١- الذرة الرفيعة: تناقصت مساحته بنسبة تناقص مقدارها (- ٦٥ ٪) عن مساحة سنة الأساس، وهذا التناقص كان لصالح محاصيل متنوعة مثل الذرة الشامية والطماطم والشمام. وتزرع جيزان أكبر مساحة من الذرة الرفيعة إذا تشكل ٩٤ ٪ من جملة المساحة الصيفية عام ٢٠١٢م.

٢- الباميا: تعتبر الباميا من محاصيل الخضر الصيفية الهامة. ولقد تناقصت المساحة المزروعة بمحصول الباميا بمعدل انخفاض قدره (- ٥١ ٪) من سنة الأساس.

وجاء هذا التناقص لصالح محصولي البطاطس والشمام والبطيخ وهي من المحاصيل سريعة الربح.

نستنتج مما سبق أنه يمكن تقسيم كافة المحاصيل الشتوية والصيفية بحسب معدلات التغير السالب أو الموجب إلى فئات على النحو التالي: -

١- محاصيل معدل تغيرها بالموجب:

١ - محاصيل زاد التغير في مساحتها عالٍ جداً (أكثر من ١٠٠٪)، ويمثلها الذرة الشامية (الذرة الصفراء) (٥٨٩٪) من سنة الأساس.

٢ - محاصيل معدل تغيرها عالٍ (٦٠ - ١٠٠٪)، ويمثلها الشمام (٧٠٪)، الذرة الشامية كمحصول صيفي (٦١٪) من سنة الأساس.

٣ - محاصيل معدل تغيرها متوسط (٣٠ - ٦٠٪) يمثلها الطماطم (٤٣٪) من سنة الأساس.

٤ - محاصيل معدل تغيرها منخفض (أقل من ٣٠٪) وتشمل البصل الجاف (٢٥٪)، البطاطس (١٨٪)، الجزر (١٣٪) من سنة الأساس.

٢- محاصيل معدل تغيرها بالسالب:

١ - محاصيل معدل تغيرها عالٍ (٦٠ - ١٠٠٪) ويمثلها الشعير (٩٢٪)، الذرة الرفيعة (٧٥٪)، القمح (٦٦٪)، الذرة الرفيعة (٦٥٪) من سنة الأساس.

٢ - محاصيل معدل تغيرها متوسط (٣٠ - ٦٠٪)، ويمثلها محصول الباميا (٥١٪) من سنة الأساس.

(انظر نوال حامد ص ١٧٦ - ١٧٧).

خامسا: التركيب المحصولي في منطقة الجوف:

مع اتساع رقعة المملكة العربية السعودية وتعدد المناطق الزراعية واختلاف التركيب المحصولي في تلك المناطق تبعا للظروف الطبيعية والمناخية لكل منطقة، ولعدم إمكانية دراسة جميع تلك المناطق دراسة وافية في مثل هذا البحث لحاجة كل منطقة إلى دراسة تفصيلية، فقد أجريت دراسة حالة للتركيب المحصولي في منطقة الجوف والتي تتميز بأنها:

١ - شهدت نهضة زراعية زادت فيها المساحة المحصولية من ٦٨ ألف هكتار عام ٢٠٠٠ إلى ٨١ ألف هكتار عام ٢٠١٢، حيث تزايدت أشجار النخيل فيها من ٥٨٠٧٦٨ شجرة عام ١٩٩٩ إلى ١٢٥٦١٥٦ شجرة عام ٢٠٠٨، كما تزايدت أشجار الزيتون من ٢٠١٥٢٤٩ شجرة عام ١٩٩٩ إلى ٤٧٢٧٩٥٣ شجرة عام ٢٠١١.

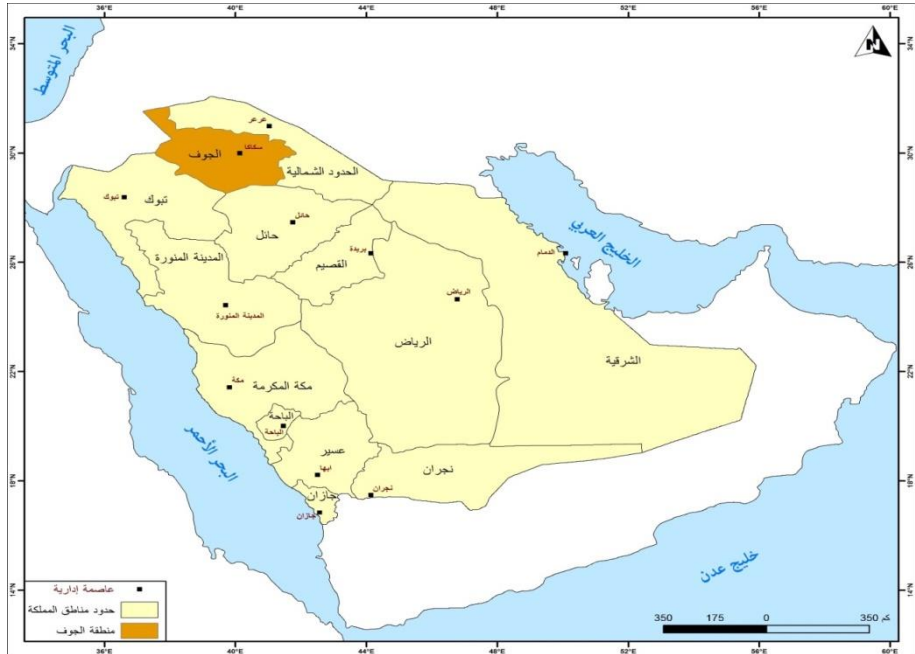
٢ - تمثل مساحة الأراضي الموزعة بموجب نظام توزيع الأراضي البور في منطقة الجوف حتى نهاية ٢٠٠٤ ما نسبته ١٤٪ (٤٦٤٦٧٤ هكتار) من إجمالي الأراضي البور الموزعة على مناطق المملكة، وهي بذلك تحتل المركز الثالث بعد منطقتي الرياض وحائل، مما كان له الأثر الأكبر في تحقيق التنمية الزراعية بالمنطقة.

٣ - توجد بمنطقة الجوف ست شركات زراعية كبيرة تقع في سهل البسيطاء وهي شركة الجوف الزراعية، شركة نادك، شركة الخريف، شركة المكيرش، شركة المحاصيل الحقلية. وتمثل مساحة الأراضي الموزعة للشركات الزراعية بمنطقة الجوف وحدها ٣٩,٣٪ من إجمالي المملكة حتى عام ٢٠٠٤.

تقع منطقة الجوف في الجهة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية، تحدها من الشمال المملكة الأردنية ومنطقة الحدود الشمالية ومن الشرق منطقة الحدود الشمالية ومن الجنوب منطقتا حائل وتبوك ومن الغرب المملكة الأردنية ومنطقة تبوك. وتمتد فلكيا

بين خطي طول (٣٠، ٣٨، ٤١، ٥٠) شرقاً وبين دائرتي عرض (٣٠، ٢٩، ٣٠، ٣٠) شمالاً. وهي بموقعها الفلكي هذا تقع ضمن نطاق المناخ الصحراوي القاري الذي يتميز بأنه حار جاف صيفاً قارس البرد في فصل الشتاء (الشمراني، ١٩٩٤، ص ٢٦)، مما كان له الأثر الكبير في الظروف الجغرافية الخاصة بالمنطقة شكل رقم (٥).

وتبلغ مساحة منطقة الجوف حسب تقديرات هيئة المساحة الجيولوجية عام ٢٠١٢ حوالي (٨٥.٠٠٠ كم^٢) وهو ما يعادل ٤.٣٪ من المساحة الإجمالية للمملكة. وتنقسم منطقة الجوف إلى مقر الإمارة (سكاكا) ومحافظتين هما (القريات) ومحافظة (دومة الجندل). وبلغ تعداد سكانها حسب تقديرات مصلحة الإحصاءات العامة حتى عام ٢٠١٠م، ٤٤٠,٠٠٩ ألف نسمة.



الشكل رقم (٥). موقع منطقة الجوف من المملكة العربية السعودية.

المصدر: هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، خريطة المناطق الإدارية، ٢٠٠٣، الرياض.

وتشير بيانات الجدول (٨) الذي يبين مساحة الأراضي الزراعية في منطقة الجوف إلى أن هناك توسعاً في الأراضي الزراعية :

١ - زادت مساحة الأراضي الزراعية من ١٣٥٥٦ هكتار عام ١٩٨٢ إلى ٢٧٩٥٩١ هكتار عام ١٩٩٩ بنسبة زيادة ١٩٦٢,٥٪ عن عام ١٩٨٢ ، حيث توافقت تلك الفترة مع حركة متزايدة في للمشاريع الزراعية ذات الطبيعة الاستثمارية سواء كانت مشاريع فردية أو شركات.

٢ - تشغل الأراضي المستثمرة مساحة ٧ آلاف هكتار عام ١٩٨٢م بنسبة ٥٥٪ من مساحة الأراضي الزراعية ارتفعت إلى ١٤٤ ألف هكتار عام ١٩٩٩ ، ورغم ذلك تراجع نسبته إلى ٥٢٪ من إجمالي مساحة الأراضي الزراعية. وقد يعود ذلك إلى زيادة مساحة الأراضي المتروكة للراحة.

٣ - ارتفعت مساحة الأراضي غير المستثمرة من ٦ آلاف هكتار عام ١٩٨٢ إلى ١٣٥ ألف هكتار عام ١٩٩٩ بنسبة زيادة ٢٠٨٩٪ عن عام ١٩٨٢ ، مما يشير إلى أن هناك مجالاً لإمكانية التوسع الأفقي في الأراضي الزراعية بالمنطقة.

الجدول رقم (٨). مساحة الأراضي الزراعية(بالهكتار) المستثمرة وغير المستثمرة في منطقة الجوف.

السنوات	أراضي مستثمرة		أراضي غير مستثمرة		إجمالي المساحة
	المساحة	%	المساحة	%	
1982	7396	54,6	6160	45,4	13556
1999	144722	52	134869	48	279591
نسبة التغير	1856,8		2089		1962

المصدر: وزارة الزراعة والمياه، التعداد الزراعي الشامل لعامي ١٩٨٢/١٩٩٩.

مما سبق نستنتج أن الأراضي المستثمرة في عام ١٩٩٩م قد تضاعفت حوالي عشرين ضعفا عما كانت عليه عام ١٩٨٢.

أولاً: نمو المساحة المحصولية بمنطقة الجوف:

يعد نمو المساحة المحصولية مؤشراً واضحاً على حجم الإنتاج الزراعي فهو يعني إجمالي مساحة المحصولات المزروعة على مدار العام. ومن تتبع بيانات نمو المساحة المحصولية في منطقة الجوف الواردة في الجدول رقم (٩) والشكل (٦) نلاحظ أن المساحة اتخذت اتجاهًا تصاعدياً حتى عام ٢٠٠٤م، وذلك للزيادة في إقامة المشاريع الزراعية في منطقة الجوف والتي تعود في معظمها إلى أفراد ومستثمرين من خارج المنطقة إذ أن فرص الاستثمار في الجوف مشجعة عند مقارنتها بتساؤل فرص الاستثمار الزراعي في المناطق الأخرى من المملكة. وتتركز معظم تلك المشاريع الزراعية في سهل بسيطاً بوادي السرحان والتي تبعد عن سكاكا حوالي ٢٠٠ كم، حيث تمثل مساحة الأراضي الموزعة على الشركات بمنطقة الجوف وحدها نحو ٤٤.٣ ٪ من إجمالي المساحات الموزعة على كل مناطق المملكة، إذ تقدر متوسط المساحة الموزعة بنحو ٢٠,٤ ألف هكتار للشركة الواحدة في منطقة الجوف (الشمrani، ١٩٩٤، ص ٩٠)، إلا أن المساحة أخذت نحو الانخفاض التدريجي حتى عام ٢٠١٢، ويلاحظ أن نمو المساحة المحصولية بمنطقة الجوف خلال فترة الدراسة قد مر بفترتين:

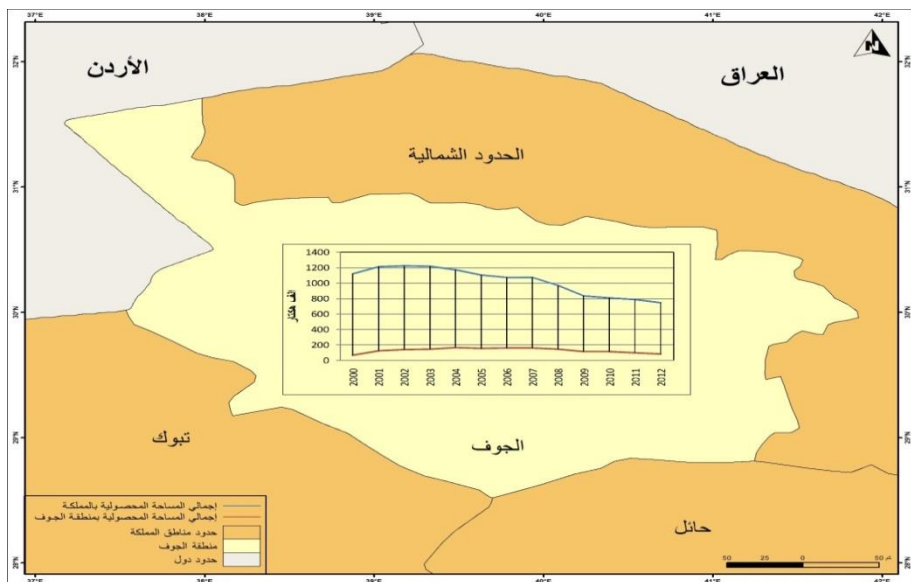
الفترة الأولى: (ما بين عامي ٢٠٠٠ - ٢٠٠٥) زيادة المساحة المحصولية حيث زادت مساحة الأراضي الزراعية بمنطقة الجوف من ٦٩ ألف هكتار عام ٢٠٠٠ إلى ١٦٤ ألف هكتار عام ٢٠٠٤ بنسبة زيادة ١٣٨ ٪ عن عام ٢٠٠٠ وبالتالي تقدمت منطقة الجوف لتحتل المرتبة الثالثة بين مناطق المملكة في المساحة الزراعية بعد أن كانت تحتل المرتبة السادسة عام ٢٠٠٠ وتشغل نسبة ١٤ ٪ من إجمالي مساحة المملكة عام ٢٠٠٥، وذلك لتراجع إجمالي المساحة المحصولية في مناطق المملكة نتيجة لتطبيق الدولة للسياسة الزراعية الهادفة لتخفيض الطلب على موارد المياه الجوفية والسطحية والتي كانت إحدى الاستراتيجيات في الخطة التنموية السابعة (٢٠٠٠ - ٢٠٠٥).

الفترة الثانية: (ما بين عامي ٢٠٠٥ - ٢٠١٠) نتيجة لتطبيق السياسة الزراعية والتي تسعى إلى إيقاف توزيع الأراضي الزراعية والمنح وبدأ تنفيذها خلال أعوام الخطة التنموية الثامنة مما انعكس على نمو المساحة المحصولية بمناطق المملكة عامة وبمنطقة الجوف خاصة حيث كان النمو فيها سلبيا متذبذبا بين الصعود والهبوط معظم السنوات، إلا أن نصيب منطقة الجوف خلال هذه الفترة من إجمالي المملكة يتراوح بين ١١٪ و ١٥٪ من إجمالي المساحة المحصولية بالمملكة تحتل بذلك المرتبة الثانية في مساحة الأراضي الزراعية بين مناطق المملكة للأعوام ٢٠٠٨/٢٠٠٩/٢٠١٠.

الجدول رقم (٩). تطور إجمالي المساحة المحصولية (باهكتار) في المملكة ومنطقة الجوف خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.

السنوات	أجمالي المملكة		منطقة الجوف		% منطقة الجوف من إجمالي المملكة	ترتيب منطقة الجوف بين مناطق المملكة
	المساحة	الزيادة السنوية %	المساحة	الزيادة السنوية %		
2000	1119949		68562		6	السادسة
2001	1211579	8,2	126423	84	10	الرابعة
2002	1224502	1,1	141153	12	11,5	الرابعة
2003	1216038	-0,7	143000	1	12	الرابعة
2004	1172742	-3,6	163737	15	14	الثالثة
2005	1106728	-5,6	156383	-4	14	الثالثة
2006	1074155	-2,9	158318	1	15	الثالثة
2007	1074958	0,1	160308	1	15	الثالثة
2008	971608	-9,6	142619	-11	15	الثانية
2009	834989	-14,1	112301	-21	13	الثانية
2010	806682	-3,4	111675	-1	14	الثانية
2011	787739	-2,3	96147	-14	12	الثالثة
2012	745637	-5,3	81414	-15	11	الثالثة

المصدر: وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الإحصائي السنوي، أعداد متفرقة.



الشكل رقم (٦). تطور المساحة المحصولية الإجمالية (بالهكتار) في المملكة ومنطقة الجوف خلال الفترة من

٢٠١٢/٢٠٠٠

المصدر: من عمل الباحثة اعتماداً على الجدول (٩).

ثانياً: تطور التركيب المحصولي بمنطقة الجوف:

كان للسياسة الزراعية التي اتبعتها الدولة منذ عام ١٩٨٨م أثر كبير في تغير التركيب المحصولي بمنطقة الجوف. وطبقاً للجدول رقم (١٠) والشكل (٧) الذي يوضح توزيع التركيب المحصولي بمنطقة الجوف للفترة من ٢٠١٢/٢٠٠٠ نلاحظ ما يلي:

- ١ - زادت مساحة محصول الحبوب بمنطقة الجوف من ٣٧ ألف هكتار عام ٢٠٠٠ إلى ١٢٥ ألف هكتار عام ٢٠٠٤ بنسبة زيادة ٢٣٨٪ عن عام ٢٠٠٠، وأصبحت بذلك تشغل ثلاثة أرباع مساحة المحاصيل (٧٧٪) عام ٢٠٠٤، ويرجع ذلك إلى ما كانت تقدمه الدولة من أنواع الدعم والقروض للمزارعين والشركات

الزراعية، إلا أنه نتيجة للإجراءات التي اتخذتها الدولة لترشيد الزراعة كثيفة الاستهلاك للمياه مثل زراعة الحبوب والأعلاف، مع تخفيض سعر شراء القمح من (١,٥ ريال) إلى (١ ريال)، والسماح للشركات الزراعية بتوريد إنتاجها من القمح من الخارج، أخذت مساحة محصول الحبوب بالتناقص من ١١٨ ألف هكتار عام ٢٠٠٥ إلى ٣٨ ألف هكتار عام ٢٠١٢ بنسبة تناقص بلغت -٦٧,٨٪ عن عام ٢٠٠٥ وأصبحت بذلك تشغل ما يقارب نصف مساحة المحاصيل (٤٧,٢٪) عام ٢٠١٢.

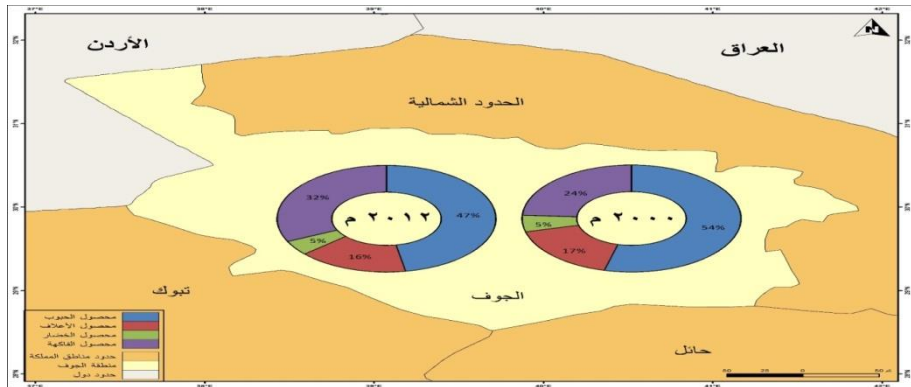
٢ - تشغل مساحة محصول الفاكهة المرتبة الثانية من حيث المساحة عام ٢٠٠٠ حيث بلغت مساحته ١٦ ألف هكتار بنسبة ٢٤٪ من إجمالي المساحة المزروعة ارتفعت إلى نحو ٢٦ ألف هكتار عام ٢٠١٢ بنسبة زيادة ٦٢,٥٪ عن عام ٢٠٠٠ وأصبحت تشغل نسبة ٣٢٪ من إجمالي مساحة المحاصيل بمنطقة الجوف عام ٢٠١٢، ويرجع ذلك إلى سياسة الدولة المشجعة على التحول نحو زراعة المحاصيل ذات الكفاءة العالية في استخدامات المياه مثل الخضروات والفاكهة.

٣ - بلغت مساحة محصول الأعلاف ١١ ألف هكتار عام ٢٠٠٠ ارتفعت إلى نحو ٢٥ ألف هكتار عام ٢٠٠٢ بنسبة زيادة ١٢٧,٣٪ عنها عام ٢٠٠٠ أي أن مساحة الأعلاف زادت مرتين عما كانت عليه في بداية الفترة لتحتل بذلك المرتبة الثانية بين المحاصيل، إلا أن مساحته أخذت بالتناقص ويرجع ذلك إلى الإجراءات التي تهدف إلى تقليص مساحة الأعلاف بالمنطقة من ١٨ ألف هكتار عام ٢٠٠٣ إلى ١٣ ألف هكتار تمثل نسبة ١٦,٣٪ من إجمالي المساحة عام ٢٠١٢ بنسبة تناقص بلغت -٢٧,٨٪ عن عام ٢٠٠٣.

الجدول رقم (١٠). مساحة المحاصيل الزراعية (بالهكتار) والأهمية النسبية للتركيب المحصولي في منطقة الجوف خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.

السنوات	الحبوب	%	اعلاف	%	خضار	%	فاكهة	%	المجموع
2000	37120	54	11373	17	3608	5	16461	24	68562
2001	84982	67	16606	13	3332	3	21503	17	126423
2002	89751	64	25066	18	4441	3	21895	16	141153
2003	98268	68,7	18548	13	3698	2,6	22486	15,7	143000
2004	125340	77	11623	7	3723	2	23051	14	163737
2005	118073	76	10036	6	3636	2	24638	16	156383
2006	120655	76,2	9956	6,3	3293	2,1	24414	15,4	158318
2007	120312	75	12015	7,5	3447	2,2	24534	15,3	160308
2008	101026	71	12531	9	4061	3	25001	17	142619
2009	68159	60,7	13013	11,6	4131	3,7	26998	24	112301
2010	70094	63	12856	12	3818	3	24907	22	111675
2011	51264	53	13058	14	3828	4	27997	29	96147
2012	38431	47,2	13280	16,3	3645	4,5	26058	32	81414

المصدر: وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الإحصائي السنوي، أعداد متفرقة.



الشكل رقم (٧). نسب مساحات المحاصيل الزراعية بمنطقة الجوف عامي ٢٠١٢/٢٠٠٠ (بالهكتار)

المصدر: من عمل الباحثة اعتماداً على الجدول (١٠).

٤ - تشغل مساحة الخضار بمنطقة الجوف مساحات صغيرة ومتفاوتة فقد تراوحت بين ٣ آلاف و٤ آلاف هكتار تتراوح نسبتها بين ٢٪ و ٥٪ طوال سنوات الدراسة، حيث أنها لم تتأثر بالسياسة الزراعية لكونها تسد حاجة السوق المحلي من الغذاء.

ثالثاً: التركيب النوعي للمساحة المحصولية في منطقة الجوف:

يتميز التركيب لمحصولي في منطقة الجوف بتنوع محاصيله والتي تتفاوت تفاوتاً كبيراً في المساحة، فمنها ما يعد محصولاً رئيساً نظراً لاستحواذه على النصيب الأكبر من المساحة المحصولية مثل محصول القمح (٩٨٪)، ومحصول البرسيم (٩٧٪)، ومحصول البطاطس والبصل الجاف (٢٩٪، ٣٥,٨٪ على التوالي)، ومنها ما يعد محصولاً ثانوياً نظراً لضآلة مساحته المحصولية. مثل الشعير (٢٪)، والكوسا (٢,٧٪)، ويمكن أن تقسم المحاصيل في منطقة الجوف طبقاً لمواسم زراعتها إلى محاصيل صيفية، ومحاصيل شتوية، ومحاصيل دائمة، أو حسب تركيبها النوعي إلى محاصيل الحبوب، ومحاصيل الخضار، ومحاصيل الأعلاف والنخيل والفاكهة، ولأن هناك عدداً من المحاصيل تزرع في أكثر من فصل خاصة محاصيل الخضار، لذا يفضل أن تقسم المحاصيل في منطقة الجوف حسب تركيبها النوعي.

أولاً: الحبوب الغذائية

تؤلف الحبوب بأنواعها المختلفة المادة الغذائية الأساسية للإنسان، كما يستفاد منها في تغذية الحيوان، وترجع أهميتها إلى سهولة إنتاجها وتخزينها وقيمتها الغذائية، وهي تضم أنواعاً مختلفة من الحبوب كالقمح والشعير والذرة والأرز والشيلم والشوفان ولكن الصنف الذي يزرع في منطقة الجوف يقتصر على القمح والشعير. ومن دراسة الجدول (١١) والشكل (٨) نجد أن المساحة المزروعة من الحبوب (القمح، والشعير) بمنطقة الجوف زادت من ٣٧ ألف هكتار عام ٢٠٠٠ إلى ٣٨ ألف هكتار عام ٢٠١٢، بنسبة زيادة ٣,٥٪ عن عام ٢٠٠٠. وذلك على الرغم من انخفاض مساحة الحبوب على مستوى الدولة فقد استهدفت خطة التنمية الثامنة

(٢٠٠٥ - ٢٠١٠) تخفيض المساحات المخصصة لمحصول الحبوب بنسبة

٨,٧٪ في نهاية الخطة. ويعد القمح أهم محاصيل الحبوب بمنطقة الجوف حيث بلغت

مساحته ٣٥ ألف هكتار بنسبة ٩٣٪ عام ٢٠٠٠، ارتفعت إلى ٣٨ ألف هكتار عام ٢٠١٢ بنسبة زيادة بلغت ٩٪ عن عام ٢٠٠٠، ويعود ذلك إلى ما تتميز به منطقة الجوف بقلة انخفاض منسوب المياه الجوفية فيها مقارنة بمناطق وسط المملكة وشرقها.

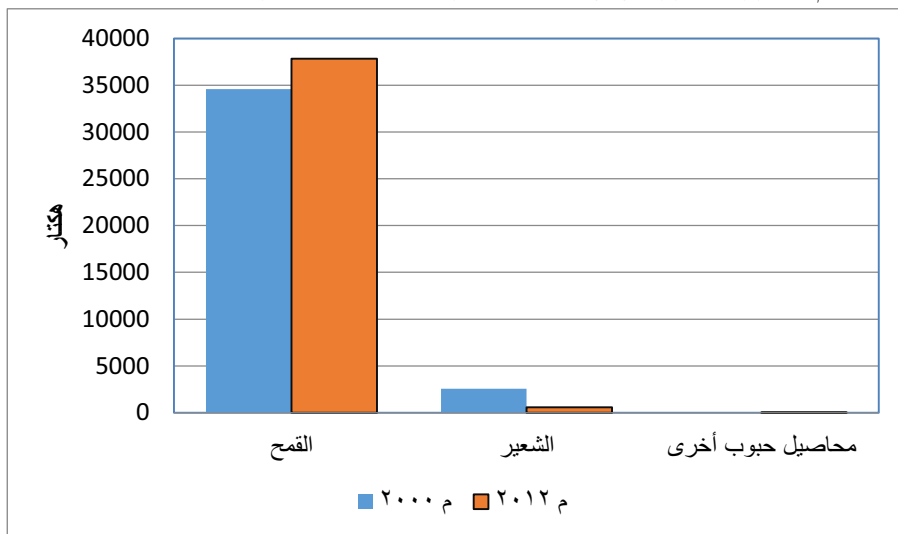
ثانياً: محاصيل الفاكهة والأشجار المثمرة

تضم هذه المجموعة بشكل رئيس أشجار النخيل التي تنتشر في معظم مناطق المملكة ومن ضمنها منطقة الجوف، يليها مجموعة من أنواع الفواكه المختلفة أهمها الموالح والعنب وأشجار الزيتون التي تعد من أهم الأشجار في منطقة الجوف. ويتبين من الجدول السابق (١١) والشكل (٩) أنه في حين كانت المساحة المزروعة بمحاصيل الفاكهة في منطقة الجوف لا تتجاوز ١٦ ألف هكتار عام ٢٠٠٠ فقد تضاعفت خلال فترة الدراسة لتبلغ ٢٦ ألف هكتار عام ٢٠١٢ بنسبة زيادة أكثر من النصف (٥٨,٣٪) عن عام ٢٠٠٠. ويرجع جزء كبير من هذه الزيادة إلى التوسع في مساحة محصول الزيتون وهو ما يتضح من ملحق (٢) الذي يبين الأهمية النسبية لعدد ومساحة أشجار الزيتون بالمملكة ومنطقة الجوف خلال عامي ١٩٩٩ - ٢٠١١. فقد تزايدت عدد أشجار الزيتون بالمملكة من ٣ مليون شجرة عام ١٩٩٩ إلى ٧ مليون شجرة عام ٢٠١١، وقد تصدرت منطقة الجوف مناطق المملكة بعدد أشجار الزيتون خلال نفس الفترة (١٩٩٩ - ٢٠١١) فقد تزايدت أشجار الزيتون بها من ٢ مليون شجرة عام ١٩٩٩ إلى حوالي ٥ مليون شجرة عام ٢٠١١ بنسبة زيادة ١٣٤,٦٪ عن عام ١٩٩٩، كذلك مساحة محصول الزيتون فعلى الرغم من تزايد المساحة بمنطقة الجوف من ٧٧ ألف هكتار عام ١٩٩٩ إلى ٢ مليون هكتار عام ٢٠١١ فقد انخفض نصيبها من نسبة المساحة المزروعة بالزيتون في المملكة

الجدول رقم (١١). التركيب النوعي لمجموعة محاصيل (بالكتلار) الحبوب والفاكهة والأشجار المثمرة والأعلاف والخضار في منطقة الجوف خلال الفترة من ٢٠١٢-٢٠٠٠.

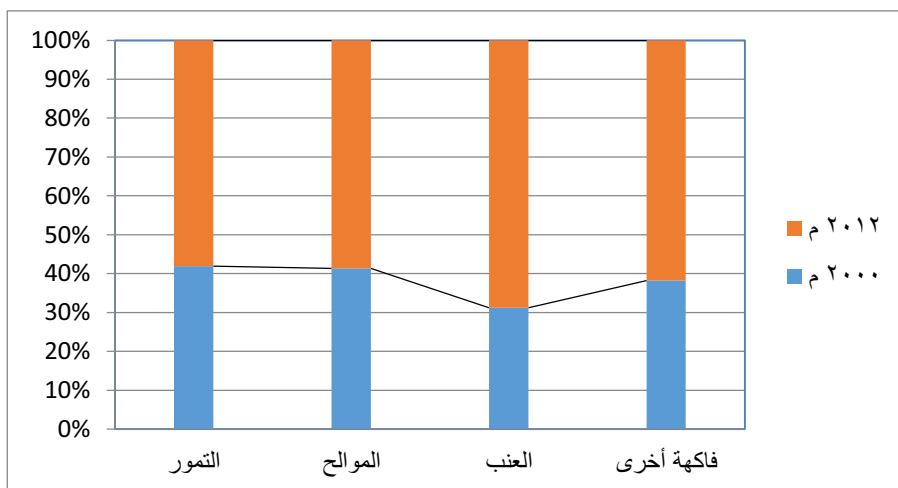
%	2012	%	2000	المحصول	%	2012	%	2000	المحصول	%	2012	%	2000	المحصول	%	2012	%	2000	المحصول
٢٢	٨١١	١٨٥	٦٦٩	القمح	٩٧	١٢٨٩٣	٥٧,٣	٦٥١٢	الرستم	١٨,٣	٤٧٨٢	٢١	٣٤٥٦	الصنوبر	٩,٨	٣٧٨٣٣	٩٣	٣٤٥٧٠	القمح
٠,٩	٣٢	٣,٥	١٢٧	الباذنجان	٣	٣٨٧	٤٢,٧	٤٨٥١	اعلاف اخرى	٣	٧٥٤	٣	٥٣٢	المانج	٢	٥٨٤	٧	٧٥٥٠	الشعير
٢,٧	٩٧	٥	١٧٣	الكوسا	١٠٠	١٣٢٨٠	١٠٠	١١٣٧٣	مجموع مساحة الاعلاف بالجوف	٥,٤	١٤٠٢	٤	٦٣٧	العنب	-	١٤	-	-	محاصيل حبوب اخرى
٢	٧٩	٣	١٠,٨	الخيار	٧	١٩٤٨٠,٨	٥,٣	٢١٣٦٦٥	مجموع مساحة الاعلاف بالملكية	٧٣,٣	١٩١٢٠	٧٢	١١,٨٣٦	فاكهة اخرى	١٠٠	٣٨٤٣١	١٠٠	٣٧١٢٠	جملة مساحة الحبوب بالجوف
٢	٨٣	٤	١٤٠	الياميا							٢٦٠,٥٨		١٦٤٦١	مجموع مساحة الفاكهة بالجوف	١,٨	٢١٢١٥٩٦	٦	٦١٨٩٠٠	جملة مساحة الحبوب بالملكية
١,٧	٦٣	٠,٦	٢٣	الجزر						١١,٤	٢٢٨٢٧٨	٨,٥	١٩٣٣٥	مجموع مساحة الفاكهة بالملكية					
٢٩	١٠,٧٣	٣١,٢	١١٢٥	البطاطس															
٣٥,٨	١٣٠,٤	١٥	٥٤٤	البصل الجاف															
٠,٩	٣٣	٦,٥	٩٢	الثمام															
٢	٨٢	١٤,٣	٥١٥	البطيخ															
١	٤٢	٦,٥	٩٢	خضروات اخرى															
١٠٠	٣٦٤٥	١٠٠	٣٦٠,٨	مجموع مساحة اقتنار بالجوف															
٣	١١٠,٤٤٥	٣,٨	٩٤,٣٢٤	مجموع مساحة اقتنار بالملكية															

المصدر: وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الإحصائي السنوي، أعداد متفرقة.



الشكل رقم (٨). التركيب النوعي لمجموعة محاصيل الحبوب بمنطقة الجوف عام ٢٠١٢-٢٠٠٠.

المصدر: من عمل الباحثة اعتماداً على الجدول (٨).



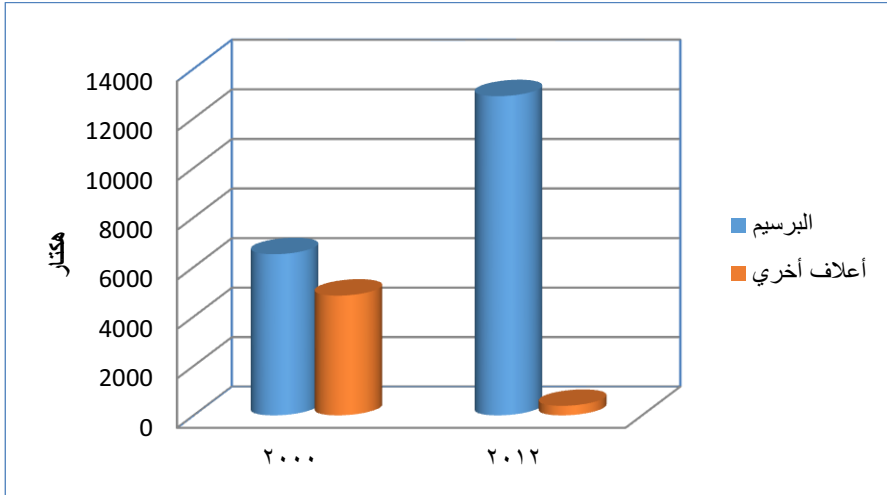
الشكل رقم (٩). التركيب النوعي لمجموعة محاصيل الفاكهة بمنطقة الجوف عام ٢٠١٢-٢٠٠٠.

المصدر: من عمل الباحثة اعتماداً على الجدول (١١).

من ٧٤ ٪ عام ١٩٩٩ ، إلى ٦٢,٤ ٪ عام ٢٠١١ ، ومرد ذلك تزايد مساحة الزيتون في مناطق مثل حائل (١٧,١ ٪) وتبوك (١٠,١ ٪) عام ٢٠١١.

ثالثا: محاصيل الأعلاف

يعد محصول البرسيم محصول الأعلاف الرئيس في منطقة الجوف. وقد ازدادت المساحة المزروعة بالأعلاف في منطقة الجوف لتزايد الاحتياجات العلفية لقطاع الثروة الحيوانية سواء التي تربي في المزارع أو في مشاريع الثروة الحيوانية المتخصصة. وبين الجدول (١١) والشكل (١٠) أن إجمالي المساحة المزروعة بالأعلاف قد زادت من حوالي ١١ ألف هكتار عام ٢٠٠٠ إلى ١٣ ألف هكتار عام ٢٠١٢ بنسبة تغير ١٨ ٪ عن عام ٢٠٠٠ ، ويشغل محصول البرسيم غالبية المساحة حيث شكل نسبة تصل إلى ٩٧ ٪ عام ٢٠١٢.

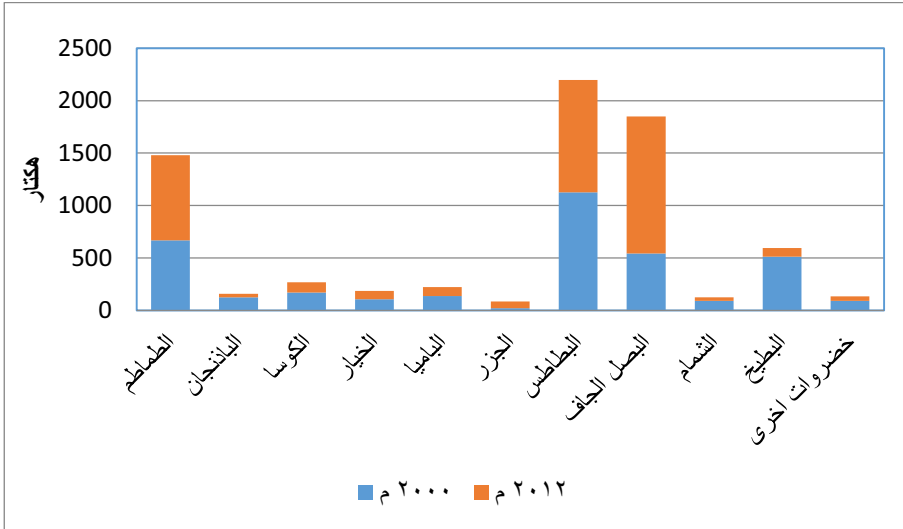


الشكل رقم (١٠). التركيب النوعي لمجموعة الأعلاف بمنطقة الجوف عام ٢٠١٢-٢٠٠٠.

المصدر: من عمل الباحثة اعتمادا على الجدول (١١).

رابعاً: محاصيل الخضار

تضم هذه المجموعة عددا كبيرا من المحصولات أهمها البطاطس والبصل الجاف والطماطم والكوسا والخيار والباميا، إضافة إلى البطيخ والشمام. وتشجع السياسة الزراعية المزارعين على الاستثمار في مشاريع إنتاج الخضروات، خاصة داخل البيوت المحمية نظرا لكفاءتها العالية وارتفاع إنتاجيتها وتوفيرها لمياه الري. كما استفادت محاصيل الخضار من التوجه نحو الحد من زراعة الحبوب والأعلاف وتشجيع زراعة الفاكهة والخضروات. وكان التوسع في المساحات الزراعية لمحصولي البصل الجاف والطماطم في منطقة الجوف بنسبة ١٥٪، ٣٥.٨٪ للبصل الجاف و ١٨.٥٪، ٢٢٪ للطماطم بين محاصيل الخضروات خلال عامي (٢٠٠٠ - ٢٠١٢)، بينما تراجعت مساحة البطاطس والبطيخ بنسبة نقص - ٤.٦٪ و - ٨٤٪ لكل منهما على التوالي جدول (١١) والشكل (١١).



الشكل رقم (١١). التركيب النوعي لمجموعة محاصيل الخضار بمنطقة الجوف عام ٢٠٠٠-٢٠١٢.

المصدر: من عمل الباحثة اعتماداً على الجدول (١١).

النتائج

من خلال الدراسة والتحليل أمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

- ١ - أظهر البحث أن بداية تراجع المساحة المحصولية عام ٢٠٠٤م ، وذلك انعكاس للسياسات الزراعية التي اتخذتها الدولة ممثلة في وزارة الزراعة بهدف ترشيد استهلاك المياه والمحافظة عليها.
- ٢ - تتركز المساحة المحصولية في الإقليم الأوسط وتبلغ ٤٣,٢٪ من جملة المساحة في المملكة عام ٢٠١٢ ، وتتفاوت المناطق الشمالية والجنوب الغربي في مساحتها المحصولية إذ لا تزيد عن ٢٧,٢٪ ، ١٥,٨٪ على الترتيب.
- ٣ - تغير التركيب المحصولي بمعدل ١٧,٤٪ ، ١٨٪ على التوالي لمحصولي الخضار والفاكهة خلال فترة الدراسة ٢٠٠٠ - ٢٠١٢ ، وكان ذلك على حساب مساحات الحبوب والأعلاف التي تناقصت بنسبة - ٦٥,٧٪ ، ٨,٨٪ على الترتيب.
- ٤ - انخفضت المساحة المحصولية على مستوى الأقاليم الخمس بالمملكة ويعود ذلك بصورة أساسية لانخفاض مساحة الحبوب والأعلاف فقد بلغ معدل تغير - ٣٠٪ ، -٤٧٪ ، -٢٨٪ ، -١٥٪ ، -٥٧٪ ، للإقليم الأوسط ، والشرقي ، والغربي ، الشمالي ، والجنوب الغربي على الترتيب خلال فترة الدراسة.
- ٥ - يحتكر المحصولان القمح والذرة الرفيعة ٨٩٪ من مساحة محصول الحبوب بالمملكة عام ٢٠١٢م ، حيث أوضحت الدراسة أن محصول القمح مازال يحتل المرتبة الأولى بنسبة بلغت ٦٨٪ عام ٢٠١٢م على الرغم من تراجع مساحة الحبوب ، تأتي بعده بالأهمية محصول الذرة الرفيعة بنسبة ٢١,٤٪ في ذات الفترة.

٦ - تحتل محاصيل الفاكهة ثاني أكبر مجموعات التركيب المحصولي بنسبة تقارب الثلث ويمثل محصول التمور المركز الأول بين هذه المجموعة فيشغل أكثر من الثلثين من مساحة الفاكهة بالمملكة.

٧ - تستحوذ محاصيل الموسم الشتوي على ما يقارب من نصف المساحة المحصولية بالمملكة خاصة محصول القمح والذي يعد بلا منازع محصول الشتاء الرئيسي إضافة للذرة الرفيعة والخضار.

٨ - من دراسة التركيب المحصولي خلال عامي ٢٠٠٠ - ٢٠١٢م تبين أن هناك محاصيل معدل تغيرها بالسالب أو الموجب.

• فمحاصيل زاد التغير في مساحتها بالموجب كالذرة الشامية (٥٨٩٪) والشمام (٧٠,٤٪).

• محاصيل معدل تغيرها بالموجب متوسط أو منخفض كالبصل الجاف (٢٥٪) والبطاطس (١٨٪) والجزر (١٣٪) والطماطم (٤٣,٣٪).

• محاصيل تقلصت مساحتها بالسالب مثل القمح (٦٥,٦٪) والشعير (٩٢٪) والذرة الرفيعة (٧٥٪).

التوصيات

١ - تشجيع الاستثمار الزراعي في الجنوب الغربي من المملكة بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتي للسكان من إنتاج هذا الإقليم وذلك لنجاح زراعة الحبوب في هذا الإقليم إذ تراوحت النسبة بين ٧٦٪ و ٥٢٪ خلال فترة الدراسة.

٢ - رفع كفاءة إنتاجية المحاصيل الزراعية بالتوسع الرأسي بما يتناسب وظروف الإنتاج الزراعي في كل إقليم جغرافي.

٣ - تحديد المحاصيل الزراعية المناسبة لكل منطقة من مناطق المملكة بما يتناسب مع ظروفها الجغرافية والمناخية.

٤ - تشجيع البحث العلمي وتطبيقاته ، خاصة في مجال المحافظة على المياه وفي استغلال المخلفات الزراعية وإعادة تدويرها للاستفادة منها.

الملاحق

الملحق (أ) الجداول

جدول رقم (١) الأهمية النسبية لمجموعات المحاصيل من إجمالي المساحة المحصولية بالمملكة والأقاليم الجغرافية خلال الفترة الزمنية من عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠١٢ (المساحة بالهكتار).

الإقليم الأوسط						المملكة					
المجموع	فاكهة	خضروات	اعلاف	حبوب	السنوات	المجموع	فاكهة	خضار	اعلاف	حبوب	السنوات
٤٨٥٢٨٩	١٦	٩	٢٤	٥٠	٢٠٠٠	١١١٩٩٤٩	١٧	٨	١٩	٥٥	٢٠٠٠
٥٢٧٧٥٠	١٤	١٤	٢٩	٤٣	٢٠٠١	١٢١١٥٧٩	١٦	٩	٢٠	٥٥	٢٠٠١
٥٥٦٠٨٦	١٤	١٢	٢١	٥٣	٢٠٠٢	١٢٢٤٥٠٢	١٦	٩	١٧	٥٨	٢٠٠٢
٥٧٨٥٥٣	١٣	١٢	٢٣	٥٢	٢٠٠٣	١٢١٦٠٣٩	١٦	٩	١٧	٥٧	٢٠٠٣
٥١٩٢١٥	١٦	١٣	٢١	٥٠	٢٠٠٤	١١٧٢٧٤٣	١٨	٩	١٤	٥٦	٢٠٠٤
٤٧٨٨٠٨	١٧	١٥	١٨	٥٠	٢٠٠٥	١١٠٦٧٢٧	٢٠	١٠	١٣	٥٧	٢٠٠٥
٤٥٠٩٦٤	١٩	١٤	١٨	٤٨	٢٠٠٦	١٠٧٤١٥٥	٢١	١٠	١٣	٥٦	٢٠٠٦
٤٤٨٤٥٧	٢٠	١٥	٢٠	٤٥	٢٠٠٧	١٠٧٤٩٥٨	٢١	١٠	١٤	٥٤	٢٠٠٧
٣٦٧٥٢٦	٢٥	١٧	٢٦	٣٢	٢٠٠٨	٩٧١٦٠٨	٢٤	١١	١٧	٤٨	٢٠٠٨
٣١٤٦٩٩	٣١	١٩	٣٠	٢٠	٢٠٠٩	٨٣٤٩٨٩	٢٩	١٣	١٩	٣٩	٢٠٠٩
٣٥٢١٥١	٢٨	١٩	٣٤	١٩	٢٠١٠	٨٠٦٦٨٢	٢٨	١٣	٢٣	٣٦	٢٠١٠
٣٥٠٨٠٩	٢٨	٢٠	٣٥	١٨	١٠١١	٧٨٧٧٣٩	٢٩	١٤	٢٤	٣٣	٢٠١١
٣٣٩٥٧٩	٢٨	٢٠	٣٧	١٤	١٠١٢	٧٤٥٦٣٧	٣١	١٥	٢٦	٢٨	٢٠١٢
الإقليم الغربي						الإقليم الشرقي					
الاجمالي	الفاكهة	الخضر	الاعلاف	الحبوب	السنوات	الاجمالي	الفاكهة	الخضر	الاعلاف	الحبوب	السنوات
٨١٠٥٥	٤١	١٥	١٩	٢٥	٢٠٠٠	٩٥٩١٠	١٥	٧	٧	٧١	٢٠٠٠
٧٣٣٢٧	٤٥	١٧	١٧	٢١	٢٠٠١	١٠٥٩٣٨	١٢	٥	١٤	٦٨	٢٠٠١
٧٣٨١٦	٤٥	١٨	١٧	١٩	٢٠٠٢	٨٧٦٨٦	١٥	٥	١٢	٦٨	٢٠٠٢
٧٠٤٣١	٤٨	٢٠	١٦	١٧	٢٠٠٣	٨١٨٩٩	١٦	٥	٧	٧٢	٢٠٠٣
٦٦٥٣٥	٥٣	٢١	١٢	١٤	٢٠٠٤	٦٨١٥٢	٢٠	٥	٧	٦٩	٢٠٠٤
٦٧٧٨٧	٥٦	٢٠	١١	١٢	٢٠٠٥	٦٩٢٩٧	١٩	٥	٦	٧٠	٢٠٠٥
٦٩٧٥٤	٥٥	٢٠	١٣	١٢	٢٠٠٦	٧١٩١١	٢١	٧	٥	٦٦	٢٠٠٦
٧٢٧٤٧	٥٥	١٩	١٣	١٣	٢٠٠٧	٦٧٩٩٤	٢٤	٧	٦	٦٣	٢٠٠٧
٦٧٦٥٧	٥٩	١٨	١٢	١١	٢٠٠٨	٧٠١٨٩	٢٤	٩	٦	٦١	٢٠٠٨
٧٢٣٧٦	٥٦	١٨	١٣	١٣	٢٠٠٩	٦٠٥٥٨	٣٠	١١	٨	٥٢	٢٠٠٩
٥٩٦٣٦	٥٩	٢٣	١٢	٦	٢٠١٠	٥٧٦٤٠	٣١	٦	٩	٥٤	٢٠١٠
٥٩٤٩٣	٦٠	٢٢	١٢	٦	٢٠١١	٥٦١٦٧	٣٢	٥	٩	٥٣	٢٠١١
٥٨١٦٤	٥٩	٢٣	١٣	٥	١٠١٢	٥٠٤١٤	٣٨	٦	١١	٤٥	٢٠١٢

الإقليم الجنوبي الغربي						الإقليم الشمالي					
الاجمالي	الفاكهة	الخضر	الاعلاف	الحبوب	السنوات	الاجمالي	الفاكهة	الخضر	الاعلاف	الحبوب	السنوات
٢١٦٤٢٥	١٠	٦	١٢	٧٢	٢٠٠٠	٢٤١٠٩٠	١٩	٧	٢٠	٥٤	٢٠٠٠
٢٤٠١٠٣	٩	٥	١٠	٧٦	٢٠٠١	٢٦٤٤٦١	١٩	٥	١٤	٦٢	٢٠٠١
٢٢٤٨٣٩	١٠	٥	١١	٧٤	٢٠٠٢	٢٨٢٠٧٥	١٨	٦	١٦	٦١	٢٠٠٢
١٩٥٦٥٥	١٢	٥	٩	٧٤	٢٠٠٣	٢٨٩٤٩٨	١٨	٥	١٤	٦٣	٢٠٠٣
١٨٦١٣١	١٢	٤	٩	٧٤	٢٠٠٤	٣٣٢٧٠٩	١٦	٥	١٠	٦٩	٢٠٠٤
١٥٧٩٨٢	١٥	٥	١٠	٧٠	٢٠٠٥	٣٣٢٨٥٣	١٨	٦	٨	٦٨	٢٠٠٥
١٥٥١٧٠	١٦	٦	١٠	٦٨	٢٠٠٦	٣٢٧٣٥٦	١٨	٦	٨	٦٨	٢٠٠٦
١٥٠٤٩٢	١٦	٦	١١	٦٧	٢٠٠٧	٣٣٥٢٦٨	١٧	٦	٩	٦٧	٢٠٠٧
١٦٢٢٦٠	١٥	٥	١٢	٦٨	٢٠٠٨	٣٠٣٩٧٦	١٩	٦	١١	٦٣	٢٠٠٨
١٤٦٩٢٢	١٦	٦	١٢	٦٦	٢٠٠٩	٢٤٠٤٣٣	٢٥	٨	١٤	٥٣	٢٠٠٩
٩٢٢١٨	٢١	٩	١٨	٥٢	٢٠١٠	٢٤٥٠٣٧	٢٣	٧	١٤	٥٦	٢٠١٠
٩١٩١٢	٢١	٨	١٧	٥٣	٢٠١١	٢٢٩٣٥٨	٢٦	٨	١٦	٥٠	٢٠١١
٩٢٠٤٠	٢٠	٨	١٨	٥٤	٢٠١٢	٢٠٥٤٤٠	٢٩	٩	١٩	٤٤	٢٠١٢

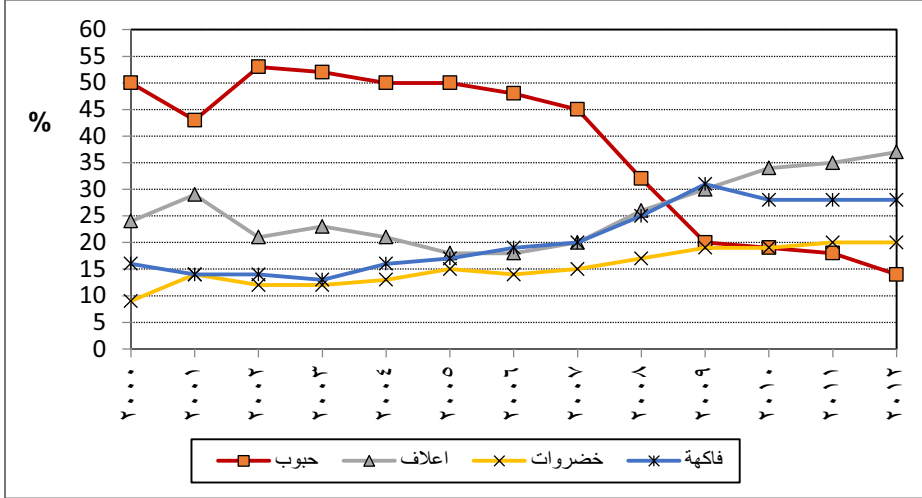
المصدر: من عمل الباحثة اعتماداً على، وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الاحصائي السنوي، أعداد متفرقة.

الجدول رقم (٢). عدد ومساحة أشجار الزيتون في مناطق المملكة ومنطقة الجوف.

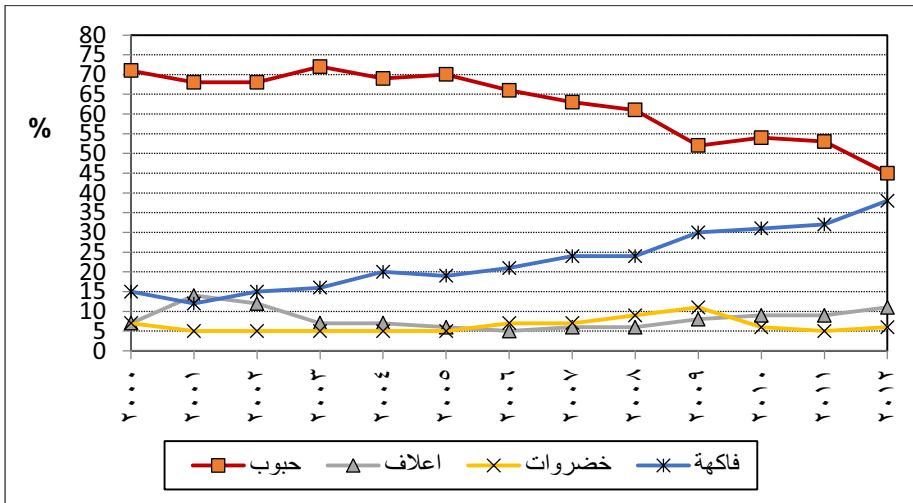
2011				1999				المنطقة
المساحة	العدد	%	المساحة	العدد	%	المساحة	العدد	
1.0	35534	0.2	17190	6.3	6582	7.1	192749	الرياض
				0.1	69	0.2	4662	مكة المكرمة
				0.1	141	0.1	3816	المدينة المنورة
8.3	284048	1.5	101394	0.6	666	0.6	17217	القصيم
				0.0	36	0.1	2318	الشرقية
				0.0	20	0.0	1127	عسير
10.1	344498	14.8	1030272	12.9	13511	13.1	355263	تبوك
17.1	586698	14.2	990449	5.8	6052	4.1	111854	حائل
0.9	32370	1.3	89928	0.2	179	0.1	2700	الحدود الشمالية
								جازان
0	1576	0	3034					نجران
0.1	2727	0.2	13637			0.0	71	الباحة
62.4	2135855	67.8	4727953	74	77552	74.4	2015249	الجوف
100	3423306	100	6973857	100	104808	100	2707026	المملكة

المصدر: من عمل الباحثة اعتماداً على، وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الاحصائي السنوي، أعداد متفرقة.

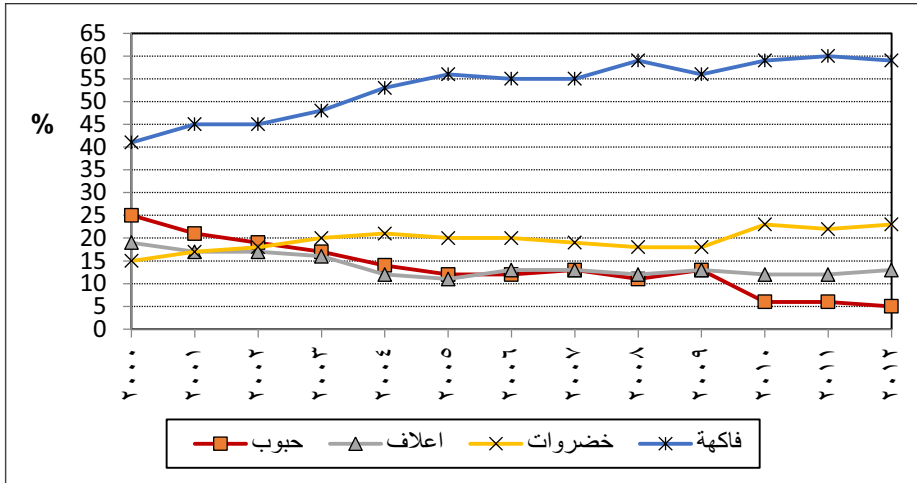
الملحق (ب) الأشكال



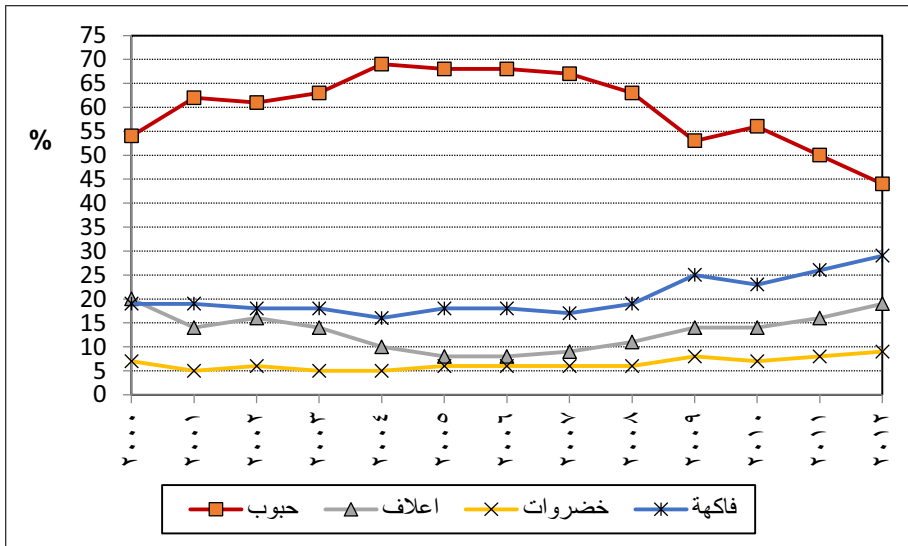
الشكل رقم (١). نسبة مساحات المحاصيل الرئيسية بالهكتار في الإقليم الأوسط خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.



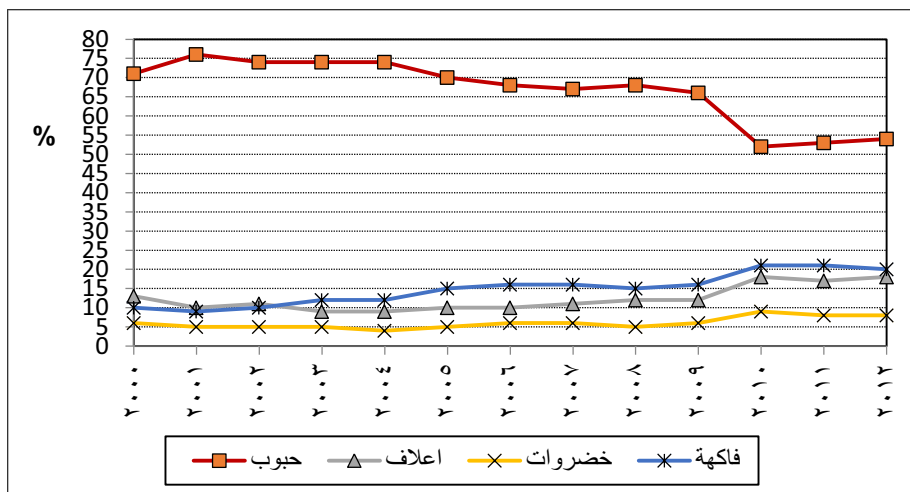
الشكل رقم (٢). نسبة مساحات المحاصيل الرئيسية بالهكتار في الإقليم الشرقي خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.



الشكل رقم (٣). نسبة مساحات المحاصيل الرئيسية بالهكتار في الإقليم الغربي خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.



الشكل رقم (٤). نسبة مساحات المحاصيل الرئيسية بالهكتار في الإقليم الشمالي خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.



الشكل رقم (٥). نسبة مساحات المحاصيل الرئيسية بالهكتار في الإقليم الجنوب الغربي خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٢.

المصدر: من عمل الباحثة اعتماد على الملحق رقم (١).

المصادر والمراجع

- [١] الديب، محمد محمود، (١٩٩٥م): جغرافية الزراعة تحليل التنظيم المكاني، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- [٢] حامد، نوال فؤاد، (٢٠٠٥م): تغير المركب المحصولي في محافظة الشرقية عام ٢٠٠٥، ١٩٨٥م - دراسة جغرافية تطبيقية على مركز الحسينية، مركز البحوث الجغرافية والكارتوجرافية، العدد ١٠، جامعة المنوفية.
- [٣] خير، صفوح، (١٩٧٨): البحث الجغرافي مناهجه وأساليبه، دمشق.
- [٤] الشريف، عبد المحسن راجح، (٢٠٠٣م): التركيب المحصولي الأمثل وأهميته على التوطن الزراعي بمنطقة مكة المكرمة، بحوث جغرافية، العدد ٥٦، الرياض.

- [٥] الشريف، عبد المحسن راجح، (٢٠٠٨م): التوطن المكاني للتركيب المحصولي في ظل محدودية الموارد المائية في المملكة العربية السعودية، بحوث جغرافية، العدد ٨٥، الرياض.
- [٦] الشمراني، صالح، (١٩٩٤): دور مقومات الإنتاج الزراعي في التنمية بمنطقة الجوف، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- [٧] صالح، محمد عبدالعال، (٢٠٠٤): اقتصاديات منطقة الجوف نموذج جديد للتنمية المحلية، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، الجوف.
- [٨] فودة، عبد المجيد رجب، (١٩٩٢م): أثر العوامل الجغرافية في التركيب المحصولي للاستخدام الزراعي بالقصيم، الندوة الجغرافية الرابعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- [٩] العودات، محمد عبدو وآخرون، (١٩٨٤م): المحاصيل الزراعية في المملكة العربية السعودية، دار المريح للنشر، الرياض.
- [١٠] وزارة التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية، (١٩٩٩م): أطلس المملكة العربية السعودية.
- [١١] وزارة الزراعة، وكالة الوزارة لشؤون الأبحاث والتنمية الزراعية، (٢٠١٢م): دليل أعداد بعض المنتجات الزراعية للتسويق.
- [١٢] وزارة الزراعة، وكالة الأبحاث والتنمية الزراعية، (٢٠٠٢م): دليل الاستثمار الزراعي بالمملكة العربية السعودية.
- [١٣] وزارة الزراعة إدارة التنمية الزراعية، (٢٠٠٢م): دليل الاستثمار الزراعي في المملكة العربية السعودية، ط ٣، الرياض.

- [١٤] وزارة الزراعة والمياه، الكتاب الإحصائي الزراعي السنوي، أعداد متفرقة، إدارة الدراسات الاقتصادية والإحصاء، الرياض.
- [١٥] وزارة الزراعة والمياه، (١٩٨٢): النتائج العامة للتعداد الزراعي الشامل، إدارة الدراسات الاقتصادية والإحصاء، الرياض.
- [١٦] وزارة الزراعة والمياه، (١٩٩٩): النتائج العامة للتعداد الزراعي الشامل، إدارة الدراسات الاقتصادية والإحصاء، الرياض.
- [١٧] مصلحة الإحصاءات العامة، (٢٠١٠م): النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن، وزارة الاقتصاد والتخطيط، الرياض.
- [١٨] هارون، على أحمد، (١٩٩٩م): جغرافية الزراعة، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة.
- [١٩] هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، (٢٠١٢م): المملكة العربية السعودية حقائق وأرقام، ط ١، جدة.
- [٢٠] هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، (٢٠٠٣م): المملكة العربية السعودية، خريطة المناطق الإدارية الرياض.

Change in the crop structure in Saudi Arabia during the period from 2000-2012

Badriah Abdullah Alrasheed

Princess Nourah Bint Abdulrahman University

Abstract. This study aims to analyze the cropping pattern changes in the kingdom of Saudi Arabia through the period 2000-2012, with the objective of showing the effect of agricultural policy in KSA on these cropping pattern changes through the time scale of study whether based on the main KSA territories, economical use, of the seasons of cultivation.

In 2000; the agricultural lands that could be used in the agricultural activities were estimated to about 1.12 million hectares, these areas decreased to be about 745 thousand hectares in 2012 at a regressive rate of about 33.4% from the year 2000.

the study results indicate that the decrement of seeds and feeds crop lands at change rates of -65.7%, 8.8% Consecutively whereas the fruits and vegetables crop lands increased at rates of 17.4%, 18% Consecutively through the time scale of study (2000-2012).

through analyzing the Location Quotient we found that the northern territory take up the big part of KSA seeds crop lands which covered about 89679 hectares (about 42.3% of the total seeds crop lands in KSA at 2012), while the feeds and vegetables crop lands are more concentrated in the middle territory where the seeds crop lands reached about two thirds (2/3) of the total crop lands area (65.1%), while the vegetables crop lands reached about 62.2% of the total KSA vegetables crop lands at 2012.

The study results also indicate that more than 68.5% of the total KSA fruits crop lands concentrate only in the northern and middle territories during that period which reflects the government trends to cultivate less water consuming crops in proper lands.

Some of the terms used in this study: crop patter, crop areas, planning region, classification of crops by their economic use, classification of crops by their seasons of cultivation, agricultural policy.

الخصائص الجيومورفولوجية لحوض وادي العقيق بمنطقة المدينة المنورة

د. محمد فضيل بوروية

قسم الجغرافيا - كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

جامعة القصيم

ملخص البحث. يشكل غياب المخططات الهيدرومترية لقياس الجريان السطحي للأودية في المملكة العربية السعودية مشكلة تحول دون التعرف الدقيق على الخصائص الهيدرولوجية لنظم التصريف السطحي بالأحواض المائية الصحراوية . ولذا فإن هذا البحث يسعى إلى التعرف على الخصائص التضاريسية والمورفومترية التي تتحكم في الخصائص الهيدرولوجية لسبيل حوض وادي العقيق باستخدام بيانات نموذج الارتفاعات الرقمية Digital Elevation Model (DEM) بوضوح مكاني قدره ٣٠ م و مخرجات التحليل المكاني Spatial Analysis في ملحق ArcHydro من برنامج ArcGIS بالإضافة إلى برنامج نمذجة نظم الأحواض المائية Watershed (WMS) Modeling System وكذلك بيانات الأمطار المتوفرة بمحطات الفقير و أم البرك والمسجيد والمدينة المنورة و بئر الماشي خلال ٣١ سنة ممتدة من ١٩٧٤ إلى ٢٠٠٤ م. ولقد تم اختيار هذا الحوض المائي نظرا لأهميته من الناحية الهيدرولوجية كونه يصرف مساحة تقدر بـ ٥١٣٠,٨ كلم^٢ يشرف مصب حوضها على المنطقة العمرانية للمدينة المنورة والحرم النبوي . ويعتمد هذا البحث في تقدير كمية تدفق الذروة لسبيل أربعة أحواض مائية تغذي وادي العقيق بمياه الجريان السطحي وهي أحواض وادي ريم ووادي البتمة ووادي العش وشعيب السليم على نموذج المعادلة التجريبية للهيئة الأمريكية لحماية الأراضي (SCS) Soil Conservation Service في غياب وجود قياسات للجريان السطحي بهذه الأحواض . ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم استخدام مخرجات نموذج الارتفاعات الرقمية بوضوح مكاني قدره ٣٠ متر لحساب المتغيرات التضاريسية والمورفومترية التي تعتمد عليها المعادلات التجريبية للنموذج الهيدرولوجي المطبق في هذه الدراسة .

المقدمة

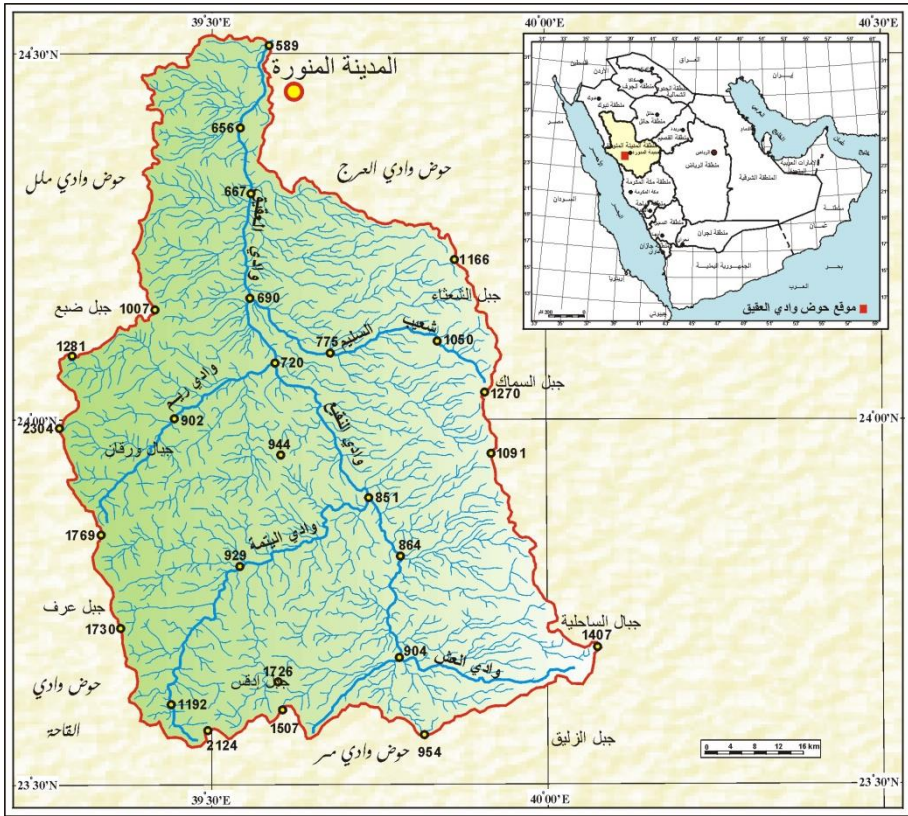
يتزايد الاهتمام حالياً بدراسة ظاهرة السيول وتأثيراتها البيئية والاقتصادية على المراكز العمرانية الواقعة داخل مساحات التصريف لمختلف الأودية بالمملكة العربية السعودية خاصة بعد الخسائر التي حصلت في المملكة العربية السعودية جراء السيول التي اجتاحت مدينة جدة في يوم ٢٥/١١/٢٠٠٩ حيث وصل عدد الوفيات إلى ١١٨ شخصاً وعدد المفقودين إلى ٤٨ شخصاً (جريدة الرياض، العدد ١٥١٤٤) وعدد المنازل المتضررة إلى ٨٠٩٢ منزلاً وعدد السيارات التالفة إلى ٧١٤٣ سيارة (جريدة الاقتصادية، العدد ٥٩٠٠). كما أدى سيل مكة المكرمة الذي حدث يوم ٢٥/١١/٢٠٠٩ م إلى وفاة ١١٦ شخصاً وإنقاذ حوالي ٩٠٠ شخص (Skynewsarabia, 17/11/2014) وسيل يوم ١/٥/٢٠١٣ م في جازان والذي أدى إلى وفاة ١٩ شخصاً (العربية، ٢٠١٣/٥/٢ م). وتواجه دراسة نظم التصريف السطحي بالمناطق الجافة مشكلة كبيرة تتمثل في غياب المحطات الهيدرومترية على مجاري الأودية ومن ثم عدم توفر القياسات الفعلية للتدفق السيلي والجريان السطحي للأودية. إن غياب مثل هذه البيانات الهيدرولوجية يشكل عقبة كبيرة في فهم وتحليل نظام التصريف السطحي للأودية ومن ثم يجعل من تطبيق النماذج الهيدرولوجية لتقدير التدفق أحد البدائل الممكنة المساعدة على دراسة وفهم الخصائص الهيدرولوجية للجريان السطحي بأحواض التصريف في المناطق الجافة على غرار حوض وادي العقيق بمنطقة المدينة المنورة. وهناك العديد من الدراسات التي حاولت تحليل خصائص نظام التصريف السطحي لبعض الأودية للمملكة العربية السعودية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دراسات (الجراش، ١٩٨٢) و (البليهد، ١٩٩٢) و (Surman, 1993a ; 1993b ; 1994) و (Bukhari, 1993) و (بوروية و الجعدي، ٢٠٠٧) و (بوروية، ٢٠٠٧) و (الجعدي، ٢٠٠٨) و (مرزا والبارودي، ٢٠٠٤ و ٢٠٠٦).

وستحاول هذه الدراسة تحديد الخصائص الهيدرولوجية لنظام التصريف السطحي لحوض وادي العقيق باستخدام بعض المعادلات التجريبية التي تعتمد على الخصائص التضاريسية والمورفومترية لأحواض التصريف في غياب المحطات الهيدرومترية والتي تم تطبيقها في العديد من الأحواض المائية بمناطق مختلفة من العالم.

١ - منطقة الدراسة

يقع حوض وادي العقيق من الناحية الجيولوجية على الدرع العربي ومن الناحية الجغرافية في الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية بالمنطقة الإدارية للمدينة المنورة. وتقع مساحة التصريف لحوض وادي العقيق بين خطي الطول $39^{\circ}16'13.2''$ و $40^{\circ}05'8.5''$ شرقاً وبين دائرتي العرض $23^{\circ}32'50.4''$ و $24^{\circ}31'41.1''$ شمالاً (الشكل ١). ويحد حوض وادي العقيق حوض وادي العرج من الشرق وحوض وادي الحمض الأدنى من الشمال وحوض وادي ملل من الشمال الغربي وحوض وادي القاحة من الجنوب الغربي وحوض وادي مر من الجنوب. وتبلغ مساحة التصريف لحوض وادي العقيق 5130.8 كلم^٢ تمتد من الجنوب إلى الشمال بحيط يبلغ 534 كلم وبطول يبلغ 108.5 كلم على ارتفاعات تتراوح بين 2393 م عند جبال ورقان و 581 م عند المصب. وينحدر وادي العقيق بمجرى رئيس يبلغ طوله 163.2 كلم من جبال أقدس و جبال ورقان الواقعة بحرة الحجاز التي تبعد عن المدينة المنورة بحوالي 82 كلم جنوباً. ولوادي العقيق مسميات كثيرة على طول مجراه إذ يسمى أعلاه النقيع ويسمى بين جبل غير وحمراء بالأسد الحسي و العقيق بعد ذو الحليفة (الدوعان، ١٩٩٩). وتصب فيه أودية الشعين وظلامة والعش واليتمة وضاف والملحة وريم والنقيع والخنفة وحضة والسديرة وعدة شعبان منها شعيب اللحيان والعرار ونخال وملحة والسليم مسعيد وغيرها.

الأحمر. ويتسم حوض



الشكل رقم (١). الموقع الجغرافي لحوض وادي العقيق.

وادي العقيق بنظام تصريف داخلي لأنه يصب في مجرى وادي الحمض غرب المدينة المنورة . ويتسم حوض وادي العقيق بنمط تصريف شجري . وتباين نسبة الانحدار الطبوغرافي لحوض وادي العقيق بين السفوح العليا بالجنوب الغربي حيث تفوق ٣٠ ٪ والحوض الأدنى والسفوح الشرقية حيث لا تتعدى ٣ ٪ على طول المجرى الرئيس وحتى المصب عند وادي الحمض.

٢- الخصائص المناخية

ترتبط الخصائص الهيدرولوجية لنظام التصريف السطحي بالحوض المائي بالخصائص المناخية السائدة به لأن كمية التدفق السطحي تمثل الفائض المائي الناتج من الفارق بين كميات الأمطار المتساقطة خلال فترة زمنية معينة من جهة وكميات المياه المتسربة في التربة والمتبخرة على السطح من جهة أخرى . وتساعد دراسة الخصائص المناخية في تحديد الفترات الزمنية من السنة التي تتميز بجريان سطحي يساهم في تغذية نظام التصريف السطحي للشبكة المائية أو المياه الجوفية . ولذا تعتبر الأمطار أهم عنصر في نظام التصريف السطحي للأحواض المائية لأنها المورد الأساس في عملية التغذية بالمياه الجارية في مختلف الأودية التي تصرف تضاريس الحوض المائي .

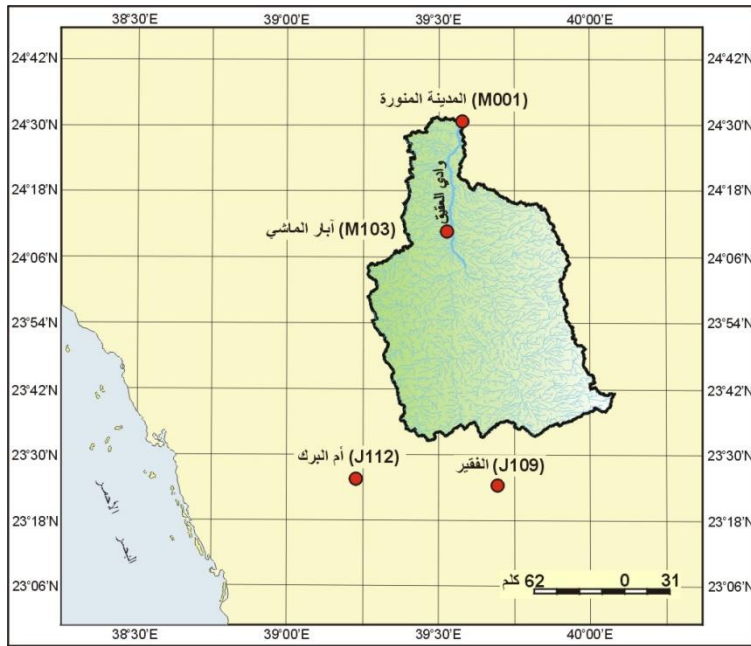
٢-١- نظام تساقط الأمطار

نظراً لوقوع منطقة المدينة المنورة ضمن نطاق الضغط المرتفع الدائم الذي يسيطر على المملكة فهي تتعرض بانتظام إلى تأثيرات المنخفضات الجوية التي تتسبب في هطول الأمطار وحدوث العواصف الرعدية خلال الفترة الممتدة من نوفمبر إلى أبريل . ويقع حوض وادي العقيق في الجزء الغربي الشمالي من المملكة العربية السعودية على مسافة حوالي ٢٤٠ كلم عن خط ساحل البحر الأحمر . ولهذا الموقع الفلكي والجغرافي تأثيراته في تحديد الملامح العامة لنظام تساقط الأمطار بحوض وادي العقيق . ولقد تم

الاعتماد على بيانات أربع محطات لقياس الأمطار في تحديد نظام تساقط الأمطار
بحوض وادي العقيق وهي : (الجدول ١ والشكل ٢)

الجدول رقم (١). محطات قياس الأمطار لحوض وادي العقيق.

اسم المحطة	رقم المحطة	المنطقة الجغرافية	فترة التسجيل
أم البرك	00228/J112	٠٠٢٠٢٠٠٠ - محافظة جدة	١٩٦٤ - ٢٠٠٦
الفقير	00225/J109	٠٠٣٠٠٠٠٠ - إمارة المدينة المنورة	١٩٦٦ - ٢٠١١
آبار الماشي	00371/M103	٠٠٣٠٠٠٠٠ - إمارة المدينة المنورة	١٩٦٨ - ٢٠١١
المدينة المنورة	00366/M001	٠٠٣٠٠٠٠٠ - إمارة المدينة المنورة	١٩٧٢ - ٢٠١١



الشكل رقم (٢). الموقع الجغرافي لمحطات قياس الأمطار لحوض وادي العقيق.

ويمتد موسم الأمطار لمنطقة الدراسة من أواخر الخريف ويستمر حتى أواخر الربيع من السنة التالية. وتخضع منطقة حوض وادي العقيق لنوعين من الأمطار :

- النوع الأول منها هي ما تسمى بالأمطار الإعصارية وهي أمطار الجبهات الهوائية أو أمطار المنخفضات الجوية التي تسقط بسبب المنخفضات الجوية (Cyclonical precipitations). وتسقط هذه الأمطار فوق منطقة الدراسة في الفترة الممتدة من نوفمبر إلى أبريل ، بمعدل يتراوح بين ٧١,٤ ملم بمحطة الفقير بالحوض الأعلى و ٣٥,٨ ملم بمحطة آبار الماشي بالحوض الأدنى لوادي العقيق. وتشكل أمطار هذه الفترة من السنة أكثر من ٧٠ ٪ من أمطار حوض وادي العقيق . وتباين كمية المطر تبايناً كبيراً من منخفض لآخر وأيضاً من سنة إلى أخرى . ولا يمكن التنبؤ بمواقع سقوطها لأنها ترتبط بخط سير كل منخفض على حده . و تختلف كذلك غزارتها من مكان لآخر (الجدول ٢).

- أما النوع الثاني فهي أمطار العواصف الرعدية التي تسمى أحياناً بأمطار التصعيد (Convictional precipitations) وهي أمطار ترتبط بمحالات عدم الاستقرار التي تنشأ نتيجة لتسخين الهواء عند سطح الأرض وارتفاعه إلى أعلى مما يؤدي إلى تشكيل سحب ركامية أو ركامية مزنية . وتسقط الأمطار الرعدية على منطقة المدينة المنورة خلال الفترة الممتدة من مايو إلى أكتوبر ، بمعدل يتراوح بين ١٦,٢ ملم بمحطة الفقير بالحوض الأعلى و ١١,٦ ملم بمحطة المدينة المنورة بالحوض الأدنى لوادي العقيق (الجدول ٢).

الجدول رقم (٢). المتوسطات الشهرية للأمطار بالمحطات المدروسة.

الشهر	الفقير J109	أم البرك J112	المدينة المنورة M001	آبار الماشي M103
يناير	18.7	7.7	5.0	6.8
فبراير	3.5	1.9	2.5	2.8
مارس	10.4	4.2	10.0	6.9
أبريل	10.3	6.2	9.4	6.8
مايو	3.6	1.6	4.0	5.3
يونيو	1.4	0.0	0.6	0.0
يوليو	0.6	0.0	0.9	2.4
أغسطس	3.3	2.3	2.2	3.8
سبتمبر	5.2	1.9	1.1	0.9
أكتوبر	2.1	3.5	2.8	1.9
نوفمبر	19.2	8.8	8.2	4.8
ديسمبر	9.3	9.5	4.7	7.7
السنة	87.6	47.6	51.4	50.1
عدد السنوات	46	41	39	44
المتوسط	7.3	4.0	4.3	4.2
الانحراف المعياري	6.4	3.3	3.3	2.6
معامل الاختلاف	0.88	0.84	0.77	0.62

وتشكل أمطار هذه الفترة من السنة نسبة تتراوح بين ١٨,٥ ٪ و ٢٨,٥ ٪ من معدل الأمطار السنوي بمحطتي الفقير و آبار الماشي على التوالي . ولا ترتبط بمكان ثابت وهي من الظواهر الهامة لمناخ المناطق الجافة وشبه الجافة . وتتميز هذه الأمطار بعدم الانتظام ، حيث أنها تتباين تبايناً كبيراً في كميتها ، وقد تمضي سنوات متعاقبة دون مطر في حين قد تسقط خلال سنة واحدة بمقدار كبير يبلغ أضعاف متوسط المجموع السنوي . ولا يقتصر التباين في كمية المطر من سنة لأخرى بل أيضاً من شهر لآخر في نفس المكان.

وكلا النوعين من الأمطار غير منتظم في المكان والزمان وفي الكمية وهي من صفات المناخ الصحراوي. كما يتميز نظام تساقط الأمطار في المدينة المنورة بظاهرة التركيز الشديد، حيث يتركز المطر في عدد قليل من الأيام خلال السنة وفي زخات قوية ومركزة بحيث قد يسقط مطر الشهر كله خلال يوم واحد أو أضعاف ما يسقط في بضعة أعوام. كما تتصف أيضاً أمطار المدينة المنورة والجهات الجافة عموماً بالطابع الفجائي للمطر، الأمر الذي ينتج عنه جريان السيول التي تكون خطراً على الأرواح والممتلكات (طلبه، ٢٠٠٢).

٢-٢- السمات العامة لعناصر المناخ الأخرى

لإبراز السمات المناخية الأخرى لحوض وادي العقيق تم تحليل عناصر المناخ المسجلة خلال الفترة الممتدة من ١٩٨٥ إلى ٢٠٠٨ بالمحطة المناخية للمدينة المنورة التابعة للرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة (الجدول ٣).

الجدول رقم (٣). المتوسطات الشهرية للعناصر المناخية خلال الفترة ١٩٨٥ - ٢٠٠٨ م بمحطة المدينة المنورة.

الشهر	درجات الحرارة (C°)			الرطوبة الجوية (%)			سرعة الرياح (عقدة)		الضغط الجوي (مليبار)
	المتوسط	القصى	الدنيا	المتوسط	القصى	الدنيا	المتوسط	الأقصى	
يناير	١٧,٨	٢٤,٠	١١,٦	٣٨,٩	٥٧,٥	٢٤,٠	٥,٥	١٤,٩	٩٤٣,٢
فبراير	٢٠,٠	٢٦,٤	١٣,٣	٣١,٥	٤٩,٦	١٨,١	٥,٩	١٥,٨	٩٤١,٧
مارس	٢٣,٦	٣٠,٢	١٦,٧	٢٦,٢	٤٢,٦	١٤,١	٦,٥	١٧,٢	٩٣٩,٨
أبريل	٢٨,٣	٣٥,٢	٢١,١	٢٢,٧	٣٨,٢	١١,٤	٦,١	١٧,٦	٩٣٨,٢
مايو	٣٢,٩	٣٩,٦	٢٥,٥	١٧,٣	٣٠,١	٩,٢	٦,٠	١٧,٢	٩٣٧,٠
يونيو	٣٦,٢	٤٢,٨	٢٨,٣	١١,٧	٢٠,٠	٦,٠	٦,٠	١٦,٤	٩٣٤,٣
يوليو	٣٦,٥	٤٢,٩	٢٩,٠	١٣,٥	٢٢,٥	٧,١	٦,٥	١٧,١	٩٣٣,٣
أغسطس	٣٧,٠	٤٣,٧	٢٩,٨	١٥,٥	٢٦,٤	٧,٥	٦,١	١٨,٠	٩٣٣,٥
سبتمبر	٣٥,٥	٤٢,٣	٢٧,٨	١٣,٧	٢٢,٨	٧,٣	٥,٠	١٦,٤	٩٣٦,٣
أكتوبر	٣٠,٤	٣٧,٣	٢٢,٩	١٩,٦	٣١,٨	١١,٠	٤,٧	١٥,٧	٩٤٠,١
نوفمبر	٢٤,٢	٣٠,٦	١٧,٧	٣٣,٠	٤٩,٨	٢٠,٣	٤,٩	١٥,٠	٩٤٢,٠
ديسمبر	١٩,٧	٢٥,٩	١٣,٦	٣٩,٢	٥٦,٨	٢٤,٩	٥,٢	١٤,٥	٩٤٣,٤

٢-٢-١ - التغيرات الفصلية لدرجات الحرارة

يمكن تحديد التغيرات الفصلية لدرجات الحرارة من خلال بيانات الجدول ٤ الذي يمثل المتوسطات الحرارية الشهرية للفترة المدروسة . فمن خلال هذا الجدول يتسم مناخ منطقة المدينة المنورة بمعدل شهري لدرجة الحرارة يبلغ ٢٨,٥ م° وبمتوسط درجة حرارة يبلغ أقصاه خلال شهر يوليو بما يعادل ٣٧,٠ م° وأدناه خلال شهر يناير بما يعادل ١٧,٨ م°.

في حين ينخفض معدل درجات الحرارة الدنيا إلى ٢١,٤ °م وبدرجات حرارة تتراوح بين ١١,٦ °م خلال شهر يناير و ٢٩,٨ °م خلال شهر أغسطس ، بينما يرتفع معدل درجات الحرارة القصوى إلى ٣٥,١ °م وبدرجات حرارة تتراوح بين ٢٤,٠ °م خلال شهر يناير و ٤٢,٩ °م خلال شهر يوليو . وعليه فإن شهر يناير يعتبر أبرد الشهور وشهر يوليو أحر الشهور بمدى حراري يبلغ ٣١,٣ °م . وتؤثر درجات الحرارة المرتفعة مباشرة على عملية الجريان السطحي للأودية بحوض وادي العقيق عن طريق عملية التبخر التي تؤدي إلى فقدان كميات كبيرة من مياه الأمطار مما يعجل بجفاف المياه الجارية السطحية في الأودية .

٢-٢-٢- التغيرات الفصلية للرطوبة الجوية

نظراً لموقع حوض وادي العقيق بالمنطقة المدارية الجافة بعيداً نوعاً عن المسطحات المائية البحرية فإنه يتصف برطوبة نسبية منخفضة نوعاً ما بحيث لا يتعدى معدل الرطوبة الشهري ٢٣,٦ ٪ ويتراوح بين ٣٩,٢ ٪ خلال شهر ديسمبر و ١١,٧ ٪ (خلال شهر يونيو) . ولا يتعدى معدل الرطوبة النسبية القصوى ٣٧,٣ ٪ و يتراوح بين ٥٧,٥ ٪ خلال شهر يناير و ٢٠,٠ ٪ خلال شهر يونيو، بينما ينخفض معدل الرطوبة النسبية الدنيا إلى ١٣,٤ ٪ و يتراوح بين ٢٤,٩ ٪ خلال شهر ديسمبر و ٦,٠ ٪ خلال شهر يونيو . وتتأثر الرطوبة النسبية كثيراً بجفاف الهواء في فصل الصيف عموماً واقتترانه بارتفاع درجة الحرارة أكثر من تأثرها بهطول الأمطار وبرودة الجو في فصل الشتاء .

٢-٢-٣- التغيرات الفصلية لسرعة الرياح السطحية

يتأثر حوض وادي العقيق على غرار باقي مناطق المملكة الأخرى خلال فصل الشتاء بالرياح التجارية الشمالية الشرقية التي تهب بسرعة تبلغ أقصاها

خلال شهر فبراير بما يعادل ١٥,٨ عقدة. وتهب هذه الرياح على حوض وادي العقيق وهي باتجاهها من مناطق المرتفعات الجوية (الضغط المرتفع الآسيوي والضغط المرتفع فوق شمال إفريقيا الملتحم بالضغط المرتفع الأزوري فوق مياه البحر الأحمر) التي تتشكل فوق أراضي شبه الجزيرة العربية نحو منطقة الضغط المنخفض الاستوائي الذي يتراجع جنوباً في هذا الفصل (أحمد، ١٩٩٣، ص ٤٩).

كما يتأثر حوض وادي العقيق خلال فصل الصيف بهبوب الرياح المحلية الحارة التي تتميز بارتفاع درجات الحرارة والتي تكون في كثير من الأحيان محملة بالغبار والرمال (شرف، ١٩٨٣). وتعرض كذلك مساحة التصريف لحوض وادي العقيق إلى هبوب رياح حارة وجافة ومستقرة تتسرب من المرتفعات الجوية شبه المدارية وتتجه من الشمال نحو مركز الضغط المنخفض الذي يسيطر على وسط المملكة. وتهب الرياح الشمالية الشرقية على المنطقة معظم أيام الصيف بسرعة تتراوح بين ١٦,٤ عقدة خلال شهر يونيو و ١٨,٠ عقدة خلال شهر أغسطس بالإضافة إلى هبوب رياح السموم التي تتجه من صحراء الربع الخالي نحو الشمال الغربي من المملكة (Al Amri, 1990).

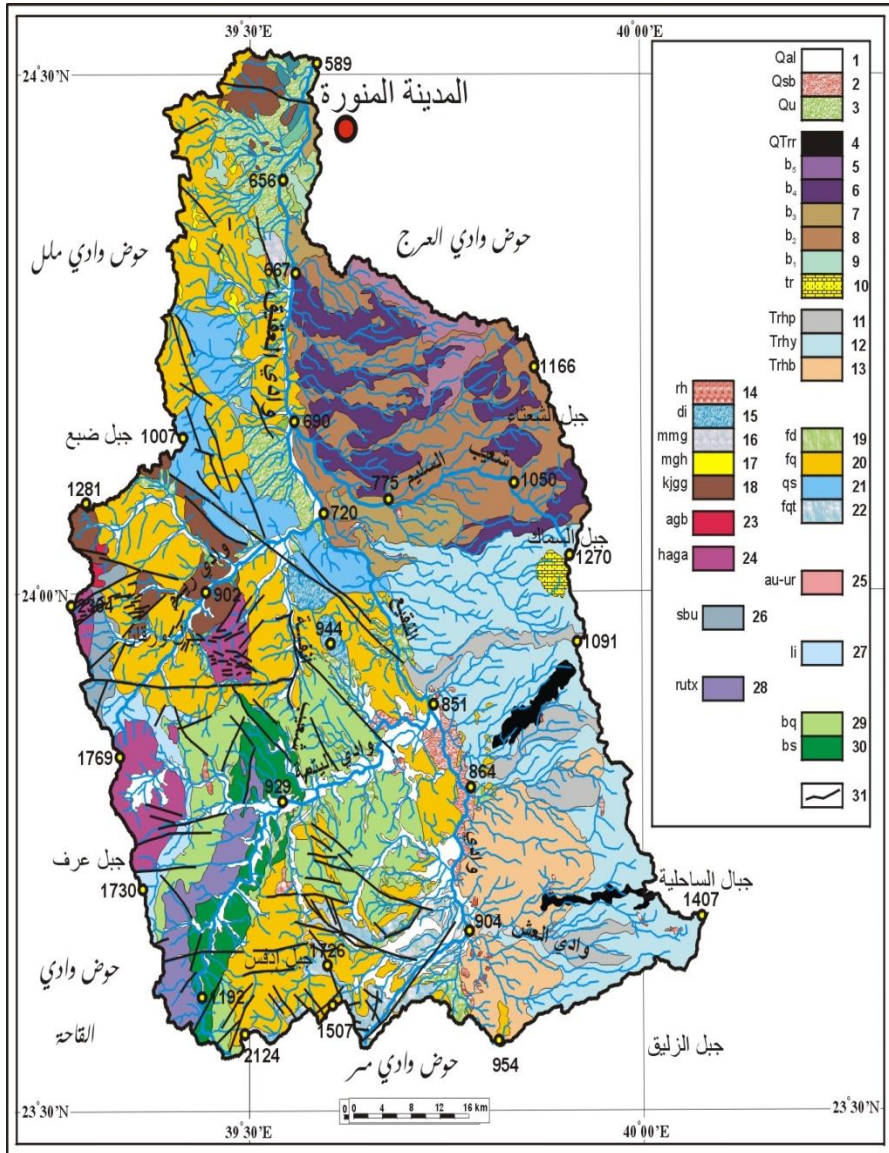
٣- جيولوجية حوض وادي العقيق

تعتبر مساحة التصريف لحوض وادي العقيق جزء من تضاريس الدرع العربي وهي تقع على مربعي الخرائط الجيولوجية بمقياس ٢٥٠٠٠٠/١ (المدينة المنورة، 1979، Sheet 24-D, GM -52C) و(أم البرك، Sheet 23-D, GM -87 C، 1983). وتغطي الحرات الجزء الأكبر من مساحة الحوض بينما تغطي صخور الأساس التابعة لفترة ما قبل الكامبري المساحة المتبقية. وتتكون الحرات أساساً من

الحمم البركانية التي تعود إلى الزمنين الثالث والرابع التي تشكل صخورها أساساً من البازلت والاندزيت. و يغطي البازلت أحيانا طبقات رسوبية من الطين والرمل تتخللها طبقات من الحصى بينما تتوضع الصخور البازلتية في بعض المواقع مباشرة فوق صخور القاعدة القديمة (صخور ما قبل الكمبري). و كانت الاندفاعات البركانية تحدث في المنطقة على مراحل متلاحقة تفصل بينها فترات انقطاع وهدوء بركاني. أما صخور الأساس فهي تشمل الصخور الرسوبية المتحولة والصخور البركانية المتحولة والصخور النارية والصخور الرملية لعصرى الكمبري والادروفيشى (Pellaton, 1981).

كما أنتجت عمليات الحت والتعرية للصخور خلال العصر الحديث كميات كبيرة من الرسوبيات الفتاتية السطحية والمكونة من الحجارة والحصى متفاوتة في أحجامها والرمل الخشن والناعمة والغرين السيلتي والطين الغضاري التي ترسبت في بطون الأودية و المنخفضات. ولقد تم نقل هذه الرسوبيات الحديثة جزئيا من المرتفعات والجبال في منطقة المدينة في حين أن معظمها قد نُقل من مناطق بعيدة بواسطة الأودية التي شكلت شبكة من المسيلات المائية الموسمية التي تصب باتجاه حوض المدينة قادمة من مختلف الاتجاهات (الشكل ٣).

ويغطي مجرى وادي العقيق رواسب من عصري البلايستوسين والهولوسين Pleistocene-Holocene تتمثل في الرواسب المفككة التي تتكون من الرمل والحصى والطمي ورواسب الأودية والسباخ التي تم ترميزها بالمصطلحات Qu و Qsb والناتجة من عمليات الحت والتعرية للصخور خلال العصرين والتي أدت إلى تكوين كميات كبيرة من الرسوبيات الفتاتية من أهمها الحصى بأحجام مختلفة والرمل الخشن والناعمة والغرين السيلتي والطين (Camp, 1986).



الشكل رقم (٣). التكوينات الجيولوجية لحوض وادي العقيق.

وتتوضع هذه الرواسب حسب طبيعة انحدار سطح الوادي واتجاه قوة سيوله بحيث نجد الحصباء والحصى عند القاعدة وتليها حبيبات الرمل والطين. وتتواجد الرواسب النهرية وراسب المجاري المائية المتقاطعة في مناطق الوديان الرئيسة بالمنطقة. ويبدو أن عمليات الترسيب تمت على دورات زمنية متكررة بحيث يتكرر تتابع الحصى والرمل والطين في أكثر من مكان. ويتفاوت سمك رواسب الأودية بدرجة كبيرة من مكان لآخر ويرتبط بشكل صخور قاع الوادي وبشكل سطح الأرض. كما تمتد أيضا صخور الحمم البركانية البازلتية والرماد البركاني التي تشكلت خلال العصرين والثالث والرابع وهي عبارة عن صخور قاعدية وصلت إلى سطح الأرض نتيجة الاندفاعات البركانية. وتتراوح أعمار هذه الصخور بين ٧٥٠ سنة و ٢٥ مليون سنة (Camp, 1986). وتتميز هذه الصخور بلونها الأسود الذي يميل إلى اللون الرمادي وهي دقيقة التبلور وتحتوي على معادن متنوعة. ويظهر أيضاً على جانبي الوادي صخور متكون حمه التي تم الترميز لها في الخريطة بالمصطلحات Trhp و Trhy و Trhb وهي تشكلت خلال عصري الأيوسين والبلايوسين ويتراوح عمرها بين ٢٢ و ٦٨ مليون سنة وهي عبارة عن تدفقات مجواة يفصلها عن الصخور البركانية سطح من عدم التوافق . كما يظهر في حوض وادي العقيق صخور الحجر الرملي والجريواكي والكونجلوميرايت وحجرالغرين والرخام لتكون دونك (fd) وكذلك صخور الاندسايت والبازلت والبريشيا البركانية والتف لتكون قدره (fq) بالإضافة إلى الصخور الرسوبية الفتاتية (qs) التابعة كلها إلى المجموعة فريج. وتشكل صخور هذه المجموعة تلالا قليلة الارتفاع محاطة برواسب العصر الرباعي وهي تتوضع في عدم توافق على متكون عريفي التابع للمجموعة العيس. ويتشكل هذا الأخير من صخور

الكونجلوميرايت والحجر الرملي. ولا يبدو سطح عدم التوافق بين مجموعة فريخ ومجموعة العيس واضحاً في كل الأماكن.

وتظهر أيضاً في حوض وادي العقيق بعض الصخور المفككة التابعة لمجموعة العيس وهي عبارة عن تتابعات رسوبية بركانية سمكية وبعض البركانيات والبركانيات الفتاتية التي تتوضع بعدم توافق أسفل مجموعة فريخ . وتقدر عمر مجموعة العيس بحوالي ٧٢٥ سنة إلى ١٢ مليون سنة.

ويمكن تقسيم صخور مجموعة العيس في بعض المواقع من ٣ إلى ٥ أجزاء متطبقة (الشنطي، ٢٠٠٣)، يوجد منها في حوض وادي العقيق متكون عريفي الذي يقع أسفل متكون فرشه وتشكل صخوره في الجزء السفلي من الانديسايت غامق اللون أو بنفسجي وبازالت ولافا وفي الجزء الأعلى من لافا تحتوي على معادن ثانوية وتجويفات يملؤها المرو والكلورايت.

وتتكشف أيضاً في بطن وادي العقيق صخور بعض المتداخلات والقواطع من الجابرو والجرانوديورايت والديورايت التي تنتمي زمنياً لمجموعة العيس (الشكل ٤). و تعتبر المحقونات النارية (صخور اندساسية) أحدث من مجموعة العيس .

أما صخور القاعدة وهي صخور الأساس فتتكشف في حوض وادي العقيق بعدة أماكن على شكل جبال . ولقد تعرضت صخور حوض وادي العقيق إلى عمليات اختراق بمحقونات

Geologic Period	Sedimentary , volcanic and metamorphic rocks	Intrusive rocks
Pleistocene Holocene	Qal Qsb Qu	
Quaternary and Tertiary	Discordance	
	QTrr b ₅ b ₄ tr b ₃ b ₂ b ₁ Rashid Formation	Trhp Trhy Trhb Hammah Formation
Precambrian	Discordance	rh di mmg mgh kjgg Jayah complex
	Discordance	
	fd fq fq ₁ qs Furayh group	
	Discordance	agb Gabbro
	Discordance	haga Awf complex
	Discordance	
	au - ur Urayfi formation	
	Discordance	sbu Shfayyah complex
	li Milah formation	
	Discordance	rutx Bustan complex
	Discordance	
	bq bs Qahah group Suri formation Birak group	

الشكل رقم (٤). السلم الستراتيغرافي لتكوينات حوض وادي العقيق.

الصخور الجوفية البلوتونية (Plutonic intrusive rocks) وهي حمم منصهرة ملأت الشقوق ثم تجمدت مكونة صخوراً نارية جوفية نتج عنها أنواع أخرى من الصخور مثل الجرانوديوريت والجرانيت (mg) والديورايت والجابرو (agb). ولقد فقدت هذه الصخور الكثير من صفاتها الأصلية بسبب الانصهار الشديد وعوامل

الضغط والحرارة التي تعرضت لهما في باطن الأرض. ولقد تأثرت صخور المنطقة كذلك بعمليات الطي والتشوه العنيف خلال مختلف الأزمنة الجيولوجية وفقدت معظم صفاتها الأصلية وتحول الكثير منها إلى سحنة الشست الأخضر. ولقد أدت عملية التحول أحيانا إلى مزجها مع بعضها البعض فتشوهت بدرجات متفاوتة وتغيرت معظم خصائصها وتراكيبها الأصلية. ولقد نجم عن هذا النشاط الجيولوجي العديد من الفواصل التي تظهر باتجاهات مختلفة أهمها الاتجاهات NW و NNW و NWW بالإضافة إلى اتجاهات فرعية أخرى هي مثل NNE و NE. و توازي هذه الفواصل الاتجاهات الإقليمية للفاصل والصدوع بمربع المدينة المنورة (Pellaton, 1981). وأبرز الاتجاهات الإقليمية للفاصل هي الاتجاه NE الذي يتراوح عمره بين ٥٩٠ و ١٠٠٠ مليون سنة واتجاه WNW وهو اتجاه صدوع نجد ويتراوح عمره بين ٥٣٠ و ٥٨٠ مليون سنة واتجاه EW الذي يسمى باتجاه بحر التيثس Tethys ويتراوح عمره بين ١٨٥ و ٢٥٠ مليون سنة واتجاه NW أو W وهو اتجاه البحر الأحمر الذي يعتبر أحدث الاتجاهات ويقدر عمره بحوالي ٢٦ مليون سنة.

٤- الخصائص التضاريسية

تتأثر الخصائص الهيدرولوجية لأحواض التصريف بالخصائص التضاريسية التي تتحكم بشكل كبير في اتجاه الجريان وكمية التدفق على السفوح والمنحدرات. وبالتالي يتأثر زمن التركيز وكذلك زمن الاستجابة للحوض المائي بالخصائص التضاريسية للسطح الذي يصرف مياه الأمطار عند تساقطها من المنبع حتى المصب. ولذا فإن هذه الخصائص تتحكم بشكل مباشر في قدرة الأحواض المائية على تحويل مياه الأمطار إلى مياه جريان سطحي ومياه سيول غزيرة. ويرتبط تباين كميات التصريف السطحي من حوض لآخر بتباين الخصائص التضاريسية. ومن هنا كانت الدراسات

الجيومورفولوجية تركز على التحليل الكمي لهذه الخصائص من خلال وضع العديد من المعادلات التي تعبر عن دور المتغيرات التضاريسية التي تؤثر كثيراً في عملية الجريان السطحي بالأحواض المائية، بحيث يلعب الانحدار دوراً بارزاً في التأثير على كمية وطبيعة هذا الجريان. فالانحدار الشديد يساعد كثيراً على زيادة فرص تجمع مياه الأمطار وانسيابها باتجاه مجاري الأودية. وعليه فإن فرض ضياع المياه بعملية التسرب والتبخر تبقى ضعيفة بالأحواض المتضرسة ذات الانحدارات الشديدة. ولذا يعتبر تضرس الحوض المائي المحصلة النهائية لنشاط التعرية وهو يعكس المرحلة الجيومورفولوجية التي يمر بها حوض التصريف لأن خصائص الشبكة المائية تنتج من التفاعل المتبادل بين العمليات الجيومورفولوجية والخصائص الليثولوجية والبنية الجيولوجية والخصائص المناخية. وقد أشار شوم إلى أن هناك علاقة بين انحدار سطح الأرض ومعدلات التعرية لأن تضرس السطح يؤثر على حركة المياه والرواسب داخل الحوض وبالتالي تؤدي قلة التضرس بمرور الزمن إلى تقليل كمية وحجم الرواسب (Schumm, 1977).

ومن أهم المتغيرات الهيدرولوجية تتأثر بالخصائص التضاريسية لحوض التصريف زمن الاستجابة الذي يرتبط كثيراً بهذه الخصائص بحيث يتأخر ظهور الجريان السطحي بعد تساقط الأمطار بالأحواض ذات الانحدارات الضعيفة لأن كمية الفواقد بالتسرب والتبخر تتزايد بسبب ضعف سرعة الجريان السطحي في حين نجد أن الانحدارات الشديدة تؤدي إلى سرعة تحويل مياه الأمطار إلى مياه جريان سطحي وسيلي وزيادة سرعة التدفق بسبب انخفاض هذه الفواقد ومن ثم تقليص زمن الاستجابة وظهور الجريان السطحي بعد فترات وجيزة من بداية تساقط الأمطار على مساحة التصريف بالحوض المائي شديد التضرس.

وسوف نتناول في هذا البحث تحليل العديد من المتغيرات التضاريسية التي تسمح بمقارنة أحواض الروافد المغذية لوادي العقيق . وفي هذا الصدد فقد تم تحديد أربعة أحواض أساسية من إجمالي مساحة التصريف لحوض وادي العقيق هي : (الشكل ٥)

- ١ - حوض وادي العش بمساحة تصريف تبلغ ١١٩٣,٠ كلم^٢ .
- ٢ - حوض وادي ريم بمساحة تصريف تبلغ ٧٧٦,١ كلم^٢ .
- ٣ - حوض وادي اليتمة بمساحة تصريف تبلغ ١٠٣٧,٥ كلم^٢ .
- ٤ - حوض شعيب السليم بمساحة تصريف تبلغ ٥٢٧,٩ كلم^٢ .

وسوف نتناول بالتحليل المتغيرات التضاريسية ذات المدلول الجيومورفولوجي الذي يسمح بمقارنة هذه الأحواض من حيث قدرتها على سرعة تصريف مياه الأمطار. ويتم الحصول على قيم هذه المتغيرات من مخرجات نموذج الارتفاعات الرقمية Digital Elevation Model (DEM) باستخدام تطبيقات برنامج Watershed Modeling Systems والتحليل المكاني Spatial Analysis.

وتتلخص المتغيرات التضاريسية في ما يلي : (الجدول ٤)



الشكل رقم (٥). أحواض الروافد المدروسة.

٤-١- الارتفاعات Elevations

تتباين الارتفاعات بين أحواض الروافد المدروسة بحيث يتراوح الارتفاع الأقصى وهو عبارة عن أعلى منسوب على خط تقسيم المياه بين ١٢٧٠ م بحوض شعيب السليم و ٢٣٠٤ م بحوض وادي ريم، بينما يتراوح الارتفاع الأدنى الذي يمثل عادة ارتفاع مصب الحوض المائي بين ٦٩٠ م بحوض شعيب السليم و ٨٥١٤ م بحوضي وادي العش وادي اليتمة (الجدول ٤). أما الارتفاع المتوسط للحوض المائي فهو عبارة عن الارتفاع الذي يمثل ٥٠٪ من ارتفاعات الحوض المائي (Horton, 1932) وهو يتراوح بين ٩١٢,١ م بحوض شعيب السليم و ١١٣٩,٩ م بحوض وادي اليتمة.

الجدول رقم (٤). المتغيرات التضاريسية للأحواض الجزئية لوادي العقيق.

المتغير	الرمز	المصدر	حوض وادي رم	حوض وادي اليتمة	حوض شعيب السليم	حوض وادي العش
الارتفاع المتوسط (متر)	H' (m)	(Horton, 1932)	١٠٤٤,٨	١١٣٩,٩	٩١٢,١	١٠١٢,١
الارتفاع الأدنى (متر)	h min (m)	WMS output	٧٢٠	٨٥١	٦٩٠	٨٥١
الارتفاع الأقصى (متر)	H max (m)	WMS output	٢٣٠٤	٢١٢٤	١٢٧٠	١٧٢٦
متوسط انحدار الحوض (متر/متر)	I _b (m/m)	(Horton, 1932)	٠,١٦٧٧	٠,١٨٠٤	٠,٣٢٦	٠,٤٩٦
متوسط انحدار الحوض (%)	I _b (%)	---	١٦,٨	١٨,٠	٣,٣	٥,٠
انحدار المجرى الرئيس (متر/متر)	I _s (m/m)	(Langbein, 1947)	٠,٠٠٩٩	٠,٠٠٩٤	٠,٠٠٨٣	٠,٠٠٧١
انحدار المجرى الرئيس (%)	I _s (%)	---	٠,٩٩	٠,٩٤	٠,٨٣	٠,٧١
انحدار خط تقسيم المياه (متر/كلم)	I _p (m/km)	(Appolov, 1963)	٢٣,٨	١٧,٦	١٦,٥	١٣,٧
طول محيط الحوض (كلم)	P (km)	(Schumm, 1956)	١٩٣,٣	٢٤٠,٩	١٥٣,٦	٢٥١,٢
طول المجرى المائي الرئيس (كلم)	L _b (km)	WMS output	٤٥,٣	٧٣,٢	٤٩,٤	٦٥,٣
طول الوادي (كلم)	V _i (km)	WMS output	٣٧,١	٤٨,٢	٣٨,٦	٤١,٩
نسبة التضاريس النسبية (م/كلم)	R _{np} (m/km)	(Melton, 1957)	٨١٩,٣	٥٢٨,٤	٣٧٧,٧	٣٤٨,٤
نسبة التضاريس (م/كلم)	R _n (m/km)	(Schumm, 1956)	٣٥,٠	١٧,٤	١١,٧	١٣,٤
إجمالي تضاريس الحوض (متر)	Z-z (m)	(Strahler, 1952)	١٥٨٤	١٢٧٣	٥٨٠	٨٧٥
التكامل الهيسومتري (كلم ^٢ /متر)	Hi (m/m)	(Pike et al., 1971)	٠,٢١	٠,٢٣	٠,٣٨	٠,١٨

٤-٢- طول محيط الحوض Basin perimeter

هو عبارة عن طول خط تقسيم المياه الذي يحيط بكل تعرجاته بالشبكة المائية الممتدة داخل الحوض المائي. ويدل المحيط على حجم وشكل الحوض المائي (Schumm, 1956). ويتراوح طول محيط الحوض بين ١٥٣,٦ كلم بحوض شعيب السليم و ٢٥١,٢ كلم بحوض وادي العش. ويرتبط طول محيط الحوض بمساحة التصريف بحيث نجد أن أكبر الأحواض هو حوض وادي العش بمساحة تصريف تبلغ ١١٩٣,٠ كلم^٢ وأصغر الأحواض هو حوض شعيب السليم بمساحة تصريف لا تتعدى ٥٢٧,٩ كلم^٢.

٤-٣- طول المجرى الرئيس وانحداره Length and slope of main channel

هو عبارة عن طول المجرى الذي تصب فيه جميع الروافد لنفس الشبكة المائية ويمتد من مصب الحوض إلى المنبع بالقرب من خط تقسيم المياه. ويبدو أن وادي اليتمة يتسم بأطول مجرى وبطول يبلغ ٧٣,٢ كلم وأن وادي ريم هو أقل الأودية طولاً وبطول لا يتعدى ٤٥,٢ كلم. أما بالنسبة لانحدار المجرى الرئيس فهو عبارة عن العلاقة النسبية بين ارتفاعي المنبع والمصب والمسافة الفاصلة بينهما. ويبدو أن هناك تجانساً كبيراً في انحدار المجاري الرئيسة بحيث يتراوح انحدارها بين ٠,٧ ٪ بحوض وادي العش و ١ ٪ بحوض وادي ريم.

٤-٤- متوسط انحدار الحوض المائي Mean basin slope

هو عبارة عن العلاقة النسبية بين ارتفاعات السطح والمسافات الفاصلة بينها. وهناك العديد من الطرق التي تستخدم في حساب قيمة الانحدار. ويبدو أن تضاريس حوض شعيب السليم هي أقل التضاريس انحداراً بانحدار لا يتعدى ٣,٣ ٪ وأن تضاريس حوض وادي اليتمة هي الأكثر انحداراً بانحدار يبلغ ١٨,٠ ٪.

٤-٥- متوسط انحدار خط تقسيم المياه Mean slope of water divide

هو عبارة عن العلاقة النسبية بين الارتفاع الأقصى ومحيط الحوض المائي

وتحسب هذه العلاقة بتطبيق المعادلة التالية : $I_p = \frac{2H}{P}$ (Appolov, 1963)

بحيث يمثل H الارتفاع الأقصى بالحوض المائي (متر) و P طول محيط الحوض المائي وهو عبارة عن طول خط تقسيم المياه (كلم).

ويبدو من خلال قيم متوسط انحدار لخط تقسيم المياه أن حوضي وادي ريم ووادي اليتمة هما الأكثر انحداراً من حوضي وادي العش وشعيب السليم.

٤-٦- نسبة التضاريس النسبية ratio Relative relief

هي عبارة عن العلاقة النسبية بين ارتفاعات الحوض وطول محيطه . ويعبر عن

قيمة التضاريس النسبية بواسطة المعادلة التالية : $R_{hp} = \frac{100H}{P}$ (Melton, 1957)

بحيث يمثل H فارق الارتفاع بين أقصى وأدنى ارتفاعين بالحوض المائي (متر) و P طول محيط الحوض المائي وهو عبارة عن طول خط تقسيم المياه (كلم).

وترتفع قيمة نسبة التضاريس النسبية بالأحواض المائية التي تطورت شبكة مجاريها خاصة مجاري الرتبة الأولى وتقل بالأحواض التي تطورت بها أطوال مجاري الرتب العليا (Knighton, 1984) . ولقد أشار جريجوري وولنج في دراستهما لمجموع ٧٦ حوض تصريف ببريطانيا إلى وجود علاقة عكسية بين مساحة الحوض والتضاريس النسبية بحيث اتسمت الأحواض الصغيرة بتضاريس نسبية عالية (Gregory and Walling, 1973) . وترتبط نسبة التضاريس النسبية بمرحلة التعرية التي يمر بها الحوض المائي بحيث تنخفض قيمة التضاريس النسبية بالأحواض التي انخفض بها المدى التضاريسي وقلّت انحداراتها نتيجة تقدمها في مرحلة التعرية . وبمقارنة نسبة التضاريس النسبية للأحواض المدروسة نجد أن قيمة هذا المعامل

تتراوح بين ٠,٨٢ بحوض وادي ريم و ٠,٣٥ بحوضي وادي العش وهي تدل على تقدم مرحلة التعرية بحوض وادي العش مقارنة بالأحواض الأخرى.

٤-٧- نسبة التضاريس Relief ratio

هي عبارة عن العلاقة النسبية بين ارتفاعات الحوض وطول المجرى الرئيس .

$$\text{ويعبر عن قيمة هذه النسبة بواسطة المعادلة التالية : } R_h = \frac{H}{L_b} \text{ (Schumm, 1956)}$$

بحيث يمثل H فارق الارتفاع بين أقصى وأدنى ارتفاعين بالحوض المائي (متر) و L_b طول المجرى المائي الرئيس (كلم).

وتتناسب نسبة التضاريس عكسياً مع مرحلة التعرية التي قطعها الحوض المائي لأن الأحواض التي تقدمت بها مرحلة التعرية تتسم بنسبة تضاريس منخفضة نظراً لفقدانها أجزاء كبيرة من تضاريسها بواسطة عمليات التعرية في حين نجد أن الأحواض التي تمر بمرحلة مبكرة من التعرية تتميز بنسبة تضاريس مرتفعة . وترتفع كذلك نسبة التضاريس بالأحواض المائية التي تمتد على ارتفاعات كبيرة ومساحات تصريف صغيرة كالأحواض الجبلية التي تقطع سطحها شبكات مائية متطورة على الصخور الهشة والليننة والتي قللت من ارتفاعات سطحها المجاري المائية بمرور الزمن . وبمقارنة نسبة التضاريس للأحواض المدروسة نجد أن قيمة نسبة التضاريس تتراوح بين ٠,٠٤ بحوض وادي ريم و ٠,٠١ بحوضي وادي العش وشعيب السليم وهي تتناسب مع قيمة نسبة التضاريس النسبية من حيث دلالتها الجيومورفولوجية وتعكس النشاط الجيومورفولوجي الكبير الذي أثرت به عمليات التعرية على تضاريس حوض وادي العش منذ تشكيل الشبكة المائية.

٤-٨- إجمالي تضاريس الحوض Total basin relief

هو عبارة المدى التضاريسي للحوض الذي يمثله فارق الارتفاع بين أقصى وأدنى ارتفاعين بالحوض المائي (متر) . ويعبر عن قيمة هذا المدى بواسطة المعادلة التالية :

$$H(m) = Z(m) - z(m) \quad (\text{Strahler, 1952})$$

بحيث يمثل $Z(m)$ الارتفاع الأقصى بالحوض المائي (متر) و $z(m)$ الارتفاع الأدنى (ارتفاع المصب) (متر).

ويبدو من خلال قيم التضاريس النسبية ونسبة التضاريس وإجمالي تضاريس الحوض أن السفوح الغربية لحوض وادي العقيق أكثر تضرسا من السفوح الشرقية كما تدل عليه قيم المتغيرات التضاريسية المحسوبة ببرنامج WMS والمؤشرات التضاريسية المحسوبة بواسطة المعادلات الرياضية بحيث نجد أن حوضي وادي ريم ووادي اليتمة الواقعين على السفوح الغربية يتسمان بأعلى قيم التضاريس النسبية ونسبة التضرس ونسبة الانحدار مقارنة بحوضي وادي العش وشعيب السليم الواقعين على السفوح الشرقية . وتتأثر قيم إجمالي تضاريس الحوض بالمرحلة الحتية التي يمر بها هذا الأخير بحيث تعمل التعرية على تخفيض ارتفاعات التضاريس بمرور الزمن كما هو الحال بحوض وادي العش.

٤-٩- التكامل الهيسومتري Hypsometric Integral

هو عبارة عن العلاقة النسبية بين فارق الارتفاع بين الارتفاعين المتوسط والأدنى من جهة والمدى التضاريسي من جهة ثانية . وتحسب قيمة التكامل الهيسومتري بتطبيق

$$\text{المعادلة التالية : } H_i = \frac{Z'_i - Z_0}{Z_{\max} - Z_0} \quad (\text{Pike and Wilson, 1971})$$

بحيث يمثل Z' الارتفاع المتوسط للحوض المائي (متر) و Z_0 الارتفاع الأدنى للحوض المائي (ارتفاع المصب) (متر) و Z_{max} الارتفاع الأقصى للحوض المائي (متر).

ويعتبر التكامل الهيسومترى أفضل المعاملات المورفومترية لقياس درجة تضرس سطح الحوض المائي لأنه يعكس المرحلة التي قطعها هذا الأخير في دورة التعرية . وتشير القيم المنخفضة لهذا المعامل إلى توسع مساحة التصريف مع انخفاض المدى التضاريسي لها بسبب تقدم مرحلة التعرية التي يمر بها الحوض المائي بحيث أن هناك علاقة عكسية بين قيم التكامل الهيسومترى والفترة الزمنية لدورة التعرية. وتتراوح قيم التكامل الهيسومترى بالأحواض المدروسة بين ٠,١٨ بحوض وادي العش و ٠,٣٨ بحوض شعيب السليم وهي تدل على أن هذه الأحواض قد قطعت شوطاً كبيراً من دورة التعرية وقد تعرضت إلى عمليات تعرية شديدة قلصت الجزء الأكبر من حجم تضاريسها منذ نشأة الشبكة المائية، بحيث يبدو أن حوض وادي العش قد سبق كل الأحواض من حيث النشاط الجيومورفولوجي.

٥- الخصائص المورفومترية

ترتبط الخصائص المورفومترية كثيراً بالخصائص التضاريسية لأحواض التصريف. وهناك الكثير من الخصائص المورفومترية ذات المدلول الجيومورفولوجي التي يتم تحديدها بواسطة معادلات رياضية تمثل العلاقات النسبية بين المتغيرات المورفومترية للحوض المائي.

ويتم الحصول على قيم هذه المتغيرات من مخرجات نموذج الارتفاعات الرقمية Watershed (WMS) Digital Elevation Model (DEM) باستخدام تطبيقات برنامج Watershed Modeling Systems والتحليل المكاني Spatial Analysis.

ويمكن تحديد الخصائص المورفومترية للأحواض المدروسة بواسطة المتغيرات التالية : (الجدول ٥)

١-٥ - مساحة الحوض Basin Area

هي المساحة التي تدرج مجرى واحداً أو مجموعة من المجاري المائية بالمياه ، وهي تعد المصدر الذي يزود المجاري باحتياجاتها المائية (Leopold et al., 1964) . وتناسب مساحة التصريف مع الأبعاد الهندسية للحوض المائي (الطول ، العرض ، المحيط) ومع امتداد الشبكة المائية الذي يرتبط بالتطور الجيومورفولوجي وبديناميكية التعرية.

وتؤثر مساحة التصريف مباشرة على كمية التصريف و حجم وكمية الرواسب ومقدار السيول والفيضانات وعدد وأطوال المجاري المائية التي تتزايد مع كبر هذه المساحة مما يساعد على زيادة النشاط الجيومورفولوجي لعمليات التعرية ومن ثم زيادة كمية وحجم الرواسب . كما يؤدي امتداد مساحة التصريف إلى زيادة كمية الفواقد Losses عن طريق التسرب Infiltration والتبخر Evaporation نظراً لزيادة زمن التركيز وامتداد زمن الأساس Base time للجريان السطحي . وقد توصل شوم إلى وضع معادلة للعلاقة المتبادلة بين مساحة التصريف للحوض وعدد المجاري (Schumm, 1956) . وعليه يعتبر حوض وادي العش هو أكبر الأحواض بمساحة تصريف تبلغ ١١٩٣,٠ كلم^٢ و حوض شعيب السليم هو أصغر الأحواض بمساحة لا تتعدى ٥٢٧,٩ كلم^٢.

الجدول رقم (٥). المتغيرات المورفومترية للأحواض الجزئية لوادي العقيق.

المتغير	الرمز	المصدر	حوض وادي رم	حوض وادي اليتمة	حوض وادي شعيب	حوض وادي العش
المساحة (كلم ^٢)	A	WMS software output	776.1	1037.5	527.9	1193.0
الحيط (كلم)	P	Schumm, 1956	193.3	240.9	153.6	251.2
طول الحوض (كلم)	L _b	WMS software output	37.2	48.1	39.0	41.8
الحيط النسبي (كلم)	P _r	Schumm, 1956	4.0	4.3	3.4	4.7
متوسط عرض الحوض (كلم)	W _b	Horton, 1932	20.9	21.6	13.5	28.5
علاقة الطول بالمساحة	L _{ar}	Hack, 1957	75.9	90.3	60.2	98.2
نسبة معامل الشكل	F _f	Horton, 1932	0.56	0.45	0.35	0.68
نسبة الاستطالة	R _e	Schumm, 1956	0.85	0.76	0.66	0.93
نسبة الاستدارة	R _c	Miller, 1953	0.26	0.22	0.28	0.24
معامل الاندماج	C _c	Gravelius, 1914	1.97	2.12	1.90	2.07
معامل الانعراج	k	Chorley, 1957	1.40	1.75	2.26	1.15
مؤشر التعرج المعياري	S _i	Mueller, 1968	1.22	1.52	1.27	1.56
مؤشر التعرج الهيدروليكي	Hs _i	Mueller, 1968	18.5	34.6	21.7	36.4
مؤشر التعرج الطولوغرافي	Ts _i	Mueller, 1968	122.7	153.0	127.7	157.2
نسبة معامل الشكل	R _s	Horton, 1932	1.78	2.23	2.88	1.46
نسبة الانحدار	R _g	Sreedevi, 2004	42.6	26.5	14.9	20.9
نسبة الانعطاف	R _w	Smart & Surkan, 1967	1.22	1.52	1.27	1.56

٥-٢- المحيط النسبي Relative perimeter

هو عبارة عن العلاقة النسبية بين مساحة التصريف ومحيط الحوض المائي ويتم

حسابها بواسطة المعادلة التالية : (Schumm, 1956) $P_r = \frac{A}{P}$

بحيث يمثل P_r طول المحيط النسبي (كلم) و A مساحة التصريف للحوض المائي (كلم^٢) و P محيط الحوض المائي (كلم). وعليه يتسم حوض وادي العش بأكبر محيط نسبي يبلغ ٤,٧ كلم و حوض شعيب السليم بأصغر محيط نسبي لا يتعدى ٣,٤ كلم.

٥-٣- طول الحوض Basin length

هناك عدة تعريفات لطول الحوض المائي ترتبط جميعها بطريقة حساب هذا الطول بحيث نجد أن طول الحوض المائي هو عبارة عن أطول مسافة بين نقطتين على خط تقسيم المياه تكون موازية للمجرى الرئيس (Schumm, 1956). في حين يعتبر جريجوري و ولينغ أن طول الحوض المائي هو عبارة عن أطول مسافة في الحوض تمر عبر مصبه (Gregory and Walling, 1973). بينما يعرف غاردينر طول الحوض المائي بأنه المسافة بين مصب الحوض ونقاط تقسيم المياه التي تبعد عنه بمسافات متساوية (Gardiner, 1975). أما هورتون فيعرف طول الحوض المائي بالمسافة المستقيمة التي تفصل بين مصب الحوض وخط تقسيم المياه وتمر بمنبع المجرى الرئيس (Horton, 1932). وعليه يتراوح طول الأحواض المدروسة بين ٣٧,٢ كلم بحوض وادي ريم و ٤٨,١ كلم بحوض وادي اليتمة.

٥-٤- متوسط عرض الحوض Mean basin width

هو عبارة عن العلاقة النسبية بين مساحة الحوض وطوله. وتحسب هذا المتوسط

$$\text{بتطبيق المعادلة التالية : } W_b = \frac{A}{L_b} \quad (\text{Horton, 1932})$$

بحيث يمثل W_b متوسط عرض الحوض المائي (كلم) و A مساحة التصريف للحوض المائي (كلم^٢) و L_b طول الحوض المائي (كلم). وعليه يتراوح متوسط عرض الأحواض المدروسة بين ١٣,٥ كلم بحوض وادي شعيب السليم و ٢٨,٥ كلم بحوض وادي العش.

٥-٥ - علاقة الطول بالمساحة Length Area relation

وجد هاك أن طول الكثير من الأحواض المائية يرتبط بعلاقة أسية بمساحة التصريف هي :

$$L_{ar} = 1.4 A^{0.6} \text{ (Hack, 1957)}$$

وعليه نجد أن أطوال الأحواض المدروسة المحسوبة بهذه العلاقة تفوق مرتين أطوال الأحواض التي تم الحصول عليها بواسطة قياسات برنامج WMS .

٥-٦ - نسبة معامل الشكل Form factor ratio

يؤثر شكل الحوض على زمن التركيز وعلى كمية الجريان السطحي وذروة تدفق السيول. وتحسب قيمة معامل شكل الحوض المائي بواسطة العلاقة النسبية التي وضعها هورتون بين مساحة التصريف ومربع طول الحوض المائي التالية :

$$F_f = \frac{A}{L_b^2} \text{ (Horton, 1932)}$$

بحيث يمثل L_b طول الحوض المائي (كلم) و A مساحة التصريف للحوض المائي (كلم^٢).

وقد طور بعد ذلك هورتون معاملاً آخر لتحديد شكل الحوض المائي بواسطة

$$R_s = \frac{L_b^2}{A} \text{ : معكوس العلاقة النسبية السابقة}$$

بحيث يمثل R_s نسبة معامل الشكل Shape factor ratio و L_b طول الحوض المائي (كلم) و A مساحة التصريف للحوض المائي (كلم^٢).

وتبلغ قيمة هذا المعامل ٠,٧٨٣ إذا كان شكل الحوض دائرياً تماماً (الجدول ٧).

كما وضع أيضاً Zăvoianu معادلة أخرى على شكل علاقة نسبية بين مساحة التصريف ومربع محيط الحوض لحساب معامل شكل الحوض المائي هي :

$$R_f = \frac{16A}{p^2} \text{ (Zăvoianu, 1978)}$$

بحيث يمثل A مساحة التصريف للحوض المائي (كلم^٢) و P محيط الحوض المائي (كلم). ويعتبر معامل الشكل من المؤشرات الإحصائية الدالة على شكل مساحة التصريف للحوض المائي التي ترتبط بها عملية الجريان السطحي وكمية التدفق السيلي للحوض المائي . وعليه فإن قيمة هذا المعامل تكون ١,٢٧٧ إذا كانت مساحة التصريف دائرية تماماً حسب نموذج Zăvoianu (الجدول ٧) . وباقتراب شكل الحوض من الشكل يكون زمن التركيز للحوض متماثلاً تقريباً على جميع السفوح مما يساعد على تجمع المياه الجارية السطحية في مدة زمنية تكون أيضاً متماثلة بالنسبة لجميع الروافد مما يساعد على سرعة تحويل مياه الأمطار إلى مياه جارية سطحية ومياه تدفق غزير سرعان ما يتحول إلى سيول خطيرة . ويتضح من خلال قيم معامل الشكل المحسوبة بنموذج هورتون أن شكل حوض وادي العش هو الأقرب للشكل الدائري بمعامل يبلغ ٠,٦٨ في حين تتراوح قيمة هذا المعامل بين ٠,٣٥ بحوض شعيب السليم و ٠,٥٦ بحوض وادي ريم . وتتماثل هذه النتائج تماماً مع النتائج التي تم الحصول عليها بواسطة قيم التكامل الهيسوميتري التي أظهرت تقدم مرحلة التعرية بحوض وادي العش بالنسبة لمثيلاتها بالأحواض الأخرى . وبذلك يكون هذا الحوض هو الأقل قدرة على تحويل مياه الأمطار إلى مياه جارية سطحية وإلى تدفق سيلبي غزير .

٥-٧- نسبة الاستطالة Elongation ratio

عرف شوم نسبة الاستطالة بالعلاقة النسبية بين أقصى طول للحوض المائي وقطر دائرة لها مساحة تساوي مساحة التصريف لنفس الحوض . وتحسب قيمة نسبة

$$\text{الاستطالة بتطبيق المعادلة التالية : } R_e = \left[\frac{2}{L_b} \right] \left[\frac{A}{\pi} \right]^{0.5} \text{ (Schumm, 1965)}$$

بحيث تمثل L_b طول الحوض المائي (كلم) و A مساحة التصريف للحوض المائي (كلم^٢).

وتبلغ قيمة هذا المعامل ١,٠٠٠ إذا كانت مساحة التصريف دائرية تماماً (الجدول ٦).

ولقد توصل شوم Schumm إلى تصنيف للأحواض المائية اعتماداً على قيمة نسبة الاستطالة على النحو التالي :

- الأحواض المستديرة بنسبة استطالة تتراوح بين ٠,٩ و ١,٠ .
- الأحواض البيضوية بنسبة استطالة تتراوح بين ٠,٨ و ٠,٩ .
- الأحواض المستطيلة نسبياً بنسبة استطالة تتراوح بين ٠,٧ و ٠,٨ .
- الأحواض المستطيلة بنسبة استطالة تتراوح بين ٠,٥ و ٠,٧ .
- الأحواض الأكثر استطالة بنسبة استطالة تقل عن ٠,٥ .

ويرى سترالير أن الأحواض التي تتراوح نسبة استطالتها بين ٠,٦ و ١,٠ هي أحواض تتميز بتباين كبير في تكويناتها الجيولوجية مع اختلاف ظروفها المناخية فوق أجزائها في حين أن الأحواض التي تقل نسبة استطالتها عن ٠,٦ فهي أحواض شديدة التضرس (Strahler, 1964).

وبناء على تصنيف شوم فإن شكل حوضي وادي ريم واليثة يقع ضمن الأحواض البيضوية بنسبة استطالة تبلغ على التوالي ٠,٨٥ و ٠,٧٦ وحوض شعيب السليم ضمن الأحواض المستطيلة بنسبة استطالة تبلغ ٠,٦٦ وحوض وادي العش ضمن الأحواض الدائرية بنسبة استطالة تصل إلى ٠,٩٣ . كما تتسم هذه الأحواض بتباين كبير في تكويناتها الجيولوجية مع اختلاف ظروفها المناخية فوق أجزائها حسب تصنيف سترالير.

٥-٨- نسبة الاستدارة Circularity ratio

تحتسب قيمة نسبة الاستدارة بواسطة العلاقة النسبية التي وضعها ميلر بين مساحة التصريف للحوض المائي ومربع محيطه بتطبيق المعادلة التالية :

$$(Miller, 1953) R_c = \frac{12.57A}{P^2}$$

بحيث يمثل R_c نسبة الاستدارة للحوض المائي و A مساحة التصريف للحوض المائي (كلم^٢) و P محيط الحوض المائي (كلم).

الجدول رقم (٦). القيم المعيارية للمعاملات المورفومترية الخاصة بالشكل الهندسي للحوض المائي.

الشكل الهندسي						النموذج	المصدر	المعامل		
مستطيل					مربع			داثري	نسبة معامل الشكل	معامل الاندماج
L=40B	L=20B	L=10B	L=5B	L=2B						
0.024	0.050	0.100	0.200	0.501	1.000	1.277	$F_f = \frac{A}{L_b^2}$	Horton,1932	Form factor ratio	
3.700	2.649	1.971	1.514	1.198	1.128	1.000	$C_c = \frac{0.2841 P}{A^{0.5}}$	Gravelius,1914	Compactness coefficient	
0.073	0.142	0.257	0.436	0.696	0.785	1.000	$R_c = \frac{12.57 A}{P^2}$	Miller,1953	Circularity ratio	
0.176	0.252	0.357	0.505	0.799	1.128	1.000	$R_e = (\frac{2}{L_b})(\frac{A}{\pi})^{0.5}$	Schumm,1956	Elongation ratio	
0.156	0.223	0.316	0.447	0.708	1.000	1.130	$R_a = \frac{A^{0.5}}{L_b^2}$	Diaconu & Lăzărescu, 1965	Elongation degree	
0.098	0.181	0.328	0.555	0.877	1.000	1.277	$R_f = \frac{16A}{P^2}$	Zăvoianu,1978	Form factor	
0.978	0.959	0.927	0.894	0.866	0.897	1.000	$k = \frac{\pi L_b^2}{4 A}$	Chorley,1957	Lemniscate factor	

المصدر : عمل الباحث بتصريف عن (Zăvoianu, 1978, p. 105)

وتبلغ قيمة هذه النسبة ١,٠٠٠ إذا كانت مساحة التصريف دائرية تماماً (الجدول ٧) .

وتتباين نسبة الاستدارة بين الأحواض المدروسة وهي تتراوح بين ٠,٢٢ بحوض وادي اليتمة و ٠,٢٨ بحوض شعيب السليم وهي تدل على شدة تعرج خط تقسيم المياه واختلافه تماماً عن الشكل الدائري .

٩-٥ - معامل الاندماج Compactness coefficient

عرف Gravelius معامل الاندماج بالعلاقة النسبية بين محيط الحوض المائي ومحيط دائرة لها مساحة تساوي مساحة التصريف لنفس الحوض . وتحسب قيمة معامل

$$C_c = \frac{0.2841 P}{A^{0.5}} \quad (\text{Gravelius, 1914})$$

بحيث يمثل C_c معامل الاندماج للحوض المائي و A مساحة التصريف للحوض المائي (كلم^٢) و P محيط الحوض المائي (كلم) .

وتبلغ قيمة هذا المعامل ١,٠٠٠ إذا كانت مساحة التصريف دائرية تماماً (الجدول ٦) .

وتشير القيم المرتفعة لهذا المعامل إلى شدة تعرج خط تقسيم المياه مما يؤدي إلى زيادة طول محيط الحوض . وتتباين قيمة معامل الاندماج بين الأحواض المدروسة وهي تتراوح بين ١,٩٠ بحوض شعيب السليم و ٢,١٢ بحوض وادي اليتمة وهي تدل على استطالة شكل خط تقسيم المياه واختلافه عن الشكل الدائري .

١٠-٥ - معامل الانبعاج Lemniscate factor

كثيراً ما يكون شكل مساحة التصريف واسعاً بالحوض العلوي ويضيق تدريجياً كلما اتجهنا نحو المصب بالحوض الأدنى . ولذا اقترح شورلي معامل الانبعاج للتعبير

عن هذا الشكل الهندسي لأحواض التصريف (Chorley, 1957) . وتحسب قيمة معامل

$$k = \frac{\pi L_b^2}{4 A} \quad (\text{Chorley, 1957})$$

بحيث يمثل k معامل الانبعاث للحوض المائي و A مساحة التصريف للحوض المائي (كلم^٢) و L_b طول الحوض المائي (كلم) .
وتبلغ قيمة هذا المعامل ١,٠٠٠ إذا كانت مساحة التصريف دائرية تماماً (الجدول ٦) .

وتشير القيم المرتفعة لهذا المعامل إلى قلة اتساع الحوض نتيجة انخفاض أعداد مجاري الرتب الدنيا التي تمتد عادة بالقرب من خط تقسيم المياه كما هو الحال بالنسبة لحوض شعيب السليم الذي تبلغ فيه قيمة معامل الانبعاث أقصاها بما يعادل ٢,٢٦ . أما بقية الأحواض الأخرى فتتراوح فيها قيمة هذا المعامل بين ١,١٥ بحوض وادي العش و ١,٧٥ بحوض وادي اليتمة . وعليه يبدو أن شكل حوض وادي العش هو الأقرب للشكل الدائري وهو بذلك يتوفر على الخصائص المورفومترية الملائمة لنشاط جيومورفولوجي كبير يعكس ديناميكية عالية للتعرية المائية بهذا الحوض . و تتمثل هذه الخصائص مع بقية الخصائص التي تم الحصول عليها بمعاملي التكامل الهيسومتري والشكل .

١١-٥ - مؤشر التعرج Sinuosity index

عرف ميولير مؤشر التعرج بالعلاقة النسبية بين طول المجرى الرئيس وطول الوادي الذي يجري به . وقد توصل ميولير إلى تحديد ثلاثة مؤشرات لتعرج المجاري المائية هي : (Mueller, 1968)

$$S_i = \frac{C_i}{V_i} \quad ١ - \text{مؤشر التعرج المعياري ويحسب من العلاقة النسبية التالية :}$$

بحيث يمثل S_i مؤشر التعرج المعياري (Standard Sinuosity Index) و C_1 طول المجرى الرئيس (كلم) و V_1 طول الوادي (كلم) .

ويرتبط هذا المؤشر بشكل المجرى الرئيس بحيث تم تصنيف المجاري المائية حسب درجة تعرجها إلى مجار مائية متعرجة إذا كانت قيمة $S_i = 1.5$ ومجار مائية شديدة التعرج إذا كانت قيمة $S_i > 1.5$ (Wolman and Miller, 1960). ويساعد معامل التعرج في تحليل التطور الجيومورفولوجي لمجري الشبكة المائية ولدورة التعرية التي تمر بها وكذلك في تحديد تأثيرات الخصائص الجيولوجية على شكل امتداد المجاري المائية.

٢ - مؤشر التعرج الهيدروليكي ويحسب من العلاقة النسبية التالية :

$$H_{si}(\%) = \frac{C_1 - V_1}{C_1 - 1} \times 100$$

بحيث يمثل H_{si} مؤشر التعرج الهيدروليكي Hydraulic Sinuosity Index .

٣ - مؤشر التعرج الطبوغرافي ويحسب من العلاقة النسبية التالية :

$$T_{si}(\%) = \frac{V_1 - 1}{C_1 - 1} \times 100$$

بحيث يمثل T_{si} مؤشر التعرج الطبوغرافي Topographic Sinuosity Index .

وتتأثر مؤشرات التعرج بطول المجرى الرئيس الذي يرتبط بمرحلة التعرية التي يمر بها الحوض المائي وكذلك بمساحة التصريف بحيث نجد أن حوضي وادي العش ووادي اليتمة يتسمان بمؤشرات تعرج مرتفعة وبأكبر مساحة تصريف . كما أن زيادة تعرج المجرى الرئيس لهذين الحوضين ترتبط مباشرة بامتداد طوله بواسطة زيادة التعاريج التي تتأثر هي الأخرى بزيادة الانحدار خلال مرحلة نشأة وتطور الشبكة المائية (Schumm, 1973). وعليه فإن شدة تعرج وادي اليتمة ووادي العش قد ترتبط أيضاً بمرحلة

تطور الشبكة المائية بهما كونهما يمتدان على مساحات تصريف كبيرة مقارنة مع مساحة تصريف حوضي وادي ريم وشعيب السليم .

١٢-٥ - نسبة الانعطاف Wandering ratio

وهي عبارة عن العلاقة النسبية بين طول المجرى الرئيس و طول الحوض المائي المناسب للمسافة المستقيمة بين المصب وأبعد نقطة على خط تقسيم المياه . وتحسب هذه

$$\text{العلاقة بتطبيق المعادلة التالية : } R_w = \frac{C_i}{L_b} \quad (\text{Smart and Surkan, 1967})$$

بحيث يمثل R_w نسبة الانعطاف و L_b طول الحوض المائي المناسب للمسافة المستقيمة بين المصب وأبعد نقطة على خط تقسيم المياه (كلم) و C_i طول المجرى الرئيس (كلم).

ويبدو أن وادي العش هو أكثر الأودية تعرجاً بنسبة تعرج تبلغ ١,٥٦ و وادي هو أقل الأودية تعرجاً بنسبة تعرج لا تتعدى ١,٢٢ (الجدول ٦) .

١٣-٥ - نسبة الانحدار Gradient ratio

هي عبارة عن العلاقة النسبية بين فارق الارتفاع بين الارتفاعين الأقصى والأدنى من جهة وطول الحوض المائي من جهة ثانية . وتحسب هذه العلاقة بتطبيق المعادلة التالية :

$$R_g = \frac{Z - z}{L_b} \quad (\text{Sreedevi, 2001})$$

بحيث يمثل R_g نسبة الانحدار (متر/كلم) و L_b طول الحوض المائي (كلم) و Z أقصى ارتفاع للحوض المائي (متر) و z أدنى ارتفاع للحوض المائي (ارتفاع المصب) (متر) .

وتتناسب قيم نسبة الانحدار مع قيم متوسط الانحدار للحوض المائي بحيث نجد أن حوض وادي ريم يتميز بأكبر نسبة انحدار ٤٢,٦ م/كلم وحوض شعيب السليم بأقل نسبة انحدار ١٤,٩ م/كلم. وترتبط نسبة الانحدار بتضرس سطح الأحواض المائية كما تدل عليه قيم التضاريس النسبية ونسبة التضرس (الجدول ٤).

٦- الخصائص الهيدرولوجية

٦-١- حساب المتغيرات الهيدرولوجية

تمثل الخصائص الهيدرولوجية العلاقات المتبادلة بين الظروف المناخية (الأمطار، الحرارة، التبخر) وخصائص حوض التصريف الأخرى (نوعية الصخور وخصائصها، الانحدارات، أطوال المجاري، خصائص التضاريس). وبالرغم من أهمية الخصائص الهيدرولوجية لأحواض التصريف إلا أن دراستها تواجه كثيراً من الصعوبات المرتبطة بقلّة أو ندرة محطات قياس الجريان (المحطات الهيدرومترية) أو قلّة البيانات الهيدرولوجية بالمحطات القليلة المتوفرة.

وتعد دراسة الجريان السطحي ونظام التصريف للأودية الجافة من الأمور الصعبة نظراً لعدم توفر البيانات التفصيلية عن كثافة الأمطار وشدتها وتركزها. ولذا فقد تقدم الكثير من الباحثين بنماذج رياضية لتقدير الجريان السطحي وتدفق السيول اعتماداً على الخصائص التضاريسية والمناخية والمورفومترية والجيومورفولوجية لأحواض التصريف. ويعتبر نموذج الهيئة الأمريكية لحماية الأراضي Soil Conservation Service (SCS) من أكثر النماذج المستخدمة في تقدير الجريان السطحي بالأحواض المائية التي لا تتوفر بها محطات هيدرومترية على غرار حوض وادي العقيق بالمملكة العربية السعودية.

ويتطلب تطبيق هذا النموذج تحديد جملة من المتغيرات الهيدرولوجية هي :

١ - زمن التركيز للحوض المائي .

٢ - مدة العاصفة المطرية .

٣ - فترة الاستجابة للحوض المائي .

٤ - زمن وصول التدفق للذروة .

٥ - زمن الأساس للسيل .

٦ - زمن انخفاض السيل .

٧ - سرعة الجريان .

ولذا يجب حساب قيم هذه العناصر اعتماداً على نموذج SCS Dimensionless

Unit Hydrograph لتحديد الخصائص الهيدرولوجية لأحواض التصريف لأودية ريم

والعش واليتمة وشعيب السليم :

٦-١-١- زمن التركيز للأحواض المائية Time of concentration

زمن التركيز للحوض المائي هو المدة الزمنية التي تستغرقها مياه الأمطار في الوصول من أبعد نقطة على خط تقسيم المياه إلى مصب الحوض . وتفيد دراسة زمن التركيز في التعرف على المدة الزمنية الضرورية لوصول مياه الأمطار التي تتحول إلى مياه جارية سطحية وإلى مياه تدفق سيلبي في الوصول من أبعد نقطة في الحوض إلى المصب ، بحيث أنه بمجرد وصول الحوض إلى زمن التركيز تتحول أية كمية من الأمطار على أبعد نقطة من المصب إلى جريان سطحي مباشرة بمجرد تساقطها على سطح الأرض وتصبح كميات هذا الأخير مساوية لمقدار الأمطار . ولذا نجد أن زمن التركيز يتناسب عكسياً مع درجة الخطورة لتدفق السيول بحيث تتميز الأحواض التي تتسم بزمن تركيز قصير باحتمالية عالية لحدوث سيول غزيرة وخطيرة نتيجة لوصول كميات

كبيرة من المياه الجارية إلى الأودية والروافد بعد وقت قصير من بداية تساقط الأمطار .
ولذا فإن زمن التركيز يتأثر بجملة من العوامل الطبيعية السائدة بحوض التصريف
وخاصة كمية الهطول ونسبة الانحدار ودرجة النفاذية للصخور ومعدل التسرب .
وبالتالي فإن زمن التركيز يعد من العناصر المهمة عند دراسة الخصائص الهيدرولوجية
للحوض المائي . وهناك العديد من النماذج الرياضية التي تعتمد على الخصائص
التضاريسية والمورفومترية في تقدير زمن التركيز من أهمها :

١ - نموذج جياندوتي Giandotti

$$T_c (\text{min}) = 75 \frac{4 \left[\sqrt{A (\text{km}^2) + (1.5 L_b (\text{km}))} \right]}{0.8 \sqrt{h' (\text{m}) - h_{\min} (\text{m})}}, (\text{EPFL}, 2004)$$

٢ - نموذج باسيني Passini

$$T_c (\text{min}) = 6.48 \frac{\sqrt[3]{A (\text{km}^2) * L_b (\text{km})}}{I (\text{m/m})^{0.5}}, (\text{EPFL}, 2004)$$

٣ - نموذج فنتورا Ventura

$$T_c (\text{min}) = 7.62 \frac{A (\text{km}^2)^{0.5}}{I (\text{m/m})^{0.5}}, (\text{EPFL}, 2004)$$

٤ - نموذج توراذا Turazza

$$T_c (\text{min}) = 6 \frac{\left[A (\text{km}^2) L_b (\text{km}) \right]^{0.33}}{I (\text{m/m})^{0.5}}, (\text{BURGEAP}, 2010)$$

بحيث يمثل $T_c (\text{min})$ زمن التركيز للحوض المائي (دقيقة) و $A (\text{km}^2)$ مساحة
الحوض المائي (كلم^٢) و $L_b (\text{km})$ طول المجرى المائي الرئيس (كلم) و $h_{\min} (\text{m})$ الارتفاع

ويتم الحصول على قيم هذه المتغيرات من مخرجات نموذج الارتفاعات الرقمية Watershed (WMS) باستخدام تطبيقات برنامج (DEM) Digital Elevation Model Modeling Systems والتحليل المكاني Spatial Analysis .

الجدول رقم (٧). زمن التركيز بالأحواض المدروسة.

بحيث يمثل D مدة فائض الأمطار (ساعة) و T_c زمن التركيز للحوض المائي (ساعة).

٦-١-٣ - فترة الاستجابة (التباطؤ) للحوض المائي Lag time

وهي المدة الزمنية الفاصلة بين ذروة فائض الأمطار وذروة التدفق السيلي .
 ويفيد هذا الزمن في معرفة المدة الضرورية لوصول التسرب إلى أقصاه وبداية تحول
 كميات الأمطار إلى تدفق سطحي . ولذا فإن هناك العديد من العوامل التي تتحكم في
 تحديد فترة الاستجابة وخاصة نوعية التربة ونسبة الانحدار ودرجة النفاذية . وتحسب
 هذه الفترة بتطبيق المعادلة التالية : $L = 0.6 T_c$

بحيث يمثل L فترة الاستجابة للحوض المائي (ساعة) و T_c زمن التركيز للحوض
 المائي (ساعة).

٦-١-٤ - مدة وصول التدفق للذروة Time to peak

وهي المدة الزمنية الفاصلة بين بداية الجريان السطحي بالحوض ووصول التدفق
 للذروة . وتحسب هذه المدة بتطبيق المعادلة التالية : $T_p = \frac{D}{2} + L$
 بحيث يمثل T_p مدة وصول التدفق للذروة (ساعة) و D مدة فائض الأمطار
 (ساعة) .

٦-١-٥ - فترة الأساس للسيل Time base

وهي الفترة التي يستغرقها جريان السيل من بداية الجريان السيلي حتى عودة
 المياه الجارية السطحية إلى مستواها الطبيعي . وهي تحسب بتطبيق المعادلة التالية : $T_b = 2.67 T_p$
 بحيث يمثل T_b فترة الأساس للسيل (ساعة) و T_p مدة وصول التدفق للذروة
 (ساعة) .

٦-١-٦ - فترة انخفاض تدفق السيل Recession time

وهي المدة الزمنية التي يستغرقها التدفق السيلي بين الذروة ومستوى الجريان
 الطبيعي للوادي . وتحسب هذه الفترة بتطبيق المعادلة التالية : $T_r = 1.67 T_p$

بحيث يمثل T_r فترة انخفاض تدفق السيل (ساعة) و T_p مدة وصول التدفق للذروة (ساعة) .

وتتباين قيم هذه المتغيرات من حوض لآخر كما توضحه بيانات الجدول ٨ ، بحيث نجد أن الفترات الزمنية لهذه المتغيرات الهيدرولوجية تتزايد أكثر بالأحواض الأقل تضرساً نظراً لتأثرها بالخصائص التضاريسية خاصة نسبة الانحدار المنخفضة التي تساعد على الجريان السطحي البطيء مما يعطي الفرصة أكثر لعمليات التسرب و التبخر .

الجدول رقم (٨). قيم المتغيرات الهيدرولوجية للأحواض المدروسة.

الحوض المائي	زمن التركيز T_c (hr)	مدة فائض الأمطار D (hr)	فترة استجابة الحوض L (hr)	مدة وصول التدفق للذروة T_p (hr)	فترة الأساس للسيل T_b (hr)	فترة انخفاض السيل T_r (hr)
حوض وادي ريم	8.13	1.08	4.88	5.42	14.47	9.05
حوض وادي اليتمة	9.77	1.30	5.86	6.51	17.39	10.87
حوض السليم شعيب	13.74	1.83	8.24	9.16	24.45	15.29
حوض وادي العش	17.52	2.33	10.51	11.68	31.18	19.50

٦-١-٧ - سرعة الجريان Velocity

تعد سرعة الجريان من أهم المعاملات الهيدرولوجية لحوض التصريف لأنها تؤثر على طاقة النحت للمجري المائية ومن ثم على حجم الرواسب. ونظراً لصعوبة قياس سرعة الجريان أو التدفق بالأحواض المائية التي لا تتوفر على محطات هيدرومترية مثل حوض وادي العقيق فإنه يمكن حساب هذه السرعة بتطبيق المعادلة التالية :

$$V(m/s) = \frac{L_b(km)}{T_c(hr)}$$

بحيث يمثل $L_b(km)$ طول الحوض المائي (كلم) و $T_c(hr)$ زمن التركيز للحوض المائي (ساعة).

وترتبط سرعة الجريان طردياً بكمية التصريف وبطاقة الأودية في نقل الرواسب وبدرجة انحدار سطح المجاري المائية بينما تتأثر عكسياً بمقاومة خشونة القاع (Knighton, 1984). وعليه فإن سرعة الجريان تتزايد من القاع باتجاه السطح لأن خشونة القاع تعمل على تعطيل السرعة ومن الجوانب نحو المركز على امتداد القطاع العرضي للمجرى المائي لأن مواد جوانب الوادي تعمل على تقليل سرعة الجريان بواسطة الاحتكاك. كما تتأثر سرعة الجريان بشكل قطاع المجرى وبدرجة تماثله على طول القطاع العرضي. بالإضافة إلى ذلك تتغير سرعة الجريان على امتداد القطاع الطولي للمجرى المائي وهي ترتبط مباشرة بالتغيرات الزمنية والمكانية لكمية التصريف بحيث تعمل مياه الجريان الغزير ومياه التدفق السيلي على توسيع القطاع العرضي وتقليل خشونة قاع المجرى مما يساعد على زيادة سرعة الجريان. وتتباين سرعة الجريان بأحواض التصريف لأودية ريم واليتمة والعش وشعيب السليم كما توضحه بيانات الجدول ٩.

الجدول رقم (٩). سرعة الجريان السطحي بالأحواض المدروسة.

الحوض	$L_b (km)$	$T_c (hr)$	$V (m/s)$
وادي ريم	٣٧,٢	٨,١٣	١,٢٧
وادي اليتمة	٤٨,١	٩,٧٧	١,٣٧
شعيب السليم	٣٩,٠	١٣,٧٤	٠,٧٩
وادي العش	٤١,٨	١٧,٥٢	٠,٦٦

ويتضح من خلال بيانات هذا الجدول أن سرعة الجريان السطحي بحوضي ريم واليتمة الأكثر ارتفاعاً وانحداراً وتضرساً تفوق مثيلاتها بحوضي شعيب السليم ووادي العش .

٦-٢- تقدير التدفق الذروة Peak flow

يمثل تدفق السيول كمية الجريان السطحي الناتجة عن حدوث فائض من الأمطار بكميات تفوق كميات التسرب والتبخر مما يؤدي إلى تشبع المنكشفات الصخرية والترتة وظهور جريان بالأودية. وتحسب كمية التدفق بتطبيق المعادلة التالية :

$$q_{\text{peak}} = 2.8 \frac{R_o \text{ (cm)} A \text{ (km}^2\text{)}}{T_p \text{ (hr)}}$$

بحيث يمثل R_o كمية فائض الأمطار أو كمية الجريان السطحي خلال مدة العاصفة المطرية (سم) و $A \text{ (km}^2\text{)}$ مساحة الحوض المائي (كلم^٢) و $T_p \text{ (hr)}$ مدة وصول التدفق للذروة (ساعة) و q_{peak} تدفق الذروة للسيل (م^٣/ثانية).

ويتطلب تطبيق هذه المعادلة حساب كمية الجريان السطحي (سم) باستخدام

$$P \text{ (cm)} \times R_o \text{ (cm)} = R_c$$

بحيث يمثل R_o كمية فائض الأمطار أو كمية الجريان السطحي (سم) و $P \text{ (cm)}$ كمية الأمطار (سم) و R_c معامل الجريان السطحي Runoff coefficient وهو يستخرج من جدول خاص (الجدول ١٠) .

الجدول رقم (١٠). معامل الجريان السطحي العام المستخدم في نموذج SCS Dimensionless Unit Hydrograph

Description	Runoff Coefficient	Description	Runoff Coefficient
Business		Streets	
Downtown Areas	0.70 - 0.95	Asphalt	0.70 - 0.95
Neighborhood Areas	0.50 - 0.70	Concrete	0.80 - 0.95
Residential		Brick	0.70 - 0.85
Single-family	0.30 - 0.50	Lawns; sandy soils	
Multi-family detached	0.40 - 0.60	Flat, 2% slopes	0.05 - 0.10
Multi-family attached	0.60 - 0.75	Average, 2% - 7% slopes	0.10 - 0.15
Residential suburban	0.25 - 0.40	Steep, 7% slopes	0.15 - 0.20
Apartments	0.50 - 0.70	Lawns; heavy soils	
Parks, cemeteries	0.10 - 0.25	Flat, 2% slopes	0.13 - 0.17
Playgrounds	0.20 - 0.35	Average, 2% - 7% slopes	0.18 - 0.22
Railroad yards	0.20 - 0.40	Steep, 7% slopes	0.25 - 0.35
Unimproved areas	0.10 - 0.30		
Drives and walks	0.75 - 0.85		
Roofs	0.75 - 0.95		

المصدر : (Viessman and Lewis , 2003)

ولقد تم حساب كميات الجريان السطحي من تقديرات كميات الأمطار اليومية القصوى المناسبة لفترات الرجوع ٥ و ١٠ و ٢٥ و ٥٠ و ١٠٠ سنة بمحطات الفقير وأم البرك وآبار الماشي والمدينة المنورة بتطبيق نموذج Chow بعد إخضاع كميات الأمطار اليومية القصوى المسجلة بكل محطة لاختبار حسن المطابقة للتوزيع الاحتمالي المناسب (الجدول ١١).

الجدول رقم (١١). نتائج اختبار حسن مطابقة كميات الأمطار اليومية القصوى للتوزيع الاحتمالي للقيم القصوى

نوع ١ EV.

المتغير		الفقير	أم البرك	المدينة المنورة	آبار الماشي
		J109	J112	M001	M103
المتوسط	X'	26.5	21.5	20.4	20.5
الانحراف المعياري	sd	17.4	15.4	19.9	13.6
حجم العينة (سنوات)	n	46	41	44	40
عدد الفئات	n _i	6	4	5	4
مربع كاي	X _c ²	9.37	4.86	7.72	5.88
درجة الحرية	v	3	1	2	1
مستوى الثقة	α	0.98	0.99	0.98	0.98

ويتضح من بيانات هذا الجدول أن كميات الأمطار اليومية القصوى تتبع التوزيع الاحتمالي للقيم القصوى نوع ١ EV . وعليه فقد تم تطبيق المعادلة التالية في تقدير كميات الأمطار المناسبة لفترات الرجوع المذكورة : (Chow, 1951)

بحيث يمثل x_T كمية الأمطار (ملم) المناسبة لفترة الرجوع T و X' متوسط كمية الأمطار لفترة المدروسة (ملم) و sd الانحراف المعياري لكميات الأمطار لفترة المدروسة (ملم) و K_T معامل التكرار Frequency coefficient وهو يحسب بتطبيق المعادلة التالية :

$$K_T = -0.7797 [0.5772 + \ln(\ln(T/T-1))]$$

بحيث يمثل T فترة الرجوع بالسنين، وعليه يكون نموذج التقدير المناسب لكل فترة بكل محطة على النحو التالي : (الجدول ١٢) .

الجدول رقم (١٢). نماذج تقدير كميات الأمطار اليومية القصوى المناسبة للتوزيع الاحتمالي للقيم القصوى نوع ١ EV ولفترات الرجوع.

فترة الرجوع T (سنة)	معامل التكرار K_T	نموذج التقدير
5	0.7195	$xT_5 = X' + (0.7195 \text{ sd})$
10	1.3046	$xT_{10} = X' + (1.3046 \text{ sd})$
25	2.0439	$xT_{25} = X' + (2.0439 \text{ sd})$
50	2.5923	$xT_{50} = X' + (2.5923 \text{ sd})$
100	3.1367	$xT_{100} = X' + (3.1367 \text{ sd})$

ولقد أعطى تطبيق هذه النماذج النتائج التالية : (الجدول ١٣)

الجدول رقم (١٣). تقدير كميات الأمطار اليومية القصوى المناسبة للتوزيع الاحتمالي للقيم القصوى نوع ١ EV ولفترات الرجوع.

فترة الرجوع T (سنة)	الفقير	أم البرك	المدينة المنورة	آبار الماشي	المتوسط
	J109	J112	M001	M103	
5	39.0	32.6	34.7	30.3	34.2
10	49.2	41.6	46.4	38.2	43.8
25	62.1	53.0	61.1	48.3	56.1
50	71.6	61.4	72.0	55.8	65.2
100	81.1	69.8	82.8	63.2	74.2
المتوسط	60.6	51.7	59.4	47.2	54.7

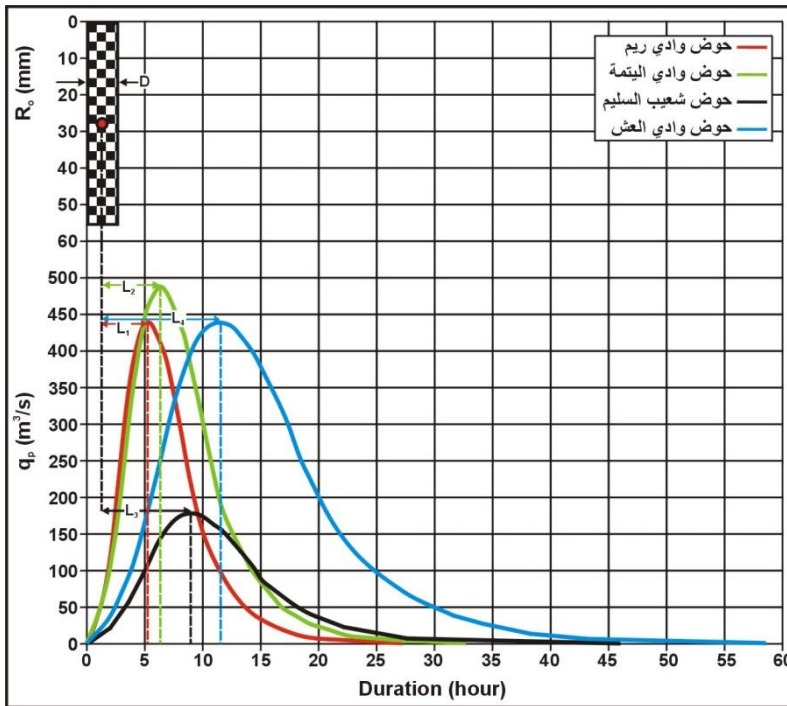
ولقد تم تقدير التدفق السيلي لأودية ريم واليتمة والعش وشعيب السليم بالاعتماد على متوسط كميات الأمطار اليومية القصوى لكل فترة رجوع بكل المحطات المدروسة وكذلك على معامل الجريان السطحي ٠,٢٠ الذي يمثل متوسط قيمة معامل الجريان السطحي المناسب لأحواض التصريف الطبيعية Unimproved areas المستخرج من الجدول ١٠. وتعكس نتائج الجدول ١٤ تأثير الخصائص التضاريسية والمورفومترية للأحواض المدروسة على كمية التدفق السيلي بحيث نجد أن أكثر الأحواض قدرة على

تحويل مياه الأمطار إلى مياه تدفق سيلبي هما حوضي وادي ريم ووادي اليتمة بمعدل يتراوح بين ٤٣٨,٦٤ و ٤٨٨,٢٠ م^٣/ثانية على التوالي . وتناسب هذه القيم مع القيم التي تم الحصول عليها من تحليل الخصائص المورفومترية (نسبة الانحدار للحوض وللمجرى الرئيس ولخط تقسيم المياه) وكذلك الخصائص التضاريسية (نسبة التضاريس و التضاريس النسبية و إجمالي التضاريس) .

وعليه يتضح أن أحواض السفوح الغربية لحوض وادي العقيق التي تشكل أساساً من صخور بركانية وكونجلوميرايت وبازلت وأندسايت وجرانوديورايت هي أكثر قدرة على تحويل مياه الأمطار إلى مياه جارية سطحية ومياه تدفق سيلبي مقارنة بأحواض السفوح الشرقية . ويتسم من بينها حوض وادي اليتمة الذي يتشكل بالأساس من صخور بركانية وكونجلوميرايتية بجران سطحي غزير ويتدفق سيلبي عالٍ بالرغم من اتساع مساحة تصريفه مقارنة بمساحة التصريف لحوض وادي ريم. ولقد أثر اتساع مساحة التصريف لحوض وادي اليتمة على زمني التركيز والاستجابة ومدة وصول التدفق للذروة مقارنة مع حوض وادي ريم بحيث يتأخر وصول فائض الأمطار الذي يتحول إلى جريان سطحي وكذلك وصول التدفق إلى الذروة بحوض وادي اليتمة بمدة زمنية تتراوح بين ساعة وساعة ونصف مقارنة مع حوض وادي ريم . وبالرغم من تأخر ظهور الجريان السطحي بحوض وادي اليتمة إلا أن مدة الجريان تبدو متماثلة بالحوضين مما يدل على قدرة تضاريس حوض وادي اليتمة الكبيرة على سرعة تصريف مياه الأمطار كما تعكسه قيم سرعة الجريان التي تبلغ أقصاها بهذا الحوض بما يعادل ١,٣٧ م/ثانية (الشكل ٦).

وتساعد هذه الظروف كثيرا على تقليل الفواقد عن طريق عمليتي التسرب والتبخر وبالتالي تحويل كميات معتبرة من مياه الأمطار إلى مياه جارية أو مياه تدفق سيلبي كما يتضح من خلال قيم تدفق الذروة لمختلف فترات الرجوع. أما بالنسبة

لأحواض السفوح الشرقية فهي تتسم بتصريف سطحي وتدفق سيلبي أقل من مثيليهما بأحواض السفوح الغربية بحيث يبلغ متوسط تدفق الذروة لفترات الرجوع من ٥ إلى ١٠٠ سنة ١٧٦,٥٤ م^٣/ثانية بحوض شعيب السليم و ٣١٢,٨٩ م^٣/ثانية بحوض وادي العش (الجدول ١٤). ويتسم هذان الحوضان بزمني تركيز واستجابة أطول من مثيليهما بحوضي وادي ريم واليتمة . ولذا فإن فترة وصول التدفق إلى الذروة تستغرق ٩,٢ ساعات بحوض شعيب السليم و ١١,٧ ساعة بحوض وادي العش ، في حين تمتد فترة الجريان السطحي للسيل إلى ٢٤,٥ و ٣١,٢ ساعة على التوالي بالحوضين.



الشكل رقم (٦). هيدروغراف متوسط تدفق الذروة لسيول فترات الرجوع من ٥ إلى ١٠٠ سنة.

الجدول رقم (١٤). تقدير التدفق السيلي المناسب لفترات الرجوع بالأحواض المدروسة.

حوض وادي العش		حوض شعيب السليم		حوض وادي اليتمة		حوض وادي ريم		كمية الجريان	كمية الأمطار	فترة الرجوع (سنة)
T_p (hr)	A (km ²)	T_p (hr)	A (km ²)	T_p (hr)	A (km ²)	T_p (hr)	A (km ²)	السطحي (سم)	(ملم)	
11.68	1193.0	9.16	527.9	5.51	1037.5	5.42	776.1		P	
q_p (m ³ /s)		q_p (m ³ /s)		q_p (m ³ /s)		q_p (m ³ /s)		R_o (cm)	(mm)	
195.337		110.216		304.786		273.846		0.68	34.2	5
250.809		141.515		391.338		351.612		0.88	43.5	10
320.899		181.062		500.701		449.873		1.12	56.1	25
372.891		210.398		581.824		522.761		1.30	65.2	50
424.504		239.519		662.356		595.118		1.48	74.2	100
312.89		176.54		488.20		438.64		1.09	54.7	المتوسط

وعليه يبدو أن حوض شعيب السليم هو أقل الأحواض قدرة على تصريف مياه الأمطار بالرغم من صغر مساحة تصريفه مقارنة مع بقية الأحواض الأخرى. وتتوافق قيم تدفق الذروة لحوضي شعيب السليم ووادي العش مع الخصائص التضاريسية والمورفومترية التي ترتبط هي الأخرى بالتكوينات الصخرية التي تتشكل بالأساس من صخور بازالتية بحوض شعيب السليم وبازالت وحجر رملي وكونجولوميرايت بحوض وادي العش.

الخلاصة

لقد أوضحت هذه الدراسة إمكانية التوظيف المتكامل لبيانات الأمطار اليومية القصوى المسجلة بمحطات أم البرك والفقير والمدينة المنورة وآبار الماشي من جهة ومخرجات التحليل المكاني لبيانات نموذج الارتفاعات الرقمي من جهة ثانية في حساب

قيم المتغيرات التضاريسية والمورفومترية لأحواض أودية ريم واليتمة والعش وشعيب السليم (أهم أحواض روافد وادي العقيق) ومنها المتغيرات التي يعتمد عليها نموذج تقدير زمن التركيز ونموذج تقدير تدفق الذروة للسيول SCS Dimensionless Unit Hydrograph المستخدم في هذه الدراسة.

ولقد أظهر تحليل بيانات الأمطار لمحطات أم البرك والفقير والمدينة المنورة وآبار الماشي أن معدل الأمطار السنوي لحوض وادي العقيق يبلغ ٥٩,٢ ملم وأن حجم الأمطار يصل إلى ٣٠٣,٧٤ مليون م^٣، منها ٤٥,٩٥ مليون م^٣ بحوض وادي ريم و ٦١,٤٢ مليون م^٣ بحوض وادي اليتمة و ٣١,٢٥ مليون م^٣ بحوض شعيب السليم و ٧٠,٦٣ مليون م^٣ بحوض وادي العش، أي ما يعادل على التوالي ١٥,١ % و ٢٠,٢ % و ١٠,٣ % و ٢٣,٣ % من إجمالي حجم الأمطار المتساقطة على حوض وادي العقيق.

كما أظهر تحليل المتغيرات التضاريسية أن السفوح الغربية لحوض وادي العقيق أكثر تضرراً من السفوح الشرقية كما تدل عليه قيم التضاريس النسبية ونسبة التضاريس وإجمالي تضاريس الحوض المحسوبة ببرنامج WMS وكذلك المؤشرات التضاريسية المحسوبة بواسطة المعادلات الرياضية بحيث تبين أن حوضي وادي ريم ووادي اليتمة الواقعين على السفوح الغربية يتسمان بأعلى قيم التضاريس النسبية ونسبة التضرس ونسبة الانحدار مقارنة بحوضي وادي العش وشعيب السليم الواقعين على السفوح الشرقية.

كما تبين من تحليل المتغيرات المورفومترية المساحية والشكلية أن :

- قيمة نسبة معامل الشكل تتراوح بين ٠,٣٥ بحوض شعيب السليم و ٠,٦٨ بحوض وادي العش وأن أشكال الأحواض المدروسة بعيدة عن الشكل الدائري.

- قيمة نسبة الاستطالة تتراوح بين ٠,٦٦ بحوض شعيب السليم وهو يعتبر أكثر الأحواض استطالة و ٠,٩٣ بحوض وادي العش وهو يعتبر أقرب الأحواض للشكل الدائري .

- قيمة نسبة الاستدارة تتراوح بين ٠,٢٢ بحوض وادي اليتمة و ٠,٢٨ بحوض شعيب السليم وهي تدل على شدة تعرج خط تقسيم المياه واختلافه تماماً عن الشكل الدائري .

- قيمة معامل الاندماج تتراوح بين ١,٩٠ بحوض شعيب السليم و ٢,١٢ بحوض وادي اليتمة وهي تدل على استطالة شكل خط تقسيم المياه واختلافه تماماً عن الشكل الدائري.

- قيمة معامل الاندماج تتراوح بين ١,٩٠ بحوض شعيب السليم و ٢,١٢ بحوض وادي اليتمة وهي تدل على استطالة شكل خط تقسيم المياه واختلافه عن الشكل الدائري .

- قيمة التكامل الهيسومري تتراوح بين ٠,١٨ بحوض وادي العش و ٠,٣٨ بحوض شعيب السليم وهي تدل على أن هذه الأحواض قد تعرضت إلى عمليات تعرية شديدة قلصت الجزء الأكبر من حجم تضاريسها منذ نشأة الشبكة المائية، بحيث يبدو أن حوض وادي العش قد سبق كل الأحواض من حيث النشاط الجيومورفولوجي.

وقد اتضح أن وادي العش هو أكثر الأودية تعرجاً بنسبة تعرج تبلغ ١,٥٦ ووادي هو أقل الأودية تعرجاً بنسبة تعرج لا تتعدى ١,٢٢ .

- قيمة نسبة الانحدار بلغت أقصاها بما يعادل ٤٢,٦ م/كلم بحوض وادي ريم وأدناها بما يعادل ١٤,٩ م/كلم بحوض شعيب السليم .

وقد تبين أن الخصائص الهيدرولوجية تتماثل مع الخصائص التضاريسية بالأحواض المدروسة في التأثير على الجريان السطحي بالأحواض المدروسة بحيث نجد أن حوضي وادي ريم ووادي اليتمة يتسمان بمتوسط تدفق ذروة يبلغ ٤٨٨,٢٠ م^٣/ثانية و ٤٣٨,٦٤ م^٣/ثانية على التوالي لكونهما أكثر الأحواض تضرساً، في حين لا يتعدى هذا التدفق ٣١٢,٨٩ م^٣/ثانية بحوض وادي العش و ١٧٦,٥٤ م^٣/ثانية بحوض شعيب السليم.

كما انعكست تأثيرات الخصائص التضاريسية ونوعية التكوينات الجيولوجية على زمني التركيز والاستجابة ومدة جريان السيل بكل حوض بحيث اتسم حوضا وادي ريم ووادي اليتمة بسرعة وقدرة عاليتين في تحويل مياه الأمطار إلى مياه جريان سطحي وتدفق سيالي يبلغ ذروته خلال مدة زمنية تصل على التوالي إلى ٥,٤٢ و ٦,٥١ ساعات بينما تصل هذه المدة إلى ٩,١٦ و ١١,٨٦ ساعات بحوضي شعيب السليم ووادي العش أيضاً على التوالي . كما انعكست أيضاً تأثيرات الخصائص التضاريسية والمورفومترية على سرعة الجريان بالأحواض المذكورة بحيث بلغت سرعة الجريان ١,٣٧ و ١,٢٧ م^٣/ثانية بحوضي وادي ريم ووادي اليتمة على التوالي في حين لم تتعد هذه السرعة ٠,٦٦ و ٠,٧٩ م^٣/ثانية بحوضي وادي العش وشعيب السليم أيضاً على التوالي . وترتبط هذه الخصائص الهيدرولوجية بظروف حدوث السيول وبمدتها الزمنية كما يوضحه زمن الأساس لسيول كل حوض ، بحيث يستمر تدفق السيول إلى ١٤,٤٧ و ١٧,٣٩ ساعة بحوضي وادي ريم ووادي اليتمة على التوالي ، في حين يمتد هذا الزمن إلى ٢٤,٤٥ و ٣١,١٨ ساعة بحوضي شعيب السليم ووادي العش أيضاً على التوالي . وعليه فإن كميات الفواقد عن طريق عمليتي التبخر والتسرب

تتناسب طردياً مع طول فترة الجريان بكل حوض مما يدل على أن كمياتها قد ترتفع أكثر بحوضي شعيب السليم ووادي العش مقارنة مع حوضي وادي ريم ووادي اليتمة .

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- [١] أحمد، بدر الدين يوسف محمد، (١٩٩٣) : مناخ المملكة العربية السعودية، سلسلة رسائل جغرافية، العدد ١٥٧، الجمعية الجغرافية الكويتية، جامعة الكويت .
- [٢] البليهد، عبد الرحمن سعود عبد الله، (١٩٩٢) : الجريان السيلي في أودية إقليم عسير الرئيسية، سلسلة رسائل جغرافية، العدد ١٤٧، الجمعية الجغرافية الكويتية، جامعة الكويت.
- [٣] الجراش، محمد العبدالله، (١٩٨٢) : العلاقة بين الأمطار والسيول في جنوبي غرب المملكة العربية السعودية دراسة تطبيقية على حوض وادي بيشة وحوض وادي بيش، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد الثاني، المملكة العربية السعودية.
- [٤] الجعيد، فرحان بن حسين، (٢٠٠٨) : الخصائص الهيدرومورفومترية وخصائص السيول في أحواض السدود المقترحة على أودية عليّة في محافظة الخرج، بحوث جغرافية، سلسلة محكمة دورية (٨٤)، الجمعية الجغرافية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- [٥] الجعيد، فرحان بن حسين، بوروية، محمد بن فضيل، (٢٠٠٧) : تقدير تدفق الذرة للسيول بحوض وادي العين بمحافظة الخرج في المملكة العربية السعودية، دراسة علمية محكمة (١٤٢٨/١٢١)، مركز بحوث كلية الآداب، عمادة البحث العلمي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- [٦] الدوغان، محمود إبراهيم، (١٩٩٩) : *الأودية الداخلة إلى منطقة الحرم بالمدينة المنورة*، بحوث جغرافية، سلسلة محكمة غير دورية (٣٨)، الجمعية الجغرافية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- [٧] الشنطي، احمد، محمود، (٢٠٠٣) : *جيولوجية الدرع العربي*، ط ٢، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
- [٨] الصالح، محمد عبد الله، (١٩٩٧) : *التوزيع الزماني والمكاني للأمطار في مدينة الرياض*، سلسلة رسائل جغرافية، العدد ٢٠٣، الجمعية الجغرافية الكويتية، جامعة الكويت.
- [٩] الكليب، عبد الملك علي، (١٩٩٠) : *مناخ الخليج العربي*، دار السلامة، الكويت.
- [١٠] بوروبة، محمد فضيل (٢٠٠٧)، *دراسة هيدرومورفومترية لتقدير حجم سيول حوض وادي عتود بالمملكة العربية السعودية*، سلسلة الإصدارات الخاصة، العدد ٢١، السنة ٣٣، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، محرم ١٤٢٧ هـ (فبراير ٢٠٠٧ م).
- [١١] شرف، عبد العزيز طريح، (١٩٨٣) : *الجغرافيا المناخية والنباتية*، الطبعة التاسعة، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، مصر.
- [١٢] طلبه، شحاته، سيد أحمد، (٢٠٠٢) : *مناخ المدينة المنورة وآثاره الاقتصادية* (دراسة علمية محكمة)، الطبعة الأولى، النادي الأدبي بالمدينة المنورة، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) بجدة، المملكة العربية السعودية.
- [١٣] عزيز، مكي محمد، (١٩٧١) : *الأمطار في المملكة العربية السعودية*، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد ٢، ص ص ٢٣٩ - ٢٨٨.

[١٤] مرزا، معراج بن نواب، البارودي، محمد بن سعيد، (٢٠٠٦) : *السمات المورفولوجية والخصائص المورفومترية والهيدرولوجية لأودية الحرم المكي*، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

[١٥] مرزا، معراج بن نواب، البارودي، محمد بن سعيد، (٢٠٠٤) : *الأسس الجيولوجية ودورها في نشأة مظاهر السطح لمنطقة الحرم المكي*، سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية (٥٦)، مركز بحوث العلوم الاجتماعية، معهد بحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- [16] Al-Amri, S.A. (1986) : *Climate and climate-corp relationships in the South – West of Saudi Arabia* , Unpublished PhD Thesis, University of Manchester, England.
- [17] Appolov. B. A. (1963) : *A study of Rivers*, Izdat. Mosk. Univ., Moscow.
- [18] Bukhari Asem. Y. (1993) : *The Drainage System Around Al Madinah Al Munawara (Saudi Arabia) as vived from Satellite Data*, JKAU: Met., Env., Arid Land Agric. Sci., Vol 4, pp 123-137.
- [19] BURGEAP (2010) : *Bassin versant du Lignon et de ses affluents (42), Définition d'une gestion du risque d'inondation* , Rapport des phase 1 et 2 , Syndicat Mixte du Lignon , de l'Azon et du Vizézy, Lyon.
- [20] Camp, V. E. (1986) : *Geologic Map of Umm Al Birak Quadrangle* , Sheet 23D, Kingdom of Saudi Arabia Deputy Ministry for Mineral Resources Geologic Map GM-87C, Scale 250,000, with text.
- [21] Chorley, R. J. (1957) : *Illustrating the Laws of Morphometry* , Geologic Magazine , vol. XCIV. No 2.
- [22] Chow, V. T. (1951) : *A General Formula for hydrologic frequency Analysis* , Trans. Amer. Geophys. Union , Vol. 32 , pp. 231-237.
- [23] Critcfield, H. J. (1983) : *General climatology* , 4th Edition, Prentice-Hall , Inc. , Englewood Cliffs, New Jersey.
- [24] Diaconu, D. & Lăzărescu, D. (1965) : *Hydrology* , Ed. Didactică și pedagogic, Bucarest.

- [25] EPFL (Ecole Polytechnique Fédérale de Lausanne) (2004) : *Exercice n° HA 0813- Corrigé*, Hydrothèque : base de données d'exercices en hydrologie , Cours d' hydrologie générale, Etude des crues , Lausanne.
- [26] Gardiner, V. (1975) : *Drainage basin Morphometry* , Br. Geomorphol. Res. Group, Tech. Bull.
- [27] Gravelius, H. (1914) : *Flußkunde* , Gosche'sche Verlagshandlung , Berlin.
- [28] Gregory, K.J. & Walling, D.E (1973) : *Drainage basin Form and Process : A Geomorphological Approach* , Edward Arnold (Publisher Ltd) , London.
- [29] Hack, J. T. (1957) : *Studies of longitudinal stream profiles in Virginia and Maryland*: U. S. geological survey professional paper, 294-B, pp 45-97.
- [30] Horton, R.E. (1932) : *Drainage basin characteristics*, Trans. Amer. Geophys. Union, 13, pp 350-361.
- [31] Knighton, D. (1984) : *Fluvial Forms and Processes* , Edward Arnold (Publisher Ltd) , London.
- [32] Leopold, L. B., Wolaman, M. G. and Miller, J. P. (1964) : *Fluvial Process in Geomorphology*, Freeman & Co., London.
- [33] McLaren International Limited. (1979) : *Water and agricultural development studies Arabian shield-south : Climate and surface hydrology* , Annex 8, Ministry of Agriculture and Water , Saudi Arabia.
- [34] Melton, M.A. (1957) : *An Analysis of the relations among elements of climate, Surface properties and geomorphology*, Project NR 389042, Tech. Rep. 11, Columbia University.
- [35] Miller, V.C. (1953) : *A quantitative geomorphic study of drainage basin characteristic in the Clinch, Mountain area, Verdinia and Tennessee*, Projet NR Tech. Rept.3 Columbia University, Department of Geology, ONR, Geography branch, New York, pp 389-042.
- [36] Mueller, J.E. (1968) : *An introduction to hydraulic and topographic sinuosity indexes*, Ann. Assoc. Am. Geogr., 58(2), 371-85.
- [37] Pellaton, C. (1981) : *Geologic Map of the Al Madinah Quadrangle* , Sheet 24D, Kingdom of Saudi Arabia Deputy Ministry for Mineral Resources Geologic Map GM-52C, Scale 250,000, with text.
- [38] Pike, R. J, and Wilson, S.E. (1971) : *Elevation-relief ratio: hypsometric integral and geomorphic area-altitude analysis* , Geol. Soci. Amer. Bull. 82: 1079-1084.
- [39] Schumm, S.A. (1956) : *Evolution of drainage system and slope in badlands of Perth Amboy, New Jersey*. Bull. Geol. Soc. Am. 67, pp 597-46.
- [40] Schumm, S.A. (1973) : *Geomorphic thresholds and complex response of drainage systems*, in M.Morisawa, (ed.) *Fluvial geomorphology*, State University of New York, Binghamton, New York, pp. 299-310.
- [41] Smart, J.S. & Surkan, A. J. (1967) : *The relation between mainstream length and area in drainage basin*. Water Resource Research, 3(4) , 963-74.
- [42] Strahler, A.N. (1952) : *Hypsometric Analysis of Erosional Topography*, Bulletin of the Geological Society of America, 63, pp 1117-42.

- [43] Strahler, A. N. (1964) : *Quantitative Geomorphology of Drainage Basins and Channel Networks* , In V.T. Chow (ed.), *Handbook of Applied Hydrology* , 4-39/4-76.
- [44] Sreedevi, P.D. Srinivasalu. S. and Kesava Raju, K. (2001) : *Hydrogeomorphological and groundwater prospects of the Pageru River basin by using remote sensing data*. *Environ Geol*, 40(8), pp 1088-1094.
- [45] Surman. Ali U. (1993a) : *New Trends in Stochastics Modelling for hydrologic Data analysis*, *JKAU: Met., Env., Arid Land Agric. Sci.*, Vol 4, pp 95-100 .
- [46] Surman. Ali U. (1993b) : *Application of the TR-55 Model to Storms in Arid Climate Case Study: Upper Tabbalah, The Kingdom of Saudi Arabia*, *JKAU: Met., Env., Arid Land Agric. Sci.*, Vol 4, pp 101-109 .
- [47] Surman. Ali U. (1994): *Estimation of Flood Peak using remote Sensing Techniques; Case study: Wadi Itwad, Southwestern Saudi Arabia*, *JKAU: Met., Env., Arid Land Agric. Sci.*, Vol. 5, pp 161-177.
- [48] Visseman, W. Jr. et al. (2003) : *Introduction of Hydrology* , 4th Edition, Harper and Row , Publishers , New York .
- [49] Wolman, M. G & Miller, J.P. (1960) : *Magnitude and frequency of forces in geomorphic processes* , *Journal of Geology*, 68, 54-74
- [50] Zăvoianu I. (1978) : *Morphometry of hydrographic basins*, Ed. Academiei Bucurest.

Geomorphologic proprieties of Al Aqiq Watershed in Al Madinah Munawarah Area

????????????????????????????
??

Abstract. The absence of hydrometric stations to gauge the surface runoff of the Wadis in Saudi Arabia is the problem preventing the exact identification of hydrological characteristics of surface drainage systems in arid basins. Therefore, this research seeks to identify the relief and morphometric characteristics that control the hydrological characteristics of the wadi Al Aqiq floods using Digital Elevation Model data with resolution of 30 m, and the outputs of Spatial Analysis in ArcGIS ArcHydro extension , the (WMS) Watershed Modeling System and available rainfall data in the stations of Al Faqir , Umm Al Biraq, Al Musajjid and Al Madinah Al Munawarah gauged over from 1974 to 2004 (31 years) .

The watershed of Wadi Al Aqiq has been selected because of its hydrological importance with a drainage area of 5130.8 km² and its drainage area contained Al Madinah Al Munawarah urban area and the Holy Mosque. In the absence of the hydrometric stations in the drainage area of Wadi Al Aqiq basin this research is based on the SCS dimensionless unit hydrograph to compute the discharge peak of the sub-basins of Wadis Rym , Al Yatmah, ◌Al Ash and Shuaib Slim . In order to achieve the objectives of this study the digital elevation model outputs with a resolution of 30 m are used to calculate the morphometric and relief variables needed in the experimental equations of the hydrological model applied in this study.

دراسة

الجمعيات الأهلية كأحد مصادر رأس المال الاجتماعي للمجتمع

د. خليل عبد المقصود عبد الحميد^١، و سمر سعيد معوض صوفي^٢

١ أستاذ بقسم التنمية والتخطيط، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم

٢ باحث دكتوراه، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم

ملخص البحث. تتناول الدراسة تحديد الدور الفعلي الذي تقوم به الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي كذلك معوقات هذا الدور. واستهدفت الدراسة الكشف عن العوامل المؤثرة في تنمية رأس المال الاجتماعي وتحديد مصادر رأس المال الاجتماعي والوقوف على دور الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي والتعرف على معوقات دور الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي.

تساؤلات الدراسة:

- ١- ما العوامل المؤثرة في تنمية رأس المال الاجتماعي؟
 - ٢- ما مصادر رأس المال الاجتماعي بالجمعيات الأهلية؟
 - ٣- ما دور الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي؟
 - ٤- ما معوقات دور الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي؟
- الدراسة وصفية، باستخدام كل من المنهج الكيفي والمتمثل في "منهج دراسة الحالة" والمنهج الكمي والمتمثل المسح الاجتماعي بالعينة. وأدوات الدراسة هي دليل دراسة الحالة واستمارة استبار للمستفيدين ودليل مقابلة للقيادات الجمعيات، دليل مقابلة للمتطوعين. وعينة الدراسة هي (٥١٢) مفردة. المجال الزمني من ٢٠١١/١/١ إلى ٢٠١١/١٢/٣٠.

نتائج الدراسة:

- ١- ضعف مشاركة الشباب أقل من ٤٠ سنة في الأنشطة التطوعية بالجمعيات الأهلية.

- ٢- جمعيات تنمية المجتمع لديها كفاءة اتصالية عالية، بعكس الجمعيات ذات الطابع الديني فهي جمعيات منغلقة على ذاتها.
- ٣- مصادر تمويل الجمعيات الدينية تعتمد على تبرعات أفراد المجتمع القادرين، واشتراكات الأعضاء. بينما تتنوع مصادر تمويل جمعيات تنمية المجتمع.
- ٤- علاقات ونشاط القائمين على الجمعيات الأهلية هو العامل الرئيسي في تنمية رأس المال الاجتماعي الخاص بالجمعيات الأهلية.
- ٥- الشباب بما لديهم من استعداد للثقة والعمل التطوعي واستعداد للتعلم والتغير من أهم مصادر رأس المال الاجتماعي.
- ٦- الدين بما فيه من قواعد ومعايير تنظم التفاعلات بين أفراد المجتمع من مصادر رأس المال الاجتماعي.

مشكلة الدراسة

تعد قضية التنمية من أهم القضايا في العالم المعاصر فهي محور اهتمام العديد من الباحثين حيث أن الفكر التنموي الحديث بعد أكثر من أربعة عقود من النقاش عاد ليكتشف الحقيقة البديهية وهي أن "البشر هم صانعو التنمية ويجب أن يكونوا هدفها"^(١). فمنذ زمن بعيد يتعاون أفراد المجتمعات المحلية في مقابلة احتياجات مجتمعاتهم. إذ تدرجت من العمل الفردي إلى الجهود الأهلية التلقائية، في ظل رعاية الحكومات وتدعيمها وهو ما تجلى في سن القوانين والتشريعات وتنظيم العمل الأهلي، وهو ما وفر على الدولة عبء تقديم بعض الخدمات (التي تقدمها الجهود الأهلية) فضلاً عن توجيه جهودها إلى المشروعات التنموية الكبرى.

قد حتمّ ما سبق على الفكر التنموي في عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي أهمية تطوير مفهوم القدرات البشرية، حتى تستطيع أن تعي الحاجات التي غابت نتيجة انسحاب الدولة، وهو ما يسمى بتنمية رأس المال الاجتماعي الذي يعني تعزيز قدرة المجتمعات ويعمل على تهيئة المناخ العام لإنجاز أهداف التنمية الموجهة بأقل تكاليف وأعلى فعالية^(٢).

وبناء عليه خلص الباحثين إلى بلورة الحقيقة القائلة بأنه "لتكون عملية تنمية المجتمع ذات كفاءة وفعالية يجب أن تكون ناتجة من تعاون الجهود الحكومية والجهود الأهلية" التي أطلق عليها "التنمية الموجهة للمجتمع المحلي" (Community Driven Development) CDD والتي تتطلب توافر رأس مال مادي،

(١) محمد عابد الجابري: التنمية البشرية في الوطن العربي (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ١٩٩٥)

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة: آليات المشاركة الشعبية في التنمية المحلية، المجلد الثاني والثلاثون،

ورأس مال بشري، ورأس مال طبيعي، ورأس مال نقدي، ورأس مال اجتماعي والذي يعتبره البعض أهم عنصر يجب توافره لضمان الاستفادة المثلى من العناصر الأخرى^(٣).

ويرى البعض أن رأس المال الاجتماعي يتعلق بقدرية المجتمعات الفطرية على العمل الاجتماعي كذلك يساعد على تجميع الموارد المتكاملة كذلك الموارد الكامنة - داخل المجتمعات - ويساعد على تعزيز فرص التنمية الذاتية في الدول النامية^(٤) التي تواجه العديد من الصعوبات في نواحي متعددة وخاصة في توفير أحوال المعيشة الإنسانية المناسبة لجميع المواطنين ورفع مستوى المعيشة وتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي^(٥). لذا فقد وسّع البنك الدولي دائرة جهود التنمية في الدول النامية ومنها مصر مع التركيز على تمكين المجتمعات المحلية وذلك من خلال تشجيع مشاركة أفراد المجتمعات المحلية وزيادة التركيز على التنمية بدافع من المجتمع المحلي على نطاق أوسع.

وفي ظل هذه المتغيرات التي تستدعي قيام الجمعيات الأهلية بدور رئيسي في التنمية وفي إطار تفعيل البنك الدولي لمشاركة أفراد المجتمعات المحلية لتحقيق التنمية طرح البنك الدولي مفهوم رأس المال الاجتماعي للإشارة "إلى العلاقات المجتمعية التي تسمح للجهات الفاعلة بتعبئة الموارد التي يمكن أن يستفيد منها المجتمع في مجمله أو

(٣) World Bank: Anirudh Krishna: *Social Capital, Community Driven Development and Empowerment A short Note on Concepts and Operation*, Duke University 2003 P2 .

(٤) Bernardo Kliksberg: *Social capital and culture Master Keys to Development*, ECLAC's documents and publication , 1999, P23

(٥) أحمد يوسف محمد بشير: نحو برنامج مهني لتنمية مجتمع حضري عشوائي من وجهة نظر الخدمة الاجتماعية، بحث منشور، المؤتمر العلمي الخامس لكلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم، الجزء الأول، ٩

مجموعة محددة منه ، وتحقيق الأهداف المشتركة" كذلك أسهم البنك الدولي في عمل دراسات عديدة هدفها دراسة رأس المال الاجتماعي كعنصر من عناصر التنمية في المجتمعات المختلفة كذلك كيفية قياسه ^(٦).

يعد البنك الدولي من أوائل المنظمات التي اهتمت بمفهوم رأس المال الاجتماعي في نهاية التسعينات فى القرن العشرين ، ومن بين هذه الدراسات التي أسهم البنك الدولي في إجرائها هي دراسة بعنوان "دراسة رأس المال الاجتماعي في دراسات العمل الاجتماعي" التي أكدت على أن رأس المال الاجتماعي ثروة محتملة لكنه ليس الدواء الحاسم لمواجهة الفقر حيث أن الروابط الاجتماعية (العائلة – الأصدقاء – الجيران) يمكن أن تستخدم لتوفير الخدمات وتقديم الدعم وما يطبق على الأفراد يمكن أن يطبق على المؤسسات حيث أن العلاقات الاجتماعية قد تكون قادرة على إيجاد تفاوض أكثر فاعلية للتحديات المتنوعة التي يمكن أن تواجهها تلك المؤسسات عند إنجاز أهداف النمو الاقتصادي ، والتنمية الاجتماعية ^(٧). وهناك أيضاً الكثير من الاستنتاجات المميزة لدراسة رأس المال الاجتماعي التي أجراها روبرت ديفيد بوتنام 1993 Robert David Putnam والتي أكدت على وجود علاقة بين رأس المال الاجتماعي والنتائج الاقتصادية حيث أن أشكال التبادل والثقة والتعاون هي مفاتيح رئيسية للنجاح الاقتصادي لشمال إيطاليا في أواخر التسعينيات ^(٨).

(٦) Daniel Owen K, Lan Bannon: *Social capital and Survival : Prospects for Community Driven*

Development in post-conflict Sierra Leone, Washington DC, World Bank, 2004, P3

(٧) World Bank : *social Capital in Action Thematic Policy Studies*, World Bank, 2005, P315

(٨) فرانسيس فوكوياما، التصدي العظيم: الفطرة الإنسانية وإعادة تشكيل النظام الاجتماعي، ترجمة عزة

حسين كبه (بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٤) ص ٢٦٠

ولما كانت منظمات المجتمع المدني هي المنبر الشرعي الذي يستطيع أفراد المجتمع من خلاله المشاركة في تنمية مجتمعاتهم، حيث أنها تعتبر النموذج القاعدي الرئيسي لجهود التنمية الاجتماعية، فإنها تعد بمثابة آلية لتجميع المواطنين وتنظيمهم من أجل المشاركة الواعية والفاعلة في العملية التنموية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً^(٩). ومن ناحية أخرى فهناك عدة عوامل أدت إلى زيادة الاهتمام بالمجتمع المدني ومنظماته ومنها انحسار دور الدولة وتضخم التوقعات من القطاع غير الحكومي وضعف رأس المال الاجتماعي انتصار الرأسمالية وسيطرة السوق الحرة وتأثيرات العولمة وتآكل سيادة الدولة القومية في ظل العولمة.

إذاً نحن أمام دور تنموي لمنظمات المجتمع المدني يتمثل في كونه إطاراً تعبويّاً لتنظيم المواطنين من أجل المشاركة الفعالة في العملية التنموية المعتمدة أساساً على البشر. ناهيك عن دورها في تنمية رأس المال الاجتماعي حيث تدفع الثقة والرغبة في تعاون الأشخاص لتكوين مجموعات ومنظمات تمهيداً لتحقيق الأهداف المشتركة، حيث أن رأس المال الاجتماعي بغض النظر عن أسسه ومصادره ييسر التعاون داخل نطاق المجتمعات، وهو بعبارة أخرى، يسمح بالقيام بالعمل الجمعي، وبالتالي يساعد على دفع عجلة التقدم داخل المجتمعات. فهو على عكس رأس المال المادي يهتم بالأبعاد الاجتماعية حيث أنه نتاج التفاعلات اليومية المتعددة بين البشر لذلك تختلف مؤشرات تبعاً لرؤية الباحث وكذلك تبعاً لاختلاف أيولوجية المجتمعات^(١٠).

(٩) شهيدة الباز: المنظمات الأهلية العربية على مشارف القرن الحادي والعشرين محددات الواقع وآفاق

المستقبل لجنة المتابعة لمؤتمر التنظيمات الأهلية العربية، ١٩٩٧، ص ٢٩

(١٠) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: الفقر الذاتي ورأس المال الاجتماعي في مصر من أجل استراتيجية

متكاملة لمحاربة الفقر (القاهرة ٢٠٠٣) ص ٥٨.

فمصر بالرغم من أنها تمتاز بامتلاكها قاعدة موارد بشرية والتي تعتبر واحدة من أهم الأصول التي تمتلكها هذه الدولة، إلا أن فلسفة العمل الجماعي لا تزال غائبة عن الواقع المجتمعي في مصر.^(١١) وهو ما تسعى الدراسة إلى تفعيله وإيجاده بطريقة واقعية لذا سوف تطبق الدراسة على الجمعيات الأهلية كإحدى منظمات المجتمع المدني وذلك لما يميزها عن غيرها من المنظمات حيث دورها الفعال في زيادة قدرة المجتمع المحلي على إشباع الحاجات ومواجهة المشكلات التي تواجه أفرادها من خلال تعرفها على موارد وإمكانات المجتمع واستثمارها والاستفادة منها في إشباع الحاجات ومواجهة المشكلات، كذلك ما تملكه من مرونة في قوانينها ولوائحها ذلك لأنها تعبر عن مشاركة الأفراد في خدمة مجتمعهم وكذلك رغبتهم في إشباع حاجاتهم التي لم تتمكن الدولة من توفيرها لهم من أجل النهوض بهذا المجتمع وذلك من خلال إطار إداري تنظيمي. حيث أكد الباحثين أن "تنمية المجتمع" لن تعطي النتيجة المطلوبة إلا بعد تقوية العلاقات الرسمية والبناء التحتي والتنظيمي للمجتمع ولبناء قدرة المجتمع لإدارة وتبني تغيير المجتمع^(١٢).

وباستقراء^(١٣) التراث النظري والدراسات العربية والأجنبية السابقة التي تناولت رأس المال الاجتماعي لمنظمات المجتمع المدني اتضح أنها استهدفت عرض أهمية رأس المال الاجتماعي وفوائده في تفعيل أداء منظمات المجتمع المدني لدورها في خدمة المجتمع ويمكن للباحثة عرض تلك الدراسات طبقاً لمحورين هما (رأس المال

(١١) أيمن السيد عبد الوهاب: دليل الجمعيات الأهلية التنموية في محافظة القاهرة (القاهرة، مركز الدراسات

السياسية الاستراتيجية، ٢٠٠٣) ص ١٧

(١٢) Robert J Chaskin, Robert M.Gerge: *Measuring Social capital: exploration in community* _

Research Partnership university of Chicago 2006. WWW. eul.edu.org

(١٣) سوف تعرض الدراسات السابقة طبقاً للترتيب الزمني من الحديث إلى القديم

الاجتماعي، والجمعيات الأهلية) وفيما يتعلق بالمحور الأول: دراسات تناولت رأس المال الاجتماعي وكانت من ضمن هذه الدراسات دراسة جينيفر جريس Jennifer E. Gress بعنوان "فهم دور رأس المال الاجتماعي في إنتاج إسكان رخيص في المقاطعة البرتقالية، كاليفورنيا" ٢٠٠٧^(١٤).

حيث أكدت على أن التعاون والاشتراك في المعلومات يتيح مضاعفة الخدمة ويزيد من كفاءتها ومد المؤسسات القائمة على تقديم الخدمة بالموارد النادرة كما أن رأس المال الاجتماعي يسهل تبادل الدعم المالي والمعونة التقنية بين المؤسسات التي تسعى لإنشاء إسكان رخيص.

كذلك أشارت دراسة خليل عبد المقصود التي كانت بعنوان "رأس المال الاجتماعي في المجتمعات العمرانية الجديدة ودور الخدمة الاجتماعية في زيادته" ٢٠٠٧^(١٥). إلى أن شبكة قوية من الجمعيات الأهلية يمكن أن تكون أساسية لنمو الاستثمار المادي، وأن رأس المال الاجتماعي لا يقل عن أي مسمى لأي رأس مال آخر. وأن وجوده يزيد من الدخل المادي ويرتبط من ناحية أخرى بالنواحي الاجتماعية. كما أكدت دراسة بينديكت بول Benedicte Bull التي كانت بعنوان "رأس المال الاجتماعي، والمجتمع المدني ودولة الرعاية الديمقراطية في النرويج" ٢٠٠٦^(١٦). على أن المجتمع المدني النشط ساهم بشكل واضح في ارتفاع رأس المال الاجتماعي. وأرجع

(١٤) Jennifer E.Gress : *Understanding the Role of Social Capital in the Production of Affordable Housing in Orange County, California* (University of California, Press,2007)

(١٥) خليل عبد المقصود: رأس المال الاجتماعي في المجتمعات العمرانية الجديدة ودور الخدمة الاجتماعية في زيادته، بحث منشور، بالمؤتمر العلمي الثامن عشر للخدمة الاجتماعية، ٢-٣ مايو ٢٠٠٧، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم، ص ١ : ٣٧

(١٦) Benedicte Bull: *Social capital, civil society and the welfare and democracy state in Norway* (inter-American Development Bank, Washington, University of Oslo, Feb.24/2006) .

الباحث هذا إلى أن رأس المال الاجتماعي بما فيه من شبكات قائمة في المجتمع يرتبط بمعدلات الثقة في الشبكات الاجتماعية والمؤسسات العامة وأثر هذه على معدلات العضوية في هذه الشبكات كذلك تأثيره على العضوية النشطة ، كذلك أكدت الدراسة على دور المجتمع المدني في سياق دولة الرعاية النشطة على أنه يشجع مشاركة أفراد المجتمع في توفير الرعاية الاجتماعية كذلك التعبير عن مصالح ومطالب أفراد المجتمع لذلك يجب على المجتمع المدني التركيز على رأس المال الاجتماعي لتقديم الرعاية الاجتماعية.

في حين أشارت دراسة إبراهيم محمد أبو الحسن بعنوان "بناء رأس المال الاجتماعي لزيادة التمثيل السياسي للمرأة المصرية" ٢٠٠٥^(١٧). إلى وجود أشكال من رأس مال اجتماعي (سلبى - إيجابى) مؤثرة على التمثيل السياسي للمرأة المصرية كذلك أكدت على أنه يمكن التأثير على رأس المال الاجتماعي وتنميته والتحكم في اتجاهه.

أما دراسة جيرمو سونكل Guillermo Sunkel بعنوان "الفقر في المدينة: رأس المال الاجتماعي والسياسات العامة" ٢٠٠٣^(١٨). فقد أوضحت أن رأس المال الاجتماعي يمثل رؤية إيجابية جديدة من قدرة الناس للتغلب على التحديات المنهكة للفقر. كذلك أكدت على أن تقوية الروابط الاجتماعية يحسن ويعزز تكامل المجموعات الاجتماعية ويشجع المشاركة الاجتماعية ويزيد من الموارد المالية الموجهة لبرامج رعاية

(١٧) إبراهيم محمد أبو الحسن: بناء رأس المال الاجتماعي لزيادة التمثيل السياسي للمرأة المصرية، بحث منشور بالمؤتمر العلمي السادس عشر للخدمة الاجتماعية، ٤-٥ مايو ٢٠٠٥، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم، ص ص ٦٣ : ٨٠

(١٨) Guillermo Sunkel : *Poverty in the City: Social Capital and Public Policies*, Social Capital and The reduction of Poverty in Latin America, Digital Library , The Caribbean in Search of a new paradigm , 2003

الفقراء، كذلك يكتشف ما عند الفقراء من موارد وتنتهي الدراسة بالتأكيد على أن رأس المال الاجتماعي وسيلة حاسمة للتغلب على الفقر.

وبالنظر لما تم عرضه من دراسات يتضح لنا أن رأس المال الاجتماعي يسهم في تنمية المجتمع وكذلك يؤدي إلى الاستثمار الأمثل للموارد البشرية والمادية والنقدية والطبيعية كذلك يتيح مضاعفة الخدمات المقدمة ويزيد من كفاءتها ويسهل الدعم المالي بين المؤسسات ويساعد على استثمار الموارد النادرة. كذلك أكدت بعض الدراسات على أن المجتمع المدني النشط يسهم بشكل واضح في ارتفاع رأس المال الاجتماعي لذلك فسوف نعرض لواقع المجتمع المدني، متمثلاً في الجمعيات الأهلية، من خلال الدراسات والبحوث التي تناولت المجتمع المدني المصري ودوره في التنمية بالدراسة والبحث.

ومن هذه الدراسات دراسة عادل محمد أنس بعنوان "منظمات التنمية الحضرية بين تغاير أو تماثل كلاً من أهدافها الرسمية وأنشطتها الواقعية" ^(١٩) حيث ركزت الدراسة على التغيرات التي يمكن أن تحدثها الجمعيات الأهلية في بيئاتها المحيطة وأكدت الدراسة أيضاً على أن تنمية المجتمع الحضري تجمع بين المشاركة وبين التدخل على مستوى شبكة المؤسسات الأهلية والحكومية، كذلك أن جمعيات تنمية المجتمع المطبق عليها الدراسة تهدف في مجملها إلى حل المشكلات وإشباع احتياجاتهم من خلال الخدمات المتنوعة وكذلك زيادة نسبة أعضاء الجمعية العمومية أكدت الدراسة أيضاً على أهمية التعاون والتنسيق والمشروعات المشتركة بين الجمعيات. كما أن فعالية ونجاح الجمعيات الأهلية يتوقف بالدرجة على التعاون بين الكوادر الإدارية وليس السيطرة

(١٩) عادل محمد أنس: منظمات التنمية الحضرية بين تغاير أو تماثل كلاً من أهدافها الرسمية وأنشطتها الواقعية، بحث منشور بالمؤتمر العلمي التاسع عشر، ١٢-١٣/٣/٢٠٠٦، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة

المنفردة على الإدارة لتوظيف الإمكانيات والموارد البشرية لتحقيق الأهداف والغايات المرغوبة.

أما دراسة سناء محمد حجازي بعنوان "العلاقة بين متطلبات بناء القدرات التنظيمية وتحقيق جودة مشروعات الجمعيات الأهلية" ٢٠٠٦^(٢٠). فقد أكدت على أن المجتمعات المحلية ذات المنظمات غير الحكومية أقوى في ضوء ما تملكه تلك المنظمات من قدرات تساعد على فتح قنوات مثمرة للتفاعل بينها وبين المجتمع، وأكد في هذا الإطار أن الجمعيات الأهلية في حاجة لتقوية قدراتها الحالية، كذلك تحتاج الدولة لتحديث اتجاه العمل الاجتماعي التطوعي بالجمعيات الأهلية والعمل على وضع استراتيجية لتنميته. أكدت الدراسة على وجود علاقة بين القدرات المعلوماتية وتحسين الخدمة المقدمة من قبل المنظمة، هذا وهناك علاقة بين تشجيع الجمعيات للعلاقات التعاونية بين العاملين وزيادة كفاءة المنظمة فضلاً عن تعاون الجمعية مع الجمعيات الأخرى.

بينما أشارت دراسة أبو النجا محمد العمري: "استخدام نماذج إدارة الجودة الشاملة في تحسين أداء الخدمات بالجمعيات الأهلية" ٢٠٠٦^(٢١). إلى أن ما تشهده المنظمات الاجتماعية الأهلية اليوم من تغيرات من أبرزها ارتفاع تكلفة الرعاية، والاعتماد المتزايد على التقنية المتطورة والمتغيرة بشكل سريع إضافة إلى زيادة الضوابط والضغوط الخارجية التي تمارسها جهات التمويل والترخيص والاعتماد بهدف تخفيض

(٢٠) سناء محمد حجازي: العلاقة بين متطلبات بناء القدرات التنظيمية وتحقيق جودة مشروعات الجمعيات الأهلية، بحث منشور بالمؤتمر العلمي التاسع عشر، ١٢-١٣/٣/٢٠٠٦، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، المجلد الخامس ص ص ٢٥٥٩، ٢٦٠٤

(٢١) أبو النجا محمد العمري: استخدام نماذج إدارة الجودة الشاملة في تحسين أداء الخدمات بالجمعيات الأهلية، بحث منشور بالمؤتمر العلمي التاسع عشر، ١٢-١٣/٣/٢٠٠٦، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، المجلد الخامس ص ص ٢٦٠٥، ٢٦٩٠

التكلفة وتحسين الجودة للخدمات. كما تشهد هذه المنظمات تغييراً ملحوظاً في سلوك المستفيدين من الخدمات يتمثل في الرغبة في المشاركة في جودتها، وفي ظل تلك التغيرات تزايد الاهتمام بسبل رفع كفاءة المنظمات الاجتماعية وتحسين جودة الخدمات التي تقدمها.

أما دراسة محمد عبد الصادق دندراوي: "الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، وتحسين أداء المتطوعين بالجمعيات الأهلية" ٢٠٠٤^(٢٢). فقد أكدت على أن الجمعيات الأهلية إحدى المنظمات التي تعتمد بشكل أساسي بل والقائمة منذ إنشائها على العنصر البشري وبالتالي أصبحت الجمعيات الأهلية المنظومة التنموية المحلية القائمة على أساس المشاركة بل والمحرك الرئيسي لعملية المشاركة الشعبية التي يمكن من خلالها أن يتفاعل الفرد مع الآخرين لتحقيق أهداف اجتماعية ومن ثم خدمة المجتمع وتنميته. كذلك أكدت الدراسة على أن المعوقات التي تواجه الجمعيات الأهلية تتمثل في مشكلة التمويل، وانعدام أشكال التعاون والتنسيق بالجمعيات الأهلية والمنظمات الأخرى، وعدم توفر عمل جماعي كافٍ.

بينما أكدت دراسة نهاد محمد كمال يحيى: دور منظمات المجتمع المدني في دعم تماسك المجتمع المصري دراسة ميدانية وتحليلية للفترة من ١٩٧٠ - ١٩٩٥^(٢٣). ٢٠٠٠. فيما يتعلق بحجم وأنواع الجمعيات في المجتمع المصري في الفترة موضع الدراسة على أنها في اتجاهها للنمو حيث زيادة عددها ولكن معظمها تعاني من العديد من المعوقات

(٢٢) محمد عبد الصادق دندراوي: الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، وتحسين أداء المتطوعين بالجمعيات

الأهلية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة القاهرة فرع الفيوم، ٢٠٠٤

(٢٣) نهاد محمد كمال يحيى: دور منظمات المجتمع المدني في دعم تماسك المجتمع المصري دراسة ميدانية وتحليلية للفترة من ١٩٧٠ - ١٩٩٥. رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب قسم الاجتماع جامعة عين شمس

التي تتمثل في قلة التمويل ، وقلة الخبرات العملية ، وسيطرة روح الشخصية على معظم هذه الجمعيات ، عزوف بعض الأفراد عن المشاركة في أعمال الجمعيات الأهلية. ويتضح لنا بعد العرض السابق أن هناك بعض المشكلات تعاني منها الجمعيات الأهلية وتؤثر على كفاءتها في توظيف الإمكانيات والموارد البشرية المتاحة لتحقيق أهدافها والغايات المجتمعية المرغوبة كذلك تؤثر على فاعلية الخدمات المقدمة ، كما تؤثر على دورها التنموي وتتضح هذه المشكلات في السيطرة المنفردة على الإدارة وعدم وجود تعاون وتنسيق بين الجمعيات ، وكذلك أكدت بعض الدراسات على أهمية امتلاك الجمعيات الأهلية قدرات تساعد على فتح قنوات مثمرة للتفاعل بين المجتمع والمنظمات ، وأيضاً أكدت على أهمية تكوين علاقات تعاونية بين العاملين والتي من شأنها زيادة كفاءة الجمعية الأهلية .

هذا وقد أشارت بعض الدراسات على أن رأس المال الاجتماعي يتيح التنسيق والتعاون بين المؤسسات من خلال التبادل المعلوماتي فيما بينهم ، كذلك يساعد على استثمار الموارد النادرة ويكشف ما عند الفقراء من موارد.

وبهذا تتضح القضية المحورية التي تدور حولها الدراسة وهي تحديد الدور الفعلي الذي تقوم به الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي كذلك معوقات هذا الدور وتحليل النتائج يمكن التوصل لتصوير للدور الذي يمكن أن تقوم به الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي.

أهمية الدراسة

١ - ترجع أهمية الدراسة لأهمية الدور الذي تلعبه منظمات المجتمع المدني وخاصة الجمعيات الأهلية في تحقيق التنمية.

- ٢ - أهمية رأس المال الاجتماعي لإنجاز أهداف الجمعيات الأهلية.
- ٣ - ندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت رأس المال الاجتماعي في المنطقة العربية.
- ٤ - أهمية تحديد دور الجمعيات الأهلية في تنمية رأس المال الاجتماعي.
- ٥ - وتستمد الدراسة أهميتها بصفة عامة من النتائج المتوقعة فيها التي من المنتظر أن تسهم في تطوير ممارسات منظمات المجتمع المدني في تنمية رأس المال الاجتماعي مما يزيد فاعلية إنجازها لأهدافها.

مفاهيم الدراسة

١ - مفهوم رأس المال الاجتماعي:

يرجع مفهوم رأس المال الاجتماعي في أصوله الأولى إلى العلوم الاجتماعية، غير أن الدراسات الحديثة اعتبرت رأس المال الاجتماعي أحد مواد التنظيم الاجتماعي ومصدراً كامناً للقيمة يمكن العمل على تقويته وتدعيمه وتحويله إلى أهداف استراتيجية مثمرة. استخدم رأس المال الاجتماعي في كتابات العالم الأنثربولوجي السويدي Hannerz هانرز عام ١٩٦٩ أثناء دراسته للأحياء الحضرية الفقيرة للإشارة إلى "شبكة العلاقات الاجتماعية الطبيعية غير الاقتصادية تمكن من توزيع المعلومات والثقة وتعمل على الكشف عن الموارد التي تظهر في الدعم الذي يتبادلته الأصدقاء كجزء من تحمل الفقر" (٢٤).

واستخدم Pierre Bourdieu بيير بورديو عام ١٩٧٢ رأس المال الاجتماعي للإشارة إلى "مجموعة العلاقات الاجتماعية التي تتيح للفرد الشعور بالانتماء لجماعة ما التي تؤسس على أساس علاقات المعرفة والاعتراف المتبادل" (٢٥).

كما عرف جيمس كولمان James Coleman رأس المال الاجتماعي عام ١٩٨٧ على أنه "الشبكات الاجتماعية ونظم العلاقات المتبادلة ومجموعة من القواعد أو مستويات الثقة القائمة بين الأفراد والتي تقع داخل الأسر والمجتمعات المحلية على حد سواء والموارد والخبرات التعليمية والثقافية والاجتماعية للمجتمع". وعرف روبرت ديفيد بوتنام Robert David Putnam 1993 رأس المال الاجتماعي على أنه "التضامن وإعادة إنتاج الجماعة" (٢٦).

وبالرغم من وجود عدد من التعريفات التي اعتمدت على أعمال بوتنام ١٩٩٣ وكولمان ١٩٨٧ لا يوجد تعريف محدد لمفهوم رأس المال الاجتماعي إلا أن البعض قد استخدمه للإشارة إلى "درجة التماسك وجودة وكمية العلاقات الاجتماعية في مجتمع محدد" ويتضمن رأس المال الاجتماعي مكونين: (مكون بنائي، ومكون معرفي). يغطي المكون المعرفي توقعات الدعم، التبادل، المشاركة، الثقة. أما المكون البنائي فيشير إلى كثافة الأنشطة بين الجمعيات والاتصالات والعلاقات بين الجمعيات (٢٧).

وبذلك يمكن أن نفرق بين ثلاث مستويات للعلاقات الاجتماعية. المستوى الأول: (bonding) التماسك ويوجد بين أفراد أو جماعات متشابهة في نفس الإطار الاجتماعي. أما المستوى الثاني (bridging) التجسير والذي يمكن الفرد أو الجماعة من

(٢٥) Science & Geography Dictionary, Oxford University Press, 2000, P222.

(٢٦) Nan lin : *Building a Network Theory of Social Capital*, Connections 22(1):28 – 51 1999) P 30

(٢٧) Trudy Harpham , et al : *Measuring Social Capital Within Health Surveys : Key Issues* , Health policy And Planning ; 17 (1) : 106- 111 , Oxford University Press ,2002 , P 216

التعامل مع غيرها من الجماعات أو الأفراد الأخرى. أما المستوى الثالث (linking) التكامل مع الجماعات أو الأفراد الأخرى في كل متناغم منسجم^(٢٨).

ومن التعاريف السابقة استخلص الباحثان أن رأس المال الاجتماعي هو: علاقات اجتماعية قائمة على تفاعلات مقصودة وموجهة من قبل إدارة الجمعية لتحقيق أهداف الجمعية، هذه العلاقات لها مستويين (المستوى الداخلي، المستوى الخارجي)

المستوى الداخلي: والذي يتضمن كلا من:

أ) **التضامن bonding:** والذي يمكن تحديده في علاقات العاملين بالجمعيات الأهلية.

ب) **الدعم المتبادل Support:** والذي يظهر في العلاقة بين مجلس الإدارة والمتطوعين.

المستوى الخارجي: والذي يتضمن كلا من:

أ) **التجسير bridging:** وتقصد به الباحثة العلاقة بين الجمعيات الأهلية وعملائها، حيث أن الجمعية يمكن أن تستفيد بوجود العميل لمساعدة عميل آخر.

ب) **الروابط Linking:** وهي العلاقات بين الجمعيات الأهلية بعضها البعض.

ولهذه العلاقات ثلاث مؤشرات:

أ) **الثقة:** ويقصد بها في هذا البحث المورد الأخلاقي الذي يتطلب توافر الشفافية وقيمة مشتركة بين (العاملين من ناحية – والعملاء بعضهم البعض وكذلك

(٢٨) عزت حجازي، رأس المال الاجتماعي: كأداة تحليلية في العلوم الاجتماعية، بحث منشور، بالجملة الاجتماعية القومية المجلد الثالث والأربعون العدد الأول (القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية

بينهم وبين الجمعية من ناحية أخرى - والجمعية والجمعيات الأخرى) هكذا قياساً بالنسبة لباقي المؤشرات.

ب) القيم والمعايير: ويقصد بها في هذا البحث مجموعة القيم والمعايير المعلنة والضمنية والتي تحكم العلاقات السابق ذكرها.

ج) العمل التطوعي: هو عمل غير ربحي، لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي / مهني، يقوم به الأفراد من أجل مساعدة الآخرين، ولتحقيق أهداف مشتركة.

وسوف يستند الباحثان إلى هذه المؤشرات الأربعة (الثقة، القيم والمعايير، الشبكات الاجتماعية، العمل التطوعي) لقياس رأس المال الاجتماعي في المستويات السابق ذكرها.

٢ - الجمعيات الأهلية:

تعددت المفاهيم التي تناولت الجمعيات الأهلية فهناك من يعرفها على أنها "هيئة أهلية تطوعية تهدف إلى تقديم الخدمات الاجتماعية مما له علاقة بالخدمات الإنسانية دون أن يكون هدفها الحصول على الربح المادي أو تحقيق أي أغراض لا تتفق والغرض الذي وجدت من أجله" (٢٩)

ويقصد بها إحدى المنظمات الأهلية التي تشرف عليها وزارة الشؤون الاجتماعية والتي أنشأها الأهالي في مجتمعاتهم نتيجة لشعورهم بأنها الوسيلة المناسبة

(٢٩) نجلاء رجب أحمد السيد: العوامل التنظيمية المؤثرة في تنمية التمويل الذاتى لدى الجمعيات الأهلية،

رسالة ماجستير غير منشورة كلية الخدمة الاجتماعية، القاهرة فرع الفيوم، ٢٠٠٥ ص، ص ١٦، ١٧

لمواجهة ما يعانونه من نقص لحاجاتهم وما يواجهونه من مشكلات عن طريق توحيد الجهود الذاتية للأهالي مع جهود المنظمات الحكومية^(٣٠).

كما يقصد بها إحدى المنظمات غير الحكومية التي تم تأسيسها للمساهمة في تنمية المجتمع. وهذه المنظمات في الأغلب غير هادفة للربح وعملها خيري بعيداً عن الاعتبارات السياسية ولكونها ذات توجه تنموي فإن أعمالها تقوم على أهداف محددة تمثل احتياجات مؤسسيها، كذلك حاجات المجتمع الذي توجد به^(٣١).

وتعرف المادة ١ من القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخاصة الجمعية بأنها " كل جماعة ذات تنظيم مستمر لمدة معينة أو غير معينة تتألف من أشخاص طبيعيين لا يقل عددهم عن عشرة أشخاص اعتباريين لغرض غير الحصول على الربح"^(٣٢).

ومن التعاريف السابقة يستخلص الباحثان التعريف الإجرائي الآتي والذي يتفق وأهداف البحث:

- جمعيات ينشئها الأفراد على مستوى المجتمع المحلي الحضري.
- تُنشأ هذه الجمعيات بناء على خطة محددة لتحقيق أهداف مرسومة لمؤسسيها.
- تقوم على أساس من المشاركة والتطوعية.

(٣٠) خليل عبد المقصود: تنمية المجتمع أسس نظرية وتجارب ميدانية (الفيوم، مكتبة الصفوة، ٢٠٠٢) ص ٢٣١.

(٣١) قانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات الأهلية.

(٣٢) السيد على عثمان أحمد: أنماط القيادة بالجمعيات الأهلية وعلاقتها بفاعلية مشروع التنمية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم، ٢٠٠٦، ص ١٢٨.

- تستمد بقاءها من خلال محاولة كسب ثقة الأفراد من خلال تطوير نشاطها لجذبهم للمشاركة في هذه الأنشطة.
- تهدف إلى تنمية المجتمع عن طريق إشباع الحاجات ومواجهة المشكلات.
- تعد هذه المنظمات عوناً وسنداً للمنظمات الحكومية.

أهداف الدراسة

- ١ - تحديد مصادر رأس المال الاجتماعي بالجمعيات الأهلية.
- ٢ - الكشف عن العوامل المؤثرة في تنمية رأس المال الاجتماعي الخاص بالجمعيات الأهلية.
- ٣ - الوقوف على دور الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي.
- ٤ - التعرف على تأثير هذا الدور على رصيد المجتمع المحلي من رأس المال الاجتماعي.
- ٥ - التعرف على المعوقات التي تواجه الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي.
- ٦ - الخروج بتصور مقترح لدور الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي.

تساؤلات الدراسة

- ١ - ما مصادر رأس المال الاجتماعي بالجمعيات الأهلية؟
- ٢ - ما العوامل المؤثرة في تنمية رأس المال الاجتماعي الخاص بالجمعيات الأهلية؟
- ٣ - ما دور الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي؟

- ٤ - ما تأثير هذا الدور على رصيد المجتمع من رأس المال الاجتماعي؟
٥ - ما المعوقات التي تواجه الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي؟

المنطلقات النظرية

نظرية رأس المال الاجتماعي

تفترض هذه النظرية أن العلاقات الاجتماعية القائمة على الثقة والتعاون المحددة في إطار بعض القواعد والمعايير المتفق عليها يمكن من خلالها إيجاد أعمال مقصودة تسهم في إشباع الاحتياجات الاجتماعية، وذلك في إطار الموارد الناشئة عنها، وتعارض الرأسمالية الاجتماعية كنظرية Social Capitalism على الفكرة القائلة بأن الاشتراكية والرأسمالية متعارضتان، كذلك تفترض أن شبكة الدعم الاجتماعي القوية للفقراء تحسن ناتج رأس المال. بعبارة أخرى، عندما ينخفض معدل الفقر ستزيد مشاركة رأس المال التجاري، وفقاً لمنظور بوتنام Putnam فإن النشاط الإنتاجي لرأس المال الاجتماعي يظهر في قدرته على "تيسير التنسيق والتعاون من أجل المنفعة العامة" حيث يعتمد على إيجاد قيمة مشتركة بين المشاركين وتحديد خطة واضحة للعمل تصل إلى كل المشاركين لتقوم على أساس الشفافية والمعاملة بالمثل.

خلاصة القول تقوم هذه النظرية على فكرة مؤداها أن عملية التنمية الموجهة للمجتمع المحلي (CDD) تقوم على أساس اتباع نهج السعى إلى بناء وتشجيع العمل الجماعي، وبوصف رأس المال الاجتماعي رصيذاً اجتماعياً يقف خلف العمل الاجتماعي الذي تحتاج إليه الجمعيات الأهلية لتحقيق التنمية وبناء التقدم. كذلك رأس المال الاجتماعي يسهل التنسيق بين الجهود الأهلية الاجتماعية. بالإضافة إلى أن للتنمية شروطاً اجتماعية حيث أنها بحاجة إلى مشاركين على درجة عالية من الثقة والشفافية

ويكونون قادرين على خلق شبكات اجتماعية لقضاء حوائجهم^(٣٣). وتؤكد تلك النظرية أن لرأس المال الاجتماعي ثلاث عناصر أساسية هي:

- ١ - بناء اجتماعي.
 - ٢ - فرص يمنحها الوجود في هيكل اجتماعي.
 - ٣ - أفعال: وهي العملية التي تتحول بواسطتها الموارد المتاحة في إطار البناء الاجتماعي القائم إلى رأس مال اجتماعي، وتعكس الأفعال الفرص المتاحة للفاعلين لاستغلال الموارد المتاحة. ويؤكد "بيير برديو" أن الأفعال في إطار المجتمع الطبقي لا تمثل إلا محاولة لتكريس أوضاع اجتماعية وطبقية معينة.
- ويتضمن رأس المال الاجتماعي موارد وهي (الثقة - القوى التطوعية - المعايير - شبكة العلاقات) والتي تتشكل لدى الجماعة وتميزها بالاستقرار لتحقيق الأهداف المشتركة.
- أهم افتراضات نظرية رأس المال الاجتماعي^(٣٤):

- ١ - كلما احتل الفرد مكانة مرتفعة في البناء الاجتماعي القائم، كلما توافرت له فرص أكبر لاستغلال الموارد المتاحة في هذا البناء.
- ٢ - يتم التفاعل بين مجموعة من الفاعلين المتقاربين من حيث: الخصائص، والمكانة والموارد، فكلما زاد التشابه في خصائص الموارد التي تمتلكها الجماعة كلما قل الجهد المبذول في عملية التفاعل.

(٣٣) أحمد زايد وآخرون: رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى (مركز البحوث والدراسات الاجتماعية - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦) ص ٧.

(٣٤) إنجي عبد الحميد: رأس المال الاجتماعي: نحو نظرية في البناء والفعل الاجتماعي، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناائية، المجلد الحادي والأربعون، العدد الثاني، مايو ٢٠٠٤

٣ - يتفاعل الأعضاء بشكل مباشر أو غير مباشر في إطار شبكات العلاقات الاجتماعية وفقاً لما لديهم من موارد، وأن الشبكات الاجتماعية في معظمها هي شكل من أشكال رأس المال الاجتماعي، بالإضافة إلى أن الدعم المتبادل داخل تلك الشبكات شكل من أشكال رأس المال الاجتماعي، حيث أن رأس المال الاجتماعي يستخدم في حشد الدعم لحل المشكلات المجتمعية.

٤ - ترتبط أفعال الأفراد إما بتدعيم الأوضاع القائمة، أو بالحصول على مزايا جديدة، وتسمى الأولى الأفعال التعبيرية، أما الثانية فهي الأفعال الغائية.

٥ - كلما كانت الروابط بين الأفراد قوية كلما استطاع الفرد أن يستخدم الموارد المتاحة في أفعال تعبيرية والتي يترتب عليها تنمية وتطوير الموارد التي يمتلكها الأفراد والجماعة التي ينتمون إليها. وعلى العكس فكلما ضعفت هذه الروابط، كلما اتجه الأفراد إلى استخدام الموارد المتاحة في أفعال غائية أو أدائية لتكريس الأوضاع القائمة.

٦ - أكثر مستويات المشاركة -بوحدة اجتماعية بها رأس المال الاجتماعي -تطوعية، وبناء عليه فإن أكثر مستويات المشاركة في الجمعيات الأهلية التطوعية، هي الأكثر تعبيراً عن رأس المال الاجتماعي^(٣٥).

إشكالية مفهوم رأس المال الاجتماعي:

يتبين لنا من العرض السابق عدم وجود اتفاق بين الكتاب حول تعرف موحد لرأس المال الاجتماعي، ولاحظنا كذلك أن هناك اختلافاً بينهم حول تفسيرهم لتعريفات الكتاب الثلاثة للمفهوم والذين ساهموا في تطويره ورسم معالنه وهم يبيرون

(٣٥) Christian Bjørnskov and Gert Tinggaard Svendsen: *Measuring social capital – Is there a single underlying explanation?*, Working Paper, Department of Economics, Aarhus School of Business, Aarhus C, Denmark, 01 Mar 2003, P33

بورديو، جيمس كولمان، روبرت بوتنام، لذلك كان من الضروري أن نرصد الأسباب التي حالت دون التوصل إلى تعريف موحد لرأس المال الاجتماعي وأدت بالتالي إلى إشكالية منهجية لقياس رأس المال الاجتماعي. وتمثلت تلك الأسباب في الآتي:

١ - اختلاف تخصصات المهتمين بمفهوم رأس المال الاجتماعي.

حظي مفهوم رأس المال الاجتماعي باهتمام العديد من العلوم وتناوله كل علم من العلوم الإنسانية برؤية مختلفة عن الأخر، هذا ما شكل ما يسمى بإشكالية تعريف رأس المال الاجتماعي، فبالرغم من تعدد الكتابات والدراسات التي اهتمت به خلال السنوات الأخيرة إلا أنه لا يوجد اتفاق واضح على تعريف قاطع ونهائي لمفهوم رأس المال الاجتماعي. فهناك حقيقة مؤداها أن مفهوم رأس المال الاجتماعي نقطة التقاء كل من علم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلم السياسة حيث أنه محور اهتمام تلك العلوم.

بعبارة أخرى، يختلف تناول مفهوم رأس المال الاجتماعي تبعاً لتخصص الباحث، كذلك موضوع البحث، فمثلاً يشار إليه في الدراسات الاقتصادية على أنه يشير إلى "الروابط الاجتماعية بين الأفراد والكيانات حيث أن لها قيمة اقتصادية".

فيرى الاقتصاديون أن لرأس المال الاجتماعي أهمية اقتصادية حيث تخفيض المعاملات التجارية بين الناس نتيجة لوجود عامل الثقة الذي يساعد على بلورة مناخ من التعاون، مما يسهل عمل ميكانزمات السوق الطبيعية والحد من البيروقراطية، والقواعد التنظيمية الهرمكية التي تستنزف الكثير من الجهد والوقت والتكاليف الاقتصادية. هذا بالإضافة إلى أن لرأس المال الاجتماعي تأثيراً إيجابياً على رأس المال البشري نتيجة شبكة تنتقل عبرها المعلومات والخبرات التي تساعد على الابتكار

والتقدم التكنولوجي^(٣٦). كذلك يسهل التنسيق بين قوى السوق وأطرافه من المستهلكين أو منتجين وبطريقة أفضل من إجراءات التنسيق الرسمية مما ينعكس على صورة وصول الخدمة. هذا بالإضافة إلى أن الاقتصاديين يعتبرونه مورداً مثل باقي الموارد الخاصة بأي عمل تجاري (رأس المال المادي، المالي، البشري، المالي) ولكنه مورد غير ملموس ويعتقد أنه مورد من الأهمية بمكان حيث أنه محفز للأنواع الأخرى من الموارد لإنتاج أفضل^(٣٧).

ويتضح مما سبق أن المنظور الاقتصادي لرأس المال الاجتماعي اتخذ موقفاً مناقضاً لنظرية كلفة التعاقد الثابت والمبنية على فرضية انتهازية الإنسان - وهي فرضية نظرية في علم الاقتصاد.

هذا بالإضافة إلى أن علماء الاقتصاد المهتمين برأس المال الاجتماعي، يعتبرونه مورداً اجتماعياً هاماً في تحقيق النمو الاقتصادي بأي مجتمع معاصر، كذلك أكدوا على أن المجتمعات التي تمتلك رأس مال اجتماعي قوي لها قدرة على التعاون البناء بين أفرادها، كما يكون لديها أيضاً القدرة على التطور والنمو لامتلاكها اقتصاداً قوياً نتيجة الاستقرار المجتمعي الذي يحققه رأس المال الاجتماعي.

في حين أن المفكرين الاجتماعيين في رؤيتهم لرأس المال الاجتماعي تتحدد في كونه رصيذاً من العلاقات والروابط الاجتماعية التي تشكل نوعية وكمية التفاعلات الاجتماعية لمجتمع ما، مما يؤدي إلى التماسك الاجتماعي في إطار من قيم ومعايير ملزمة للأفراد لتحقيق المساواة والمعاملة بالمثل مما يتيح الثقة في إطار التعاون والتبادل

H. Westlund,: *Social Capital in the Knowledge Economy: Theory and Empirics*, New York, (٣٦)

Journal of Socio-Economics, in Press, New York, Volume37, Issue6, December 2008, P256.

Thomas F. Carroll: *Social capital, Local Capacity Building, and Poverty Reduction*, Social (٣٧)

Development Papers No.3, Office of Environment and Social Development Asian Development Bank. May2001.P7.

والذي يؤدي إلى تحقيق الاستقرار المجتمعي مما ينتج عنه تحقيق التقدم^(٣٨). فكانت دراستهم تتعلق بتحديد أثر رأس المال الاجتماعي على بعض الظواهر الاجتماعية السلبية مثل الجريمة والأنومي ورصد إيجابيات رأس المال الاجتماعي في دعم التماسك الاجتماعي، كذلك أثره في كيفية الحد من الفقر، حيث قامت اليونسكو بدراسة على المناطق الحضرية التي تتركز بها البطالة والفقر والاستبعاد الاجتماعي، والجريمة والعنف، بالإضافة أيضاً إلى المجتمعات المتعددة الثقافات والروابط. التي عملت على تعزيز التكامل الاجتماعي، والتضامن، في إطار سياسات وبرامج وأنشطة ميدانية هدفها تنمية رأس المال الاجتماعي، وأدت إلى زيادة دخل الأسر الفقيرة من ٢٠٪ إلى ٣٠٪. وأشارت الدراسة إلى أن العلاقات التي كانت بين الفقراء والجهات الفاعلة والتي استندت على الثقة المتبادلة، في إطار التعاون لتحقيق أهداف مشتركة، التي قد لا تحقق أقصى قدر من المصلحة الذاتية أو الشخصية، هي السبب وراء هذه الزيادة في دخل الفقراء، وبهذا أكدت اليونسكو على أن رأس المال الاجتماعي أحد المكونات الأساسية في استراتيجية الحد من الفقر، حيث أن تصميم البرامج التي تساعد على زيادة المشاركة كأحد عناصر رأس المال الاجتماعي، يعمل على بناء القدرات البشرية وضمان الحكم والديمقراطي، في إطار تعزيز شبكة غنية وشاملة من العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع بين مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية، مما يجعل لتلك البرامج تأثيراً قوياً وفورياً على الفقر^(٣٩).

(٣٨) سامية قدرى: رأس المال الاجتماعي ومستقبل التنمية في مصر، بحث منشور، مؤتمر المجتمع المصري إلى

أين "رؤية مستقبلية"، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، في الفترة من ١١-١٢ يونيو ٢٠٠٧ ص ٢٦.

(٣٩) Francine Fournier: *Social Capital Formation in Poverty Reduction: Which Role for Civil Society and the State?*, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, & Social and Human Sciences Sector of UNESCO, 2002, P14.

ومن ناحية أخرى توصلت دراسة إلى أن رأس المال الاجتماعي بما يتضمنه من قوة دينامية للروابط الاجتماعية تعزيز السلوك الإيجابي ، وتسهم في تقليل التركيز على الجرائم والسمات السلبية الأخرى ، نتيجة الدعم الوجداني المتاحة من خلال شبكة العلاقات الموجودة بين أفراد الأسرة ، أو الأصدقاء ، أو الجيرة ... وغيرها ، والتي تسعد على إيجاد حلول للمشكلات التي يمر بها الأفراد^(٤٠).

وهذا بدوره يختلف أيضا عن رؤية علم السياسة للمفهوم حيث أنه يعكس نظم العلاقات المجتمعية والمعايير ومستويات الثقة الفردية والجماعية وزيادة مستويات هذه الثقة التي تدعم السلطة. بمعنى أن رأس المال الاجتماعي أحد مواد التنظيم الاجتماعي ومصدرا كامن للقيمة يمكن العمل على تقويته وتدعيمه وتحويله إلى أهداف استراتيجية مثمرة كما يرى روبرت بوتنام فإن الركيزة الأساسية لرأس المال الاجتماعي تكمن فيما تحمله الشبكات الاجتماعية من قيمة. وجدير بالذكر أنه اعتبر المجتمع المدني بمثابة رأس المال الاجتماعي^(٤١).

كما أكد بوتنام في عمله الذي نشره ١٩٩٣ بعنوان "جعل الديمقراطية تعمل"^(٤٢) على أن الإصلاح الحكومي نجح في شمال إيطاليا لأنه كان مدعوماً من مجتمع مدني

(٤٠) Mary Tabor Griswold and Mark W. Nichols: **Social Capital And Casino Gambling In U.S. Communities**, Springer, Social Indicators Research 2006, P372.

(٤١) مرسى مشري: "المجتمع المدني في الجزائر: دراسة في آلية تفعيله"، مداخلة في مؤتمر بعنوان التحولات السياسية وإشكالية التنمية في الجزائر واقع وتحديات، جامعة حسينة بن بوعلي، كلية العلوم القانونية والإدارية، الشلف، (٢٠٠٨) ص ٩.

(٤٢) مضمون هذا العمل هو عمل مقارنة بين شمال إيطاليا وجنوبها حيث توافر عوامل النمو الاقتصادي بشكل متكافئ نسبيا للشمال والجنوب ولكن لم يتم النمو بنفس الشكل المتكافئ الذي عبر عنه تفصيلياً بدراسته، فبدراسة بوتنام وجد أنه يوجد عامل رئيس أدى إلى تحقيق النمو الاقتصادي في الشمال ولا يتوافر في الجنوب وهو "رأس المال الاجتماعي".

قوي، حيث كان سبباً رئيسياً في تحقيق الرخاء الاقتصادي فبالدراسة وجد أن لمناطق الاقتصاد المزدهر نشاط عام للمواطنين يخلق جواً من التعاون المتبادل، وشبكات اجتماعية حيوية تخلق مساواة في العلاقات السياسية في المشاركة التقليدية للمواطنين، كما وجد أن الولاءات الدينية كانت أفقية^(٤٣). كما أشار إلى أن وراء كل هذه الظواهر تشيع روح من الثقة المتبادلة بين المواطنين على عكس ذلك نجد جنوب إيطاليا يشيع فرض النظام والتسلسل الهرمي على الفوضى الكامنة "Latent anarchy" بعبارة أخرى كان الأفراد في شمال إيطاليا مواطنين، بينما الأفراد في جنوب إيطاليا يعتبرون مواضع. "In the North people were citizens, in the South they were subjects" خلاصة القول أن نوعية المجتمع المدني تؤثر إلى حد كبير في مستقبل التنمية الاقتصادية والسياسية للمنطقة.

٢- اختلاف طبيعة رأس المال الاجتماعي باختلاف وحدة التحليل.

بالرغم من اختلاف الرؤى حول رأس المال الاجتماعي بين علم الاقتصاد والسياسة والاجتماع إلا أن هناك اتفاقاً فيما بينهم حول نقطة مهمة وهي "أن رأس المال الاجتماعي يكمن في الاتصالات الشخصية، والعلاقات والتفاعلات بين الأشخاص والمؤسسات فهو يتعلق بمن يعرف ويتعامل مع من؟".

هذا بشكل عام ولكن عند تحديد مستوى التحليل لدراسة معينة سواء أكان (Micro, Mezo, Macro) تختلف طبيعة رأس المال الاجتماعي بمعنى إنه إذا كانت وحدة التحليل هي الفرد (المستوى الميكرو Micro) فأقارب الشخص، وأصدقائه، ورفاق العمل، وجيرانه يمثلون رأس مال الفرد الاجتماعي حيث أنهم يعتبرون مصادر معلوماته وعوناً ودعمًا له، بعبارة أخرى، فإن الفرد يستخدم ما يمتلكه من موارد -

(٤٣) Robert D. Putnam: **Making Democracy Work: Civic Traditions in Modern Italy**, Princeton

University Press, Princeton, 1993, P23.

مادية أو معنوية - في مقابل استفادته من موارد الآخرين نتيجة انتمائه لبناء اجتماعي معين.

بينما المؤسسات والجماعات كوحدات للتحليل (ممثلة المستوى الميزو Mezzo) فيتعلق رأس المال الاجتماعي حينئذ بشبكة العلاقات الموجودة بكل وحدة وبهذا فإن رأس المال الاجتماعي في هذه الحالة له شكلان (شكل رسمي وشكل غير رسمي) فالشكل الرسمي لرأس المال الاجتماعي يظهر في جملة علاقات المؤسسة التي لها ثلاث جوانب **أولاً**: علاقات العاملين داخل المؤسسة، **ثانياً**: العلاقة بين المؤسسة والمؤسسات المحيطة بها، **ثالثاً**: علاقة المؤسسة بعملائها. أما الشكل غير الرسمي لرأس المال الاجتماعي فيظهر في شبكة العلاقات غير الرسمية التي تظهر في مجتمعات الجيرة وغيرها.

أما بالنسبة للمجتمع كوحدة أكبر تحليل (المستوى الماكرو Macro) فيكمن رأس ماله الاجتماعي في مجتمعه المدني حيث يمثل تكتلات من أفراد المجتمع تجمعوا لتحقيق هدف مشترك، كذلك العلاقات بين الحكومة والمجتمع المدني متمثل في جسور الثقة فيما بينهم التي تتيح التعاون فيما بينهم مع القطاع الخاص للصالح العام، هذا بالإضافة إلى التعاون بين منظمات المجتمع المدني بعضها البعض.

مؤشرات رأس المال الاجتماعي:

تعتبر مؤشرات رأس المال الاجتماعي كلاً متكاملاً لا يمكن فصلها عن بعضها البعض حيث يعتمد وجود كل مؤشر على وجود الآخر، ولكن يتم فصلها هنا مجازاً للدراسة والتحليل.

١ - الثقة.

يعتبر مفهوم الثقة مفهوماً مركزياً وسط عنقود من المفاهيم - سواء على مستوى الاهتمام النظري في العلوم الاجتماعية أو على مستوى الممارسات العملية في الخطابات التنموية الحديثة - المرتبطة بنظرية رأس المال الاجتماعي، حيث تعد الثقة في أغلب هذا التراث المشار إليه سابقاً اللب المكون لرأس المال الاجتماعي وتستخدم في الغالب مؤشراً رئيسياً له كذلك يعزز كل منهما الآخر وبذلك فالقدرة التي تنبثق في المجتمع نتيجة لتغلغل الثقة به أو في بعض قطاعاته على أقل تقدير هي التي تمثل رأس المال الاجتماعي.

حظي مفهوم الثقة بإشارة مبكرة ومميزة كاشفة عن أهميتها لتأسيس حياة جمعية حديثة مستقرة، حيث أن الثقة على أساس فردي هي اعتقاد شخصي عن الكيفية التي سوف يؤدي بها تصرف معين من فرد آخر في المستقبل. وبهذا نجد أنه يستلزم وجود حسن النية، كذلك وجود تصور للانتفاع نوعاً ما. وفي هذا الإطار أشار كولمان أن الثقة الاجتماعية هي الآلية التي تتجسد فيها العلاقات والأبنية الاجتماعية، وقد أكد على أن العلاقات هي المسؤولة عن إنتاج الثقة، ولذلك فإن الأبنية الاجتماعية مهمة ليس فقط لتكوين رأس المال الاجتماعي بل أيضاً لتوليد الثقة الاجتماعية نفسها^(٤٤).

هناك ارتباط بين الثقة والسياق التي توجد فيه ونحن نختبر الثقة من خلال خبراتنا بسياقها، فعلى سبيل المثال الثقة في السياق الأسري، وبين الأصدقاء والزملاء، تختلف عن التي نختبرها داخل المجتمع المدني، حيث أن الثقة في شكلها البسيط الموجود بين الأفراد قائمة على أساس الخبرة والسمعة، بعكس الثقة داخل المنظمات حيث تستمد

Max Stephenson and Alnoor Ebrahim: *Trust, Social Capital, and Organizational Effectiveness*, (٤٤)

Major paper submitted, Master of Public and International Affairs, Virginia, Qianhong Fu, 2004, P32.

جزئياً من القواعد الأدوار وبنية العلاقات داخل المنظمة. بعبارة أخرى، فإن فهم الثقة في سياق اجتماعي معين هو شرط أساسي لفهم تعقيدات العلاقات البشرية، بهدف فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية الموجودة بين وحدات مجتمع الدراسة، وللتعرف على قدرتها في تحمل الظروف الصعبة والمتغيرة بصورة سريعة التي يمر بها المجتمع ككل^(٤٥).

٢- القيم والمعايير.

تعتبر القيم والمعايير بناءً تتشكل في داخله تفاعلات الأفراد الموجودين في شبكة العلاقات التعاونية التي تكون رأس المال الاجتماعي، سواء كانت رسمية أو غير رسمية، هذا سواء كانت هذه القيم والمعايير معلنة أو غير المعلنة، حيث تقوم بعدة وظائف منها، تحقيق المعاملة بالمثل، المساواة، حفظ الاستقرار النسبي الذي يتيح تكوين رأس المال الاجتماعي، فأشار روجر باتلني Roger Patulny إلى أن التنشئة الاجتماعية تحافظ على نقل القيم والمعايير من جيل إلى آخر بهذا نحافظ على تماسك نسيج المجتمع لذلك تعتبر التنشئة الاجتماعية أحد أسس رأس المال الاجتماعي^(٤٦).

٣- الشبكات الاجتماعية.

يتعلق هذا المؤشر بالجماعات والشبكات الاجتماعية التي تمكن الأفراد من الحصول على الموارد كذلك التعاون لتحقيق الأهداف المشتركة التي هي جزء مهم من مفهوم رأس المال الاجتماعي. وتعرف أمانى قنديل مصطلح الشبكة بأنه "إطار طوعي

(٤٥) Kenneth Newton: *Social Trust and Political Disaffection: Social Capital and Democracy*, Paper prepared for the EURESCO Conference on Social Capital: Interdisciplinary Perspectives, Berlin, 15-20 September 2006, P46.

(٤٦) Roger Patulny: *Social Capital Norms, Networks and Practices*, working paper, Social Policy Center, Sydney, 2004, P34.

اختياري وليس إجبارياً يضم أفراداً أو مجموعات أو منظمات لتحقيق التضامن والتساند فيما بينها^(٤٧).

تنقسم هذه الشبكات إلى شبكات رسمية، وشبكات غير رسمية. تظهر الشبكات غير الرسمية بصورة عفوية، حيث تسهل من تبادل المعلومات والموارد المتاحة داخل المجتمعات المحلية ولكن بشكل غير منظم، فضلاً عن الجهود الرامية إلى التعاون والتنسيق اللائي يساعدان على تعظيم الاستفادة من الموارد المتاحة. تكمن داخل الشبكات غير الرسمية العلاقات الأفقية والرأسية وتتشكل من مجموعة متنوعة من العوامل البيئية، تتمثل في السوق القرابة، الصداقة، الجيرة.

هذا ويوجد نوع آخر من الشبكات يطلق عليه الشبكات الرسمية والتي تتألف من جماعات يربط أعضاؤها علاقات أفقية غالباً ما تتميز هذه الشبكات بوضوح الهياكل والأدوار والقواعد التي تحكم كيفية التعاون بين أعضائها لتحقيق الأهداف المشتركة والمعلنة، ولهذه الشبكات القدرة على تعزيز الاعتماد على الذات، والمساعدة المتبادلة، والتضامن، كذلك الاشتراك مع الجهود التعاونية في المجتمع المحلي. ومن جهة أخرى تشمل العلاقات والتفاعلات بين المجتمع وقيادته، كذلك تشمل على نطاق أوسع العلاقات بين القطاع الأهلي، والحكومي، والقطاع الخاص^(٤٨).

(٤٧) مدحت محمد أبو النصر: إدارة منظمات المجتمع المدني "دراسة في الجمعيات الأهلية من منظور التمكين والشراكة والشفافية والمسألة والقيادة التطوع والتشبيك والجودة" (إيتراك للطباعة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧)، ص ٣٩.

(٤٨) Nora Dudwick, Michael Woolcock: **Analyzing Social Capital in Context: A Guide to Using Qualitative Methods and Data**, The International Bank for Reconstruction, and Development /The World Bank, Washington, 2006, p26

٤- العمل التطوعي

أصبح العمل التطوعي ركيزة أساسية في بناء المجتمع ونشر التماسك الاجتماعي بين المواطنين لأي مجتمع، والعمل التطوعي ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والعمل الصالح عند كل المجموعات البشرية منذ الأزل ولكنه يختلف في حجمه وشكله واتجاهاته ودوافعه من مجتمع إلى آخر، ومن فترة زمنية إلى أخرى، فمن حيث الحجم يقل في فترات الاستقرار والهدوء، ويزيد في أوقات الكوارث والنكبات والحروب، ومن حيث الشكل فقد يكون جهداً يدوياً وعضلياً أو مهنيّاً أو تبرعاً بالمال أو غير ذلك، ومن حيث الاتجاه فقد يكون تلقائياً أو موجهاً من قبل الدولة في أنشطة اجتماعية أو تعليمية أو تنموية، ومن حيث دوافعه فقد تكون دوافع نفسية أو اجتماعية أو سياسية.

ويوصف العمل التطوعي بصفتين أساسيتين تعلان من تأثيره قوياً في المجتمع وفي عملية التغيير الاجتماعي، وهما:

أ) قيامه على أساس المردود المعنوي أو الاجتماعي المتوقع منه، مع نفي أي مردود مادي يمكن أن يعود على الفاعل.

ب) ارتباط قيمة العمل بغاياته المعنوية والإنسانية.

لهذا السبب يلاحظ أن وتيرة العمل التطوعي لا تتراجع مع انخفاض المردود المادي له، إنما بتراجع القيم والخوافز التي تكمن وراءه، ويمكن التمييز بين شكلين أساسيين من أشكال العمل التطوعي^(٤٩):

(٤٩) بلال عراي: دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع، الأردن، مجلة مركز التميز للمنظمات غير الحكومية،

أ) العمل التطوعي الفردي :

وهو عمل أو سلوك اجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسه وبرغبة منه وإرادة ولا يبغي منه أي مردود مادي ، ويقوم على اعتبارات أخلاقية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية .في مجال محو الأمية - مثلاً - قد يقوم فرد بتعليم مجموعة من الأفراد القراءة والكتابة ممن يعرفهم ، أو يتبرع بالمال لجمعية تهتم بتعليم الأميين.

ب) العمل التطوعي المؤسسي :

وهو أكثر تقدماً من العمل التطوعي الفردي وأكثر تنظيماً وأوسع تأثيراً في المجتمع ، وفي الوطن العربي توجد مؤسسات متعددة وجمعيات أهلية تساهم في أعمال تطوعية كبيرة لخدمة المجتمع.

وفي المجتمع مؤسسات كثيرة يحتل فيها العمل التطوعي أهمية كبيرة وتسهم (جمعيات ومؤسسات أهلية وحكومية) في تطوير المجتمع إذ إن العمل المؤسسي يسهم في جمع الجهود والطاقات الاجتماعية المبعثرة ، فقد لا يستطيع الفرد أن يقدم عملاً محدداً في سياق عمليات تنمية المجتمع ، ولكنه يتبرع بالمال ؛ فتستطيع المؤسسات الاجتماعية المختلفة أن تجعل من الجهود المبعثرة متآزرة ذات أثر كبير وفعال إذا ما اجتمعت وتم التنسيق بينها .

نقاط الالتقاء بين الخدمة الاجتماعية ورأس المال الاجتماعي :

اتضح من العرض السابق أن هناك نقاط التقاء كثيرة بين مفهوم رأس المال الاجتماعي والخدمة الاجتماعية ، ومن ثم يعكس الارتباط الوثيق بينهم وكيف أن كلاهما ضروري لوجود الآخر وسوف نعرض لهذه القضية تفصيلاً في السطور القادمة .

١- الاتفاق في الأصول الأولى :

بعرض الأصول الأولى لمهنة الخدمة الاجتماعية وجدنا أنها ترجع إلى الدوافع الدينية التي استهدفت مساعدة الضعفاء والمحتاجين عن طريق أفراد متطوعين لهذا

العمل بدافع إنساني - كما اتضح من العرض السابق - حيث أن العمل الأهلي امتداد لقيم التكامل الاجتماعي التي حضت عليها الأديان السماوية. في حين أكد بعض العلماء أن أحد أهم مصادر رأس المال الاجتماعي هو الدين، حيث أن الدين يشيع نوعاً من الثقة المبدئية الناتجة من وجود مجموعة من القواعد والمعايير الإلهية المعلنة للجميع من خلال الكتب السماوية والتي لها دور في بناء جسور الثقة التي يمكن أن تستثمر لبناء رأس المال الاجتماعي والذي يتيح التعاون والتآزر لمساعدة الفقراء ومع زيادة رصيد الثقة وتنمية رأس المال الاجتماعي تطور هدف التعاون من مجرد تقدم مساعدات للفقرات وإنما تحقيق الأهداف المجتمعية ومن ثم تحقيق التنمية المجتمعية^(٥٠).

٢- ظروف نشأة كل منهما:

ظهرت الخدمة الاجتماعية بعد الثورة الصناعية وظهور العديد من المشكلات الاجتماعية التي تتطلب تدخلاً مهنيًا لمواجهة تلك المشكلات ومن ثم ظهر النموذج العلاجي للخدمة الاجتماعية الأمريكي على يد ماري ريتشموند. أما بالنسبة لرأس المال الاجتماعي كانت بداياته أيضاً ضمن تحليلات دوركايم عن ظاهرة الأنومي حينما أكد أن العيش في جماعة وسيلة للحد من الاغتراب الناتج عن الثورة الصناعية.

٣- نوعية المجتمع الذي ظهر فيه كلاً منهما:

ظهرت الخدمة في المجتمع الرأسمالي عند ظهور مفهوم مجتمع الرعاية، ومفهوم شبكات الأمان الاجتماعي كل ذلك في إطار توفير رفاه أفراد تلك المجتمعات. ونجد أيضاً رأس المال الاجتماعي أعيد إنتاجه ليعالج أوجه القصور الناتجة عن تخلي الدولة

(٥٠) Radcliff, Benjamin: *On the Sources and Origins of Social Capital*, Paper presented at the annual meeting of The Midwest Political Science Association, Palmer House Hilton, Chicago, Illinois, Apr 15, 2004

عن دورها في تقديم الرعاية في المجتمع الرأسمالي ، حيث نجح في إيجاد صيغ للتماسك المجتمعي في ظل أفكار السوق ، وأصبح ينظر له كمحقق لمستقبل أفضل.

٤- رأس المال الاجتماعي وسيلة لتحقيق أهداف الخدمة الاجتماعية التنموية:

إن ممارسة الخدمة الاجتماعية بالوضع الحالي في الدول النامية والمتخلفة لن يحقق تقدماً للمهنة في هذه الدول ، فنجد على غرار الخدمة الاجتماعية الأمريكية الأخصائي الاجتماعي المدرس - الأخصائي الاجتماعي الطبي المعالج في عيادات الأطفال - المستشار في مكاتب رعاية الأسرة - الأخصائي الاجتماعي النفسي.... ولأن هذا الشكل من الممارسة يجعل من المهنة عاملاً مساعداً للمهن الأخرى في تلك المجالات الوظيفية أو النوعية. بينما نجد كثيراً من الممارسين والمعلمين يؤكدون على أن ممارسة المهنة بالتركيز على التنمية المحلية يجعل الخدمة الاجتماعية تلعب دوراً رئيسياً وليس مساعداً أو ثانوياً في المجتمع المصري ، بل إن المهنة سوف تتقدم وتنمو أكثر.

دور الخدمة الاجتماعية في بناء رأس المال الاجتماعي:

تأسيساً على أن مهنة الخدمة الاجتماعية مهنة مؤسسية فهي تسعى دائماً إلى زيادة كفاءة المؤسسات وتهيئة المناخ داخل المؤسسات الاجتماعية لزيادة أداء العاملين بالمؤسسة عن طريق التخطيط لعمل أنشطة اجتماعية تخلق علاقات طيبة بينهم في إطار لوائح المؤسسة ، تتضمن شفافية الإدارة مما يتيح الثقة بين العاملين ، ويخلق رأس المال الاجتماعي ، الذي بدوره يدعم الانتماء للمؤسسة ، حيث أن من مؤشرات الانتماء أولاً: حب المكان والحفاظ عليه وتطويره ومساعدته على تحقيق أهدافه ، ثانياً: وجود علاقات طيبة "والتي يعمل الأخصائي على تنميتها" ، ثالثاً: الفخر والاعتزاز بإنجازات المؤسسة هذا الانتماء يزيد كفاءة المؤسسة ، كما سبق الذكر ، تلك الكفاءة التي تزيد من ثقة العملاء في المؤسسة الاجتماعية ، ويخلق مستوى آخر من رأس المال الاجتماعي ،

ليعمل الأخصائي على استثماره وإشراك المستفيدين في تقديم الخدمات بشكل تطوعي، تلك المنظومة تؤدي في النهاية إلى تنمية رأس المال الاجتماعي، الذي يستخدمه الأخصائي الاجتماعي في تحقيق أهداف المؤسسة الاجتماعية وزيادة فاعلية الخدمات الاجتماعية المقدمة، واللذان يعتبران عائد استثمار رأس المال الاجتماعي^(٥١). وتأسيساً على ما سبق فإن الخدمة الاجتماعية تسهم في تحسين كل من القدرة الداخلية والبنية الخارجية، حيث استخدم الأخصائي الاجتماعي أساليب تحسين الأداء التي تطبق على العاملين داخل المؤسسة، كذلك قياس الرضا الوظيفي للعاملين للعمل على زيادة الانتماء من قبل العاملين للمؤسسة، كذلك دراسات تقييم الأداء التي تطبق على المستفيدين واستخدام اقتراحاتهم لتحسين الأداء، في إطار بناء علاقات الثقة، والتي تعمل على تقليل التكلفة، ومعدلات أقل في تغيير اللوائح والقوانين المنظمة للعمل، تمسك بواجبات العمل بسبب الاستقرار التنظيمي للمنظمة الناتج عن قلة تغيير الموظفين، لوجود مستوى عالٍ من الثقة والروح التعاونية بين المنظمة والعاملين بها.

وتأسيساً على ما سبق ترتبط القدرات التنظيمية للمنظمة برأس مالها الاجتماعي الذي يؤثر في قدراتها وكفاءتها وتقبل عائدها ومخرجاتها. كما يعد رأس المال الاجتماعي في المنظمة مؤشراً من مؤشرات استقرار بنائها التنظيمي ويحدد بدرجة كبيرة نمط وطبيعة العلاقات والتفاعلات داخل البناء التنظيمي للمنظمة. أما فيما يخص دور الخدمة الاجتماعية في تحسين قدرة البنية الخارجية، فهي تساهم من خلال دراستها في إيجاد أساليب لبناء وتفعيل المجتمع المدني، عن طريق

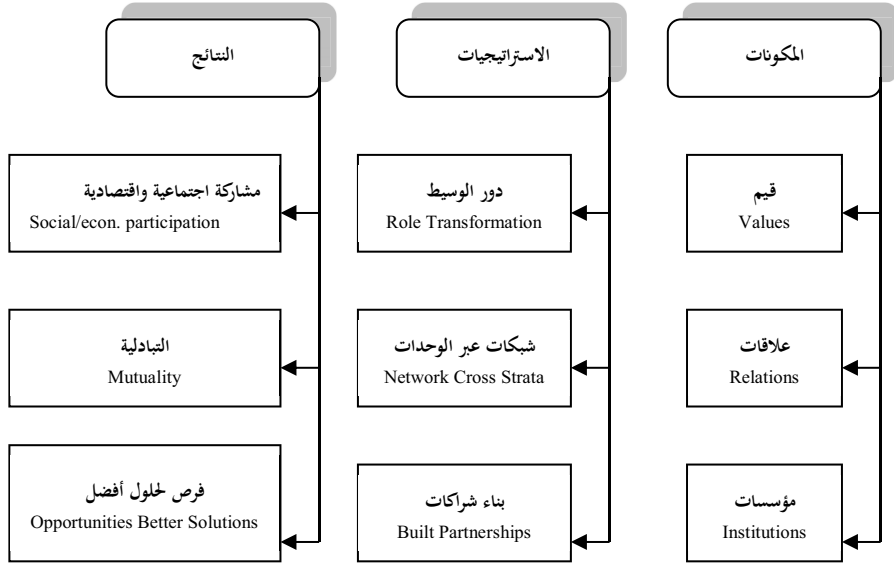
(٥١) Golam M. Mathbor: **Enhancement of community preparedness for natural disasters**, The role of social work in building social capital for sustainable disaster relief and management, International Social Work volume 50(3); Sage Publications: Los Ange, 2007,P68

عمل دراسات لتحليل رأس المال الاجتماعي الخاص بالمجتمع المحيط، والبحث عن فرص للتعاون فيما الشبكات الاجتماعية، من خلال عمل شراكات، أو تشبيك أو عمل تحالفات، اتحادات، وغيرها من أوجه المشاركة التي يمكن الاستفادة منها لتحقيق أهداف مشتركة.

ومن هنا يتحدد دور الأخصائي الاجتماعي كمنم^{٥٢} لتحسين قدرة البنية الخارجية للمؤسسات الاجتماعية، والتي من ضمنها الجمعيات الأهلية، حيث أنه يعمل على تغيير اتجاه وفكر وسلوك أفراد المجتمع النابعين من موقعهم التقليدي كمجرد متلقين ومستفيدين من خدمات المؤسسات الاجتماعية، ليتحول هؤلاء الأفراد إلى صانعين حقيقيين لهذه الخدمات ومسؤولين بشكل مباشر عن حمايتها والدفاع عن استمرارها وتواصلها المستقبلي، ومن ثم ينبغي التركيز على بعث الشعور بين أفراد المجتمع بأن النهوض بأوضاع حياتهم الاقتصادية والبيئية سيأتي فقط من خلال مشاركتهم الإيجابية الفعالة على المستويين الفردي والجماعي، وإذكاء إحساسهم بالمسؤولية الاجتماعية حيال بيئتهم التي يعيشون فيها، وإرساء الثقة في نفوسهم بإمكانياتهم وقدراتهم وطاقاتهم الكامنة غير المستفاد بها، وتدعيم هذا الشعور بمشاركتهم الشعبية الفعلية في تخطيط وتنفيذ المشروعات التنموية التي بها المؤسسات الاجتماعية، باعتبار أن ذلك كله هو المفتاح الحقيقي لنجاح التنمية واستمرارها على المدى الطويل. ومن ثم تنمية رأس المال الاجتماعي وتحقيق الاستقرار المجتمعي الذي يتيح تحقيق النمو الاقتصادي^(٥٢). والشكل التالي سوف يوضح مضمون هذا العرض بشكل أفضل.

(٥٢) حسين مصطفى هلال: التنمية بالمشاركة الشعبية، بحث منشور، المؤتمر العربي الثالث الإدارة المحلية،

القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ١٠-١٤ أبريل ٢٠٠٥، ص ١٣٨.



الشكل رقم (١). يوضح استخدام الخدمة الاجتماعية لمفهوم رأس المال الاجتماعي كبعد ثالث لتحقيق التنمية. (٥٣)

يتضح من الشكل السابق الكيفية التي يتم بها استخدام رأس المال الاجتماعي أثناء عملية التنمية المجتمعية، حيث يدخل هذه العملية مجموعة من المكونات: القيم ويقصد بها قيم تتضمن المعاملة بالمثل، والعدالة الاجتماعية، والشفافية، مما يتيح الثقة والتي في إطار التفاعلات الاجتماعية خلقت العلاقات الاجتماعية في إطار المؤسسات الاجتماعية. ويقوم الأخصائي الاجتماعي باستخدام مجموعة من الاستراتيجيات من ضمنها التنسيق بين الجهود والتي تتطلب منه القيام بدور الوسيط وعمل شبكات بين الوحدات الموجودة داخل المؤسسة الواحدة أو بينها وبين مؤسسات أخرى، كذلك

استخدامه لاستراتيجية بناء الشركات التي تعود بالنفع على طرفي عقد الشراكة. ولهذه العملية نتائج تتمثل بزيادة في المشاركة الاجتماعية والاقتصادية، التبادلية، سواء تبادل في الخبرات، المهارات، مما ييسر فرص لإيجاد حلول أفضل.

وأكدت كارمين لوكا ساجوار Carmen G. Luca Sugawara أنه من الضروري تغيير المناهج الدراسية المقدمة لتعليم الخدمة الاجتماعية لإضافة مواد خاصة بتنمية رأس المال الاجتماعي تتضمن هذه المواد التجارب الميدانية والدراسات النظرية السابقة، التي هدفت إلى دراسة وتحليل رأس المال الاجتماعي في المجتمعات المختلفة، وكيف أن رأس المال الاجتماعي يمكن أن يسهل الوصول إلى الموارد الفردية، الموجودة في أبنية اجتماعية واحدة واستثمارها لأهداف مشتركة، وكيف أن باستخدام رأس المال الاجتماعي يمكن تقديم الخدمات للفئات الضعيفة، مثل المسنين، أطفال الشوارع، النساء الفقيرات... وغيرها، كذلك تأثيراته المختلفة على البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والمؤسسي، وتحديد مسيرته المستقبلية في المجتمع. بالإضافة إلى أنها أكدت على ضرورة تنمية رأس المال الاجتماعي داخل المؤسسات التعليمية الخاصة بتعليم الخدمة الاجتماعية، أشارت إلى أهمية تنمية العلاقات القائمة على التعاون والثقة بين معلمي الخدمة الاجتماعية والطلاب، لعمل تجارب تنموية بالمجتمع المحلي المحيط، مستخدمين لتحقيقها استراتيجية رأس المال الاجتماعي^(٥٤).

استراتيجيات الأخصائي الاجتماعي لتنمية رأس المال الاجتماعي:

تتعدد استراتيجيات الأخصائي الاجتماعي تتضمن تكتيكات وأدوار تطبق باستخدامه لمهاراته المهنية طبقاً لما يتطلبه الموقف المهني لذا ركز البحث فقط على

Carmen G. Luca Sugawara: *Building Social Capital Among Social Work Educators: A Strategy* (٥٤)

For Curriculum Development, Journal of Social Work Education, Vol. 45, No. 3 ,2009,

Copyright ©, Council on Social Work Education, Inc.P446

الاستراتيجيات التي تساعد الأخصائي الاجتماعي على تنمية رأس المال الاجتماعي الخاص بالجمعيات الأهلية:

١- التسويق الاجتماعي:

طرح مفهوم التسويق الاجتماعي والتي تظهر أهميته للجمعيات الأهلية لإشاعة الثقة، حيث أن الجمعيات الأهلية لكي تبني جسور الثقة بينها وبين أفراد المجتمع من الضروري أن تعرفهم أهدافها وإنجازاتها وخبراتها الميدانية... وغيرها من المعلومات الضرورية لأفراد المجتمع في إطار تسويقها لخدماتها.

يرى كوتلر واندرسن أن التسويق الاجتماعي يختلف عن المجالات الأخرى للتسويق وفقاً لأهداف المسوق نفسه وأهداف المنظمة، فهو يهدف إلى التأثير على السلوك الاجتماعي للأفراد. وقد اهتم ألن اندرسين في كتابه الذي كان بعنوان "التسويق للتغيير الاجتماعي"، بإمكانية استخدام مفهوم التسويق الاجتماعي لخدمة أهداف المجتمع^(٥٥).

ويقوم الأخصائي الاجتماعي في إطار هذه الإستراتيجية بعمل دراسات حول احتياجات المجتمع المحلي ودراسات حول الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لأفراد ذلك المجتمع، ثم تقدم الخدمات التي تقابل احتياجاته، وتتناسب وثقافة أفرادها ومستواهم الاقتصادي.

كذلك يستخدم الأخصائي الاجتماعي استراتيجية التسويق الاجتماعي مع المؤسسات المجتمعية الموجودة بالمجتمع المحلي، كخطوة في إطار خطته لفتح قنوات تعاون مستقبلية بين الجمعية العامل بها وتلك المؤسسات، لذا فمن الضروري أن يكون لدى

(٥٥) خالد محمد شرف: التسويق الاجتماعي ودوره في إحداث التغييرات الاجتماعية المستهدفة إطار نظري

وتطبيقات عملية (القاهرة، الجامعة العمالية، ٢٠٠٥) ص ٢٣.

الأخصائي الاجتماعي أجندة عمل بها بيانات بجميع المؤسسات المجتمعية المحيطة وأوجه التعاون المحتملة بين جمعيته وتلك المؤسسات، في إطار تنمية رأس المال الاجتماعي.

وهناك اعتبارات أساسية لإنجاح حملات التسويق الاجتماعي:

من الواقع الممارس بالعديد من منظمات المجتمع المدني عامة والجمعيات الأهلية خاصة، يلاحظ أن هناك مجموعة من الاعتبارات الأساسية لا بد من توافرها لإنجاح حملات التسويق الاجتماعي وهي على النحو التالي^(٥٦):

(أ) الاتصال المباشر مع معظم أفراد المجتمع المستهدف من قبل الحملات التسويقية يعتبر من الركائز الأساسية لإنجاح الحملات التسويقية.

(ب) تجزئة المجتمع أو الأسواق المستهدفة إلى أسواق أو جماعات فرعية يكون لكل منها خصائص نفسية وديموجرافية متشابهة نسبياً وذلك بهدف توجيه نشرات مطبوعة أو مواد غير مطبوعة واستخدام لغات متنوعة تنسجم معهم.

(ج) اختيار قادة الرأي المناسبين لنقل الرسالة التسويقية الاجتماعية.

(د) الانتقال إلى الأفراد أو الأسر أو الجماعات بدلاً من دعوتها للقدوم لأن من الضروري أن يكون الاتصال بالجهات المستهدفة بطريقة مباشرة.

٢- استراتيجية التفاوض:

استراتيجية التفاوض من أهم الاستراتيجيات التي يستخدمها الأخصائي الاجتماعي العامل بالجمعيات الأهلية لعمل شراكات ناجحة بين الجمعية التي يعمل بها والمؤسسات المجتمعية الأخرى، حيث التفاوض هو موقف تعبيرى حركي قائم بين طرفين أو أكثر حول قضية من القضايا يتم من خلاله عرض وتبادل وتقريب ومواءمة

(٥٦) محمد إبراهيم عبيدات: التسويق الاجتماعي (الأخضر والبيني) (عمان، دار وائل، ط١، ٢٠٠٤)

وتكييف وجهات النظر واستخدام كافة أساليب الإقناع للحفاظ على المصالح القائمة أو للحصول على منفعة جديدة بإجبار الخصم بالقيام بعمل معين أو الامتناع عن عمل معين في إطار علاقة الارتباط بين أطراف العملية التفاوضية تجاه أنفسهم أو تجاه الغير^(٥٧).

ويتطلب بناء الشراكات وعمل التشبيك بين أي مؤسسة ومؤسسة أخرى وجود تفاوض فيما بينهم لتقريب وجهات النظر وصياغة خطط تحقق الأهداف المشتركة بين طرفي التفاوض مما يتطلب توافر أخصائي اجتماعي لديه الخبرة عن مختلف أساليب إدارة التفاوض الناجح وأن تكون لديه أفكار قادرة على إحداث التغيير المطلوب أثناء التفاوض لصالح الأهداف المشتركة.

التفاوض لا يكون فقط مع المؤسسات المجتمعية المستهدفة للتعاون معها ولكن أيضاً التفاوض مع صانعي القرار، والتأثير السياسي والاجتماعي عليهم من أجل حل المشكلات الاجتماعية ومواجهة الاحتياجات الاجتماعية لأفراد المجتمع بمشاركتهم.

منهجية البحث

١- نوع الدراسة:

دراسة وصفية، حيث تسعى الدراسة إلى توصيف دور الجمعيات الأهلية في تنمية رأس المال الاجتماعي ذلك بعد تحليل دورها الفعلي في هذا الجانب كذلك معوقات هذا الدور.

(٥٧) حسن محمد وجيه: مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي (الكويت، المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، أكتوبر ١٩٩٤) ص ٢٢

٢- المنهج المستخدم:

كلٌّ من المنهج الكيفي والمتمثل في "منهج دراسة الحالة" والمنهج الكمي والمتمثل في استمارة استبيان.

٣- أدوات الدراسة:

- أ) دليل دراسة الحالة والذي طبق على الجمعيات الأهلية عينة الدراسة.
- ب) استمارة استبيان للمستفيدين عينة الدراسة من هذه الجمعيات الأهلية للتعرف على اتجاهات المستفيدين نحو الجمعية.
- ج) دليل مقابلة للقيادات الجمعيات.
- د) دليل مقابلة للمتطوعين.
- ٤- وصف مجتمع الدراسة:

أ) البيانات الديموغرافية لمدينة الفيوم:

طبقت الدراسة الحالية على مدينة الفيوم وهي أكبر مدن محافظة الفيوم، حيث بلغت مساحتها ١٠٥٦,٤٢ كم مربع فهي تمثل ١٧,٤١٪ من مساحة الكلية لمحافظة الفيوم بإجمالي عدد سكان ٩٢٨,٥٤ ألف نسمة، حيث تبلغ مساحة محافظة الفيوم ٦٠٦٨,٧٠ كم مربع، وتتكون من ستة مراكز تضم ٦ مدن، ٥٨ وحدة محلية قروية، ١٦٠ قرية تابعة، ١٨٨٣ عزبة ونجع وكفر. بإجمالي عدد سكان (٢,٥٤٧٩٣٥) (٥٨). وتعاني مدينة الفيوم من ارتفاع نسبة الأمية، حيث بلغ عدد الأميين للشريحة من (١٤-٣٥) سنة ٦٣٧٨٣ فرد بنسبة ٦٨٪ من إجمالي عدد السكان (٥٩).

(٥٨) مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بالفيوم ٢٠١٠.

(٥٩) الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار - فرع الفيوم - مركز المعلومات

ب) الخدمات الصحية:

- عدد المستشفيات: ٢ الفيوم العام، مستشفى صدر الفيوم. + وحدة حميات

الفيوم

- عدد وحدات رعاية طفل: ٢ وحدات - عدد مراكز طبي حضري: ٣ مراكز

- عدد عيادات حي: ٣ عيادات. - عدد مكاتب الصحة: ٣ مكتب صحي.

- عدد عيادة جذام: ١ - عدد بنوك الدم: ١

ج) الخدمات الدينية: - عدد المساجد: ٨٤. - عدد الكنائس: ١٧-

د) الخدمات الشبابية والرياضية: - تحتوي مدينة الفيوم على ٤ مراكز شباب

و ١١ نادٍ رياضي، وبلغ إجمالي عدد المستفيدين بها (٣٥٧٦).

هـ) النشاط الأهلي والتعاوني^(٦٠): يوجد بها ٧٥٠ جمعية أهلية بالإضافة إلى ٦

وحدات اجتماعية.

تصنيف الجمعيات الأهلية: قبل التطرق للجانب الميداني من الدراسة الحالية

لا بد من وضع تصنيف للجمعيات الأهلية وفقاً لنوعية أنشطتها فتضمنت ثلاثة أنواع

موضحة كما يلي:

أ) الجمعيات ذات الطابع الديني: وهي الجمعيات التي أعضاء مجلس إدارتها

من رجال الدين (شيوخ أو قساوسة) وتركز أنشطتها في تنمية مجال الدعوة وشئون

العبادات، لتدعيم الجانب الديني لدى أفراد المجتمع، وتنوع هذه الأنشطة ما بين

ندوات ثقافية دينية، تحفيظ قرآن، إلى مساعدة وتحفيز أفراد المجتمع على تقديم

المساعدة للمحتاجين، ويوجد بمدينة الفيوم عدد(٦٧) وتنوع بين جمعيات مسيحية

(٦٠) مديرية التضامن الاجتماعي محافظة الفيوم.

ومسلمة. مثل جمعية (تحفيظ القرآن والمحافظة على القرآن الكريم، وجمعية أصدقاء الكتاب المقدس، وجمعية شفيح)

(ب) **جمعيات تنموية:** وهي جمعيات تركز أنشطتها لتنمية المجتمع المحيط اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً. فتتمثل أنشطتها في القيام بمشاريع تنموية تقدم خدمات متنوعة لأفراد المجتمع المحيط تهدف بها تحسين نوعية حياتهم. مثل جمعية (أبو بكر الصديق، جمعية العريان)

(ج) **جمعيات رعاية:** هي تلك الجمعيات التي تركز أنشطتها في تقديم المساعدات المالية والعينية للمحتاجين (من فقراء، أو ذوي الاحتياجات الخاصة) مثل جمعية (رسالة، صلاح الدين)

٥- مجالات الدراسة:

أ) المجال المكاني:

مدينة الفيوم وحسب آخر تقارير التنمية البشرية لمصر (٦١) فإن المحافظة ككل تعاني من نقص في الموارد المادية والمالية وتبقى كيفية الاستفادة من المورد البشري والذي تمتلك منه الكثير (عدد سكان المحافظة ٢,٥٤٧,٩٣٥ مليون نسمة) ومن ثم فإن رأس المال الاجتماعي هو أنسب المداخل التنموية للتعامل مع هذه القضية.

سوف تطبق الدراسة على الجمعيات الآتية:

- جمعية رسالة (بندر أول).

- جمعية أبو بكر الصديق (بندر ثاني).

- جمعية شفيح.

(٦١) مصر "تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥": القاهرة البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ومعهد التخطيط

- جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

- جمعية أصدقاء الكتاب المقدس.

- جمعية صلاح الدين لتنمية المجتمع.

- جمعية العريان.

- جمعية علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

مبررات اختيار الجمعيات الأهلية عينة الدراسة:

جمعية العريان: جمعية العريان تطبيق المشروع الكندي لتطوير التعليم في مرحلة التعليم المبكر وهي جمعية مظلة للمشروع تطبق شراكات مع (٤٣) جمعية أخرى في إطار تنفيذ المشروع فكان من الأهمية بمكان تطبيق الدراسة عليها.

جمعية صلاح الدين: مشهورة منذ ٥ سنوات وخلال تلك الفترة تعاونت مع جمعيات عدة في محافظة الفيوم وخارج المحافظة وحجم المستفيدين لديها في تزايد مستمر وهي الآن تخطط لبناء فرع آخر للجمعية بميزانية كبيرة، فلفتت نظر الباحثة ما العوامل التي أدت إلى توافر الثقة من قبل المتبرعين والمستفيدين والجمعيات التي تتعاون معها.

جمعية أبو بكر الصديق: جمعية تقدم خدمات عامة ومتنوعة كذلك تطبق الكثير من المشروعات الأمر الذي استوجب دراستها.

جميعه علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف: تقع الجمعية بجوار جمعية الشبان المسلمين من ناحية، ومن ناحية أخرى بجوار جمعية أصدقاء الكتاب المقدس.

جمعية المحافظة على القرآن الكريم: من أقدم الجمعيات الأهلية في محافظة الفيوم، حيث أشهرت عام ١٩٦٦.

جمعية أصدقاء الكتاب المقدس: قامت بعمل مشروع الإخاء بالتعاون مع جمعية الشبان المسلمين حيث تعاون شباب الجمعيتين في تنظيف وتجميل الحي.

جمعية شفيق: من أقدم الجمعيات الأهلية في محافظة الفيوم، حيث أشهرت عام ١٩٥٢.

(ب) المجال البشري:

تمثلت عينة الدراسة في (٨٢٥) مفردة وهي تمثل (١٠٪) من جملة المستفيدين من الجمعيات الأهلية السابق ذكرها، حيث أن جملة المستفيدين (٨٢٥٧) مستفيد، وتم سحبهم بالطريقة العشوائية "العينة عينة الصدفة"، وتم تحديد الحجم الأمثل للعينة المسحوبة من كل جمعية عن طريق تطبيق قانون التوزيع المتناسب:

$$\frac{N \times 1}{N} = 1$$

وبتطبيق القانون:

١٠=	$\frac{98 \times 825}{8258}$	<p>- جمعية علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بلغ عدد المستفيدين المترددين عليها بشكل منتظم (٩٨) مستفيد وتقدم لهم الجمعية مساعدات مادية وعينة شهرية</p>
١٩=	$\frac{189 \times 825}{8258}$	<p>- جمعية المحافظة على القرآن الكريم المترددين لديها (١٨٩) مستفيد مترددين عليها بشكل منتظم وتقدم لهم الجمعية مساعدات مالية شهرية.</p>
٢٩	$\frac{293 \times 825}{8258}$	<p>- جمعية أصدقاء الكتاب المقدس بلغ حجم المستفيدين المترددين (٢٩٣) مستفيد تقدم لهم الجمعية خدمات ثقافية ترفيهية.</p>

- جمعية أبو بكر الصديق عدد المستفيدين المترددين 145×825

١٤	٨٢٥٨	(١٤٥) مستفيد من نادي المسنين والنادي النسائي.
	٥٠٠×٨٢٥	- جمعية صلاح الدين عدد المستفيدين المترددين عليها
٥٠	٨٢٥٨	بشكل منتظم (٥٠٠) ^(٦٢) وتقدم لهم الجمعية مساعدات مالية وعينة شهرية
	$\times ٨٢٥$	- جمعية رسالة وصل عدد المستفيدين المترددين عليها
=	٦١١٨	بشكل منتظم (٦١١٨) مستفيد تقدم لهم الجمعية ما بين خدمات
٦١١	٨٢٥٨	مادية مالية وعينة
:	٧٥٠×٨٢٥	- جمعية العريان بلغ عد المستفيدين فيها (٧٥٠) وهم
٧٥	٨٢٥٨	أولياء أمور تلاميذ مدرسة الزهراء الموجود بها مقر الجمعية
:	١٦٤×٨٢٥	- جمعية شفيق وصل عدد المستفيدين بها (١٦٤)
١٧	٨٢٥٨	مستفيد من المسنين
		ونظراً لزيادة حجم العينة خاصة بجمعية رسالة لم يتم التوصل إلا لعدد (٢٩٨)
		مستفيد فتغير حجم العينة المسحوبة من جمعية رسالة وأصبحت (٣١٣) مفردة وأصبح
		عينة الدراسة (٥١٢) مفردة.
		(ج) المجال الزمني:
		فترة إجراء البحث نظرياً وعملياً والتي استغرقت المدة الزمنية ما بين
		٢٠١٠/١١/٢١ إلى ٢٠١٠/١٢/٢٥.

(٦٢) ويتضمن هذا العدد (٢٥٠) أسرة تقدم لها الجمعية مساعدات شهرية، (٢٥٠) ولي أمر للأطفال الذين تكفلهم الجمعية.

عرض وتحليل نتائج الدراسة

١ - النتائج الكمية:

أ) خصائص عينة الدراسة:

الجدول رقم (١). يوضح توزيع عينة الدراسة طبقاً للبيانات الأولية.

النسبة	التكرار	الاستجابة		النسبة	التكرار	الاستجابة	
١٤,٣	٧٣	يعمل	الموقف من العمل	٤٦,١	٢٣٦	ذكور	النوع
٧٠,٥	٣٦١	لا يعمل		٥٣,٩	٢٧٦	إناث	
١٥,٢	٧٨	يتقاضى معاش		٨,٢	٤٢	أقل من ٢٠	السن
٥٠	٢٥٦	أعزب	الحالة الاجتماعية	٥٧,٨	٢٩٦	من ٢٠ إلى أقل من ٣٥	
٢٧,٧	١٤٢	متزوج		١٦	٨٢	من ٣٥ إلى أقل من ٥٠	
٣,١	١٦	مطلق		١٨	٩٢	٥٠ فأكثر	
١٩,١	٩٨	أرمل	كيف علمت بأنشطة الجمعية	٢٧,٣	١٤٠	تعليم عالي	الحالة التعليمية
٩٢,٨	٤٧٥	عن طريق صديق		٧,٦	٣٩	تعليم فوق المتوسط	
٤,٧	٢٤	إعلانات ومنشورات		٩,٤	٤٨	تعليم متوسط	
٢,٥	١٣	عن طريق جمعية أخرى		١٣,٣	٦٨	يقرأ ويكتب	
				٤٢,٤	٢١٧	لا يقرأ ولا يكتب	

باستقراء بيانات الجدول السابق رقم (١) يتضح توزيع المستفيدين وفقاً للمراحل العمرية، حيث أن أعلى نسبة كانت للفئة العمرية التي تقع بين (٢٠ إلى أقل من ٣٥ سنة) والتي بلغت (٥٧,٨٪) ويليهما الفئة العمرية (من ٥٠ سنة فأكثر) والتي بلغت نسبتها (١٨٪) ثم الفئة العمرية التي تقع بين (٣٥ إلى أقل من ٥٠ سنة) والتي بلغت نسبتها (١٦٪) إلى أن نصل لأقل نسبة وهي (٨,٢٪) والتي كانت للفئة العمرية (أقل من ٢٠ سنة).

وبهذا يتضح أن الغالبية العظمى من المستفيدين تقع فئاتهم العمرية ما بين (٢٠ إلى أقل من ٣٥ سنة) بما يميز هذه الفئة المرحلة العمرية من قدرات وطاقات وقابلية للتعليم والتغيير يجعل منهم مورداً بشرياً للجمعيات الأهلية بصرف النظر عن حاجة العوز لديهم أيّاً كان نوعها، فباستثمار وتنمية ما لديهم من قدرات وطاقات لمساعدة أنفسهم ثم غيرهم من باقي المستفيدين يغير مفهوم الإحسان المعروف لدى الجمعيات الأهلية والذي قد يصيب البعض بالوصمة، كذلك يفرغ الطاقات السلبية الناتجة من حالة العوز، ويكشف ما لدى الفقراء من موارد، وينشأ في إطار هذه العملية شكلاً من الثقة بين العملاء والجمعية، لذا يتطلب الأمر من الجمعيات الأهلية عدم النظر للعميل على أنه شخص يحتاج فقط المساعدة إنما أيضاً أنه لديه القدرة على مساعدة نفسه، والآخرين ووضع برامج في هذا الإطار الأمر الذي يزود موارد الجمعيات الأهلية لمساعدة أفراد أكثر.

أما بالنسبة إلى توزيع عينة الدراسة طبقاً للنوع، نجد أن نسبة الإناث أعلى من نسبة الذكور حيث بلغت نسبة الإناث (٥٣,٩٪) بينما كانت نسبة الذكور (٤٦,١٪). الأمر الذي يدل على التقارب بين نسبة الذكور من نسبة الإناث، على الرغم من أن الزيادة في نسبة الإناث قد تدل على أن نسبة العوز لدى النساء أكبر منها لدى الذكور.

أما فيما يتعلق بتوزيع عينة الدراسة "طبقاً للحالة الاجتماعية" تبين أن أعلى نسبة كانت لفئة الأعزب والتي بلغت (٥٠٪) وتليها فئة المتزوج (٢٧,٧٪) ثم فئة الأرمل حيث بلغت (١٩,١٪) إلى أن وصلنا إلى فئة المطلق والتي بلغت (٣,١٪) ويتضح من هذه البيانات أن الغالبية العظمى من المستفيدين من فئة الأعزب، وتفسير هذه البيانات يتفق مع بيانات الجدول التالي حيث أن نسبة (٣٦١٪) من المستفيدين لا يعملون لعدم وجود فرصة عمل تناسب مع إمكانياتهم الحالية مما يتطلب توافر برامج تأهيلية بالإضافة إلى التنسيق بين الجمعية وأصحاب الأعمال لتوفير فرص عمل لهم.

وبالنسبة لتوزيع عينة الدراسة حسب موقفهم من العمل حيث نجد أن نسبة المستفيدين الذين لا يعملون تصل إلى (٧٠,٥٪) وهي نسبة أعلى من المستفيدين الذين يعملون حيث تصل نسبتهم إلى (١٤,٣٪)، هذا بالإضافة إلى أن المستفيدين الذين يتقاضون معاش نسبتهم (١٥,٢٪). ويتضح من تلك البيانات أن نسبة (٨٥,٥٪) من عينة الدراسة عبارة عن طاقات مهددة حتى وإن كان منهم من يتقاضى معاشاً فهو لديه الخبرة التي يمكن أن تستفيد منها الجمعية بطريقة أو بأخرى كذلك، بالإضافة إلى ضرورة توافر برامج تؤهل باقي المستفيدين للعمل الذي يتناسب مع ظروفهم الصحية ومتطلبات حياتهم الاجتماعية، بالإضافة إلى ضرورة عمل الجمعية كوسيط بين أصحاب الأعمال والمستفيدين كما سبق الذكر لمعرفة متطلبات سوق العمل ومن ثم تزويد المستفيدين بها لضمان مستوى معيشي لائق بهم حتى تقدم الجمعية حلاً جذرياً للمشكلة.

أما فيما يتعلق بتوزيع عينة الدراسة "طبقاً للحالة التعليمية" نجد أن نسبة (٤٢,٤٪) من المستفيدين أميون، ونسبة (٢٧,٣٪) من المستفيدين حاصلون على مؤهل عالٍ يبين مدى التفاوت بين مستويات التعليم بين أمي لا يقرأ ولا يكتب وبين حاصل على مؤهل عالٍ وبالرغم من هذا قد وجدت الباحثة أنهم مستفيدين من جمعية واحدة. بالإضافة إلى تقارب نسب الحاصلين على مؤهل فوق متوسط ومؤهل متوسط ويقرأ ويكتب، حيث وصلت نسبة الذين لديهم مهارات القراءة والكتابة (١٣,٣٪)، بينما بلغت نسبة الحاصلين على مؤهل متوسط (٩,٤٪)، في حين وصلت نسبة الحاصلين على مؤهل فوق المتوسط (٧,٦٪).

أما بالنسبة لتوزيع عينة الدراسة "حسب طريقة تعرفه على الجمعية" فنجد أن نسبة المستفيدين الذين تعرفوا على الجمعية عن طريق صديق كانت أعلى نسبة حيث بلغت (٩٢,٨٪) وهؤلاء الذين تعرفوا على الجمعية عن طريق الإعلانات والمنشورات التي تصدرها الجمعية وصلت نسبتهم (٤,٧٪) والذين تعرفوا على الجمعية عن طريق جمعية أخرى نسبتهم (٢,٥٪). هذا ويتضح بعرض تلك البيانات أن مستفيدي الجمعيات الأهلية أنفسهم هم أفضل طريقة لتسويق خدمات الجمعيات الأهلية، لذا فمن الضروري الاهتمام بالعمل على توافر المصادقية بين الجمعية والمستفيدين لبناء جسور الثقة التي تشيع روح الانتماء ومن ثم زيادة رأس المال الاجتماعي للجمعية الأهلية.

جدول رقم (٢). يوضح النتائج المرتبطة بمستوى ثقة المستفيدين بالجمعية الأهلية.

م	العبارة	اوافق		إلى حد ما		غير موافق		مجموع الأوزان	الوزن المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		ك	%	ك	%	ك	%				
١	يتصل الأشخاص بي عند توفر الخدمة التي أطلبها.	١٠٥	٢٠,٥	٢٣٧	٤٦,٣	١٧٠	٣٣,٢	٩٥٩	٣١٩,٧	٦٢,٤٣	٧
٢	ليس من الضروري أن يكون لدي معرفة شخصية بأحد العاملين بالجمعية للحصول على الخدمة.	٣٩٤	٧٧	٣٣	٦,٤٥	٨٥	١٦,٦	١٣٣٣	٤٤٤,٣	٨٦,٧٨	٢
٣	إجراءات الحصول على الخدمات ضرورية وليست روتينية.	٥١	١٠	٣٦٨	٧١,٨٨	٩٣	١٨,٢	٩٨٢	٣٢٧,٣	٦٣,٩٣	٦
٤	ليس من الضروري أن أنتظر في الجمعية لوصول الخدمة وتذكير الأشخاص بأحقيتي لها.	٢٢٢	٤٣,٤	٢٠٦	٤٠,٢	٨٤	١٦,٤	١١٦٢	٣٨٧,٣	٧٥,٦٥	٥
٥	تصدق الجمعية في تنفيذ وعودها.	٣٦٢	٧٠,٧	١٠٦	٢٠,٧	٤٤	٨,٥٩	١٣٤٢	٤٤٧,٣	٨٧,٣٧	١
٦	بشكل عام أثق في الجمعية.	٣٨٥	٧٥,٢	٢٨	٥,٥	٩٩	١٩,٣	١٣١٠	٤٣٦,٧	٨٥,٢٩	٣
٧	تحرص الجمعية على معرفة مستوى رضانا عن أداؤها.	١٥٧	٣٠,٧	-	-	٣٥٥	٦٩,٣	٨٢٦	٢٧٥,٣	٥٣,٧٨	٩
٨	هناك سهولة في التواصل مع القيادات.	١٥٨	٣٠,٩	-	-	٣٥٤	٦٩,١	٨٢٨	٢٧٦	٥٣,٩١	٨
٩	يتعامل معي موظفو الجمعية بطريقة مقبولة.	٣٠٢	٥٨,٩	١٧٠	٣٣,٢	٤٠	٧,٨	١٢٨٦	٤٢٨,٧	٨٣,٧٢	٤
	المجموع	٢١٣٦		١١٤٨		١٣٢٤		١٠٠٢	٣٣٤٢,٦٧		
	المتوسط	٢٣٧,٣		١٢٧,٦		١٤٧,١					
	النسبة	٤٦,٣٥		٢٤,٩		٢٨,٧٣					
	المتوسط المرجح					١١١٤,٢					
	القوة النسبية للبعد					٧٢,٥					

تشير بيانات الجدول السابق رقم (٢) إلى النتائج المرتبطة بمستوى ثقة المستفيدين بالجمعيات الأهلية، حيث يتضح أن هذه الاستجابات تتوزع توزيعاً إحصائياً وفق المتوسط المرجح (١١١٤,٢) والقوة النسبية للبعد (٧٢,٥٪)، وبذلك يمكن التأكيد على أن هذا الاستجابات تركز حول خيار الموافقة على البعد، ومما يدل على ذلك أن نسبه من إجابته موافق بلغت (٤٦,٣٥٪) فى حين من أجابوا إلى حد ما بلغت نسبه (٢٤,٩٪) إلى نسبة (٢٨,٧٣٪) أجابوا لا. وقد جاء ترتيب عبارات هذا البعد ومن الوزن المرجح والقوة النسبية على النحو التالي :

١ - جاءت العبارة رقم (٥) والتي مفادها " تصدق الجمعية في تنفيذ وعودها " في الترتيب الأول بوزن مرجح (٤٤٧,٣) وقوة نسبية (٨٧,٣٧٪). وتشير استجابات الباحثين إلى أن الجمعية تنفذ ما تتعهد به للمستفيدين، مما يزيد من ثقة المستفيدين بالجمعية.

٢ - وجاءت العبارة رقم (٢) والتي مفادها " ليس من الضروري أن يكون لدى معرفة شخصية بأحد العاملين بالجمعية للحصول على الخدمة " في الترتيب الثاني بوزن مرجح (٤٤٤,٣) وقوة نسبية (٨٦,٧٨٪). وتشير استجابات الباحثين إلى أن هناك قناعة لديهم بعدالة معايير اختيار المستفيدين.

جدول رقم (٣). يوضح النتائج المرتبطة بمستوى مشاركة المستفيدين التطوعية بالجمعيات الأهلية.

م	العبارة	اوافق		إلى حد ما		غير موافق		مجموع الأوزان	الوزن المرحح	القوة النسبية	الترتيب
		ك	%	ك	%	ك	%				
١	سبق وأن شاركت بأنشطة الجمعية التطوعية	١٠٤	٢,٣	١٩٦	٣٨,٢	٢١٢	٤١,٤	٩١٦	٣٠٥,٣	٥٩,٦٤	٨
٢	لديّ استعداد للمشاركة بأنشطة الجمعية	٢١٢	٤١,٤	-	-	٣٠٠	٥٨,٦	٩٣٦	٣١٢	٦٠,٩٤	٧
٣	سبق لأحد من أفراد أسرتي المشاركة بأنشطة الجمعية التطوعية.	٣٩٦	٥٧,٨	-	-	١١٦	٢٢,٦	١٣٠٤	٤٣٤,٧	٨٤,٩	١
٤	سبق لى وأن قدمت مساعدة لمستفيد من خدمات الجمعية بمعرفة الجمعية.	٣٠٦	٥٩,٨	-	-	٢٠٦	٤٠,٢	١١٢٤	٣٧٤,٧	٧٣,١٨	٤
٥	أحث الشباب على ضرورة المشاركة بأنشطة الجمعية.	١٩٦	٣٨,٣	٨٩	١٧,٣٨	٢٢٧	٤٤,٣	٩٩٣	٣٣١	٦٤,٦٥	٦
٦	تخبرني الجمعية دورياً بالأنشطة التي يمكن للمشاركة بها.	٢٨٣	٥٥,٣	١٣٨	٢٦,٩٥	٩١	١٧,٨	١٢١٦	٤٠٥,٣	٧٩,١٧	٣
٧	تسجل الجمعية بياناتي دورياً لمعرفة نوعية المشاركة التي تناسبني (بالجهد، بالوقت، بالمال)	٢٤١	٤٧,١	٦٢	١٢,١١	٢٠٩	٤٠,٨	١٠٥٦	٣٥٢	٦٨,٧٥	٥
٨	بشكل عام لدي اهتمام بالمشاركة التطوعية بالجمعيات الأهلية	٣٠١	٥٨,٨	١٤٨	٢٨,٩١	٦٣	١٢,٣	١٢٦٢	٤٢٠,٧	٨٢,١٦	٢
المجموع		٢٠٣٩		٦٣٣		١٤٢٤					
المتوسط		٢٥٤,٨		٧٩,١		١٧٨					
النسبة		٤٩,٧٨		١٥,٤٥		٣٤,٧٧					
المتوسط المرحح											١١٠,٩
القوة النسبية للبعد											٧١,٧

تشير بيانات الجدول السابق رقم (٣) إلى النتائج المرتبطة بمستوى المشاركة التطوعية للمستفيدين بالجمعيات الأهلية، حيث يتضح أن هذه الاستجابات تتوزع توزيعاً إحصائياً وفق المتوسط المرجح (١١٠٠,٩) والقوة النسبية للبعد (٧١,٧٪)، وبذلك يمكن التأكيد على أن هذا الاستجابات تركز حول خيار الموافقة على البعد، ومما يدل على ذلك أن نسبة من إجابة موافق بلغت (٤٩,٧٨٪) في حين من أجابوا إلى حد ما بلغت نسبه (١٥,٤٥٪) إلى نسبة (٣٤,٧٧٪) أجابوا لا.

وقد جاء ترتيب عبارات هذا البعد ومن الوزن المرجح والقوة النسبية على النحو

التالي: -

١ - جاءت العبارة رقم (٣) والتي مفادها " سبق لأحد من أفراد أسرتي المشاركة بأنشطة الجمعية التطوعية." في الترتيب الأول بوزن مرجح (٤٣٤,٧) وقوة نسبية (٨٤,٩٪). وتشير استجابات المبحوثين إلى أن لديهم أحد الأقارب الذي سبق له وأن شارك في أنشطة تطوعية.

٢ - وجاءت العبارة رقم (٨) والتي مفادها " بشكل عام لدي اهتمام بالمشاركة التطوعية بالجمعيات الأهلية " في الترتيب الثاني بوزن مرجح (٤٢٠,٧) وقوة نسبية (٨٢,١٦٪). وتشير استجابات المبحوثين إلى أن لديهم اهتماماً للمشاركة التطوعية بالجمعيات الأهلية.

جدول رقم (٤). يوضح النتائج المرتبطة بتكوين الجمعيات الأهلية للشبكات الاجتماعية.

م	العبارة	اوافق		إلى حد ما		غير موافق		مجموع الأوزان	الوزن المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		ك	%	ك	%	ك	%				
١	أستفيد من خدمات أكثر من مشروع بالجمعية	٢٩	٥,٦	٨٧	١٦,٩	٣٩٦	٧٧,٣	٦٥٧	٢١٩	٤٢,٧٧	٨
٢	تتيح الجمعية معلومات خاصة بخدمات الجمعيات الخيطة.	٣٤٩	٦٨,٠٢	-	-	١٦٣	٣١,٨	١٢١٠	٤٠٣,٣	٧٨,٧٨	٤
٣	تعاون الجمعية مع مؤسسات مجتمعية لتقديم بعض الخدمات.	٣٤١	٦٦,٦	-	-	١٧١	٣٣,٤	١١٩٤	٣٩٨	٧٧,٧٣	٥
٤	أعتقد أن الصفة التي تجمع بين أعضاء الجمعية هي الفئة العمرية.	٤٣٨	٨٥,٥	٢٩	٥,٦٦	٤٥	٨,٨	١٤١٧	٤٧٢,٣	٩٢,٢٥	٢
٥	تطلب مني الجمعية دعوة أصدقائي للاستفادة من أنشطتها.	٤٥٩	٨٩,٦	-	-	٥٣	١٠,٤	١٤٣٠	٤٧٦,٧	٩٣,١	١
٦	أعتقد أن حركة العضوية بالجمعية زادت	٣٦٨	٧١,٨	١٠٧	٢٠,٨٩	٣٧	٧,٢	١٣٥٥	٤٥١,٧	٨٨,٢٢	٣
٧	تطلب مني الجمعية تقديم مقترحات لتحسن أداؤها.	٢٣٨	٤٦,٥	١٥٢	٢٩,٦٩	١٢٢	٢٣,٨	١١٤٠	٣٨٠	٧٤,٢٢	٦
٨	تعتمد أنشطة الجمعية على المشروعات التنموية الممولة.	٤٥	٨,٨	٤٥٨	٨٩,٤٥	٩	١,٨	١٠٦٠	٣٥٣,٣	٦٩	٧
٩	تشكل الجمعية جماعات من المستفيدين طبقاً لتخصصاتهم تمهيداً للإستفادة .	٢٢	٤,٢٩	٦٩	١٣,٤٧	٤٢١	٨٢,٢	٦٢٥	٢٠٨,٣	٤٠,٦٩	٩
١٠	تحرص الجمعية على عمل اجتماعات دورية للمستفيدين لعمل علاقات بينهم.	١٢	٢,٣	٤٧	٩,١٧	٤٥٣	٨٨,٥	٥٨٣	١٩٤,٣	٣٧,٩٦	١٠
	المجموع	٢٣٠١		٩٤٩		١٨٧٠		١٠٦٧١	٣٥٥٧		
	المتوسط	٢٣٠,١		٩٤,٩		١٨٧					
	النسبة	٤٤,٩٤		١٨,٥٤		٣٦,٥٢					
	المتوسط المرجح							١٠٦٧,١			
	القوة النسبية للبعد							٦٩,٥			

تشير بيانات الجدول السابق رقم (٤) إلى النتائج المرتبطة بتكوين الجمعيات الأهلية للشبكات الاجتماعية، حيث يتضح أن هذه الاستجابات تتوزع توزيعاً إحصائياً وفق المتوسط المرجح (١٠٦٧,١) والقوة النسبية للبعد (٦٩,٥٪)، وبذلك يمكن التأكيد على أن هذا الاستجابات تركز حول خيار الموافقة على البعد، ومما يدل على ذلك أن نسبة من إجابة موافق بلغت (٤٤,٩٤٪) في حين من أجابوا إلى حد ما بلغت نسبه (١٨,٥٤٪) إلى نسبة (٣٦,٥٢٪) أجابوا لا.

وقد جاء ترتيب عبارات هذا البعد ومن الوزن المرجح والقوة النسبية على النحو

التالي:

١ - جاءت العبارة رقم (٥) والتي مفادها "تطلب مني الجمعية دعوة أصدقائي للاستفادة من أنشطتها." في الترتيب الأول بوزن مرجح (٤٧٦,٧) وقوة نسبية (٩٣,١٪). وتشير استجابات الباحثين إلى أن الجمعيات الأهلية تطلب منهم دعوة أصدقائهم للاستفادة من أنشطتها.

٢ - وجاءت العبارة رقم (٤) والتي مفادها "أعتقد أن الصفة التي تجمع بين أعضاء الجمعية هي الفئة العمرية." في الترتيب الثاني بوزن مرجح (٤٧٢,٣) وقوة نسبية (٩٢,٢٥٪). وتشير استجابات الباحثين إلى أنهم يعتقدون أن أعضاء الجمعية في فئة عمرية واحدة.

جدول رقم (٥). يوضح ترتيب مؤشرات رأس المال الاجتماعي طبقاً للقوة النسبية.

الترتيب	القوة النسبية	المتوسط المرجح	غير موافق			إلى حد ما			أوافق			الأبعاد	
			%	المتوسط	الجموع	%	المتوسط	الجموع	%	المتوسط	الجموع		
١	٧٢,٥	١١١٤,٢	٢٨,٧	١٤٧,١	١٣٢٤	٢٤,٩١	١٢٧,٦	١١٤٨	٤٦,٤	٢٣٧,٣	٢١٣٦	ثقة المستفيدين بالجمعية	١
٢	٧١,٧	١١٠٠,٩	٣٤,٧٧	١٧٨	١٤٢٤	١٥,٤٥	٧٩,١٣	٦٣٣	٤٩,٨	٢٥٤,٨	٢٠٣٩	المشاركة التطوعية بالجمعية	٢
٣	٦٩,٥	١٠٦٧,١	٣٦,٥٢	١٨٧	١٨٧٠	١٨,٥٤	٩٤,٩	٩٤٩	٤٤,٩	٢٣٠,١	٢٣٠١	تكوين الشبكات الاجتماعية	٣
-	٢١٣,٧	٣٢٨٢,٢	-	٥١٢,١	٤٦١٨	-	٣٠١,٦٣	٢٧٣٠	-	٧٢٢,٢	٦٤٧٦	المجموع	
-	٧١,٢	١٠٩٤	٣٣,٣	١٧٠,٧	-	١٩,٦	١٠٠,٥	-	٤٧	٢٤٠,٧	-	المتوسط	

باستقراء بيانات الجدول السابق رقم (٥) والذي يوضح ترتيب مؤشرات رأس المال الاجتماعي وفقاً للمتوسط المرجح والقوة النسبية، حيث يتضح أن استجابات المستفيدين من خدمات الجمعيات الأهلية تتوزع توزيعاً إحصائياً وفق المتوسط المرجح (١٠٩٤) والقوة النسبية (٧١,٢٪)، ومما يؤكد ذلك أن نسبة من أجابوا موافق بلغت (٤٧٪)، أما نسبة من أجابوا إلى حد ما بلغت (١٩,٦٪)، بينما من أجابوا بغير موافق بلغت نسبتهم (٣٣,٣٪).

وقد جاء ترتيب مؤشرات رأس المال الاجتماعي وفقاً للمتوسط المرجح والقوة النسبية على النحو التالي:

- جاء مؤشر ثقة المستفيدين بالجمعيات الأهلية، في الترتيب الأول بمتوسط مرجح (١١١٤,٢)، وقوة نسبية (٧٢,٥٪).

- أما الترتيب الثاني كان لمؤشر المشاركة التطوعية بالجمعيات الأهلية ، وذلك بمتوسط مرجح (١١٠٠,٩) وقوة نسبية (٧١,٧٪).

- ثم جاء مؤشر تكوين الشبكات الاجتماعية ، في الترتيب الثالث بمتوسط مرجح (١٠٦٧,١) وقوة نسبية (٦٩,٥٪).

٢- النتائج الكيفية:

يلاحظ أن جميع الجمعيات الأهلية عينة الدراسة يجتمع مجلس إدارتها مرة كل شهر، بالإضافة إلى أن الجمعيات النشطة في مجال الرعاية وتنمية المجتمع لا تهتم كثيراً بقضايا التنمية الثقافية والتفكير العلمي النقدي. أما الجمعيات ذات الطابع الديني تركز على مجال الدعوة وشؤون العبادات ، وإن تناولت القضايا الثقافية والاجتماعية وتتخذ مواقف تتميز بالجمود.

اتضح من دراسة الحالة أن هناك ضعفاً بتسديد الاشتراكات بفعل انخفاض الوعي العام بأهمية العمل التطوعي ، في حين ترتفع نسبة من يعملون بأجر (بحد أدنى ٤ موظفين في المتوسط في كل جمعية) أما بالنسبة لتسديد الاشتراكات في الجمعيات ذات الطابع الديني فهو منتظم عنه في الجمعيات الأخرى ، وذلك نتيجة الوازع الديني الموجود لدى أفراد المجتمع. مما يتفق مع ما أصدره البنك الدولي على صفحته الخاصة برأس المال الاجتماعي والتي يؤكد فيها على أن الدين أحد مصادر رأس المال الاجتماعي^(٦٣). اتضح من دراسة الحالات ضعف مشاركة الشباب أقل من ٤٠ سنة في الأنشطة التطوعية بالجمعيات الأهلية عينة الدراسة ، هذا ما عدا جمعية رسالة.

أما فيما يخص معيار الكفاءة الاتصالية، فنجد أن جمعيات تنمية المجتمع لديها كفاءة اتصالية عالية، بعكس الجمعيات ذات الطابع الديني فهي جمعيات منغلقة على ذاتها. تبين من دراسة الحالات فيما يخص مصادر تمويل الجمعيات ذات الطابع الديني تعتمد فقط على تبرعات أفراد المجتمع القادرين، بالإضافة إلى اشتراكات أعضاء الجمعية كما سبق الذكر. بعكس جمعيات تنمية المجتمع وجمعيات الرعاية الاجتماعية، حيث تتنوع مصادر تمويلها ما بين شراكات بينها وبين مؤسسات مجتمعية أو تمويل جهات أجنبية، بالإضافة إلى تبرعات أفراد المجتمع القادرين، واشتراكات أعضاء الجمعية.

النتائج العامة للدراسة

ترتبط دائما النتائج بالمقدمات في البحث العلمي لهذا سوف يتم عرض نتائج هذه الدراسة من خلال تساؤلاتها:

النتائج الخاصة بالتساؤل الأول للدراسة: "ما العوامل المؤثرة في تنمية رأس المال الاجتماعي الخاص بالجمعيات الأهلية؟"

تأسيساً على أن رأس المال الاجتماعي، مثل أي نوع من رأس المال، يتأثر بالعوامل الداخلية والخارجية التي يجب الإشارة إليها. ومن هذه العوامل ما له تأثير إيجابي ومنها ما له تأثير سلبي. فأظهرت نتائج الدراسة أن العوامل المؤثرة في نمو رأس المال الاجتماعي الخاص بالجمعيات الأهلية جاءت على الترتيب التالي:

١ - **علاقات ونشاط القائمين على الجمعيات الأهلية** (من أعضاء مجلس الإدارة، وخاصة رئيس مجلس الإدارة، ومدير الجمعية) هو العامل الرئيسي في تنمية رأس المال الاجتماعي الخاص بالجمعيات الأهلية. كما كان الحال بجمعية أبو بكر

الصديق، وجمعية صلاح الدين، وجمعية العريان، حيث أن كثيراً من المشاريع التي تعمل بها علمت بها وتقدمت لها إلا كان عن طريق أحد أعضاء مجلس الإدارة أو رئيس مجلس الإدارة فهم بحكم اهتمامهم بالمجال التنموي لهم علاقات اجتماعية تتيح لهم المعلومات اللازمة للعمل في مجال الجمعيات الأهلية حيث أن أحد أبعاد رأس المال الاجتماعي هو القدرة المعلوماتية التي توفرت لدى الجمعيات الأهلية من خلال علاقات أعضاء مجلس الإدارة أو مدير الجمعية، واتضح أنه كلما زاد نشاط الجمعية كلما زاد دائرة علاقات أعضاء مجلس الإدارة ومدير الجمعية، مما أدى إلى زيادة تعاون الجمعية مع غيرها من المؤسسات المجتمعية، في إطار زيادة رأس مالها الاجتماعي.

٢ - اتضح من نتائج الدراسة أن العامل الديني أحد العوامل التي تؤثر على نمو رأس المال الاجتماعي مما يتيحه من جسور الثقة المبدئية في الجمعية والقائمين عليها، فكثير من المتبرعين يفضلون التبرع للجمعيات ذات الطابع الديني، كذلك اتضح أن هذه الجمعيات تعتمد اعتماداً كلياً على هذه التبرعات ماعدا جمعية "المحافظة على القرآن الكريم، وجمعية شفيق، تعتمد اعتماداً جزئياً على التبرعات، حيث أن مصادر التمويل كانت في الجمعية الأولى من موارد المدرسة "مدرسة الإسلامية الخاصة" أما جمعية شفيق فكانت مصادر التمويل لديها "دار المغتربات"، وهى تضمن لها التمويل المستدام ويمكنها من العمل في المشروعات بشكل مستدام نظراً لتوفر التمويل كذلك اتضح أن العامل الديني يؤثر أيضاً على عدد المتطوعين، وتأثير طفيف على عضوية الجمعية.

٣ - أشارت نتائج الدراسة أيضاً إلى أن اهتمام الجمعية بتسويق خدماتها يؤثر على زيادة العضوية بالجمعية وزيادة معدلات الثقة من قبل المستفيدين بها كما كان الحال بجمعية رسالة، فالمتطوع أو المستفيد أو حتى عضو الجمعية يذهب للجمعية في

بادئ الأمر للاستفادة أو للتطوع أو حتى لعمل عضوية بها بناء على شهرتها على مستوى الجمهورية بالأعمال وأنشطتها والإنجازات التي تمت في الوقت القليل الماضي، التي جاءت عن طريق وسائل الإعلام، واتصالها المباشر مع الجمهور، حيث ذهب متطوعيا لأفراد المجتمع المحيط لجمع التبرعات المادية أو العينية.

٤ - أشارت الدراسة إلى أن الجمعيات التي تتيح الفرصة للمتطوعين لتقديم اقتراحات واهتمام قيادات الجمعية بها والعمل على إشراكهم في تنفيذها يساعد في نمو رأس المال الاجتماعي.

أما فيما يخص العوامل التي لها تأثير سلبي على نمو رأس المال الاجتماعي فهي :

- ١ - محدودية علاقات أعضاء بعض الجمعيات الأهلية ذات الطابع الديني بمن هم خارجها أو غير المنتمين إليها، الانتماءات الداخلية قوية داخل الجمعية جعل لها نتائج عكسية لانغلاقها على نفسها وبالتالي يقلل فرص نمو رأس المال الاجتماعي.
- ٢ - عدم اهتمام قيادات الجمعية بإشراك الشباب المستفيدين بأنشطة الجمعية بالرغم من استعدادهم لذلك.
- ٣ - عدم اهتمام قيادات الجمعية بسماع اقتراحات المستفيدين لتحسين أداء الجمعية.
- ٤ - عدم اهتمام الأخصائي الاجتماعي بقياس فاعلية الخدمات المقدمة من قبل الجمعية.

النتائج الخاصة بالتساؤل الثاني للدراسة " ما مصادر رأس المال الاجتماعي بالجمعيات الأهلية؟"

اتضح من نتائج الدراسة تعدد وتنوع مصادر رأس المال الاجتماعي ما بين تقليدي (الأسرة - الدين - مجتمع الجيرة" وغير تقليدي (تجمعات الشباب -....) وجاءت على الترتيب التالي :

١ - الشباب بما لديهم من استعداد للثقة والعمل التطوعي واستعداد للتعلم والتغير من أهم مصادر رأس المال الاجتماعي.

٢ - الدين بما فيه من قواعد ومعايير تنظم التفاعلات بين أفراد المجتمع من مصادر رأس المال الاجتماعي.

٣ - تمثل الجمعيات الأهلية القائمة على روابط تقليدية، أحد أهم مصادر رأس المال الاجتماعي في مصر، وذلك لاعتماد المجتمع المصري على المصادر التقليدية لرأس المال الاجتماعي كالأسرة، وجماعات الجيرة، وغيرها من المصادر التي تعتمد على التفاعل المباشر والعلاقات الأفقية.

النتائج الخاصة بالتساؤل الثالث للدراسة: "ما دور الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي؟"

اتضح من نتائج الدراسة أن دور الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي له ثلاثة أبعاد :

١ - دور الجمعية الأهلية مع العاملين : اتضح من نتائج الدراسة أن الجمعيات الأهلية عينة الدراسة لا تقوم بأي أنشطة تنمي العلاقات بين العاملين أو بين العاملين والجمعية ، مثل القيام بتنظيم رحلات أو صناديق زمالة لتقديم الهدايا في المناسبات التي يمر بها العاملون.

٢ - دور الجمعية الأهلية مع المستفيدين : أشارت نتائج الدراسة أن المستفيدين عينة الدراسة غير ملمّين بجميع المعلومات الخاصة بالجمعية ، كذلك اتضح أن بعض الجمعيات الأهلية من عينة الدراسة تستثمر المستفيدين في مساعدة مستفيدين آخرين ، ونخص بالذكر جمعية صلاح الدين عندما تستخدم عمال البناء في تصليح وإعادة بناء بيوت مستفيدين آخرين بمقابل من الجمعية ، فهي بذلك تغير صور الإحسان المعروفة عن الجمعيات الأهلية التي قد تصيب بعض المستفيدين بالوصمة.

٣ - دور الجمعية الأهلية مع المتطوعين : اتضح من نتائج الدراسة أن جمعية رسالة فقط هي التي تقوم بعمل اجتماعات دورية مع المتطوعين بحضور قيادات الجمعية تسمع خلالها اقتراحات المتطوعين ولهم الحرية في تنفيذ مقترحاتهم بدعم فني من الجمعية ومادي إن أمكن ذلك ، مما أدى إلى زيادة عدد المتطوعين بشكل ملحوظ.

٤ - دور الجمعية الأهلية مع المؤسسات المجتمعية الأخرى : اتضح من نتائج الدراسة أن جميع الجمعيات عينة الدراسة تقوم بالاتصال بالمؤسسات المجتمعية المحيطة وعمل شراكات مع بعضها البعض لتحقيق أهداف تنموية ، مثلما هو الحال بجمعية العريان وجمعية صلاح الدين وجمعية رسالة.

النتائج الخاصة بالتساؤل الرابع للدراسة : " ما تأثير هذا الدور على رصيد المجتمع من رأس المال الاجتماعي؟"

اتضح من نتائج الدراسة أن لدور الجمعيات الأهلية تأثيراً إيجابياً على زيادة رصيد المجتمع من رأس المال الاجتماعي.

النتائج الخاصة بالتساؤل الرابع للدراسة : "ما المعوقات التي تواجه الجمعيات الأهلية لتنمية رأس المال الاجتماعي؟"

اتضح من نتائج الدراسة أن هناك بعض المعوقات ومنها ما يلي :

- ١ - عدم توافر قاعدة معلوماتية بين الجمعيات الأهلية للتنسيق بينهم.
- ٢ - وجود موظفين في بعض الجمعيات لا يجيدون التعامل مع المستفيدين.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- [١] إبراهيم محمد أبو الحسن : بناء رأس المال الاجتماعي لزيادة التمثيل السياسي للمرأة المصرية ، بحث منشور بالمؤتمر العلمي السادس عشر للخدمة الاجتماعية ، ٤ - ٥ مايو ٢٠٠٥ ، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم.
- [٢] أبو النجا محمد العمري : استخدام نماذج إدارة الجودة الشاملة في تحسين أداء الخدمات بالجمعيات الأهلية ، بحث منشور بالمؤتمر العلمي التاسع عشر ، ١٢ - ١٣/٣/٢٠٠٦ ، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان ، المجلد الخامس .
- [٣] أحمد زايد وآخرون : رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى (مركز البحوث والدراسات الاجتماعية - كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦)
- [٤] أحمد يوسف محمد بشير : نحو برنامج مهني لتنمية مجتمع حضري عشوائي من وجهة نظر الخدمة الاجتماعية ، بحث منشور ، المؤتمر العلمي الخامس لكلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم ، الجزء الأول ، ٩ - ١١ ديسمبر ١٩٩١
- [٥] إنجي عبد الحميد : رأس المال الاجتماعي : نحو نظرية في البناء والفعل الاجتماعي ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، المجلد الحادي والأربعون ، العدد الثاني ، مايو ٢٠٠٤ .

- [٦] أيمن السيد عبد الوهاب: دليل الجمعيات الأهلية التنموية في محافظة القاهرة (القاهرة، مركز الدراسات السياسية الاستراتيجية، ٢٠٠٣).
- [٧] برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: الفقر الذاتي ورأس المال الاجتماعي في مصر من أجل استراتيجية متكاملة لمحاربة الفقر (القاهرة ٢٠٠٣).
- [٨] بلال عرابي: دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع، الأردن، مجلة مركز التميز للمنظمات غير الحكومية، عدد (١٠)، ٧ سبتمبر ٢٠٠٢
- [٩] حسن محمد وجيه: مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، أكتوبر ١٩٩٤)
- [١٠] حسين مصطفى هلاللي: التنمية بالمشاركة الشعبية، بحث منشور، المؤتمر العربي الثالث الإدارة المحلية، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ١٠ - ١٤ أبريل ٢٠٠٥.
- [١١] خالد محمد شرف: التسويق الاجتماعي ودوره في إحداث التغييرات الاجتماعية المستهدفة إطار نظري وتطبيقات عملية (القاهرة، الجامعة العمالية، ٢٠٠٥).
- [١٢] خليل عبد المقصود: تنمية المجتمع أسس نظرية وتجارب ميدانية (الفيوم، مكتبة الصفوة، ٢٠٠٢).
- [١٣] _____: رأس المال الاجتماعي في المجتمعات العمرانية الجديدة ودور الخدمة الاجتماعية في زيادته، بحث منشور، بالمؤتمر العلمي الثامن عشر للخدمة الاجتماعية، ٢ - ٣ مايو ٢٠٠٧، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم.
- [١٤] سامية قدرى: رأس المال الاجتماعي ومستقبل التنمية في مصر، بحث منشور، مؤتمر المجتمع المصري إلى أين "رؤية مستقبلية"، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، في الفترة من ١١ - ١٢ يونيو ٢٠٠٧

- [١٥] سناء محمد حجازي: *العلاقة بين متطلبات بناء القدرات التنظيمية وتحقيق جودة مشروعات الجمعيات الأهلية*، بحث منشور بالمؤتمر العلمي التاسع عشر، ١٢ - ١٣/٣/٢٠٠٦، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، المجلد الخامس.
- [١٦] السيد على عثمان أحمد: *أنماط القيادة بالجمعيات الأهلية وعلاقتها بفاعلية مشروع التنمية*، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم، ٢٠٠٦.
- [١٧] شهيدة الباز: *المنظمات الأهلية العربية على مشارف القرن الحادي والعشرين محددات الواقع وآفاق المستقبل* لجنة المتابعة لمؤتمر التنظيمات الأهلية العربية، ١٩٩٧.
- [١٨] عادل محمد أنس: *منظمات التنمية الحضرية بين تغاير أو تماثل كلاً من أهدافها الرسمية وأنشطتها الواقعية*، بحث منشور بالمؤتمر العلمي التاسع عشر، ١٢ - ١٣/٣/٢٠٠٦، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، المجلد الخامس.
- [١٩] عزت حجازي، رأس المال الاجتماعي: *كأداة تحليلية في العلوم الاجتماعية*، بحث منشور، بالمجلة الاجتماعية القومية المجلد الثالث والأربعون العدد الأول (القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠٦).
- [٢٠] فرانسيس فوكوياما، *التصدي العظيم: الفطرة الإنسانية وإعادة تشكيل النظام الاجتماعي*، ترجمة عزة حسين كبه (بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٤).
- [٢١] قانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات الأهلية.
- [٢٢] محمد إبراهيم عبيدات: *التسويق الاجتماعي (الأخضر والبيئي)* (عمان، دار وائل، ط ١، ٢٠٠٤).

- [٢٣] محمد عابد الجابري: *التنمية البشرية في الوطن العربي* (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ١٩٩٥)
- [٢٤] محمد عبد الصادق دندراوي: *الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، وتحسين أداء المتطوعين بالجمعيات الأهلية*، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة القاهرة فرع الفيوم، ٢٠٠٤
- [٢٥] مدحت محمد أبو النصر: *إدارة منظمات المجتمع المدني "دراسة في الجمعيات الأهلية من منظور التمكين والشراكة والشفافية والمسألة والقيادة والتطوع والتشبيك والجودة"* (إيتراك للطباعة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧)
- [٢٦] مديرية التضامن الاجتماعي محافظة الفيوم.
- [٢٧] مرسي مشري: *"المجتمع المدني في الجزائر: دراسة في آلية تفعليه"*، مداخلة في مؤتمر بعنوان التحولات السياسية وإشكالية التنمية في الجزائر واقع وتحديات، جامعة حسيبة بن بوعلي، كلية العلوم القانونية والإدارية، الشلف، (٢٠٠٨).
- [٢٨] مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بالفيوم ٢٠٠٩.
- [٢٩] مصر "تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥": القاهرة البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ومعهد التخطيط القومي، ٢٠٠٦.
- [٣٠] موسوعة المجالس القومية المتخصصة: *آليات المشاركة الشعبية في التنمية المحلية*، المجلد الثاني والثلاثون.
- [٣١] نجلاء رجب أحمد السيد: *العوامل التنظيمية المؤثرة في تنمية التمويل الذاتي لدى الجمعيات الأهلية*، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الخدمة الاجتماعية، القاهرة فرع الفيوم، ٢٠٠٥.

[٣٢] نهاد محمد كمال يحيى: دور منظمات المجتمع المدني في دعم تماسك المجتمع المصري دراسة ميدانية وتحليلية للفترة من ١٩٧٠ - ١٩٩٥. رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب قسم الاجتماع جامعة عين شمس ٢٠٠٠

[٣٣] الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار - فرع الفيوم - مركز المعلومات.

ثانياً: المراجع الأجنبية

[٣٤] Benedicte Bull: *Social capital, civil society and the welfare and democracy state in Norway* (inter-American Development Bank, Washington, University of Oslo, Feb.24/2006) .

[٣٥] Bernardo Kliksberg: *Social capital and culture Master Keys to Development*, ECLAC's documents and publication , 1999

[٣٦] Carmen G. Luca Sugawara: *Building Social Capital Among Social Work Educators: A Strategy For Curriculum Development*, Journal of Social Work Education, Vol. 45, No. 3, 2009, Council on Social Work Education, Inc.

[٣٧] Christian Bjørnskov and Gert Tinggaard Svendsen: *Measuring social capital – Is there a single underlying explanation?*, Working Paper, Department of Economics, Aarhus School of Business, Aarhus C, Denmark, 01 Mar 2003.

[٣٨] Daniel Owen K, Lan Bannon: *Social capital and Survival : Prospects for Community Driven Development in post-conflict Sierra Leone*, Washington DC, World Bank, 2004.

[٣٩] Francine Fournier: *Social Capital Formation in Poverty Reduction: Which Role for Civil Society and the State?*, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, & Social and Human Sciences Sector of UNESCO, 2002.

[٤٠] Golam M. Mathbor: *Enhancement of community preparedness for natural disasters*, The role of social work in building social capital for sustainable disaster relief and management, International Social Work volume 50(3); Sage Publications: Los Angeles, London, New Delhi and Singapore, 2007.

[٤١] Grace Ng: *The Relevance of Social Capital for Social Work*, Workshop, CNF & SWD Health, Welfare and Food Bureau, 2/6/2006.

[٤٢] Guillermo Sunkel : *Poverty in the City: Social Capital and Public Policies*, Social Capital and The reduction of Poverty in Latin America, Digital Library , The Caribbean in Search of a new paradigm , 2003.

- H. Westlund,: *Social Capital in the Knowledge Economy: Theory and Empirics*, New York, Journal of Socio-Economics, in Press, New York, Volume37,Issue6, December 2008. [٤٣]
- Jennifer E.Gress : *Understanding the Role of Social Capital in the Production of Affordable Housing in Orange County , California* (University of California, Press,2007) [٤٤]
- Kenneth Newton: *Social Trust and Political Disaffection: Social Capital and Democracy*, Paper prepared for the EURESCO Conference on Social Capital: Interdisciplinary Perspectives, Berlin, 15-20 September 2006. [٤٥]
- Mary Tabor Griswold and Mark W. Nichols: *Social Capital And Casino Gambling In U. S . Communities*, Springer, Social Indicators Research 2006. [٤٦]
- Max Stephenson and Alnoor Ebrahim: *Trust, Social Capital, and Organizational Effectiveness*, Major paper submitted, Master of Public and International Affairs, Virginia, Qianhong Fu, 2004. [٤٧]
- Nan lin : *Building a Network Theory of Social Capital*, Connections 22(1):28 – 51 1999). [٤٨]
- Nora Dudwick, Michael Woolcock: *Analyzing Social Capital in Context: A Guide to Using Qualitative Methods and Data*, The International Bank for Reconstruction, and Development /The World Bank, Washington,2006. [٤٩]
- Radcliff, Benjamin: *On the Sources and Origins of Social Capital*, Paper presented at the annual meeting of The Midwest Political Science Association, Palmer House Hilton, Chicago, Illinois, Apr 15, 2004. [٥٠]
- Robert D. Putnam: *Making Democracy Work: Civic Traditions in Modern Italy*, Princeton University Press, Princeton, 1993. [٥١]
- Robert J Chaskin, Robert M.Gerge: *Measuring Social capital: exploration in community _ Research Partnership university of Chicago* 2006. WWW. eul.edu.org [٥٢]
- Roger Patulny: *Social Capital Norms, Networks and Practices*, working paper, Social Policy Center, Sydney,2004. [٥٣]
- Science &Geography Dictionary, Oxford University Press, 2000, P222. [٥٤]
- Stephen P. Borgatti : *social network Measures of social capital*, A Methodological Perspective, 23 April, 1999. [٥٥]
- Thomas F. Carroll: *Social capital, Local Capacity Building, and Poverty Reduction*, Social Development Papers No.3, Office of Environment and Social Development Asian Development Bank. May2001. [٥٦]
- Trudy Harpham , et al : *Measuring Social Capital Within Health Surveys : Key Issues* , Health policy And Planning ; 17 (1) : 106- 111 , Oxford University Press ,2002 . [٥٧]

World Bank : *social Capital in Action Thematic Policy Studies*, World Bank, [٥٨]
2005, P315

World Bank: Anirudh Krishna: *Social Capital, Community Driven* [٥٩]
Development and Empowerment A short Note on Concepts and Operation,
Duke University 2003

ثالثاً: مواقع انترنت

<http://web.worldbank.org/WBSITE/EXTERNAL/TOPICS/EXTSOCIALDEVELOPMENT/EXTSOCIALCAPITAL/0,,contentMDK:20185225~menuPK:418213~pagePK:148956~piPK:216618~theSitePK:401015,00.html> [٦٠]

NGOS as a Source of Social Capital to Society

Dr. Kalil Abdel-Maksoud Abdel-Hamid¹, and Summar Said Moawad Soofy²

¹ Prof. Dr. Department of Development and Planning, Faculty of Social Work, Fayoum University

² Doctoral Researcher, Faculty of Social Work, Fayoum University

Abstract. Address the study was to determine the actual role played by civil society organizations for the development of social capital as well as the obstacles to this role. The study aimed to detect the factors affecting the development of social capital and identify the sources of social capital and stand on the role of NGOs for the development of social capital and to identify the impediments to the role of NGOs for the development of social capital.

study Questions

- What are the factors affecting the development of social capital ?
- What sources of social capital, in NGOs ?
- What is the role of NGOs for the development of social capital ?
- What is the role of NGOs obstacles to the development of social capital?

descriptive study, using both qualitative and approach of "case study approach" and quantitative approach represented by the social survey sample. And study tools is a case study guide , questionnaire beneficiaries and interview guide for the leaders of associations, interview guide for volunteers. The study sample is (512) single. Time domain from 1/1/2011 to 30/12/2011.

Results of the study

- weakness the participation of young people less than 40 years in the voluntary activities of NGOs
-CDAs have a high efficiency of communication , unlike the associations of a religious nature are associations and idiosyncratic.

-sources of funding for associations of a religious nature rely solely on donations members of the community who are able , and the contributions of members of the Assembly. CDAs , diversified sources of funding.

-relationships and activity based on associations is the main factor in the development of social capital, private civil associations.

-young people with their confidence and willingness to volunteer work and willing to learn and change of the most important sources of social capital.

-religion , including the rules and standards governing the interactions between members of the community of the sources of social capital.

Guidelines for Authors

a) Types of materials accepted by the Journal for publication:

1. Research and study: Works submitted to the Journal should make original contributions to any of the various fields of the Journal.
2. Articles: Papers dealing with criticism and analysis for previously published articles, books and scientific theses.
3. Distinguished scientific inventions and patents.
4. Correspondences: These can present creative ideas, scientific opinions, or research suggestions.

b) Publication Terms:

1. The work must be characterized by originality, innovation, scientific methodology, and correct attitudes.
2. It should be written in sound language free of any spelling and grammatical mistakes. The researcher is responsible for the errors contained in his/her research.
3. All types of manuscripts submitted to the Journal are subject to a blind peer review process.
4. All decisions taken by the Editorial Board are final. They have the right not to present any justification(s) for their decisions.
5. Manuscripts accepted for publication should not exceed 60 pages of A size.

c) Paper Selection and Publication Process:

1. A request to publish the manuscript. A written consent that the manuscript submitted has not previously been published and is not being considered for publication elsewhere, either in the submitted form or in a modified version.
2. Three hard copies in addition to a soft copy should be submitted.
3. An English and Arabic abstracts not exceeding 200 words should be included.
4. Title of the manuscript, or any brief biodata such as his/her name, affiliate, main interests, a contact address and an email address should be written in a separate page.
5. Margins of each page should be written at the bottom of the page.
6. One of the following methods should be used when referring to references:
 - a. using (MLA) style.
 - b. using (APA) style.
 - c. using (Foot Note) style.
7. Manuscript will not be returned to the author(s) whether accepted for publication or not.
8. Author(s) will be given two copies of the Journal and 20 reprints of the published manuscript.
9. Author(s) will be requested to make adjustments set forth in the reports of the referees. If they are willing not to do so they should justify their decisions.
10. All published materials reflect solely their authors' opinions.
11. Publication in the Journal is free and there is no bonuses for the authors.
12. It is not allowed to republish the manuscript or part of it in any type of publication material except a written permission from the Chief Editor.
13. The journal is issued Four times a year.

Subscription and Exchange

Scientific Journal of Qassim University (Journal of Arabic and Human Sciences)
E-mail: jahsqu@gmail.com



**In The Name of ALLAH,
Most Gracious, Most Merciful**



Volume (9) – NO .(4)

Journal of ARABIC AND HUMAN SCIENCES

July 2016 – Shawwal 1437H

Scientific Publications & translation

Editorial Board

Chief Editor

Prof. Abdulaziz R. Alsinaidi

Member Editors

Prof. Ibrahim A. Almutawa

Prof. Hamdeno A. El-Awady

Prof. Mhmoud Mohmed Sadeq

Dr. Yousef Ibrahim Al-Rojaie

Journal Secretary

Saleh A. Alolayqi

Editorial Advisory Board

Prof. Ibrahim Mubarak Al-Jewaire

(Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University)
(Social Sciences)

Prof. Saad Hamdan Al-Ghamdi

(Um AlQura University)
(Syntax and Morphology)

Prof. Abdullah Hamd Al-Humeedan

(King Saud University)
(Applied Linguistics)

Prof. Abdullah Yousuf Al-Shabal

(Ex-President Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University)
(History)

Prof. Abdullah Yousuf Al-Ghuneem

(Kuwait University)
(Geography)

Prof. Fakhar Al-Din Qabawa

(Halab University)
(Linguistics)

Contents

Page

English Section

Analysis of English Translations of Arabic Religious Texts with Reference to Skopos Theory and Text-type Theory Dr. Saleh Alqefari	41
---	----

Arabic Section

Grammatical Guidelines of Interpreters in Sibawayh's Book (English Abstract) Dr. Ali mahmoud Ahmed Mohamed Kheir	1065
Abundance and evidence as common in Arab Between the approach and the methodology of considering the application (English Abstract) Dr. Tarek Mahmoud Mohamed Mahmoud	1120
The Impact of Differences in the Lectons (Readings) of Quran in Enriching the Sementics, Applied Study of Some Patterns in Sorah Al-Fatiha and Sorah Al-Baqarah By Using the Compositional Analysis Theory (English Abstract) Dr. Khalid Mohammed Saber	1152
Nostalgia in Shanqeeti poetry, Ibn Ahmad Dam as an exemple (English Abstract) Alsheikh Ahmad Almona	1202
Methods of King Abdulaziz in gaining social peace in Najd 1319-1351H./ 1902-1932G (English Abstract) Dr. Mohammed A. Al-Shiha	1272
Change in the crop structure in Saudi Arabia during the period from 2000-2012 (English Abstract) Badriah Abdullah Alrasheed	1329
Geomorphologic proprieties of Al Aqiq Watershed in Al Madinah Munawarah Area (English Abstract) Dr. Mohamed Foudil BOUROUBA.....	1391
NGOS as a Source of Social Capital to Society (English Abstract) Dr. Kalil Abdel-Maksoud Abdel-Hamid, and Summar Said Moawed Soofy	1465

Analysis of English Translations of Arabic Religious Texts with Reference to Skopos Theory and Text-type Theory

Dr. Saleh Alqefari

English Lecturer at the Saudi Electronic University in Buraidah, Saudi Arabia

Abstract. Translation is a practical human effort that is crucially important for communication among human beings. This paper aims to critically analyse four translated religious texts and will identify which theory is more appropriate to their translation. Two theories were chosen that, taken together, allowed for a thorough analysis of the extratextual and intertextual factors that impacted on the translation process as evidenced in the texts. The first was Vermeer's Skopos theory, which analyses the translation effort with reference primarily on the extratextual factors that influence the translation effort. The second is Reiss' text type theory, which places a strong dependence on the intertextual factors alone. Using these theories, I have realised that the translated text is unlikely to reproduce the same effect that the original text had on the source addressee. I concluded that it is vital for a translator, first, to analyse the ST in terms of its producer, receiver, textual factors, function, type, content, style, and so on, and then to have a clear understanding of the translation skopos as well as the target addressee the text is intended for. The present study has found that Reiss's theory is more applicable to the translation of religious texts. This is partly because the application of Vermeer's Skopos theory in translating religious works is less useful, since the text both in generally and specifically is all purposeful and tend to deliver the intended message.

Introduction

Translation is a practical human effort that is crucial for communication among human beings. Despite the fact that translation is an ancient profession, it was not until the 1960's that researchers began theorizing about the world of translation. They approached the issue of translation from various angles; for instance, some theorists were influenced from linguistics, such as Chomsky's generative-transformation (equivalence) (see Nida, 1964) and Halliday's discourses, whereas Reiss (1977) and Vermeer (1989) concentrated on text types and text purpose respectively. Moreover, Hatim and Mason's theories (1997) were influenced by Halliday's discourse analysis and functional grammar.

It is important to note that translation theories do not carry much weight if they are not based on practice; for translation is, in essence, a practical human activity. Therefore, theoretical knowledge and practical application cannot be separated as they represent two sides of the same coin. This idea is supported by Baker (2001) who suggests that knowledge of theory is worthless without practical experience.

After shedding some light on the importance of studying translation theory, this essay aims to critically analyse four translated religious influenced texts and will identify which theory is more appropriate to their translation by comparing Vermeer's Skopos approach to Reiss's Text type theory.

Literature review

This section will explain the translation theories that provide the background for this study, namely Reiss's text type and Vermeer's Skopos theory. By examining some of the historical issues regarding these two theories, we may better understand the features of Reiss's text type and Vermeer's Skopos theory.

2.1 Previous research

To the best of my knowledge, there has not been any study that specifically investigates how, and to what extent, a translator applied the considerations set forth in Skopos theory through the direct analysis of an actual source text (ST) and target text (TT). Most of the research, like that of Fraser or the Schjoldager and Zethsen's reports (as cited in Jensen, 2009) tended to study the translators themselves by giving them questionnaires to fill out or through conducting interviews with the translators, or a combination of both. Through this methodology it has been discovered that translators often receive comments and information from clients that regard such comments and information as being helpful to the translation task. However, small statistical sample sizes and as well as inclusion of notes and comments that were not provided to the target translator study groups for additional comment have cast some shadows over the overall results of these research efforts.

2.2 Theoretical background

There has been a long debate within translation schools regarding word for word “literal” versus sense for sense “free” translations (Munday, 2001). The former was concerned with the issue of equivalence. During the 1950’s and 60’s, theoreticians began to study translation through a linguistic perspective. Most of the studies were based on the model proposed by Chomsky. In this model, ST elements such as grammar, meaning and connotations were transferred into the TT linguistic structure. On the other hand, the ‘functionalist methodology in translation’ is a rival school that emerged in Germany between 1970 and 1980. This school considers “word for word” or “sentence for sentence” as not being suitable to achieve the aim of translation.

As there are radical differences between both schools of translation, this essay will only consider the theory proposed by the German school in the analysis process, specifically the contradicting theories of Vermeer and Reiss. Despite the fact that both Vermeer and Reiss belonged to the same German school, their theories on the process of translation differ significantly.

According to Reiss, a translation should aim to be faithful to the “conceptual content, linguistic form and communicative function” of the ST (Nord, 1997, p. 9). She acknowledges that a translator is faced with situations where they may have to disregard equivalence, either because equivalence is impossible, or because it is not desired (Nord, 1997).

Reiss’s work was originally designed to predict the method of translation from the ST type. When analysing translation theory, Reiss held that communication takes place on the text level and that text types greatly influence or determine translation methods. Consequently, Reiss focused on and is credited for establishing the primary text types from which works are translated, of which there are four primary text types, namely:

1. Informative: A logical dimensioned text, which contains information, facts, stands and opinions. It is more of a knowledge-based text, in that its main priority in communication is the topic itself. (The data used in the excerpts are a direct reflection of the material used in an informative text type of translation).
2. Expressive: An artistically dimensioned text, which includes creativity and sense of literature.
3. Operative: A more dialogue based and persuasive text. It forces the reader to think in a specific ideological arena.
4. Audio-medial: Audio-visual based texts, which include films, music, etc. (Munday, 2001).

When looking at an equivalence oriented translational process, one may see that the text is being looked at as a whole entity.

Unlike Reiss, Vermeer’s theory is more practice-oriented (Nord, 1997). The translation process is referred to as translational action which has an aim and purpose. Vermeer focuses on the translator himself. He posits that every action the translator makes contributes to the final translation. Following this train of thought,

the success or failure of any given translation is completely the translator's responsibility.

Vermeer defined the word "Skopos" as "purpose, aim, goal, finality, objective, and intention" (1996, p. 4). Vermeer suggests that translation is carried out for a specific receiver with specific purposes in a given situation. A translator renders a ST into a TT with these aims and intentions in mind. For him, the most important element in deciding the goal of translation is the target audience (Nord, 1997) wherein the consideration of their cultural background is crucial. In his theory, the TT should meet the expectations and needs of the target audience. However, Nord (1997) points out that the translator does not always have this level of autonomy.

Vermeer (2004) stated that the goal of translational action is a process of negotiation between the client and the translator. Moreover, the translator is expected to exercise responsibility and power as a translation expert who is consulted by his/her client or translation firm. He has the right to determine the role that the ST can play in his/her professional career.

Vermeer (1989b, cited in Nord, 1997, p. 29) discusses the Skopos rule as follows: "translate/interpret/speak/write in a way that enables your text/translation to function in the situation in which it is used and with the people who want to use it and precisely in the way they want it to function". In this way, the ST may lose its primary purpose whenever the translator thinks this is suitable for achieving the designated Skopos or aims. The ST only acts as one of various information sources which the translator makes use of, and is not the first and foremost criterion in the translator's decision-making process (Aveling, 2002).

Vermeer's approach to translation states that "the end justifies the means" (Nord, 1997), suggesting that translation is based primarily on the translated work, rather than the process of translation itself. Newmark (1991) disagrees with Vermeer's approach and argues that Vermeer's approach can result in an oversimplified translation as Vermeer's method concentrates on the target message often at the expense of richness and nuance contained in the ST. Consequently, Vermeer's method can be detrimental to the authority of the ST.

From my perspective, all of the above approach clash with Reiss's theory of translation, which places a great deal of importance on the ST. Unlike Vermeer, Reiss draws her translations from the faithful preservation of the main characteristics of the ST as identified according to the category under which the ST falls (informative, expressive, operative, audio-medial).

Vermeer's approach to translation can be explained by his devotion to the cultural approach which stems from the fact that languages are filled with cultural references, nuances, and sensitivities which cannot be directly rendered into another language by the use of linguistic knowledge alone. He insists that one cannot draw a translation solely from linguistics, simply because the process of translation exceeds just being a linguistic process (Nord, 1997).

Nevertheless, Vermeer's theory has many shortcomings. For example, some critics claim that literary texts have no aim, and consequently, they argue that Skopos theory is inapplicable to such texts. Vermeer refutes such criticism and

asserts that "if no aim can be attributed to an action, it can no longer be regarded as an action" (Vermeer 1989b as cited in Venuti, 2004, p. 230).

Nord (1997) and Schaffner (as cited in Munday, 2008) believe that while the Skopos theory claims to be a general theory that applies to all text types, it is only applicable for non-literary texts. The theory considers literary texts to have no purpose or it regards them as being too stylistically complex. They also declared that "Skopos theory does not pay sufficient attention to the linguistic nature of the ST nor to the reproduction of micro-level features in the TT. Even if the Skopos is adequately fulfilled, it may be inadequate at the stylistic or semantic levels of individual segments" (Munday, 2008, p. 81).

This paper will argue against these two criticisms made by Nord and Schaffner. With regards to the first claim that literary texts have no aim, this is not very precise, because literary works are produced with specific conditions, often as a reaction to some economic, social, industrial or political concern. Of course, English literature bears witness to the various purposes of different literary works. For example, it could be said that Charles Dickens' novels are directed towards criticizing injustice brought against the individual by the social system and economic situation of the day. Likewise, in his novel *Animal Farm*, Orwell (1945) provides a criticism of the direction taken by the Soviet Union after the Bolshevik revolution. Similarly in religious texts, when Nida (1964) translates the Holy Bible into English, he has the aim of spreading Christianity, while Carnegie (1948) also wrote with the aim of helping people through religious perspectives by showing them how to overcome depression.

In short: to deny literary texts their purpose is to inflict injustice upon them. Vermeer points out that the creation of literature, since it is a deliberate action, must therefore have an aim (Vermeer, 1986). So, this objection to Skopos theory does not hold up to scrutiny, since it cannot be said that the literary texts are devoid of purpose.

As for the other point of criticism, Vermeer does not totally discount linguistic considerations. He clearly declared "Linguistics alone won't help us" (Nord, 1997, p. 10), a statement which reflects his recognition that the linguistic dimension of the translation process is relevant, but not useful without understanding the cultural considerations involved in the translation process. In Vermeer's view, both are essential. For translators to do a good job, they should master both the linguistic and cultural aspects of a piece and effectively communicate these linguistic and cultural peculiarities of the SL into parallel peculiarities of the TL.

We may indicate, then, that the linguistic mastery of the paired languages alone is not enough to carry out translation successfully; nor is a solely cultural knowledge of the paired languages enough to assist translators in performing translation tasks accurately.

In conclusion, this chapter has explained the advantages and disadvantages between Reiss's and Vermeer's theories regarding how they utilise their translation techniques to analyse and set about to effectively and accurately translate any given ST. When translating texts, Reiss's theory is more widely supported than Vermeer's

as she places a strong emphasis on the ST, beginning with a categorization of the ST and then applying a linguistically oriented approach to translation. In contrast, Vermeer's approach is less practical and this can be seen in the additional criticisms levelled at his theory.

Methodology

The analysis of this study was based on the study of source texts (ST), target texts (TT) and translator's strategies as found to be in evidence in the target texts.

The four chosen texts are summarised in the table below:

Table 1: Source texts and translation details

Text No.	Source texts				
	Authors	Translators	Books	Date published	Date translated
ST1	Aaidh Qarni	Faisal Shafeeq	<i>Don't be sad</i>	2001	2005
ST2	Aaidh Qarni	Huda Khattab	<i>You can be the happiest woman in the world</i>	2002	2005
ST3	Salman Alouda	Unknown	<i>My daughters</i>	2010	2010
ST4	Mohammad Arifi	Saleem Beg	<i>Enjoy your life</i>	2007	2008

The books listed are all spiritual and/or religious books that are published for a Saudi Arabian audience. They were chosen as prominent religious texts from the culture. It is interesting to note how much attention these books have received in Islamic world

The ST, the TT, and the translator's strategies were studied "holistically", which is to say that the ST, TT, and translator's strategies were analysed as a complete composite work rather than through an examination of random sentences and phrases.

Since the analysed text within this study was "text based", Reiss's Text Type Theory and Vermeer's Skopos Theory were chosen for analysis as these theories are text based translation theories. The concurrent use of both theories enabled a thorough analysis of the extratextual and intratextual factors that impacted the translation process. Vermeer's Skopos Theory analyses the translation primarily based on extratextual factors, while Reiss's Text Type Theory places a strong dependence and emphasis on intratextual factors.

Extratextual factors refer to aspects of the texts that are external to the texts themselves. These include the authors/translators of the texts in question (who?), their intentions (what for?), the audience to whom the text is directed (to whom?), the place and time of the text production and reception (where and when), and finally, the motive (why?).

Intratextual factors pertain to the linguistic or lexical characteristics of the texts (in which words?) and the syntactic structures of the text (in what kind of sentences?).

A valuable tool for bringing Vermeer's Skopos Theory and Reiss' Text Type Theory together in analysing translations is a framework developed by Nord (2005). She analysed texts using a set of questions that examine the extratextual and intratextual factors highlighted by both theories. The following questions are based on the framework applied in Nord (2005), and these have been used as the template of the reasoning scheme that was strictly be followed in the reading and understanding of the source texts and their translations.

I. The Source text

1. How is the ST presented (title, author, publishers, etc.)?
2. Who is the sender?
3. Who are the intended receivers?
4. Where and when was the text published?
5. Why was the text written?
6. What is the relationship between the sender and receivers?
7. What is the level language in the ST?

II. The Target text

1. How is the translation presented? (title, author, translator, publishers, etc.)
2. Where and when was the translation made available?
3. Who is the translator? Is it a professional translation?
4. Who commissioned the translation? Why?
5. Who is the sender of the translation?
6. Who are the receivers?
7. What is the function of the TT?

The questions above were considered important for the translation process, and are questions that had to be considered on some level by the translator beforehand.

To help answer some of these questions for the source and target texts, considerable background information was drawn from the authors' and the publishers' forewords in both the source and target texts. Those found in the source texts provided information on the authors' aim in writing the texts, as well as their intended readership and the target culture. This, in turn, was followed by a reading of the translator's and the publishers' forewords in the target texts, which provided information about why the translations were made, what their intended readership was and what cultural factors of the target readership they were aware of. This shed considerable light on how the translators decided to translate ideas contained within the ST into the TT. Further, by analysing these forewords utilizing the sets of questions as advanced by Nord, it was possible to consider the implications of these questions when set against each Reiss's Text Type Theory and Vermeer's Skopos Theory

Turning to the texts themselves, it is granted that information, whether intentional or unintentional, is inevitably lost in the process of translation. Therefore, analysis of ST and TT included a consideration as to intrinsic characteristics of the source texts were preserved and communicated within the TT.

The analysis of the accuracy of the translations was conducted according to the following questions:

1- Did the translator succeed in delivering the original style and impact in the ST into the TT?

2- Was the translator able to choose appropriate words in the TT that are suitable for the target audience?

3- In translating religious texts, was the translator able to transfer both linguistic and cultural knowledge of the ST into the TT?

Result and discussion

Based on the analysis, it was found and could be argued that religious based translated text is unlikely to reproduce the same intended effect upon the reader as the original text has on the original target audience. Moreover it was hypothesised that the Skopos Theory is far less applicable to the analysis of a translation of religious texts, whereas Text Type Theory is more applicable. This is because Skopos theory focuses on the message of a text's *target culture*, its target audience, and a consolidation process that occurs between the author and publisher. On the other hand, Text Type Theory dictates that the ST must be analysed as a whole before the determination of the type of that text. This in turn determines how the text will be rendered in the TL. Because religious texts tend towards a cross-cultural universality of their message and require a more literal translation, the hypotheses of the latter theory are more appropriate.

4.1 Source text and target text

In the books selected, the authors aim to help people overcome the various hardships and difficulties that face them in their daily lives. In addition, the author's have ~~has~~ taken into account the culture and religion of the reader. In the ST's sited, for instance, there is a presumed compact between the reader and the author as to the importance of religion within the reader's daily life and the ST reflect this importance and frame problems and solutions within the context of religious.

4.1.1 Audience

The publishers' notes and the author's introduction in the ST makes it immediately apparent to the reader that the content of the text, that they are about to read have been written by a committed Muslim, and are religious in nature. This is evidenced by the inclusion of such words as 'Allah', 'Muhammad', or 'Prophet Muhammad': within the context as written, as these are instantly recognisable to adherents of the Islamic faith. For example:

Ex. 1. In ST1, the publisher's note begins:

"All praise is for Allah, the Exalted. May Allah's peace and blessings be on Muhammad, on his family, and on his companions".

Ex. 2. In ST4, the foreword begins:

"All praise is for Allah, the Exalted; may He send peace and blessings on Prophet Muhammad, his family, and his companions".

Ex. 3. the author's introduction to ST2 begins:

“All praise is for Allah, the Almighty; May He send peace and blessings on Prophet Muhammad, on his family, and on his companions”.

All of these sentences are similar to opening sentences used in all Islamic texts, regardless of their types or functions, when such texts are addressing to a Muslim audience. These introductory sentences make it abundantly clear then that the ST is intended for and targeting a Muslim readership. One might argue that most texts that are written in Arabic and are published in a country where Islam is the predominant religion would begin with similar introductions, irrespective of content. This would normally be true; however the opening sentences are not the only textual constituents that reflect the religious discourse of the ST. The authors claim that their texts are designed for a generic audience; however, it is clear that when considering the primary target audience, the original authors were focused exclusively on their own culture.

Nord (2005) explains the importance of ST analysis prior to the translation process with respect to the various translation theories. While discussing audiences, she suggests that most translation-relevant text analyses consider the audience to be the most important factor in the translation process. It is important to note that all texts being used for this analysis are imperative/operative in nature as they write using dialogue to influence or persuade the reader's behaviour.

4.1.2 Effect

The effect of a text can be measured from the audiences' expectations and subsequent reactions to any particular text. Effect is the result of a dynamic between an author's style (tone, syntax, vocabulary, etc.) and how this style impacts and is received by the target audience. In the case of the ST used for this analysis, the authors are well-known in the Islamic world and their style combines imagination with brevity that is regarded as both articulate and beautiful yet has the ability to orient the reader's attention on the target message.

Effect is a primary factor that leads to the success or failure of a literary piece. When ST's are translated into TT's, accurately imbuing the TT with the intended effect becomes more challenging when ST expresses itself in ever more abstract concepts that may be better understood by the original target audience. For example, commonly understood idioms in an original text may not have any parallel literal translations in a TT. The overall effect of a TT, therefore, is directly impacted by the native language of the translator. A ST being translated into a TT of English, for example, may be enhanced by a translator whose native language is English as the English language translator may have at his command more compelling words to more effectively embed “intended effect”.

Examples in ST1 and ST2

The style in the ST uses repetition and imperative mood predominately:

1. Repetition

Repetition is commonly used in Arabic as an emphatic strategy in order to enhance the intensity of a word or phrase. These examples were found in two books,

namely ST1 and ST2. For example: (تعيش مهموماً، مغموماً، حزينا، كئيب) translated in English as (living worried, depression, sad and despondent) A quick look at the source text's style shows that the author is emphasizing to the receiver the advice to move away from depression. The first four words are synonyms in Arabic.

2A - In the ST:

تأمل في نظرك، تفكر في سمعك.

املح عقلك، انظر إلى جلدك،

فكر في نفسك،

taml fy nzhk, tfkr fy sm'ek

amlh 'eqlk, anzr ala jldk

fkr fy nfhk

2B - In the TT:

(Contemplate on your sight, think about hearing,

Cast your mind; look at your skin,

Contemplate in yourself)

3- Assonance:

Assonance in English is created when vowel sounds are the same or consonants are the same in different words which are placed closely together, whereas in Arabic a similar effect is created at the end of the words.

3A - In the ST:

"صح في بدن، أمن في وطن، غذاء وكساء، هواء ونا

عينان ولسان وشفتان"

shh fy bdn, amn fy wtn , ghda' wksa', hwa' wna"

'eynan wlsan wshftan

3B - In the TT:

"Health, safety, nourishment, clothing, air and water

Two eyes, tongue, lips"

The chapters show long paragraphs with complex sentences, and there is a summary in the end. This is natural in Arabic writing. His other book used simple sentences with the same imperative, models and adjectives.

Examples found in ST3

The author used anomalous answers in his writing at the beginning of the chapter to engage the reader's attention.

ST: ماحكم الانتحار ... فأردت أن أفاجئه بجواب لا يتوقعه فضحكت وقلت

مستحب

mahkm alanthar ... fardt an afaj'eh bjwab la ytwq'eh fdhkt wqlt msthb

TT: What is the ruling on suicide? I decided to surprise him by saying in response to something unexpected, so I said 'it is recommended'

The author used simple, compound sentences, the structure of which is declarative and interrogative.

Examples found in ST4

The vocabulary used is quite simple, and includes emotive words as the target audience are teenage girls, specifically of the Muslim faith, and it uses simple, compound sentences. For example:

ST: قرئي - بنيتي الحزينه - كتاب ... عاجلي إحساس الألم بجرات الاستغفار

المتواصل

qr'ey - bnyty alhzyneh - ktab ... 'ealgy ahsas alalm bjr'eat alastghfar almtwasl

TT: Read O sweet daughter who suffers from distress..... So, try soothing the pain with doses of regular prayers until your grief completely vanishes.

Conclusion

As mentioned in the previous section on methodology, this study analyses the ST and TT to determine which of the two theories are more applicable to religious text. We cannot resolve this question without seeing the translators' strategies being used. A dichotomy of ideas exists, one which considers the ST as crucial and the other which considers the TT as the most important element in the translation.

5.1 Translator's strategies for carrying out the translational action:

Since translation is a practical human effort, there is no translation completely perfect that is without flaws, difficulties and shortcomings. As a result, there is no consensus among translators or scholars as to which strategy or approach should be used. Different translators have different methods and there have been many different kinds of strategies and procedures used in their translations: some translators' work is dictated by the expectations of commissioners, publishers, and readers; while others highlight the importance of the ST. This section will show how the translators used different strategies and how important it is for the translators to be consciously aware of which strategy they use in religious text. This is of particular importance for experienced translators, as they tend to make these decisions intuitively, based on culture and language.

Using the questions listed in the methodology, we can determine intuitively which theories are applicable to religious texts.

5.2 Completeness of translation

One of the research questions of this study was whether translators translate the entire ST. Each translator was established in their own translation methodology.

As Arabic can be more descriptive than English in some cases, the translator may wish to intentionally amend his translation expressed in omissions or additions to the translated text.

Example from ST1.

ST: *al ma'naa* : المعنى

TT: The phrase was omitted in the translation (Write here which text this example comes from).

The phrase *al ma'naa* above is made of the definite article *al* (the) and the noun *ma'naa* (meaning), which can be literally rendered as 'the meaning'. However, since it occurs immediately after the title, it is used by the ST author to define or explain the title of the chapter which is fakkirwa '*shkor*' (literally: Think and thank, or as translated: Contemplate and be thankful). In this instance, the phrase was not translated and the TT is inferior as a result.

A better approach to this type of translation would be to use the following phrases, as per Reiss's text type theory:

- a) In other words:
- b) What is meant is:
- c) I mean: or simply
- d) Meaning

The following are some among many other instances of omission in the TT:

Table 2: Selected omissions in target text

ST	Omissions	
	Literal translation	TT
Sehhatun fi badanin	Health in body	Health
Amnun fi waTan	Security in homeland	Safety
Min tahtiqadamayka	Under your feet	Below

Omission of part of the phrase does not seem necessary in the examples above. I doubt that the TT addressee would be confused if the phrases '**a healthy body**', '**security in your country**' and '**under your feet**' were used as translations for the above examples.

The author used many adjectives to affect the Muslim reader as underlined in the example above. The style used is both elegant and graceful but the translator did not translate all four adjectives directly, rather he simplified the work by using one adjective. This process of omitting or adding text matches with Skopos theory but it may be argued by saying that the text needs more loyalty. Baker (2001) however, argues that a translator might omit and add explanations if it does not harm the ST in some context, especially when omission does not lead to the loss of meaning in the TT. The translator makes it clear that he has adopted this strategy, among others, "in the interest of the English reader" (Al-Qarni, 2005, p. 21), because the author "often uses many adjectives when attempting to give a single meaning".

If the translator translates the ST for a target group (eg. Muslim people or people who have the similar belief) who do not speak Arabic, but are living in the

Islamic world and have same culture, this increased the number of recipients who can understand the work. For example, Huda (2005) has translated the word “حجاب” (“h.dʒæb) as “hijab”, which means “veil”. Another example is shown in the word “حرام” (ḥaram) the translator uses “haram” which means “prohibited”. These words are originally from Islamic culture, and readers from the same religion or culture would understand these words.

Saleem Beg (2008) in ST4 uses the word “فضيله الشيخ” which is translated into the TT as “Dear Sheikh” (fadlallah ʃeɪk) which means ‘Dear religious scholar’. However, when the translator translates the ST to a target group, (such as western culture) who are living out of the Islamic world and have a different culture, the translator might be required to be aware of several problems. That means the translator should be using a different method of translation by looking at the target culture. Research by Dickens, Hervey and Higgins (2002) supports this method of cultural borrowing by suggesting that transliteration should be used accordingly. Vermeer (1986) however, argues that the TT may differ a great deal from the ST because the aims are different. In addition, he also stated it is not necessary for the translator to translate everything from the ST into the TT. Nord (2005) supported this idea when she stated that the function of the ST is not the same as the function of the TT. In contrast, Newmark (1991) claims that important texts, unlike newspapers and advertisements, should be translated with close reference to the ST and any cultural components also transferred.

5.4 Selection of translated words

In the following example the emotion of the language is lost when translated from Arabic to English.

ST1: ان تذكر نعمه الله عليك فاذا هي تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك:

An tathkura ni'ama Allahi 'alayka, fa ithaa hiya taghmuruka min fawqika wa min tahti qadamayka

TT: Remember the favours of Allah upon you and how they surround you from above and below

"نعمه الله" (*ni'ama Allahi*) means “Blessing of Allah” and تغمرك (*taghmuruka*)

means ‘to be plentiful’. The reader does not know how the blessing of Allah could be plentiful and therefore may interpret it as some sort of culture-specific term. The author used this sentence to have a greater emotive effect on the reader. The translator needs clearly to choose the closest and equally emotive words for the TT. Skopos theory supports the idea of changes in the translation of the ST but this can lead to changes in the meaning of the text. The author chose “تغمرك” (*taghmuruka*) which means to be plentiful, with kindness, care, and pity. Consequently, the author

influenced the reader through the use of this word. This is unlike the TT, in which the translator did not choose a similar word. He used word a less effective word 'surround'. This word is very solid however the text indicated the use of the words kindness and love.

Another more explicit example is shown where the ST contains references to some places that do not appear in the TT. As mentioned in the examples above, Mount Uhud and Thahlan are mentioned by the author while the translator mentions only Uhud. This is likely due to the relative popularity of Uhud in comparison with Thahlan. In addition, the Alhambra palace, which is the most popular example of Islamic architecture, is mentioned often when the Spanish city of Granada is mentioned but has not been given the name that is attributed to it, being merely translated as 'huge castles'.

ST: *Hal tashtariquSuraazzahraa'ibilissaanikafatakunaabkam?!*

Literal Translation: Would you buy the palaces of Alhambra with your tongue and become mute?!

TT: Would you sell ..., (or) your ability to speak for huge castles?

Suggested translation: Would you prefer to own Alhambra in exchange for your ability to speak and become mute?

If the translator's aims in adopting a specific translation strategy, such as omitting, was not to cause the reader to feel alienated or confused while interacting with the TT, perhaps he should have substituted a ST geographical reference (e.g. Mount Uhud) for a more globally known one (e.g. Mount Everest), however this may cause additional issues if the substituted place has other cultural meanings. Instead, he chose to transfer into the TT a place that is mostly known to Muslims because of its position in Islamic history and to downgrade the one that is known to Muslims and non-Muslims alike by referring to it as castles. Another explanation for this could be that the translator did not know the significance of '*quSura azzahraa'*' (palace of Zahra) in the ST. However, it can be said that the outcome of his translation resulted from his aims and from the translation strategy that he has adopted.

5.5 Translation of linguistic knowledge

To translate religious text, translators have to be equipped with both linguistic and cultural knowledge of both the SL and the TL, in order to carry out the translational action successfully. This is especially true if they wish to preserve the social, political, economic and aesthetic effects of the ST on the audience or to achieve the desired response from that audience. For the majority of the examples provided, the authors have managed to convey both language and cultural aspects. The exception is ST1, which deals well with culture but struggles in its linguistic approach. Vermeer supports this when he suggests linguistics is not the primary process at work in translation. For Vermeer, culture-specific phenomena must apply not only to the environment but also to the translation. Others translators in ST2, ST3, and ST4 have shown the importance of culture being taken into account for the translators. According to Vermeer (1986), the TT can be divergent from the ST to

achieve the aim. For Reiss (1978) however, the TT and ST should have the same aim. As mentioned previously, the ST was translated linguistically and culturally into the TT. In this case, the source text's function is the same as the TT but some might argue that there should be a distinction because of this, between the ST and the TT.

In addition, the translators are aware of the importance of coherence between the ST and TT, both linguistically and culturally. The translator should consider the effect of their translation on the target culture as the work might contain words for the Islamic world which cannot be identifiable in other religious groups, or even in non-religious populations. It was noticed that the translator was careful about the target culture.

In analysing the translations of religious texts, the first requirement for any translator is to be knowledgeable in both source culture and linguistics in order to be able to modify them to suit the TT and target culture.

5.6 Conclusion

This study attempted to ascertain which theory is more appropriate to apply to a selection of texts, listed as ST1, ST2, ST3 and ST4. The theories that form the background for this study are Reiss' text type theory and Vermeer's Skopos theory. These theories helped to define the correct approach to the translation task for religious works and offered a means to approach the analysis of the source and target texts.

The present study has found that the theory proposed by Reiss is considered more applicable to the translation of religious texts. This is partly because the application of Vermeer's Skopos theory in translating religious works is less useful, since the text both generally and specifically is all purposeful and tend to deliver the intended message. The linguistic aspects of the ST and TT cannot be neglected in order to fully achieve the ultimate goal of satisfying the aim of translation, but rather that linguistic concerns must be resolved in consideration of their cultural consequences.

References

- [1] Aveling, H. (2003). 'Mistakes in translation': A functionalist approach. *CELT - A Journal of Culture, English Language Teaching & Literature*, 3(1), 1-6.
- [2] Baker, M. (2001). *In other words: A coursebook on translation*. New York & London: Routledge.
- [3] Carnegie, D. (1948). *How to stop worrying and start living*. Suffolk: Simon and Schuster.
- [4] Dickens, J., Hervey, S., & Higgins, I. (2002). *Thinking Arabic translation: A course in translation method*. New York: Routledge.
- [5] Jensen, M. N. (2009). *Professional translators' establishment of Skopos - A brief study*. PhD Thesis, Institut for Sprog og Erhvervskommunikation, Aarhus School of Business, Denmark.

- [6] Munday, J. (2008). *Introducing translation studies: Theories and applications* (2nd ed.). London: Routledge.
- [7] Newmark, P. (1991). *About translation*. Clevedon: Cromwell Press Ltd.
- [8] Nida, E. A. (1964). *Toward a science of translating: with special reference to principles and procedures involved in Bible translating*. Leiden, Netherlands: E. J. Brill.
- [9] Nord, C. (1997). *Translating as a purposeful activity: Functionalist approaches explained*. Manchester, UK: St. Jerome Publishing.
- [10] Nord, C. (2005). *Text analysis in translation: Theory, methodology, and didactic application of a model for translation-oriented text analysis* (2nd ed.). (C. Nord, Trans.) Amsterdam: Rodopi.
- [11] Orwell, G. (1946). *Animal Farm*. London.
- [12] Reiss, K. (1977/89). Text types, translation types and translation assessment. In A. Chesterman, & A. Chesterman (Ed.), *Readings in translation theory* (A. Chesterman, Trans., pp. 105-115).
- [13] Vermeer, H. J. (1996). *A skopos theory of translation: (some arguments for and against)*. Heidelberg: Verlag.
- [14] Vermeer, H. J. (2004). Skopos and commission in translational action. In L. Venuti (Ed.), *The translation studies reader* (A. Chesterman, Trans., 2nd ed., pp. 227-232). New York: Routledge.

تحليل نصوص دينية سبقت ترجمتها من اللغة العربية إلى اللغة الانجليزية من منظور نظرية

د. صالح عبدالله عبدالرحمن القفاري

محاضر بجامعة السعودية الالكترونية

ملخص البحث. الترجمة هي جهد إنساني وعملي، وهي مهمة للتواصل الإنساني . والهدف من هذه الدراسة تحليل نقدي لأربعة نصوص دينية للتحديد أي النظرتين أنسب لنصوص دينية سبقت ترجمتها من اللغة العربية إلى اللغة الانجليزية . النظرية الأولى : هي نظرية Vermeer's Skopos theory والنظرية الأخرى : Reiss' text type theory . الفرق بين النظرتين أن النظرية الأولى : النص المقابل هو الذي يحدد الترجمة بينما النظرية الثانية : النص الأصلي يحدد أنماط الترجمة. في هذه الدراسة أدركت أن النص الأصلي لا يمكن يحمل نفس التأثير في النص المقابل. واستنتجت أن على المترجم تحليل النص الأصلي من ناحية معرفة المؤلف والمتلقي لهذا النص والمحتوى والثقافة ووظائف النص لكي يصبح لدى المترجم وضوح في الهدف من الترجمة . أيضا وجدت في هذه الدراسة أن نظرية Reiss' text type theory يمكن تطبيقها في النصوص الدينية بينما نظرية Vermeer's Skopos theory والتي لا تتناسب في النصوص الدينية وذلك لأنها نظرية تعتمد على غاية النص ورسالته وتسهيله

